

ملفات سرية



الحركة التحررية الكوردية

وصراع القوى الاقليمية والدولية

1975 - 1958

الطبعة الرابعة مزيده ومنقحة
الجزء الأول

أيوب بارزاني



Editions Orient-Réalités, Genève

الحركة التحررية الكوردية 1975 - 1958 الجزء الأول أيوب بارزاني

الهدف من هذا الكتاب هو سرد حقائق لشعبنا الذي حرّم من حقه المشروع في معرفة الأسباب الحقيقية لانهايار الحركة الكوردية وكيف تصرف القادة في لحظات التاريخ الحاسمة. هذه الوقائع التاريخية الهامة طبعت بصماتها العميقة على جميع مناحي الحياة الكوردية ولأجيال متعاقبة، وتشكل جزءاً هاماً من تاريخنا الحديث الذي تعرض لتشويه واسع ومستدام.

يتناول الجزء الأول من الكتاب الحالي التطورات الداخلية المأطرة للانتفاضة الكوردية ورسوخها لأعوام، والجزء الثاني مخصص للعلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة وعدم تناغم الوضع الداخلي للحركة الكوردية وعلاقتها الخارجية، حيث يدور صراع دبلوماسي هائل بين موسكو و واشنطن على منطقة الشرق الأوسط، وصراع مكمل بين عواصم الدول الإقليمية بغداد وطهران وتل أبيب وكيف تصرفت الزعامة الكوردية وسط هذه الصراعات ومع إدارة اللاعبين الدوليين والإقليميين وآخرين ممن أسهموا في بلورة هذا الصراع الذي انعكست آثاره على الحركة التحررية الكوردية بقيادة ملا مصطفى. وكل هذا مبني على أرشيفات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي وعلى ما تيسر لي من مصادر سوفيتية، إيرانية، عراقية، إسرائيلية وكوردية وشهادتي الشخصية على الأحداث في تلك الفترة.



Editions Orient - Réalités
Case postale 1150, CH-1211 Genève 1 - Suisse



9 782940 325030

ISBN: 9782940325030

الحركة التحررية الكوردية

وصراع القوى الاقليمية والدولية

1975 – 1958

أيوب بارزاني

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

الجزء الأول

دار نشر حقائق المشرق – جنيف

Editions Orient-Réalités, Genève

تصميم الغلاف: صلاح الشمري

الطبعة الأولى: 2011

الطبعة الثانية: 2012

الطبعة الثالثة: 2013

الطبعة الرابعة: 2017 مزيدة ومنقحة

EAN: 9782940325030

ISBN: 978-2-940325-03-0

العنوان البريدي والالكتروني:

Email: shilo@genevalink.ch

Editions Orient-Réalités

P.O.Box: 1150

1211 Geneva 1

Switzerland

جميع حقوق الطبع محفوظة

الجزء الأول

اندلاع الحركة برأسين وبرنامجين

انشقاق مبكر

انحطاط القيم الثورية لدى الزعماء

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ والمؤرخ والمناضل القدير الدكتور عصمت شريف فانلى لتلطفه بالسماح لي استخدام أرشيفاته ومناقشته، والدكتور ريبوار فتاح الذي زودني بالمصادر الجيدة والوثائق الهامة والدكتور عبدالمصور بارزاني للسماح لي بالاطلاع على مخطوطاته التي لم تطبع بعد، ولد (بادين) الذي أسعفني بعدد من الكتب المتعلقة بموضوع هذا الكتاب واهتمامه المتواصل إلى ان أنهيته، كذلك امتتاني وشكري لبروسك أسعد مترگه سوری الذي زودني بعدد من المصادر، وثم امتتاني وتقديري لأصدقاء آخرين في الوطن وفي المهجر، طلبوا أن لا أذكر أسمائهم خشية تعرضهم للاضطهاد.

أيوب بارزاني
آذار 2011 جنيف - سويسرا

“In a time of universal deceit, telling the truth is a revolutionary act.” {George Orwell 1903-1950}

قول الحقيقة في زمن الخداع العالمي هو عمل ثوري
جورج اورويل (1950-1903)

“All truth passes through three stages. First, it is ridiculed. Second, it is violently opposed. Third, it is accepted as being self-evident.”
{Arthur Schopenhauer.1788-1860}

تمرّ كل حقيقة بثلاث مراحل: أولاً تجابه بالسخرية، وثانياً تعارض بشدة وثالثاً
يرحب بها على أنها من البديهيات .
آرثر شوبنهاور (1860-1788)

«Anyone who has proclaimed violence his method inexorably must choose lying as his principle.» {Aleksandr Solzhenitsyn 1918-2008}

«كل من لجأ للعنف كوسيلة لبلوغ أهدافه، يتحتم عليه اعتناق الكذب كمبدأ.»
الكسندر سولجنتسن (2008-1918)

المقدمة

ثورة شعبنا الجبارة، التي امتدت حوالي أربعة عشر عاماً انهارت خلال أيام! ظاهرة تاريخية نادرة تستحق الوقوف أمامها بالتحليل العميق والعمور على عوامل الشلل والتفسخ الداخلي والانحار المفاجئ، كيف ولماذا؟

كانت هزيمة عام 1975 نتيجة تصورات خاطئة نشرتها الدعاية الحزبية المضللة في الذهن الشعبي الكوردي على أوسع نطاق حول النخبة القيادية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني كعاقرة وأبطال نادرين في التاريخ يستحقون كل الثقة من الشعب. والمكتب السياسي نفسه كان المسؤول الأول عن هذا المنحى الخطير إذ لم يقيّموا ميزان القوى المحلية والاقليمية والدولية بشكل واقعي ولا متطلبات المعركة المصيرية واستراتيجياتها بشكل صحيح، ودون التأكد من أهلية القيادة ووحدها لمرحلة النضال الشاقّة، أقحموا الشعب الكوردي في معركة النضال التحرري، وعندما استجاب شعبنا لنداء النضال بعزم وهمّة، انشقت القيادة وأصابها الارتباك والتناحر الداخلي وانفرد ملا مصطفى بالقرارات المصيرية وبعقلية خارج روح العصر إلى أن أوصلوا شعبنا إلى الكارثة، وتخلوا عن الشعب الذي استجاب لهم وقدم كل ما لديه تلبية لمتطلبات الكفاح الثوري.

ليس من الصحيح وضع أي قائد فوق النقد، بل هو بشر يصيب ويخطئ، والواجب تبيان خطئه إذا أخطأ، ومحاسبته إذا أساء. وكون قائد يحتل مركز المدافع عن حقوق الشعب، مفروض عليه أن يستعد للتضحية في سبيل ذلك، ولا يجوز ان يكون في منأى من النقد أو الإدانة والمساءلة، حين يستهتر بقيم النضال التحرري وينحرف لتحقيق غايات شخصية تحت قناع الدفاع عن حقوق الأمة.

يقول المحلل السياسي البريطاني Brian Whitaker "إن الشرق الأوسط يعزو مشاكله دائماً إلى الغير". فمن الواضح ان أصحاب هذا المنطق، يهملون النظر

إلى الصورة كاملة، ولا يرون إلا لما يروق لهم. فالأمم تقاس بتاريخها، وأيضاً كيفية مواجهتها للنكسات والهفوات على مرّ التاريخ، إنها مهمة تتطلب مشاركة القيادة السياسية الناضجة من جهة والمواطن الواعي من جهة أخرى، وإملاك روح إنتقادية بناءة من أجل مستقبل أفضل. وعندما تتفادى الحكومات والأمم عمداً قراءة النتائج التاريخية بصورة صحيحة للتملص من الاعتراف بالأخطاء، تكون قد دخلت في عملية تضليل للذات. إذ ليس من شيمة الأمم الحية تجاهل الأخطاء التي أرتكبت في تاريخها، ونحن ككورد مفروض علينا مواجهة ماضيها بحقائقه السلبية والإيجابية. وأن نواجه أيضاً أحداث التاريخ بصدق وأمانة وهذا يستدعي الشجاعة والتضحية، خاصة في مجتمعنا الذي لقنَ على عادة تعظيم القادة وتقديسهم بشكل يناقض منجزاتهم، مما يدخله في إطار النفاق والتملق.

إن الاعتراف بأخطاء الماضي، بعضها -كوارث وطنية- وتسميتها بالإسم قد لا يكون سهلاً، خاصة بالنسبة لأولئك الذين كانوا مسؤولين عنها مباشرة. ليس فقط أنهم لا يعترفون بل يسعون إلى كم أفواه الآخرين بوسائل إرهابية لمنع ظهور الحقائق. إن الإمعان في إنكار الأخطاء الماضية يولد خللاً في الذاكرة التاريخية وفي وعي الأمة، وإستدامة الركود على الصعيد المعنوي، ثم يشمل جميع أوجه الحياة في المجتمع. وعلى الجيل الجديد أن يمتلك الشجاعة ويواجه الحقائق وتعميمها، ويقوم بالمهمة رغم المخاطر. وفي إعتقادي ان النضال السياسي والثقافي في السنوات الأخيرة من أجل تطوير الحياة الديمقراطية في كوردستان سوف يغير ولو ببطء آراء الجماهير الكوردستانية، وأملّي أن يسهم هذا الكتاب في معرفة أحداث التاريخ قيد البحث بشكل أكثر واقعية. خاصة فيما يتعلق بمسؤولية القيادات الكوردية في القتال الداخلي والنكسة عام 1975، وفيما بعد "حرب الزعامات" إلى 1998 و ثم إقامتها لإدارة كوردية (حكومة عائلة) ينخر في جسدها الفساد ومعادية للحريات العامة وتمارس الابتزاز والارهاب خلال أجهزتها الأمنية البوليسية.

يقول الكاتب الأمريكي Henry Miller 1891-1980: "جميع الأشياء التي نغض أعيننا عنها حتى لا نراها، وكل الأمور التي نتهرب منها، ننفيها ونقل من أهميتها أو نحترقها، تلحق بنا الهزيمة في النهاية. والأشياء التي تبدو مقرفة، مؤلمة، ومسيئة، يمكن أن تصبح مصدراً للجمال والسعادة والقوة، إن واجهناها بعقلية منفتحة." لقد

اعترفت ألمانيا بالجرائم التي إرتكبتها القادة النازيون، فتحرر عقل الأمة الألمانية من عبئ الماضي الكابح لعقلها المبدع. ولاتزال تركيا تتجاهل ما حصل للأرمن والكرود من مذابح، فبقيت في مستنقع الركود المتجاهل لوقائع التاريخ الضاغطة، فالأمانة مع الشعب التركي تقتضي وضع الحقائق أمامه كاملة غير منقوصة، وهذا ما أخفقت فيه العقلية الكمالية المتحجرة. وهناك تحرك ثقافي يتراكم داخل بعض أوساط المجتمع التركي ترى في العقلية الكمالية عائقاً أمام تقدم المجتمع. نيكيتا خروتشوف فضح ما ارتكبه ستالين من جرائم بشعة، وواصل الشعب الروسي فض غبار الماضي ليرى الحقائق بعد الحقبة الشيوعية فحرر عقله من أخطائها وليجد إنطلاقته نحو مستقبل موعود. في كل ذلك دروس وعبر لنا نحن أمم الشرق.

صدر الكتاب الأول من هذه السلسلة عام 1980 تحت عنوان "بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي 1826 - 1914" ثم الكتاب الثاني عام 2002 بعنوان "المقاومة الكوردية للاحتلال 1914 - 1958". وترددت في عنوان الكتاب الحالي، بين (الطريق إلى الكارثة 1958 - 1975) أو (زعامات الكوارث) وكلاهما ينطبقان على محتوى الكتاب، أخيراً اخترت له عنواناً "الحركة التحررية الكوردية وصراع القوى الإقليمية والدولية 1958 - 1975". ليس الهدف من هذا الكتاب، ولا اللذان سبقه الانشغال بخصومات أو إثارة مسائل شخصية مع أيّ كان، فالهدف هو سرد حقائق لشعبنا الذي حرّم من حقه المشروع في معرفة تاريخ قادتهم وكيف تصرفوا في لحظات التاريخ الحاسمة. هذه الوقائع التاريخية الهامة طبعت بصماتها العميقة على جميع مناحي الحياة الكوردية ولأجيال متعاقبة وتعرضت لتشويه واسع ومستدام، وتأخر كشف هذه الحقائق كثيراً. هذا الكتاب يتناول الفترة بين 1958 - 1975. وهي الفترة التي شهدت اندلاع الحركة الكوردية، صعودها وهبوطها وانهارها. وقد ركزت في الجزء الأول من الكتاب على التطورات الداخلية للانتفاضة الكوردية المسلحة، وفي الجزء الثاني منه ركزت على العلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة وعدم تناغم علاقات الحركة الخارجية ومتطلبات الوضع الداخلي، حيث يدور الصراع بين موسكو و واشنطن على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط، وصراع مكمل بين عواصم الدول الإقليمية ب بغداد وطهران وتل أبيب وكيف تصرفت الزعامة الكوردية وسط هذه الصراعات ومع إدارة اللاعبين الرئيسيين دولياً وإقليمياً: ريتشارد نكسون، بريجنيف، صدام حسين، وشاه إيران وآخرين ممن أسهموا في بلورة هذا الصراع الذي انعكست آثاره على الحركة التحررية

الكوردية بقيادة ملا مصطفى. وكل هذا مبني على أرشيفات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي وعلى ما تيسر لي من مصادر سوفيتية، إيرانية، عراقية، إسرائيلية وكوردية وشهادتي الشخصية على الأحداث في تلك الفترة.

أبرم صدام حسين ثلاث اتفاقات، محلية ودولية وإقليمية: بيان 11 آذار عام 1970 مع ملا مصطفى، المعاهدة العراقية السوفيتية للدفاع المشترك في 9 نيسان 1972، ثم اتفاقية الجزائر مع شاه إيران في 6 آذار عام 1975. هذه الاتفاقيات كانت تهدف حماية نظام البعث وتقوية مواقفه داخلياً وخارجياً، وبعد ان شعر النظام بأنه في مأمن، تبنى سياسة توسعية عدوانية. في حين لاذت القيادة الكوردية بالخارج وهدمت المناعة الداخلية، واندفعت نحو تحالفات غير مكتوبة ومثيرة للجدل، فالشاه هو الذي أمر بإعدام قاضي محمد ورفاقه عام 1946، وظل معادياً للحقوق القومية للشعب الكوردي في كردستان الشرقية طوال فترة حكمه. وعندما سحب الشاه دعمه لقيادة الحركة الكوردية، لم تتواجد اعمدة داخلية تتكأ عليها الحركة لمواصلة الكفاح، ورغم غياب هذا السند الداخلي وصعوبة الظروف السياسية واللوجستية كان الشعب الكوردي على استعداد لمواصلة الكفاح بعزم وهمة، لكن القيادة الكوردية كما سنرى تخاذلت وفرضت على شعبنا قرار الاستسلام.

تعود جذور العنف في العراق إلى حد كبير لتصميم استعماري تمثل في فرض عملية إلحاق كردستان بالعراق وصوغه لتركيبية الدولة وهويتها وحدودها المصطنعة وتهميش شرائح هامة من السكان وحرمانهم من التمتع بالحقوق والامتيازات التي يوفرها البلد من ثروات طبيعية هائلة. واعتبر العراق بلداً يعاني من عدم استقرار مزمن وغير جدير بالثقة حتى من قبل الدول العربية نفسها. لقد تحجرت القيادة العراقية بأيديولوجيتها القومية المتطرفة داخل العقليّة العسكرية وظلت عاجزة عن تقديم الحلول السلمية للمشاكل الداخلية إلا من خلال العنف. فالعنف القومي ضد الشعب الكوردي أبقى البلاد في حالة تقيح سياسي واجتماعي شديد وتصاعدت وتيرة العنف بين المركز بغداد وشعب كردستان، وانعكست في عمليات قتل دامت عقوداً من القرن العشرين، أدى فيها الجيش العراقي دور المحتل وقام بما وصفته المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان بجريمة الإبادة الجماعية. مألّ البريطانيون في مناسبات عديدة نحو العنف في حل النزاعات الداخلية، وأخذتها منهم النخب

العربية السنوية المختارة من قبل البريطانيين، هذه النخب العربية لم تكن ناضجة سياسياً لحكم الشعب العربي، فما بالك بوضع الشعب الكوردي في عهدها. لقد كان لبريطانيا دور هام في نفخ الروح القومية العدوانية في هذه النخب وتأليبها ضد الشعب الكوردي، وضد العقيدة الشيوعية ونفوذها في الشرق الأوسط...

تصدر اسم (العراق) منذ عام 1980 صدارة الصحافة وقنوات التلفزة العالمية، كما أصبح موضوعاً تتناوله مراكز الدراسات الاستراتيجية بتحليلاتها في كثير من الدول. والظاهرة الأكثر بروزاً هي "العنف المجاني". حروب متتابعة، داخلياً حروب مستمرة ضد الشعب الكوردي، إلى جانب القمع الوحشي ومصادرة الحريات للشعب العربي وبالأخص من منتسبي الحزب الشيوعي العراقي ومن منتمي المذهب الشيعي، كما إن النخب السنوية المناهضة للحكم الشمولي عانوا من الاضطهاد. ولم ينجو من الإرهاب والتصفيات شعوب أخرى: الآشور-كلدان والتركماني والمنتسبون لديانات أخرى غير إسلامية مثل الإيزيدية. وخارجياً حرب ضد إيران وغزو الكويت، ثم التدخل العسكري الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لتحرير الكويت وتم غزو العراق واحتلاله عسكرياً عام 2003.

كم عدد الذين ماتوا في السجون وتحت التعذيب؟ وكم عدد الاغتيالات التي نفذها عملاء النظام ضد المعارضين؟ وكم هم ضحايا حرب كوردستان؟ وعدد القتلى والجرحى في حروب صدام حسين من قادسيته إلى غزو الكويت؟ وأمّ المعارك حسب تسمية صدام حسين لها، وأيضا كم عدد الضحايا أثناء هجوم القوات الغربية لتحرير الكويت وغزو العراق عام 2003 وما تلا ذلك من عنف أعمى في المدن أوقع آلاف الضحايا؟ بلا شك لا يمكن إعطاء رقم دقيق، لكن يمكن حساب مئات الآلاف.

فكل ما كان يجب تفاديه من عنف وكراهية وقمع، قد حصل، وكل ما كان يجب ان يتحقق من الرخاء الاقتصادي والتقدم العلمي والتجانس الاجتماعي والعيش المشترك في ظل القانون لم يحصل. لم يكن هناك مبرر للعنف لو كان هناك التزام بالديمقراطية ومبادئ حقوق الانسان، لكن العنف ساد الحياة اليومية لهذا البلد المنكوب بنخبه السياسية خلال معظم عقود القرن الماضي. وعاش المواطن العادي في ظل الخوف والشعور الدائم بانعدام الأمن.

وان بلداً يملك هذه الثروة الطبيعية الهائلة، إن لم تتفاهم نخبه وأحزابه السياسية لحل مشاكل شعوبها بالطرق السلمية الديمقراطية، يصبح فريسة للانقلابات العسكرية الدموية ويتعرض لتمزق داخلي يقضي على الوحدة الوطنية، ويتعرض البلد برمته للتدخلات الخارجية المغرضة. فكلما حلت المشاكل عن طريق التفاوض وبروح الحرص على مستقبل الأجيال القادمة وبالمساواة في حق الشعوب في تقرير مصيرها، كلما تقلصت فرص التدخلات الخارجية المعادية لمصالح البلاد.

فلقد بقي العراق مايقارب القرن بمرحلتيه الملكية والجمهورية، تحت حكم نخب "غير ناضجة سياسياً"، و"دكتاتورية شمولية" في مرحلة حكم البعث، هذه النخب لم تتمكن من الارتقاء الحضاري في مجال علاقة "الحكم" بـ "المجتمع"، لقد إستخدمت مؤسسات الدولة المسلحة: الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية ضد المجتمع، ولم تتطور مؤسسات المجتمع المدني، وازداد تراجع السلطة عن "قيم الحضارة" نحو "قيم البربرية"، فقد أصبحت النخبة البعثية الحاكمة 1968 - 2003 أول حكومة في تاريخ البشرية تستخدم السلاح الكيماوي ضد سكانها المدنيين من مواطنيها، (الشعب الكوردي الشقيق!...) ولا يمكن مقارنة عنف العهد الملكي في العراق بالعنف الذي مورس في العهد الجمهوري، وبالأخص حكم حزب البعث العربي الاشتراكي بزعامة صدام حسين، فقد كان دموياً بامتياز. فرغم الهيمنة السنية العربية في العهد الملكي، تقلد العديد من الشخصيات الكوردية مناصب رفيعة في الدولة، مدنية وعسكرية، وكان للبعض دور مرموق في وضع حد للمظالم التي كان يرتكبها الاقطاعيون الكورد ضد القرويين، سعيد قزاز، الذي اعدم بعد انقلاب تموز 1958 واحد من الشخصيات البارزة التي حازت على إحترام طبقة الفلاحين في مناطق بادينان.

افتقرت النخب السياسية الحاكمة في بغداد، بالأخص بعد انقلاب تموز 1958 إلى نخبة حضارية متزنة تعرف كيف تمارس "ديمقراطياً" السلطة السياسية لأجل تقدم المجتمع وازدهاره بكافة مكوناته الدينية واللغوية والقومية وتؤمن بتداول السلطة سلمياً، وعانى الشعب الكوردي من نفس المرض النخبوي. لقد تشكلت أحزاب يقودها أفراد سرعان ما انقلبوا إلى مستبدين بإسهم القومية ودفاعاً عنها! واستغلوا قضايا وطموحات مجتمعاتهم لمنافع شخصية وعائلية بينما قادوا شعوبهم نحو الدمار والتبعية والذل.

فبإلقاء نظرة سريعة على نشوء الأحزاب وتطورها في العراق وكوردستان، كحزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الديمقراطي الكوردستاني، نجد كيف نشأت وفق مبادئ التحرر الوطني وتحقيق المساواة الاجتماعية وخدمة الطبقات الفقيرة من فلاحين وعمال، ثم إنتهت إلى أحزاب تابعة لإرادة الفرد الدكتاتور وبطانته وابتعدت عن المبادئ الاستراتيجية التي نشأت من أجل تحقيقها، فنشرت الظلم والفساد بدل تحقيق العدالة الاجتماعية المنشودة.

وفي سبعينات القرن العشرين، شهد المسرح السياسي الكوردي الإيراني العراقي، بروز ثلاث شخصيات رئيسية أسهمت في صنع الأحداث المأساوية في المنطقة: شاه إيران محمد رضا بهلوي، ملا مصطفى وصادم حسين. هؤلاء القادة، ساهموا في مآسي شعوبهم، فقد انتهت الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى إلى كارثة وطنية عام 1975، إذ تفرّد بالموارد والقرارات الداخلية والخارجية، وهو الذي حدد مسارات الحركة الكوردية وتوجهاتها إلى ان أوصلها إلى حالة التردّي والهزيمة. وأقحم صدام حسين العراق في حروب مدمرة إنتهت بتدخل امريكي-بريطاني-اسباني للعراق عام 2003، ولأذ هو بجحره تحت الأرض، أخرجه الجنود الأمريكان، ثم حوكم وأعدم. كما سقط من قبل عرش الشاه في عام 1979 وطُردَ "الإمبراطور" تاركاً البلاد ذليلاً بفضل ثورة الشعوب الإيرانية على حكمه الدكتاتوري الفاسد.

فنزعة قوية من "جنون العظمة" ركزت اهتماماتهم على الذات، وتضخم الـ "أنا" الفارقة في الأنانية مقابل تقزيم الآخر، لقد تجاوزت مصالح الزعماء مصالح الشعوب والأوطان، ونشأ لديهم فقدان الاحساس بمعاناة أممهم والمخاطر التي ستواجهها جرّاء التفرد بالسلطة المطلقة. كانت رغباتهم الشخصية تمثل سياساتهم. وخلطوا عمداً بين ما هو "مال شخصي" وبين "المال العام". والثلاثة استغلوا طموحات شعوبهم، واحتكروا السلطة السياسية كل بطريقته، ووفق ما لديه من امكانيات، تصرفوا بالأموال العامة لشراء الذمم وافساد مجتمعاتهم بهدف اطالة حكمهم، وعمل الثلاثة على توريث الثروة والسلطة لأبنائهم بدوافع شخصية محضة، دون كثير مبالاة بمصائر الشعوب.

كانت أوضاع الشعب الكوردي تختلف كثيراً عن أوضاع الشعوب المجاورة، فقد كانت لدى هذه الشعوب حكومات ودول، في حين كان الشعب الكوردي مسلوب الإرادة

ومحروماً من حقه في تقرير المصير، لابل كانت هويته مهددة، فالجيش العراقي يشن حملات عسكرية متعاقبة لحرق وهدم حقول وقرى كردستان، وكان الشعب الكوردي يناضل من أجل نيل حقوق بسيطة للحفاظ على هويته الثقافية، وحتى لذلك لم يتسع صدر حكومات بغداد. لذا كان أمراً في غاية الخطورة أن تتصرف القيادة الكوردية مع شعبها بنفس أسلوب دكتاتوريات الشرق الأوسط. وقد عانى الشعب الكوردي الولايات من جراء سلوك قيادة غير مؤهلة في أداء دورها الثوري والنضالي في عملية الصراع الشعبي المسلح الذي طال حوالي 14 عاماً. ثم جاء الورتاء، قادة صغار النفوس، لحدود لجشعهم، مهووسون بما توفره السلطة لهم من نرجسية وملذات. وتحول "الثوريون" بسرعة هائلة إلى "مقاولين" وبدلاً من أن يضعوا أنفسهم حراس المال العام، نراهم وبنيهم مشهود له وضعوا أيديهم على أموال شعوبهم فوزعوا الشركات والعقود على عائلاتهم ورجال حاشيتهم، وتملكوا المعروف وغير المعروف من الأراضي والمباني والحسابات البنكية والمشاريع التجارية الضخمة داخل الوطن وخارجه.

فالثلاثة، محمد رضا بهلوي، صدام حسين وملا مصطفى، في فترات مختلفة كانوا يتحاربون أو يتفاوضون أو يتحالفون أو يوقعون اتفاقات لكسب الوقت لاغير، وهذا الكتاب يتناول كل ذلك عبر أحداث تاريخية هي حصيلة علاقات محلية وإقليمية ودولية نشأت وتطورت بضغط من مقتضيات الحرب الباردة بين القوتين العظميين النوويين، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. وأشارتي إلى الأشخاص بالاسم، هو أيضاً تعبير عن غياب الإرادة الجماعية، مجلس وطني منتخب، جهاز تنفيذي (حكومة ديمقراطية) تنفذ سياسة معينة وتتحمل جماعياً نتائج اعمالها أمام البرلمان المشرف على أداء الحكومة، ونظام قضائي عادل ومستقل. نحن أمام الحاكم الفرد المطلق الصلاحيات الذي يحدد كل مسارات الصراع أو انهاءها، ليس للشعوب كلمة في كل ذلك غير الطاعة والتضحية دون مقابل، وفي كثير من الأحيان تذوق الشعوب الذل، فقد تخلت القيادة الكوردية عن شعبها بقرار الهرب خلسة إلى إيران عام 1975، مسلمة الشعب الكوردي إلى أقصى طاغية عرفه العراق الحديث، كما اضطر الباقون إلى الاستسلام لنظام الشاه الذي توصل إلى اتفاق مع صدام حسين في قمة الجزائر في آذار عام 1975.

ويكتشف القارئ خلال قراءته لفصول الكتاب، ماهية الفريق الذي قاد الحركة التحريرية الكوردية بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة ملا مصطفى. وعلى عكس ما حصل في كثير من الثورات التحريرية لدى الشعوب المستعمرة، إذ قادت البرجوازية الوطنية العناصر الإقطاعية في الصراع الشعبي التحرري المسلح، في حين انعكست المعادلة هذه لدى قيادة الحركة الكوردية التحريرية سلطة (آغوية في منطلقها الأيديولوجي). ونرى بوضوح قلة الالتزام بالثوابت القومية والوطنية لدى الاثنيين، البرجوازية الصغيرة النامية وعناصر الإقطاع الكوردي. كانت النخبة القيادية الكوردية التي هيمنت على الحركة الكوردية مشكلاً من أعضاء المكتب السياسي، تلقوا ثقافتهم في جامعات عراقية، وقلدوا النمط القومي العربي بكل ما فيه من تعارض مع القيم الديمقراطية أو تبنوا الماركسية اللينينية تقليداً لطلائع الشيوعيين العراقيين. وفي النهاية تحكمت في الحزبين (حزب البعث العربي الاشتراكي -عراق- والحزب الديمقراطي الكردستاني) إرادة الفرد الواحد. في الحالة الكوردية، كان الفارق كبيراً في العمر بين رئيس الحزب وأعضاء المكتب السياسي، كذلك في مستوى التحصيل العلمي. كان ملا مصطفى ذكياً لكن بلا تحصيل علمي عصري، يعرف كيف يستخدم القوات العشائرية ويهزم خصومه المحليين في القتال. والخلافات بين الاثنيين، أعضاء المكتب السياسي لـ (حدك) ورئيسه، لم تكن خلافات عادية بين مناضلين وطنيين حريصين على مصلحة شعبهم ومتسامحين يُحلّون خلافاتهم بالوسائل الديمقراطية والرجوع إلى دستور الحزب وعلى ضوء مصلحة الشعب الكوردي، بل لجأ الاثنان وبسرعة فائقة إلى لغة الرصاص وبعبصية هستيرية.

انحدر الخلاف بين الطرفين في مراحل معينة إلى مستوى من الإنحطاط في القيم الوطنية أدهش المراقبين، دون إعتبار لما تسببه من مخاطر على أقدار الشعب الكوردي. ولعل أكثر ما يبعث على الأسى هو السماح للكراهيات بالتحكم في المواقف السياسية للجانبين على حساب حقوق الشعب الكوردي الذي كان يخوض غمار حرب ظالمة تشنها الحكومات العراقية. كانا يدخلان في هدنة مع بغداد أو التحالف معها بقصد التفرغ لتصفية الحسابات الداخلية فيما بينهما... كما لجأت القيادات الكوردية إلى نقل "الكراهيات الحزبية" بشكل مبرمج إلى اوساط الجماهير، بتستر أحياناً ومعلن أحياناً أخرى، للإبقاء على وحدتها المسلحة في بيت الطاعة وتغذيتها بالروح العدوانية لخوض حرب الاقتتال الداخلي الكوردي - الكوردي. رحبت حكومات

الجوار استخدام الكراهيات الحزبية في كوردستان لإشغال المنظمات الكوردية في حروب استتزاز داخلية، ولكيلا يكون لدى هذه الأحزاب من الوقت والصفاء الذهني للإصرار على الحقوق القومية. في فترات معينة ومتتابعة فرض هؤلاء القادة "أبطال الحرب الداخلية" على الشعب الكوردي حربين في آن واحد، حرب كوردية كوردية، مع استمرار المقاومة الكوردية ضد حملات قوات حكومات بغداد. وقد شهدت كوردستان المحررة من نفوذ صدام حسين بعد طرد القوات العراقية من الكويت 1991 "حرب الزعامات" "حرب لإحتكار مصادر المال" بين مسعود ملا مصطفى الذي سيطر على واردات جمارك إبراهيم الخليل - بدعم من صدام حسين- ورفض تقاسمها مع جلال الطالباني الذي حرّم منها، مكلفة الشعب الكوردي آلاف الضحايا. في ظروف عادية كان من الممكن ان يفقد القادة كل رصيد من الاحترام الشعبي وينتهوا كسياسيين متقاعدین فاشلين او على الأكثر يساقوا إلى المحاكمة، لكن مأساة الشعب الكوردي تكمن في كونه غير حرّ في اختيار قادته، ولكونه شعباً مسلوب الإرادة ومخنوق الوعي السياسي بفعل تراكم موروث الاحتلال المزمّن والمتعدد المناحي، لذا لا يهتمون بمشاعر جماهير كوردستان طالما هم في منأى عن المسألة!

لقد أعاقت أمراض النخبوية الاحتكارية وتفشي ثقافة الكراهية، بروز جيل قيادي جديد ومتحرر من عقدة التعالي والكراهية المستترة وظاهرة "أنا" أو بالكوردية (EZ) أو (Min) والتي تنعكس في تصرفات القادة. وبغور واصل معظم أفراد الفريق السياسي الكوردي الذي ظهر على مسرح الحركة الوطنية في جنوب كوردستان منذ النصف الثاني من القرن العشرين والى يومنا هذا، وضع الاعتبار الشخصية أو الحزبية قبل مقتضيات المسألة الوطنية، كانوا أصغر بكثير من قضايا شعوبهم، ويتميز هذا الطراز من القادة بروح حزبية محلية ضيقة، ومنهمكين في حزازات شخصية سممت الأجواء السياسية لعقود طويلة، ومارسوا القتل والتعذيب في مجتمعهم، كما لم يتورع هؤلاء القادة في حالات الغضب الهستيري قتل المئات من أسرى جولات حروبهم الداخلية خلافاً للمواثيق الدولية و الأعراف العشائرية، ولديهم ميل شديد نحو شخصنة القضايا الوطنية، ومصابين بداء الكبت العصبي بدرجة عالية، تراكمت لديهم عقد الخوف وانعدام الأمان وهيمنة الشك في نوايا الآخر التأميرية، وروح التعالي التي تولدت لديهم كمعوض لمعاناتهم من الشعور بالذلل والمهانة على يد الدولة الباغية، مما أنتج في أعماقهم شحنات العنف والأحقاد المقنعة بالمجاملات،

تفجر عندما يثار موضوع "المقام السياسي أو الاجتماعي" أو "الرئاسي" أو "تقاسم المال". وعرف عن بعض الزعماء الكورد الهيام المرضي بلقب "الرئيس" (Serok) ومرحب به حتى وان أسهم في صنعه صدام حسين بمنحه المالية السرية وبدباباته وحرصه الجمهوري. بروز هؤلاء القادة على المسرح السياسي الكوردي لأكثر من ستة عقود ومن انتاج - جنوب كوردستان - هؤلاء لم يتمكنوا من الارتفاع فوق الغايات الشخصية والعائلية والنهم المرضي لجمع المال والسلطة بعيداً عن كل شرعية أو محاسبة قانونية، كما إنه يعكس ضعف الوعي السياسي في المجتمع الكوردستاني وضعف الروادع فيه لمنع استهتار القيادات الكوردية بأقداره. وقد نتج عن السلطة المطلقة القمعية والمتخلفة، انسداد سياسي عميق ومزمن في مجتمعنا، معيقاً بناء سلطة حضارية وشرعية، مما فتح الباب لأنماط كثيرة من العنف الفكري والسياسي والجسدي.

تدهور القيم الوطنية والقومية لدى النخب التي قادت الحركة الكوردية في النصف الثاني من القرن الماضي ظاهرة ملفته للانتباه، تماماً على عكس النخب التي قادت الانتفاضات الكوردية في النصف الأول من القرن العشرين. فهؤلاء دفعوا حياتهم لقضية شعبهم، كالشيخ عبد السلام بارزاني الذي قاد انتفاضتين، الشيخ سعيد بيران، الشيخ رضا ديرسمي وقاضي محمد وآخرون. الشيخ محمود الحفيد لم ينح أمام الضباط السياسيين البريطانيين آنذاك وهو جريح وأسير. وإحسان نوري باشا ردّ على اقتراح من قائد فرقة الخيالة التركي الكولونيل فرهاد بگ بعد هزيمة الأخير في معركة (kanikewirk) حيث اقترح مبارزة إحسان نوري باشا شخصياً في ميدان القتال، وكان ردّ الأخير: «إن كان الأمر بهذه البساطة، أن يقتل أحدنا وتنتهي المسألة، في هذه الحالة الرئيس التركي بالذات ينبغي منازلتي، أنت لست مساوياً لي. وعليك أن تعرف لو قتل إحسان نوري، فهناك بين أبناء شعبنا الآلاف من الذين يوازونني لا بل يفوقونني، وسيعوض دوري بسرعة»¹. بهذه العبارة يجسد إحسان نوري باشا اعتزاز امة بذاتها. وكان هدف ثورة (خويبوون) - حيث شغل إحسان نوري منصب قائدها العسكري - هو «تحرير كوردستان وإنشاء دولة كوردية مستقلة.

¹ LA REVOLTE DE L'AGRIDAGH (ARRARAT) GENERAL IHSAN NOURI PASHA. P: 103 -104. 1986. Genève.

ومما يجدر ذكره هو أن الغالبية الساحقة من قياديين (حدك) في فترات مختلفة عادوا أو انضموا إلى نظام بغداد، وحتى بعد ترحيل وإبادة عدد كبير من الفيليين الكورد بداية الثمانينات وحملة إبادة البارزانيين عام 1983 وقصف شعبنا بالأسلحة الكيماوية 1987 - 1988، وعمليات الأنفال الواسعة، هرع القادة الكورد إلى بغداد لتقبييل صدام حسين بثتها أجهزة الإعلام المختلفة مما أدهش العالم² وفي 1991.5.6 كتب المؤرخ عصمت شريف فانلي إلى قادة الجبهة الكوردستانية معاتباً: «حقاً ان التدخل الدولي كان «إنسانياً» ومع هذا فهو يتضمن بالتأكيد بعداً سياسياً. ولو كنتم قد صبرتم أسبوعاً أو أسبوعين وطلبتم من المجتمع الدولي حلاً سياسياً كشرط لعودة الأكراد لبيوتهم لكان العالم سوف يجتاز مرحلة «التدخل الإنساني» إلى مرحلة «التدخل السياسي» وربما العسكري. إنني واثق بأنه كان من الأفضل أن تطالبوا مجلس الأمن والدول الكبرى بحل سياسي وعدم المفاوضة مع السفاح وحكمه ولا مع البعث..» ويقول في نفس الرسالة: «وقد جعلت العالم يقول: إذا كان مسؤولي الأكراد في العراق أنفسهم يتفاوضون معه فلماذا نتعب أنفسنا في التفكير بحل دولي لمسألتهم..» لا بل وصل فقدان النخوة والكرامة الوطنية والشخصية إلى نشدان التحالف العسكري مع صدام حسين لضمان المركز الشخصي³. كما إن مشهد الهرع إلى بغداد يكشف أن النخبة القيادية الكوردية بقيت تصوراتها محدودة في الحقل الدبلوماسي ودون استراتيجية، رغم أن هزيمة 1975 كانت أولاً انعكاساً لفشل

2 مشهد تقبييل صدام حسين بعد الإنتفاضة الكوردستانية عام 1991 ملئ برمز ودلالات محبطة ينم عن حالة سيكولوجية مزمنة، محاصرة بأوهام قيود السلطة الدكتاتورية المتهاوية في بغداد، هذه النخبة السياسية التي تعطلت حاستها في ايجاد مسلك دبلوماسي جديد، تجاهلت كرامة الأمة وأختارت العودة الى حكم السفاح، هؤلاء كانوا: جلال الطالباني، مسعود ملا مصطفى، نيجيرفان إدريس، محمد محمود عبدالرحمن، فريدون عبدالقادر، نوشيروان مصطفى أمين، روژ نوري شاويس، ملا بختيار، سعدي بيره، فاضل ميران، آزاد نجيم، رسول مامند، أرسلان بايز، كوسرت رسول. وفيما بعد أقحموا شعبنا في حرب أهلية بدعم من إيران للطرفين المتحاربين حيث لا منتصر، والمهزوم الوحيد هو الشعب الكوردي، وخلال تحالفات مع صدام حسين سفاح شعبنا، سقط في معارك القادة الكورد آلاف القتلى من أبناء كوردستان. وشد مسعود ملا مصطفى عن الآخرين فكان الأكثر التصاقاً بصدام حسين حتى انهيار نظامه عام 2003.

3 كان عصمت قد طلب من دول مجلس الامن الكبرى بحق تقرير المصير لأكراد العراق بعد فترة مرحلية تحت الحماية الدولية مدتها خمس سنوات. وسافر بمروحية فرنسية الى كوردستان، حيث هبطت في العمادية، وهدفه كان الالتقاء بالزعماء الكورد لإقناعهم بالمسعى الدولي، لكن لدهشته وهو لا يزال في كوردستان، وصله نبأ وجود هؤلاء القادة في بغداد. ووضعت القبلات على وجنتي صدام حسين نهاية مساعي حل دولي للمسألة الكوردية. وعاد عصمت بعد هذه الخيبة على متن نفس المروحية الفرنسية الى دياربكر وثم الى سويسرا.

دبلوماسي تطور إلى هزيمة عسكرية، لكنها لم تدرس وتحلل لاستقاء الدروس والعبر منها بدبلوماسية العناق والقبيلات أمام عدسات التلفزيون، ساعدوا صدام حسين في الخروج من أزمة دولية خانقة! وحرّموا شعبهم من اهتمام دولي فائق بمصيره وحقوقه المشروعة. كما إن التحالفات الإقليمية للحركة الكردية - ملا مصطفى مع شاه إيران - كانت على حساب "العلاقات الكوردستانية" والاساءة إلى وحدة الأمة الكوردية.

ولكي نبني مجتمعاً تصان فيه كرامة وحرية الفرد، ونتقدم حضارياً، يتطلب تغييراً جذرياً في موقف المجتمع من النخب الحاكمة في بغداد وكوردستان. وينبغي ان تنتهي تبعية المجتمع العمياء للقادة، وكل ما أمكن يجب ان يكون من خلال الممارسة الديمقراطية وعن طريق الاقتراع الحرّ، النزيه إن تاريخ الحكم الدكتاتوري في العراق ونكران حقوق الشعب ومصادرته للحريات الديمقراطية، يعطينا الدروس والعبر من مآسي نجمت عن هذه السياسة الهوجاء خلال قرن من الزمن. هذه السياسة ساعدت وعززت استمرارية النمط الإستبدادي في مقدرات البلاد، وفي واقع الأمر، كانوا أقرب إلى عصابات وأمرأء حرب، واوجدت المحسوبية والمنسوبية وتفشي مرض الانتهازية والفساد في المجتمع العربي والكوردي بشكل خطير وعلى نطاق واسع، كما دمرت الكثير من القابليات العلمية والتقنية التي كان يزخر بها أبناء وادي الرافدين، وأمسى العنف المنطق الوحيد، تلجأ إليه السلطة الفاقدة للشرعية الحقيقية للخروج من أزمتها.

خلال الأعوام الثلاث الاولى تمتعت الثورة الكوردية بعنصر النقاوة والاعتماد التام على القوى الشعبية الثورية، ثم دب فيها الفساد والتناحر على الزعامة والمال مما أفقدها الطهارة الثورية وتحولت إلى أداة بيد النخبة القيادية تحركها كيفما تشاء ودون التزام بالقيم الوطنية. ولذا استخدمت في أكثر الاحيان اصطلاح (حركة) بدل (ثورة). أما الثورة فهي تغيير جذري بعيد الأثر يعيد بناء النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من جديد. بقيت القيادة الكوردية تقليدية المنحى وكابحة للقيم الثورية لدى الجماهير الكوردستانية، ولم تتمتع الزعامة بالصفات الثورية المطلوبة للتحويلات الكبرى في المجتمع. الشعارات التي رفعتها كانت في كثير من الأحيان للاستهلاك المحلي وليس للتطبيق، وعندما واجهت الشعارات: «الديمقراطية للعراق والحكم

الذاتي لكوردستان»، أو «إما كوردستان أو الموت» لحظة الحقيقة بعد اتفاقية الجزائر عام 1975، تخلت عنها القيادة دون رادع أخلاقي. فمن ميزات القيادة الكوردية: احتكار وجمع أموال الشعب الكوردي في يد شخص رئيس الحزب، والاحتفاظ بها داخل الأسرة ولم يتغير هذا الوضع لا خلال فترات الحرب أو مراحل السلام النسبي ولا بعد الهزيمة. ويعتبر هذا شذوذاً عن جميع الثورات التحررية في العالم الثالث، ولم يكن لأحد من أعضاء المكتب السياسي الجرأة في طلب الشفافية ووضع حدّ لهذه الحالة اللاشعورية والشاذة ووجوب وضعها تحت تصرف قيادة جماعية خاضعة لرقابة صارمة كأمانة ومسؤولية أمام الشعب والتاريخ.

رئيس الحزب ينتمي إلى الجيل القديم، والمهمة القومية التي تحمل مسؤوليتها كانت بمثابة ظلم له لأنها كانت بوضوح فوق طاقاته، ومكانه الأنسب كان القرن التاسع عشر، فإذا به يصبح قائداً في النصف الثاني من القرن العشرين، كان غير مهتم بنشر العلم والثقافة في المجتمع، وشكّل ذلك عائقاً أمام تقدم الحركة التحررية. وفهمه للتحرر القومي مرتبط باسمه وتحت نفوذه وقد يعاديه إن تحقق الهدف بإسم حزب أو شخص آخر. فرض ولديه على مقدرات الحزب وهما في سن المراهقة وبنقصهم فهم تعقيدات الوضع السياسي الداخلي والإقليمي والدولي، وتمتعوا بكل الصلاحيات وفوق جميع أعضاء المكتب السياسي. ولأول مرة أنشأ نظام حزبي وراثي مبني على العاطفة الشخصية. اعتمد رئيس الحزب على الإقطاع الكوردي، وساند المرتزقة وعزز نفوذهم وهيمنتهم على الفلاحين، بدل تحرير الفلاح من استغلالهم. مع أن الفلاحون يشكلون العمود الفقري لقوات الأنصار، ورغم فقرهم قدموا بسخاء ما لديهم من محاصيل لتموين قوات الأنصار الكوردية، وضجوا في الجبهات بفخر واعتزاز مشهود لهم. لكن القيادة الكوردية كانت تدعم الإقطاع بقيمه وظلمه وعاداته وعملت على فرضهم على الحزب الديمقراطي الكوردستاني. استخدم قائد الحركة المال للرشوة وفساد المجتمع، وما أن تطورت العلاقات مع إيران في النصف الثاني من عقد الستينات، ثبت رئيس الحزب مقره وحاشيته على الحدود الإيرانية (حاج عمران) حيث سيطر على النافذة التي من خلالها تأتي المساعدات المالية والعسكرية كما احتكر العلاقات الخارجية. وابتعد تماماً عن حياة الجبهات وشظف العيش وترك العمل العسكري والحزبي والسياسي لاتباع هم في الواقع (حاشية سلسلة) ولم يأبه بالفوضى والانحرافات والمظالم، التي ازدادت بوتيرة سريعة في كوردستان. ولم يتمسك بمبادئ

العدل والمساواة، وفي ظل حكمه حصلت تجاوزات خطيرة من اعتداءات على حقوق المواطنين وخصوصاً حقوق المرأة. كما غابت جميع اجراءات المساءلة فيما يخص الاختلاسات والسرقات حتى أمسّت أموراً عادية. ومن خلال قراءة الكتاب سيمرّ القارئ بجميع هذه المحطات. في واقع الأمر كانت الهوية عميقة بين سلوك القيادة الكوردية والتطلعات الثورية للجماهير، فقد كان الشعب يكافح ويضحي من أجل التمتع بحقوقه القومية وتحرير الفلاح من ظلم الاقطاع ومن قيود الرجعية الكوردية. ومن هذا المنطلق كانت هناك ثورة على مستوى الجماهير، لكن القيادة الكوردية قامت بإجهاض الروح الثورية للشعب وظلت تعادي تطلعاته التقدمية وتعيده إلى الورا، كما سيرى القارئ في الفصول القادمة. ويعبر عصمت شريف فأنلي عن شديد استغرابه من الطريقة الشاذة التي أنهت القيادة الكوردية الحركة عام 1975 فيقول: "لا أجد مثلاً آخر لحرب شعبية تنتهي بمثل هذه المأساة، انصياعاً لقرار القيادة في وقت كان الشعب مصمماً على القتال ولديه الوسائل للاستمرار فيها....."⁴

وكما نوهت، اعتمدت في هذا الكتاب على العديد من أرشيفات الحكومة الأمريكية، والتقارير المتعلقة بالقضية الكوردية الصادرة عن وكالة المخابرات المركزية الـ C. I. A. بعد رفع الحظر عنها حديثاً، كذلك ما كتبه الصحفيون والمؤرخون عن أحداث هذه السنوات الهامة من سبعينات القرن الماضي، واللاعبون الذين كان لهم دور في صيرورة الأحداث، سواء من اللاعبين المحليين أو الإقليميين أو الدوليين. وفيما يخص الأرشيفات الكوردية فلا وجود لها تقريباً، هل ذلك نابع من الإهمال أو إنه مقصود! ففي كل الأحوال فإن عدم وجودها يعطى لقيادة الحزب والحركة الذين تخاذلوا ساعة الحقيقة حجة التنصل من المسؤوليات التاريخية وإلقاء اللوم على بعضهم البعض، فمن الاجحاف ان يضحى الشعب الكوردي ومن ثم تسلب قيادته منه حق معرفة الحقائق التي تكتنف سقوط الحركة الكوردية عام 1975. فقد ذكر الدكتور محمود عثمان وهو قيادي قريب من ملا مصطفى عن عدم تدوين المحادثات مع ممثلي الدول التي كانت تقدم العون للحركة الكوردية: "....⁵ كنا نتجنب تدوينها. وأعتبر الآن ذلك خطأً فظيماً". بالفعل انه خطأً فظيماً للغاية، إن هذا اعتداء على حق الشعب الكوردي في معرفة ما جرى في الماضي والاستفادة من الأخطاء في الحاضر

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed 1978. p:192

4

مجلة الوسط حوار مع الدكتور محمود عثمان. 1997/10/13.

5

والمستقبل.

بدايات الحركة الكوردية انطلقت من تدمير القوى الرجعية الكوردية ومناهضتها للإصلاح الزراعي وارتباطها بالساقاك الإيراني، وانخرطت فيها الزعامة الكوردية دون دراسة وافية رافعة شعارات تعبير عما يخالغ ضمير الشعب الكوردي من آمال مشروعة، مما أدى إلى تأييد هذه الجماهير ووقوفها موحدة خلف هذه القيادة تضحي بسخاء زهاء أربعة عشر عاماً إلى أن قررت القيادة الكوردية التخلي عن الشعب الكوردي وإنهاء الحركة، لكن دون التخلي عن الزعامة.

ويجد القارئ في هذا الكتاب نظرة داخلية للأحداث، حيث كنت شاهداً عليها، وندر التطرق إليها. والسبب ربما يكون الخوف والحرص على السلامة الشخصية. لم أبال بذلك فليس من طبعي السكوت عن المظالم.

هذا الكتاب لا ينسجم مع النمط الفكري السائد حالياً في المجتمع الكوردي والذي هو نتاج الدعاية الحزبية المضللة، ولا أستغرب ردود فعل عنيفة بسبب نشره. يقول Dersden James : "عندما تباع بالتدريج الأكاذيب الملفقة تليقاً جيداً وعلى مرّ الأجيال، تبدو الحقيقة وكأنها منافية للمنطق، والمدافع عنها يبدو كمجنون يهذي...." وتلك تماماً حالة المجتمع الكوردي اليوم. لكنني على يقين من أن شعبنا المناضل سيستيقظ من تأثير الأدوية المخدرة "الدعاية المضللة" ويكتشف الحقائق التي أثرت سواء سلباً أو ايجاباً على حاضر ومستقبل نضاله التحرري وهذا ضروري لا تغفل عنه الشعوب الحية. ويبدو أن شعب كوردستان ليس متخلفاً عن موكب الثورات التي تجتاح الشرق الأوسط منذ بداية هذا العام (2011) حيث تحطم جدار الخوف، فقد إنتفض ضد فساد الحكم العائلي ذو الصورة السلبية عند الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب مطالباً بتغييرات جذرية في كوردستان.

ايوب بارزاني - جنيف، سويسرا، آذار/مارس 2011

أعوام الركود 1958-1947

إنكب الحلفاء على مناقشة أوضاع الحرب العالمية الثانية وطبيعة نظام ما بعد الحرب في مؤتمرات: طهران عام 1943، يالطا في فبراير/ شباط من عام 1945 وفي بوتسدام في تموز-آب من عام 1945.

في شهر فبراير/ شباط من عام 1945 كانت هزيمة المانيا النازية أمراً حتمياً، فالجيش الروسي المؤلف من 12 مليون جندي كان قد احتل بولندا كاملة وعلى وشك الوصول إلى حدود المانيا ما قبل الحرب ومهياً للزحف على برلين. بينما كانت جيوش الحلفاء الغربيين المؤلف من 4 مليون جندي مرابط غرب نهر الراين، وفي طريق تقدمه نحو الشرق.

تلقي الجيش الروسي الأوامر من جوزيف ستالين بالبقاء في مواقعه لفترة اسبوع. من 4 إلى 11 فبراير/ شباط، كان خلالها الثلاثة الكبار: فرنكلين روزفلت، ونستون شرشل وجوزيف ستالين في بلاط لافديا يناقشون كيفية إنهاء الحرب، وعرف هذا بمؤتمر يالطا، هدفه كان إعادة هيكلة الأمم المتحدة التي سحقتها جيوش المانيا النازية. فيولندا يعاد إليها الاستقلال اثر انتخابات وتشكل حكومة مستقلة جديدة. أما يوغوسلافيا فتعاد إلى حكومتها القديمة في ظل نظام جديد. في الحالتين يتم اقضاء الزعماء النازيين والفاشيين. واتفق على تقسيم المانيا إلى مناطق نفوذ بين الثلاثة الكبار الحاضرين في المؤتمر.

وافق جوزيف ستالين الدخول في الحرب دون شروط ضد اليابان خلال شهرين او ثلاث من استسلام المانيا ونهاية الحرب في اوروبا. وقعت الاتفاقية في 11 فبراير/ شباط. في الواقع انتهت الحرب ضد اليابان في 8 اغسطس اي قبل موعد دخول روسيا الحرب والذي كان مقرراً في 18 اغسطس. لقد قصفت مدينة هيروشيما بالقنبلة النووية بعد أيام قليلة من مؤتمر بوتسدام. وكان هاري ترومان قد أعلن للمؤتمرين عن وجود هذا السلاح الفتاك مظهراً تفوق الولايات المتحدة الامريكية.

ولّد التفوق العسكرى الامريكى مخاوف لدى روسيا . فكان الرد السوفيتى التوجه نحو التسابق فى مجال التكنولوجيا النووية .

لم يسمح ستالين باجراء انتخابات حرة فى بلدان اوربوا الشرقية، انما فرض حكومات شيوعية فى بولندا، جيكوسلوفاكيا، هنغاريا، رومانيا و بلغاريا .

شكلت الحرب الباردة مرحلة جديدة لامثيل لها فى تاريخ البشرية، اذ لم يسبق ان شهد العالم هذا الاستقطاب وتواجد أسلحة الدمار المتطورة، وشمل الصراع السياسى العالم كله .

لم يكن التوسع السريع للنفوذ الامريكى منذ نهاية الاربعينات على حساب الاتحاد السوفيتى - سياسة احتواء الشيوعية - إذ تمكن الاخير تقوية مواقعه على جميع الاراضى التى احتلها فى نهاية الحرب العالمية الثانية، انما جاء هذا التوسع على حساب بريطانيا وفرنسا وقد خرجتا منهكيتين من آثار الحرب . ففى نهاية عام 1945 تميزت الامبراطوريتان فى ذات الوقت بالقوة والضعف، كان ضعفهما نابعاً من نقص نسبي فى القوة العسكرية واعتماد اقتصادهما على الولايات المتحدة الامريكية، لكنهما كانتا قويتين بسبب امتلاكهما لقواعد عسكرية واسعة الانتشار فى العالم . وكان هذا مفيداً لامريكا فيما بعد، اذ انها حتى بعد عام 1945 كانت تفتقر لشبكة قواعد منتشرة على نطاق الكون .

لقد كان السؤال المهم بالنسبة لباريس و لندن هو إلى أى مدى يمكن الاحتفاظ بقوة مستقلة فى عالم يهيمن عليه الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية، خاصة انهما يعتمدان فى أمنهما الاوروبى على الاخيرة . وفى النهاية قررنا التخلي عن دور القوى العظمى بسبب تكاليفه الباهضة، وكانت النتيجة ان خسرتا بسرعة ماينتاه من نفوذ خلال العقود الماضية لحساب الامريكان . فقد أخذت الاخيرة دور البريطانيين فى اليونان وتركيا عام 1947، و ثم وسعت دورها فى مناطق واسعة من الشرق الاوسط، وتخلت فرنسا عن سوريا ولبنان، وتقلص النفوذ البريطانى فى ايران ليحل محله النفوذ الامريكى .

وأخر محاولة لظهور القوة الامبراطورية دون تأييد من واشنطن، كان في عام 1956، عندما اتفقتا باريس ولندن مع تل ابيب لمهاجمة مصر، وذلك بعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس. اخفق الهجوم وساد لندن وباريس شعور بالمهانة. أعقب ذلك توسع كبير في النفوذ الأمريكي في المنطقة و خاصة بعد الاطاحة بالنظام الملكي في العراق عام 1958. اما في دول الخليج فلم يتعدى زمنيًا نفوذ بريطانيا فيها اعوام السبعينات . ورغم ان بريطانيا وفرنسا اصبحتا دولتين نوويتين، الا انهما اعتبرتا قوتين عظميين من المستوى المتوسط.

كما انحسر نفوذ الدولتان في افريقيا، فقد تحررت غانا في عام 1957، وغينيا في عام 1958 . وبحلول 1960 نالت معظم المستعمرات الفرنسية في الغرب الافريقي وفي افريقيا الاستوائية استقلالها. في منتصف الستينات انتهت الامبراطوريات الاوروبية في افريقيا، وبحلول السبعينات نالت معظم المستعمرات الباقية في العالم استقلالها .

لم تكن هناك خبرة لدى البيت الأبيض في كيفية التعامل مع الاتحاد السوفيتي ودوافع زعماء الكرملن، لكن George F. Kennan الذي شغل منصب القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية في موسكو طور عام 1947 استراتيجية سميت بـ "استراتيجية الإحتواء"، وبموجبها يكون هدف السياسة الخارجية للولايات المتحدة تقديم المساعدة لإنشاء مراكز مستقلة في أوروبا وآسيا من التأثيرات السوفيتية وتوطيد عوامل الثقة بالنفس لدى الامم المهددة بالتوسع السوفيتي واستغلال الخلافات ضمن المعسكر الشيوعي، يوغوسلافيا والصين، و ثم تغير السياسة الأممية الخارجية السوفيتية. ووفق هذا المنطق كانت الأبواب موصدة أمام دعم الشعب الكوردي حتى من أجل نيل أبسط الحقوق الثقافية. إن معارضة النفوذ الشيوعي في الوسط الكوردي دفع البعض من سفراء الولايات المتحدة عرض اقتراح بموجبه "بيث راديو صوت امريكا برنامجاً باللغة الكوردية للتصدي للدعاية السوفيتية من محطة خفية. وتوصي البرقية: 1. تجنب البث الصريح المعادي للشيوعية لحساب هجوم مهذب قوي ضد أوجه القصور والتضليل في الشيوعية. 2. تجنب تشجيع القومية السياسية الكوردية و3. تشجيع دعم الحكومة المركزية الإيرانية...."⁶

From Tehran to Secretary of State. August 6, 1951.

بث برامج باللغة الكوردية كان يلقي معارضة أنقره بشدة، رغم أن الهدف كان التصدي للتأثير الشيوعي على الشعب الكوردي، ففي برقية من أنقره إلى الخارجية الأمريكية، تشير إلى أن الأتراك أبلغوا السفارة الأمريكية:

1. "المسألة الكوردية" ليس لها وجود في تركيا ويعيش الأكراد بكامل المساواة مع كافة المواطنين الأتراك.

2. جميع الجهود لخلق "مشكلة كوردية" هي خارجية المنشأ.

3. الدعاية السوفيتية الموجهة للأكراد الترك تعتبر مؤذية وهناك ضرورة لمحاربتها في تركيا.

4. ليس لدى تركيا أي شك أن الدعاية الأمريكية ستدار بسرّية. لكن مثل هذه الدعاية سيكون لها تأثير معاكس إذ ستؤجج مشاعر التحرر في الوسط الكوردي وسيستغلون البث كمؤشر على الدعم الأمريكي لهم.

5. ولذا لا أشاطر رأي وزارة الخارجية فيما يخص فوائد مثل هذا البث.

6. وبما أن إيران والعراق لاتعارضان البث باللغة الكوردية، نقترح على صوت أمريكا العمل ضمن محطات تحت سيطرة هذان الحكومتان وبتعاون أمريكي في حالة الضرورة، السفير Archibald Roosevelt ذو الخبرة والمعلومات بهذا الشأن، يتفق مع الرأي القائل أنه طالما يتمسك الترك بهذا الموقف فمن الأفضل لنا عدم البث باللغة الكوردية في صوت أمريكا، بل العمل على نشر دعايتنا خلال محطات البث العراقية وان أمكن الإيرانية.⁷

بقيت العقلية التركية الرسمية متحجرة، عنصرية وفي غاية النرفزة عند ذكر كلمة كوردستان، وقد فهم الأمريكيون هذا الموقف الصريح، ففيما يخص مبادرة بث صوت أمريكا برامج باللغة الكوردية: "أن شن المبادرة في أي وقت كان في المستقبل القريب سيكون حاسماً في علاقاتنا مع تركيا. وهذا ما أوضحتنا لنا وزارة الخارجية التركية بدون لبس أو غموض."⁸

From Ankara to Secretary of State. September 5, 1951. 7

From: NEA- Mr. Berry to NEAL/P – Mr. Jones. Subject: VOA Broadcasts in Kurdish. 8

لم يتأثر الشرق الاوسط بالحرب العالمية الثانية كما تأثر بالحرب العالمية الاولى، والسبب الرئيسي يعود لموقف تركيا، التي بقيت على الحياد. فى حين تعرضت ايران فى الحربين الكونيتين إلى الغزو الروسى البريطانى. وفيما يتعلق بكوردستان، فانها بقيت كما خطط لها فى معاهدة لوزان، دون تغيير فى التقسيم الكولونيالى الذي جزئها إلى اربعة اجزاء. ولم تتجاوز الجمهورية التي قامت فى مهاباد عامها الاول، اذ سقطت دون مقاومة. وبقيت الدول المحتلة لكوردستان، حلفاء للغرب ومعادين للسوفييت.

ونرى من الضروري هنا القيام بعملية استطلاع سريعة للمجتمع الكوردى اثناء الحرب الباردة، وذلك من اجل فهم التطورات البطينة فى الحياة السياسية والاجتماعية فى كوردستان.

فأول مايلفت الانتباه ونحن نتفحص التركيبة الاجتماعية المدنية فى كوردستان. نرى البرجوازية التجارية - لم تتواجد برجوازية صناعية - الناشئة، تتطور ببطء، هزيلة، مترددة فى العمل الثوري وقليلة العدد، وتتركز فى المدن مثل كركوك والسليمانية واربيل وبعض الاقضية الكوردية. وانتقل عدد من الملاكين إلى المدن وأرسلوا اولادهم للدراسة، ويعود الفضل لهذه البرجوازية الهزيلة فى تشكيل الاحزاب والتنظيمات الكوردية التى لعبت دوراً هاماً فى النصف الثانى من القرن العشرين. ولشعورها المفرط بالضعف، فقد قبلت الانقياد تحت زعامة قبلية قوية.

وان دققنا النظر فى ريف كوردستان عموماً نراه يتألف من آلاف القرى المتناثرة فى وديان وسفوح جبال كوردستان. وهذه القرى يحكمها المئات من الأغوات الكورد. وبكلمة أدق، كان المجتمع الكوردى مؤلفاً من عدد كبير من العشائر والبطون والافخاذ، معظم قراه منعزلة فى الجبال وخطوط المواصلات البرية نادرة جداً وحتى الموجودة تتعطل فى فصل الشتاء، جراء الاحوال. وتعتمد القرى على مزيج من الزراعة والرعي. ونفوذ الاغا الكوردى يهيمن على الريف، ويمارسون الظلم ويستغلون الفلاحين، ومستولين على معظم الاراضى الخصبة. عدد منهم امتهنوا السطو والسرقة والقتل، فى حين كان آخرون أقل شراسة. وفى منطقة بادينان كان نفوذ الاغوات طاغياً ومهيماً والروح العشائرية متأصلة. وفى مناطق سوران كان نفس النموذج مهيماً. كانت قيم الامس هى السائدة. ووتيرة حياة اليوم والغد هي تكرار للأمس. كان دخول الجديد والتماس معه عملية فى غاية البطئ فى ريف كوردستان المنغلق.

فى كوردستان الجنوب - عراق - يمكن تقسيم الاغوات الكورد إلى قسمين. الأغوات فى الريف الجبلي الوعر. والأغوات فى السهول المنبسطة. وبصورة عامة. الأخيرين هم أكثر غنى ويعتبرون من الملاكين الكبار وأكثر عرضة لتأثير المدن الكوردية الكبيرة وإلى حد ما أقل عنفاً من أغوات الجبال. فى حين وفيما عدا بعض الاستثناءات، فان العديد من أغوات الجبال تصرفوا كقطاع طرق ولصوص ومجرمين اعتدوا على الفلاحين والرعاة واغتصبوا أراضي الفلاحين وساموهم الذل. وهذه الفئة من الأغوات انخرطت بسهولة فى سلك القوات غير النظامية "مرتزقة" بعد اندلاع الحركة الكوردية عام 1961.

ولابد من الإشارة إلى اهمية التزاوج بين الوجهاء القبليين فى كوردستان، فهي فى مضمونها تتعدى تكوين عائلة لتشمل حلفاً سياسياً بين الاغوات، والمرأة الذكية قد تلعب دوراً حاسماً من وراء الكواليس فى تسيير الشؤون السياسية والعامة. كما كان لعادة تعدد الزوجات بين الوجهاء أثر كبير فى اشعال نيران الفتن العائلية والصراعات على الميراث. فهو فى الوقت ذاته صراع ضرات، على من يخلف الأب من الابناء، فكل زوجة تسعى لتقديم ابنها للخلافة والارث المالى.

ثم كان هناك العديد من المشيخات، والمشيخة الكوردية تتألف من عدد من القبائل تعترف بالزعامة الروحية لمرشد الطريقة، قادرية أو نقشبندية، منتشرة فى كوردستان. وتختلف درجة الولاء للمرشد من مشيخة إلى اخرى. وعندما تطاع كلمة الشيخ بحذافيرها، تزداد مهابته ومقامه الروحي والسياسي.

لقد تطورت المشيخات فى كوردستان بأساليب مختلفة، معظمها أخذت مسلكاً سلمياً فى حين شذت عنها بارزان بمواجهتها صراعا مريراً ضد الاقطاع الكوردى المتحالف مع قوى الاحتلال. ومشيخات اخرى جنحت نحو الهدوء والحياد وجمع الثروات، أو انحازت إلى جانب الحكومات المحتملة لكوردستان.

كان الشيخ والاغا فى كوردستان يعيشان جنباً إلى جنب وفى تناغم. عدى مشيخة بارزان، التي واجهت حملات مسلحة مشتركة جمعت الاغوات والحكومات العراقية المتعاقبة فى جبهة مشتركة. بل يمكن اعتبار جزء كبير من تاريخ بارزان تاريخ حروب وصراع متواصل ضد الاقطاع الكوردى المتحالف مع الحكومات المحتملة.

ان جميع شرائح المجتمع الكوردي المذكورة تمثلت في الحزب الديمقراطي الكوردستاني بشكل واضح. وبما انه كان مجتمعاً قبلياً في غالبية الساحقة فان هذا تمثل في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وبشخص ملا مصطفى. فقد وجد زعيم قبلي وشريحة محددة من البرجوازية التجارية الهزيلة المترددة (أعضاء المكتب السياسي) ان مصالحهما تتطابق، فكان هناك مسابرة مادامت المصالح متطابقة، وعندما شعرا ان مصالحهما تتناقض، كان يحصل انفصام وخلافات دموية. فهاتين الفئتين بوجه عام كانتا تتمسكان بمصالحهما، ونعني بها مصالح البرجوازية التجارية ومصالح الاقطاع الكوردي. وإتسم الخلاف الدموي بينهما بغطاء ثوري ووطني، وبهذا تأثرت الثورة الكوردية سلباً بهذا الصراع المدمر. ورغم ان الصراع الرئيسي والأخطر بالنسبة للشعب الكوردي كان بين الحكومة العراقية و الجبهة الكوردية، - كان الجيش العراقي يشن حملة عسكرية شرسة على الشعب الكوردي منذ عام 1961 - الا ان القيادة الكوردية كانت تؤجل هذا الصراع للتفرغ للصراع الثانوي الداخلي الكوردي الكوردي. وهذا مؤشر على ضعف القيم الوطنية والقومية في المجتمع وبالأخص لدى الفريق القيادي. وانفصل المكتب السياسي عن رئيس الحزب الذي انفرد بالسلطة المطلقة علي الثورة الكوردية، مكبلاً إياها بقيود الأغوات الرجعيين والمرتزقة وانضم المكتب السياسي إلى حكومة بغداد ليشن مع الجيش العراقي حملات عسكرية ضد رئيسهم السابق، وهذا الرئيس هو الذي انهى الثورة الكوردية بقرار شخصي بعد اتفاقية الجزائر في اذار عام 1975.

ونتيجة لتكبيبة الحزب الديمقراطي الكوردستاني فقد اختلفت القيادة الكوردية عن قيادات الحركات التحررية التي حققت الاستقلال لشعوبها، اذ بقيت القيادة الكوردية تتسم بمسحة قوية من القبائلية العنيدة لاتقبل الخروج إلى افق عصرية اوسع.

وتسلطت العصبية الريفية والقبلية والعائلية على الحكم والإدارة والحزب وقوات البيشمركة. وبرجوازياتها الصغيرة الهزيلة كانت عصبية المزاج، ذات ردود افعال متهورة ولاتغير اهتماماً بالقيم الوطنية في ظروف التصارع مع قيادة كانت هي مسؤولة عن اختيارها وإبرازها. والطبقة الفلاحية - العمود الفقري للثورة الكوردية - كانت قليلة الوعي ومعتادة على الطاعة لظلم أغواتها، مما ادى إلى خلق حالة نادرة

من بين جميع ثورات العالم، فالضحايا هم من الفلاحين. وثمره تضحياتهم يقطفها الاقطاع الكوردي المدعوم من القيادة الكوردية نفسها ومن حكومات بغداد. وبما ان الحزب نشأ في دولة لاديمقراطية ويتغلب النشاط السري على عمل الاحزاب، فانه رغم تبجح القادة بالشعارات الديمقراطية، والدفاع عن الفلاحين والعمال، كان الواقع تماماً على عكس هذه الإدعاءات.

بدت الاوضاع بين اعوام 1947-1958 في جميع اجزاء كوردستان راكدة من الناحية السياسية، ولاشك ان الممارسات القمعية من سجن وتهجير وتعذيب اوجدت حالة من الخوف العميق لدى أوساط واسعة من الشعب الكوردي ارغمته على الصمت.

ورغم الركود السياسي في المجتمع الكوردي، فإن الحكومة العراقية كانت وبشخص نوري سعيد على وعي من أن شعباً مستعبداً لابد أن يثور ويطالب بحقه المغتصب على أرضه. ومن هنا كان يبحث عن تحالفات خارج الحدود لإبقاء السيطرة على كوردستان وأيضاً محاربة الشيوعية. إذ يذكر الصحفي القومي العربي المعروف محمد حسنين هيكل في مسلسل بثته قناة الجزيرة بعنوان "مع هيكل" يقول، تاريخ الحلقة: 2007 /1/18 وهو يتكلم باللهجة العامية المصرية، يتأسف لعدم فهمهم في ذلك الوقت موقف نوري باشا من الشعب الكوردي:

".....منتصف 1954 جاء نوري السعيد باشا إلى مصر ليلتقي بجمال عبد الناصر وأظن كان أول لقاء بينهم..... وهو يقول إن عصر الترتيبات الثنائية انتهى ونحن الآن في صراع عالمي لا نستطيع أن ننأى بأنفسنا عنه..... ثم إن هذا الصراع العالمي بين شيوعية نحن لا نحبا وبين رأسمالية ممكن ان نرتب علاقتنا معها.... لنا علاقات تاريخية معها ومكاننا معها ومستقبلنا معها... نوري باشا طلب خريطة، جاء الملحق العسكري ومعه خريطة كبيرة، نوري باشا وضع الخريطة على الأرض وقال لجمال عبد الناصر، هنا جبال راوندوز شمال العراق وبين جبال راوندوز وحدود الاتحاد السوفييتي ثلاثين ميلا.....أعتقد إن علينا خطر من الاتحاد السوفييتي وإنه لابد أن ننضم إلى حلف يقينا.... اتفاق مع الإنجليز. الإنجليز موجودين في الحبانية وعندنا قواعد مثل ما عندكم في السويس....، لكنه رأينا إنه لابد أن يحل محل الاتفاقيات الثنائية القديمة معاهدة 36 في مصر ومعاهدة ثلاثين في العراق، لابد أن تحل محلها

ترتيبات جماعية للأمن ونحن مقتنعين بهذا لأننا نشعر إن علينا خطر..... جمال عبد الناصر قال له يا أخ نوري لن يهاجمكم الروس..... قال نوري باشا، ثلاثين ميل، قال له يا أخ نوري إذا اخترقوا الثلاثين ميلا وجاءوا على حدود العراق لن يبقى موضوع العراق... وقتها ستكون حرب نووية.... لن تحدث حرب وإذا حدثت حرب في هذه المنطقة فالمعركة سوف تكون أكبر جدا من طاقتنا ومن قدراتنا لذا لا داعي لعمل خطط عليها، علينا ان نعمل خطة لاستقلالنا ونعمل خطط لتوحيد إرادتنا، نوري باشا لم يقتنع.....

ويمضي محمد حسنين هيكل ليقول: نوري باشا بدأ يقول لجمال عبد الناصر..... أنا الحزام الشمالي يهمني، الحزام الشمالي فيه تركيا وفيه العراق وفيه إيران وباكستان على جنب..... الحزام الشمالي يهمني لأنه وحدة العراق.....، قال له أنا عندي مشكلة الأكراد.. مشكلة الأكراد لا أستطيع ضمانها إلا إذا تأكدت إن تركيا معي وتأكدت إن إيران معي، أنا أظن في هذه اللحظة نوري باشا كان يتكلم على مستقبل العراق أكثر مما هو على مستقبل الأمة..... إسرائيل لم تكن في باله..... أريد ان أقول إنه حق أي سياسي في أي بلد في الدنيا أن يؤمن وطنه أولا طبعاً يؤمن وطنه". (نرى محمد حسنين هيكل الكاتب المشهور ينطلق من تفكير قومي، ولا يشير إلى حقوق الشعب الكوردي، فتأمين الأوطان لا يتم بمعزل عن تأمين حقوق الشعوب في أوطانها، ولاضمان لأمن العراق عن طريق استعباد الشعب الكوردي - تعليق من الكاتب) .

باختصار كان ناصر يري الخطر آتٍ من إسرائيل بينما نوري السعيد يري الخطر آتٍ من الشعب الكوردي ومن الشيوعية. وشتان ما بين الاثنين. فالموقف العربي تجاه الشعب الكوردي كان موقف قوة احتلال يستند على القمع والاستتجاد بالأحلاف مع قوى خارجية لديمومة احتلال كوردستان.

ان مايلفت النظر في الحرب الدعائية بين المعسكرين، الشيوعي والرأسمالي، في تلك الفترة، هو عدم استخدام الروس للاجئين الكورد من البارزانيين في بث الدعاية. فلم نسمع بياناً سياسياً من اجهزة البث الاذاعية لملا مصطفى، ميرحاج أحمد، شيخ سليمان او قادة آخرين. ترى هل كان السبب انهم لم يتبنوا الشيوعية،

اوغير مؤهلين للمهمة، ولا يرجى منهم خيراً للماركسية اللينينية، ام يعود سببه إلى الخلافات الداخلية بينهم، ولذا تركوهم لشأنهم؟ بينما استخدم المعسكر الغربي الكثير من المنشقين والهاربين من الاتحاد السوفيتي إلى الغرب خيراً استخدام في الدعاية المناهضة للشيوعية.

هنا لابد من الإشارة إلى النشاط السياسي والثقافي لعائلة بدرخان وفي شخص الأمير الدكتور كامران، كان له صدى ايجابي وان القضية الكوردية لم تمت. خاصة ان اخذنا بنظر الاعتبار، السياسة التي اتبعتها الدول المقتسمة لكوردستان والمتمثلة في الخنق الاعلامي للقضية الكوردية على الصعيد العالمي، أي (شعب مضطهد بلا صوت). فقد نشط الامير في كتابة المذكرات والبيانات للامم المتحدة وممثلي القوى العظمى وأصدر بشكل منتظم نشرة باللغة الفرنسية تتعلق بالتاريخ والسياسة والاضطهاد لشعب كوردستان وألقى المحاضرات وأقام الندوات. كانت السفارات الغربية تتابع نشاطات الامير الكوردي ساعية إلى معرفة مايمكن ورائها من تطورات في القضية الكوردية وبالاخص معرفة كل ما يخص تنامي النفوذ الشيوعي في المجتمع الكوردي.



Kamaran Badrkhan

فقد وجه الامير كامران مذكرة مفصلة إلى الامين العام للامم المتحدة في 3 آذار/مارس 1956 يندد فيها بالعمليات التي يقوم بها الجيش الايراني ضد منطقة [جوانرو] الكوردية، مستغلاً حلف بغداد وضامناً تعاون الحكومة العراقية في هذه الهجمات. ويذكر:

"منذ فجر 4 شباط/فبراير 1956، تقوم قوات المشاة الإيرانية مسندة بالدبابات والمدفعية والطيران بالهجوم على هذه المنطقة الكوردية".
وأشار إلى تصريحات الكولونيل الإيراني (جان) المشرف على العمليات العسكرية في منطقة جوانرو للوكالة الفرنسية للأخبار حيث قال:
"حتى الآن لم تتوج العمليات العسكرية في هذه المنطقة من كوردستان بالنجاح، لأن المتمردين كانوا يتجنبون القتال بالالتجاء إلى العراق. لكن حلف بغداد غير بشكل راديكالي هذا الوضع".

ويضيف:

"لقد ابتهجت اركان الحرب الإيرانية بفعالية حلف بغداد، وهنا لايمكننا تجنب الإشارة إلى ان هذه المعاهدة التي تشرف عليها بريطانيا العظمى، كأداة للدفاع ضد العدوان، نراها تطبق للمرة الاولى لقتل النساء والاطفال والشيوخ، وتسد امام الناجين من القصف طريق النجاة لدى اخوانهم من بني جلدتهم في كوردستان العراق". وزاد في مذكرته: "ان حق اللجوء حق مقدس ومعترف به في الاعلان العالمي لحقوق الانسان".

ثم ينتقد اميركا بسبب المقاتلات الجوية التي سلمتها إلى الجيش الإيراني والتي تستخدم في قصف القرى الآمنة. وتجاهلها للمذكرة التي قدمتها العصبة الكوردية للجنرال مارشال، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الاسبق في 31 آذار / مارس من عام 1947 ملفتاً نظر الحكومة الأمريكية للنتائج الوخيمة التي قد تترتب عن ارسال الاسلحة لايران وتركيا دون شروط مسبقة بشأن استخدام هذه التجهيزات. تبرق وزارة الخارجية البريطانية إلى سفاراتها في انقره وبغداد وطهران ودمشق وباريس بتاريخ 25 نيسان/ابريل 1956 فتقول:

(.....)

2- استلمنا ايضاً نسخة من نفس المذكرة موجهة إلى الامين العام للأمم المتحدة. واكتشفنا ان مذكرات وجهت إلى وفدنا في الامم المتحدة عام 1948 وإلى وفدنا في المجلس الاوروبى عام 1949 وإلى وزير الخارجية في ذلك الوقت اى عام 1950، وارسلت نسخة إلى وفدنا في نيويورك عام 1950.

3- هذا اسلوب الرجل الذى يوقع على هذه الرسائل، ونعني الدكتور كامران عالى بدرخان. نحن لانعلم عنه شيئاً ولا عن نور الدين زازا الموقوع هو الآخر على رسالة

الوفد عام 1948، ولا عن شريف باشا، ويظهر انه كتب مذكرة عام 1948. لكننا نعرف ان شريف باشا: "كوردي طاعن في السن يعيش في روما".
4- نشاطات الوفد تتمحور عادة حول جور الحكومات التركية والعراقية والايرائية وبقدر كبير ندالة الحكومة البريطانية، لكن دون تعاطف مع الاتحاد السوفيتي.⁹

يحصل تبادل رسائل حول نشاطات كامران بدرخان بين وزارة الخارجية البريطانية وسفاراتها في الشرق الاوسط. ففي رسالة موجهة من السفارة البريطانية من بغداد إلى وزارة الخارجية البريطانية تذكر ان:
"الدكتور كامران يعيش لسنوات في باريس حيث يشرف على الجمعيات القومية و الثقافية الكوردية. من اهم نشاطاته هي كتابة الكوردية بالاحرف الاوروبية وطبع ونشر القصص والفولكلور الكوردي بالاحرف المذكورة. شقيقه جلادت عالى بدرخان نشط في نفس المجال حتى وافته المنية في دمشق حوالى عام 1950. خلال اعوام الثلاثينات وبداية الاربعينات كانوا يطبعون مجلة (هاوار) لتحقيق هذا الهدف. كلا الشقيقان يملكان قابليات ثقافية و بالفطرة مثيري الاهتمام."¹⁰

وفيما يتعلق بالامير جلادت بدرخان، تبرق السفارة البريطانية في دمشق إلى الخارجية البريطانية فتقول:
" يعتبر جلادت بدرخان زعيماً لاكراد سوريا" و"انه كان معروفاً لدينا معرفة جيدة اثناء الحرب العالمية الثانية.....": و" انه كان يعمل لسنوات في اعداد قاموس كوردي- انكليزي، لكن وافته المنية قبل اكماله. ارملته كانت مهتمه بضمن طبعه وطبع الاحرف الخمسة الاولى المخطط باليد، ارسل مكتبنا للمعلومات القاموس إلى معهد الدراسات الشرقية، لحد الآن لم يقرروا فيما اذا كانوا سيطبوعونه. انه بالاحرف الرومانية ويعتبر الأكراد هنا ان نظام الالفباء المستخدم فيه افضل من الذي طوّره الروس، وحيث سمعنا انهم يعملون بجدية في مشروعهم كوسيلة لتوسيع مجال دعايتهم في شمال العراق وأذربيجان الفارسية."

Foreign Office, S.W.I. April 25, 1956. To Chancery, British Embassy Tehran. 9

British Embassy Baghdad. May 2, 1956. Confidential 1026/7/56 10

"مجلة [هاوار] التي كان يصدرها جلادت بدرخان توقفت عن الصدور في سوريا بفترة قبل موته. كانت مناصرة للغرب ومعادية للشيوعية. إن كان شقيقه لا يزال يصدر مجلة مشابهة لها في باريس، نعتقد انها تستحق التشجيع. وبمساعدتنا لها، قد تخدم هدف صدّ الدعاية الروسية في الوسط الكوردي".¹¹

لم توافق السفارة البريطانية في طهران على ماورد في البرقية السالفة، وتذكر رداً على المقترح :

"اعتماداً على ما جاء في رسالتكم عن المطبوعات التي يصدرها الـ (الوفد الكوردي) للدكتور كامران بدرخان والتي تخص مظالم الحكومات العراقية والايرائية والتركية، فنحن نعتقد انكم ستوافقوننا في الرأي في ان هذا سيكون محرراً لنا لو شجعناهم رغم كونها معادية للشيوعية كما هو واضح".¹²

ان هذا يوضح ان القضية الكوردية كانت محكومة بمقتضيات الحرب الباردة والتضحية بها من اجل ارضاء الدول الحليفة للغرب والتي تحتل كوردستان.

لقد دخل عامل جديد ذو ثقل كبير على موازين القوى السياسية المتصارعة في الشرق الأوسط الا وهو ولادة دولة اسرائيل عام 1948 . أظهرت الدول العربية معاداتها لاسرائيل وكانت أيضاً معادية لحقوق الشعب الكوردي على أرض وطنه ولم يتوانى الزعماء العرب وصف الحركات التحررية الكوردية بأنها تهدف إلى خلق "اسرائيل ثانية". واضح ان الدكتور كامران بدرخان كان على دراية بالأخطار المحدقة بالشعب الكوردي، فقد كان شخصية سياسية متميزة وبعيد النظر وتمتع بصفات Statesman "رجل دولة". كان على دراية بتخلف مجتمعه فيما يتعلق بالتبلور الوطني الحديث وان المجتمع الكوردي تحكمه التقاليد القديمة المتوارثة والأطر القبلية الضارة وتقف حجر عثرة في طريق النضال التحرري.

"لقد علمّ الواقع بدرخان ان العدل والتحمل والايمان والقدرة الثقافية ليست كافية لهز دول العالم". و "كان يتنبأ بشرق أوسط ممزق إلى وحدات طبيعية، تحظى فيه

British Embassy, Damascus. May 7, 1956. Confidential (1825/2/56) 11

British Embassy, Tehran. May 23/1956. 12

كل مجموعة او طائفة عرقية بحق تقرير المصير في اطار حدود معقولة، تمكنها من تجذير استقلالها الحضاري." و "كان بدر خان يدرك ان هذا الحلم والنبؤة، لن يتحققا بين عشية وضحاها . لذا اقترح ان تحظى الطوائف والمجموعات العرقية في مسار مرحلي بالحكم الذاتي، في اطار الدول التي تعيش فيها .

وعلى المدى البعيد، كان بدر خان يؤمن بأن نهاية الحكم الذاتي ستحل في يوم ما، ان عاجلاً ام آجلاً، وحينها سينشأ شرق أوسط جديد، متعدد الدول والتي ترتبط ببعضها في صورة اتحادات كونفدرالية، وكل دولة ستبدي قدرا كبيرا من الاحترام للدول الاخرى، وستسهم كل منها على حدة، وبالتعاون مع الاخرى في تطوير المنطقة باسرها.¹³

كان يوفال نتمان نائباً لرئيس شعبة الاستخبارات برتبة عقيد وكان مكلفاً بالتنسيق بين اذرة الاستخبارات الاسرائيلية والفرنسية . عندما التقى بالأمير بدرخان وطرح الاخير عليه "فكرة الاستقلال الكوردي، خيل ليوفال نتمان انه يري فيه صورة لبن جوريون، فهو رجل شديد الحماس، ويمتلىء صدره بايمان لايعرف التهاون، ويخوض معركته بقوة هائلة."¹⁴

كان من نتائج نشاطات الأمير كامران ان سهلت إقامة علاقات مستقبلية مع الانتفاضة الكوردية في الستينات. فعندما زار باريس، شاؤول ابيجور رئيس الموساد السابق للهجرة الثانية، ورجل المهمات السرية لصالح الامن القومي، قام نتمان بترتيب اجتماع بينه وبين بدر خان .

ويقول نتمان: "عقد الاجتماع في شقتي، وجاء ابيجور مثلما هي عادته باسم مستعار هو "مسيو بن ديفيد" وقد حدث لديه انطباع جيد جداً ووعد بعرض القضية امام بن جوريون، واوفى بوعدده."

13 شلومو نكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر . 1997 . ص 16-17 .

14 شلومونكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر . 1997 . ص 42 .

ويقول نتمان: "انه يعتقد ان جميع الاحداث التي وقعت بعد ذلك، بما فيها الاتصالات مع الملا مصطفى البرزاني، ولدت في اعقاب لقاء ابيجور وبدر خان. مرت الاعوام، ووجد ملا مصطفى نفسه على رأس الحركة الكوردية في اعوام الستينات، وفي اول زيارة له لاسرائيل، في نيسان 1968، بادر رئيس الموساد اللواء مائير عميت، بتعريف ملا مصطفى على يوفال نتمان، وقال له: "هذا هو الرجل الذي مهد لكم الطريق لدينا".

ويقول مائير عميت عن كامران بدرخان: "كان قد كرس كل حياته للقضية الكوردية، وهو الرجل الذي تمكن من نقل صرخة ابناء شعبه، لأذان الغرب، وهو اول زعيم نتعرف عليه، ويحاول دفعنا نحو تقديم المساعدات للثوار الاكرد في وطنهم".

اما كوردستان الشمال -تركيا- حسب رأي البريطانيين: "ان السياسة الداخلية للحكومة التركية منذ عام 1950 أثبتت نجاحها في دمج الأكراد بالامة التركية و ان شبح نهضة كوردية قومية في تركيا هو في الواقع يعود إلى الماضي" وفي حالة ممارسة روسيا الضغط على تركيا، فان "الأكراد سوف يقفون وراء الحزب الديمقراطي الحاكم"¹⁵. ومن الخطأ الاعتقاد ان "للقومية الكوردية قوة ديناميكية داخل تركيا". كانت تلك وجهة نظر بعض البريطانيين حول زوال الروح القومية الكوردية في الجمهورية التركية ونجاح سياسة التتريك فيها. لقد أظهرت انتفاضة كوردستان الشمالية عام 1984 والتي قادها حزب العمال الكوردستاني خطأ هذا التوجه.

ورغم ان "عدداً كبيراً من العرب في الحدود الجنوبية لتركيا يشكون من ظروف معيشتهم، الا ان ذلك لايشكل مشكلة أمنية داخلية خاصة بالنسبة لتركيا."¹⁶

"وتعتبر تركيا نفسها حامية الجناح الجنوب الشرقي لحلف الناتو وانها تبنت الموقف الغربي في قضايا الشرق الاوسط، وهي عضو في حلف بغداد، وليس هناك احتمال ان تتخلى تركيا عن الفوائد الجمّة التي تجنيها من جرأء تواجدها في الحلف الاطلسي وتتضم إلى الدول المحايدة وتعرض نفسها للعزلة والضغط السوفيتية".

From C.T. Brant. F.O. 37 130177) Septembre 23, 1957. 15

From C.T. Brant F.O. 37 130177) Septembre 23, 1957. 16

"وحتى الآن فشلت جميع التهديدات الروسية لحثها على ترك تحالفها مع الغرب، ولا أرى سبباً في ان تتكلم مناورات روسية اخرى فى تحقيق ما فشلت في تحقيقه حتى الآن....."¹⁷

وفيما يتعلق بسوريا يشير ارشيف بريطاني مشوب بالقلق، إلى تزايد النفوذ الكوردي في الجيش والسياسة السورية، فبالإضافة الى:
" خالد بكداش مؤسس الحزب الشيوعي السوري، وهو كوردي الاصل. الكولونيل سراج - يعني عبدالحميد السراج - كوردي ايضاً و الجنرال بزرى - يعني عفيف البزري - كما يبدو من ملامحه هو ايضاً كوردي.
وان الاقلية الكوردية تستمد اهميتها من تهريب البضائع فى المثلث التركي - السوري - العراقي. حيث تجري اتصالات مكثفة، وعبر الحدود المفتوحة إلى حد كبير حيث تنتشط قوافل العمال والجمال والآن سواق اللوريات، معظمهم من الأكراد، لقد جند خالد بكداش وبنى الخلايا الشيوعية من هؤلاء.

وبغض النظر عن المصالح العربية، فان الضباط والمثقفين الكورد في سوريا يميلون نحو الاتحاد السوفيتي لانهم يشعرون انهم يعملون من اجل تحرير وطنهم (بالاخص المناطق الكوردية في العراق وتركيا) ، وبحق يمكن مقارنة هؤلاء الضباط الكورد في الجيش السوري باليعاقبة الايرلنديين الذين كانوا في خدمة فرنسا خلال القرن الثامن عشر."¹⁸

كان الغرب عموماً يعتبر نفسه مسيطراً على الوضع في الشرق الاوسط، وكان يواجه المد القومي الذي تزعمه جمال عبدالناصر وتزايد النفوذ الشيوعي بتقوية حلف بغداد ودعم الانظمة العربية التابعة له، في حين كانت فرنسا منشغلة بالثورة الجزائرية المتصاعدة. وعندما حصل انقلاب الضباط الاحرار في 14 تموز عام 1958 فى العراق، نزلت اعداد هائلة من الجماهير إلى الشوارع تأييداً للاطاحة بالنظام الملكى الموالي لبريطانيا، مما فوت الفرصة على التدخل العسكري ضد الانقلابيين فى بغداد. ونظم الاتحاد السوفيتي مناورات أجراها على الحدود التركية الايرانية واعترف بالنظام الجديد فى العراق بعد اربع وعشرين ساعة من الانقلاب واعلن عن

C. T. Brant. September 23, 1957. FO. 371 130177 864 17

A private letter from Co. Waterford to Lord Salisbury. Dated 27 August, 1957. 18

استعداد الاتحاد السوفيتي وحلفائه لتقديم الدعم العسكري للحكومة الجديدة إذا ماتعرض العراق لأي عدوان خارجي تقوم به الولايات المتحدة وبريطانيا والشركاء الآخرون في حلف بغداد .

اصيب الغرب بصدمة قوية في حساباته . فقد وجد نفسه منبوذاً من الشعب وابقن ان النظام الملكي الذي أقاموه كان هزيباً وبعيداً عن الجماهير، ووجد ان للاتحاد السوفيتي وجمال عبدالناصر شعبية كبيرة في اوساط الشعب العراقي، وهذا ما اخلّ بالتوازن في الحرب الباردة .

يظهر من عدد من البرقيات ان التشاؤم انتاب سفراء بريطانيا في الشرق الاوسط من جراء التغيير في العراق، فالمهم بالنسبة لهم في كوردستان هو النفط وليس البشر، فأشار السفير البريطاني في استنبول انه اذا ماتدهورت الاوضاع في العراق فانه يستحسن "اتخاذ ما يضمن قيام تركيا باحتلال منابع النفط في الشمال وحرمان عبدالناصر على الاقل من هذه الموجودات الثمينة، واوصى السفير في نهاية تقريره بمراقبة الموقف بدقة وحذر".¹⁹

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد حثت سفيرها في طهران على تشجيع ايران وتركيا للتحرك في نفس الوقت ضد العراق لاقتسام كوردستان العراق بينهما في حالة قيام الجمهورية العربية المتحدة باقامة دولة كردية تابعة لها في الشمال كدولة حاجزة بينها وبين السوفيت.²⁰

وردّ السفير البريطاني في تركيا بان الأخيرة لا تسمح بان تصبح كوردستان جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة، وان حصل هذا يمكن ان يميل الأتراك "نحو فكرة التدخل المباشر في العراق وربما سوية مع الإيرانيين الا أنهم سوف لا يتحركون دون

19 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. د. وليد حمدي. 1991 لندن. صفحة: 266.

20 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. د. وليد حمدي. 1991 لندن. صفحي: 267.

ضمان الدعم الأمريكي سلفاً. يحتمل ان يأخذ الاتراك ألوية الموصل وكركوك تاركين الألوية الكوردية الاخرى لإيران.²¹

لقد أطلق الانقلاب كل القوى السياسية المحلية من عقالها دفعة واحدة، وهى قوى غير متجانسة، تتجاذبها الانتماءات الحزبية والعائلية والعشائرية والطائفية والشخصية، ولم يكن بمستطاعها بناء أسس دولة ديمقراطية تمثل عموم القوميات والاتجاهات الأيديولوجية والسياسية المختلفة. وظاهرة ضيق الأفق الفكري والسياسي كان امراً ظاهراً فى سلوك الاحزاب والشخصيات السياسية العراقية.

كما ان قادة الانقلاب انفسهم لم يكونوا متجانسين، فكراهيتهم للحكم الملكي كانت من اقوى دوافع اتحادهم واقدامهم على الاطاحة بالنظام الهاشمي. فعبد السلام عارف -الرجل الثانى فى النظام- كان يجزّ العراق بقوة وعجالة لاتخلو من التهور نحو الاتحاد الفورى بالجمهورية العربية المتحدة في حين كان عبدالكريم قاسم يرفض ذلك. وكان عبد السلام عارف قومياً عنيداً ولايحمل وداً للشعب الكوردى ومطالبته بحقوقه، كما كان كرهه للشيوعية بدائياً، في حين كان عبدالكريم قاسم متفهماً لحدود معينة لمعاناة الشعب الكوردى وبيداري الشيوعيين فى البداية، كان دمث الاخلاق واكثر انسانية من عبد السلام عارف ولم يتجه نحو ادخار المال. لكن الخلفيات الثقافية العسكرية لقادة الانقلاب طغت على شخصيتهم السياسية ولم ينتج الجيش العراقي سياسيين محنكين واسعي الافق كما كان الحال مع جمال عبد الناصر. وقد ظهر المجتمع العراقي ممزقاً فى الاهداف السياسية بين القوميين البعثيين الشرسين القليلي العدد والشيوعيين الاكثر تنظيمياً والموالين دون تحفظ للاتحاد السوفيتى، وكان القوميون الكورد اقرب إلى موقف الحزب الشيوعي بالنسبة للوحدة الفورية والموقف من الاتحاد السوفيتي. وكان الصراع حاداً بين الجمعيات الفلاحية والملاكين. وللأسف لم تترسخ عادة الاحتكام إلى الشعب عن طريق انتخابات حرة ونزيهة وتأسيس مجلس وطنى يقرر السياسات العامة ويجنب البلاد من النزعة الدكتاتورية، فالجيش بقي مصدر التغيرات السياسية، وكان ذلك بمثابة كارثة على الحياة السياسية وتراجع عن المسيرة الديمقراطية.

21 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. د. وليد حمدى. 1991 لندن. صفحة 8-267

مابعد إنقلاب 14 تموز 1958

حتى قبل إنقلاب 14 تموز، كانت (حرب السويس 29 من تشرين الأوّل-أكتوبر من العام 1956) قد غيّرت من موازين العلاقات بين دول المنطقة والعالم. فقد نجم عن حرب السويس إنهيار النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط وتقوى النفوذ السوفيتي في المنطقة، كما أدت إلى إحداث تغييرات داخل ميزان القوى بين الدول العربية، فالى جانب الحرب الباردة بين الشرق والغرب، كانت هنالك حرب عربية باردة وحامية أحياناً تدور بين القوى العربية الثورية والقوى المحافظة. وشكلت حرب السويس نصراً حاسماً للمعسكر الثوري بقيادة مصر ضد القوى العربية المحافظة الموالية للغرب، ضمنها العراق والاردن والمملكة العربية السعودية. وبرز نجم جمال عبدالناصر كبطل شعبي بعد الحرب التي وُصِفَتْ بالعدوان الإمبريالي الصهيوني ضد الامة العربية.

كان الدرس الأساسي الذي تعلمه (بن غوريون) من حرب السويس هو أن إسرائيل لا تستطيع ان تضمن عمقاً إستراتيجياً خلال توسيع سيطرتها على أراضي جيرانها، لأن القوى العظمى لا تسمح بذلك. لذا اختار استراتيجية "الردع" وكان هدفه منع الدول العربية إحداث التغيير بالقوة على الوضع الراهن، ولذا كان من الضروري تجهيز جيش الدفاع الإسرائيلي بالأسلحة المتقدمة للمحافظة على تفوقه النوعي على جيوش الدول العربية. لكن هذا لا يكفي في نظره، فالبحث عن ضمان خارجي لأمن إسرائيل أمر ذا أهمية قصوى. كان بن غوريون واعياً لعزلة إسرائيل الدولية بعد حرب السويس وتزايد النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط. وخشي من تسليح السوفييت للدول العربية الأكثر عداوة لإسرائيل. فوجد أن ماتستطيع فعله إسرائيل لوحدها لدرء هذا الخطر محدود، فهنا إسرائيل أمام قوة عظمى، الاتحاد السوفيتي، ولموازنة هذا التهديد، عليها أن تجد إلى جانبها قوة عظمى تستند إليها، ومن هنا ركّز جهوده لإقناع أمريكا، المنافسة الأولى للسوفييت، بدعم دولة إسرائيل.²²

Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History, 12:2. May 1999. 22

ودعا بن غوريون إلى بذل جهود ملموسة "لإقناع أمريكا بأنه من الممكن تحويل إسرائيل إلى رصيد إستراتيجي في الشرق الأوسط، وإحاطة أمريكا بالعلم من أن هناك ربع مليون جندي كُتِبَ عليهم القتال ومستعدون خوض غمار الحرب، ولا يمكن تجاهل هذه الحقيقة بسهولة".²³ وكان يأمل الحصول من أمريكا على السلاح، الدعم السياسي وضمانات لأمنها. هذه النداءات لم تلقي أذناً صاغية كما كانت تريدها إسرائيل من واشنطن، فالأخيرة كانت تعتقد أن إسرائيل أقوى من جيرانها ورفضت أن تكون المزود الأول بالأسلحة، كانت واشنطن بحاجة إلى الدعم العربي في مجال سياستها العالمية لإحتواء الشيوعية، وكانت على قناعة من أنها ستحقق هدفها دون الحاجة إلى تحالف مع إسرائيل.

عند الإعلان عن مشروع إيزنهاور في آذار 1957، والذي وعد بالمساعدات العسكرية والتعاون مع دول الشرق الأوسط، ضمنها إسرائيل، ضد العدوان الشيوعي أو من دولة تحت السيطرة الشيوعية، ساندت إسرائيل المشروع على أمل تطويره ليشمل ضمناً أمريكياً لأمن إسرائيل. لكن هذا المشروع كان ضد الشيوعية العالمية، ولم يكن معادياً للدول العربية الثورية المعادية لإسرائيل، وحاولت الأخيرة إشهار التحالف بين الدول العربية الراديكالية والاتحاد السوفيتي، لإقناع واشنطن بتبني وجهة نظر تل أبيب. لكن دون نجاح مرضٍ.

أبرمت صفقة سلاح بين دمشق وموسكو صيف عام 1957، وزاد التوتر على الحدود الإسرائيلية السورية بصدامات مسلحة، شعر جرّائها بن غوريون بالخطر المزدوج من الشيوعية والقومية العربية الراديكالية. وعندما علم بأن واشنطن تشجع عملية إنقلاب في سوريا، سعى إلى الإتصال بالأمريكان موضعاً استعداد بلاده في المشاركة الفعلية. رفض الأمريكيان المقترح: " كان الأمريكيان على استعداد للإستماع إلى الآراء الإسرائيلية واستلام المعلومات المخبرانية، لكنهم حريصون على تفضي أي تعاون فعلى مع إسرائيل بسبب علاقاتهم بالعالم العربي".²⁴

ibid 23

ibid 24

وفي خريف عام 1957، قاد بن غوريون حملة دبلوماسية لنوع من الشراكة الإسرائيلية في حلف شمال الأطلسي، مدفوعاً دائماً بهاجس ضمان "أمن إسرائيل" ولم يكن الهدف كما يذكر Avi Shlaim "عضوية رسمية، لأن ذلك غير وارد، لكن شراكة مقربة وتعاون في خطط الدفاع". ثم أرسل وزيرة الخارجية غولدا مائير للتباحث مع Allen Dulles مدير وكالة الاستخبارات المركزية، وأرسل مبعوثين إلى باريس و بون ولاهاي. تعاطف الفرنسيون مع المقترح، لكن في شهر ديسمبر/كانون الأول 1957، وبسبب ضغط مكثف من واشنطن، رفض مجلس [الناتو] طلب إسرائيل في المشاركة.²⁵

استمرّ بن غوريون في مسعاه رغم العراقيل، وكان يريد إقناع الأميركيين بأن يعلنوا أنهم سيهرعون لمساعدة إسرائيل حال تعرضها لهجوم سوفيتي أو من قبل طرف مساند من قبل السوفييت، وكان يقول للأمريكان: "نحن نعاني من عزلة، لذا يعتقد العرب ان القضاء علينا ممكن، ويستغل السوفييت هذا الوضع، لكن إذا ما وقفت قوة عظمى إلى جانبنا، وعرف العرب بذلك وبأننا حقيقة قائمة لايمكن إزالتها، هنا ستوقف روسيا عداها تجاهنا".²⁶

وفي شهر كانون الثاني من عام 1958، إتحدت سوريا ومصر وشكلت الجمهورية العربية المتحدة، وهناك إعتقاد بأن النخبة السورية القومية الحاكمة آنذاك، بادرت إلى الوحدة خوفاً من المدّ الشيوعي ولغرض إيقافه، لكن الأنظمة الشرق أوسطية المرتبطة بالغرب، وجدت في هذا الاتحاد تهديداً لأمنها، ضمنها الأردن والعراق، حيث بادرت إلى إقامة إتحاد ثان فيما بينهما، والأسرتان الهاشميتان في بغداد وعمان كانتا ترتبطان برباط القرابة وتواليان الغرب، فاتحدتا للدفاع عن أنفسهما ضد إنتشار النفوذ الناصري في العالم العربي، كذلك إسرائيل، وجدت في الاتحاد المصري السوري كمشاة تهدد وجودها.

إن التطور السياسي الجديد تجاه العالم العربي في الحقبة التي تلت حرب السويس، هو تبني إسرائيل سياسة أطلق عليها [التحالف مع الهامش]، كانت الفكرة

ibid 25

Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History, 12:2. May 1999. 26

الأساسية تركز على القفز على دائرة الدول العربية المعادية والتي تطوق إسرائيل، وعمل تحالفات مع الدول غير العربية مثل أثيوبيا وهي مسيحية، إيران وتركيا المسلمتين ولكنهما غير عربيتين. كان العامل المشترك بين هذه الدول هو تخوفها من المد الشيوعي والراديكالية العربية التي يقودها جمال عبد الناصر. كانت الخطة الإسرائيلية تهدف وقف النفوذ السوفيتي والناصرى في آسيا وأفريقيا. هذه السياسة إستهدفت تقوية خطط الردع الإسرائيلية وتقليص عزلتها وزيادة نفوذها وأهميتها في المحافل الدولية. لم يكن هذا التحالف ضمن أطر التقاليد المعروفة دبلوماسياً بين الدول، فلم يكن لدى إسرائيل علاقات دبلوماسية طبيعية مع دول الهامش، بل شكل تحالف غير رسمي ومعظم العلاقة بقيت سراً. وانيطت إدارة هذه العلاقة بالموساد، ولم يكن دور جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الخارجية غير الإسناد. ولعبت إسرائيل دوراً في تقوية الداخل لـ (دول الهامش) عن طريق تنظيم أمنها الداخلي وتوفير المعلومات وزيادة قدرات الجيش أو البوليس ليصبح قادراً على مواجهة أي إنتفاضة فجائية داخلية، أو محاولات خارجية تهدف تغيير النظام عن طريق إنقلاب.

إضافة إلى مساعدة هذه الدول لدرء الأخطار الداخلية والخارجية عنها، إهتمت سياسة (تحالف الهامش) بالشعوب الأخرى في الشرق الأوسط مثل اليهود والمارونيين والأكراد والدروز والأقباط. فعن طريق التحالف معهم، تتمكن إسرائيل من تقليص عزلتها وتزيد من ضغطها على الدول العربية المهددة لإسرائيل. إن سياسة القمع والإضطهاد القومي التي مارسها الحكومات العراقية المتعاقبة، هيأت عوامل إلتقاء الحركة الكوردية بسياسة إسرائيل في إطار (تحالف الهامش) في منتصف الستينات من القرن الماضي. كما سنرى فيما بعد.



بن غوريون الذي طور مع عدد من مستشاريه استراتيجية التحالف مع الهامش

شهد عام 1958 سلسلة من الأزمات التي إجتاحت الشرق الأوسط، شملت لبنان والعراق والاردن. ففي شهرمايس/ماي 1958 إندلعت حرب أهلية في لبنان بين المسيحيين من أنصار الرئيس كميل شمعون المناصر للغرب وبين الجبهة الوطنية الإشتراكية والتي نادت بالإئضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. وفي 14 تموز من نفس العام قامت مجموعة من العسكريين العراقيين بالإستيلاء على الحكم في بغداد وأطاحوا بالنظام الملكي الموالي للغرب، وقتل الإنقلابيون الملك فيصل وولى العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد. ولكون العراق منتجاً مهماً للنفط وعضواً رئيسياً في حلف بغداد، فإن الاطاحة بالنظام الموالي للغرب شكّل تهديداً بتغيير الخارطة الإستراتيجية للشرق الأوسط. وبمعنى آخر وجدت جميع الأنظمة الموالية للغرب في المنطقة أنها مهددة بالزوال، الاردن ولبنان بشكل خاص. وشعر حكام البلدين بالخطر، فطلب الرئيس كميل شمعون مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة تحت مظلة مشروع إزنهاور، كما طاب الملك حسين الدعم من بريطانيا.

قرر البيت الأبيض إرسال البحرية إلى شواطئ لبنان تأييداً لنظام كميل شمعون الهزيل خلال الـ 48 ساعة التي أعقبت الإنقلاب في بغداد. كما قرر رئيس الوزراء البريطاني (هارولد مكميلان) إرسال حوالي 1500 من القوات البريطانية من قبرص إلى عمان، وطلب من إسرائيل السماح بإستخدام أجوائها. كان الخبراء في جيش الدفاع الإسرائيلي يرون الحفاظ على نظام الملك حسين ذا أهمية إستراتيجية لأمن إسرائيل، وكانت المخابرات العسكرية متخوفة من إنتقال عدوى الإنقلاب العراقي إلى الاردن ومساندة الجمهورية العربية المتحدة لها. ونظراً لقرب الاردن من نقاط إستراتيجية إسرائيلية، فقد إرتأى بعض العسكريين الإسرائيليين إحتلال جميع الضفة الغربية أو أجزاء منها حال حصول إنقلاب ناصري في الاردن. لكن دفيد بن غوريون عارض الفكرة.

لقد ظهرت أهمية إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا في مواجهة المخاطر التي تهدد الأنظمة العربية المناصرة لهما. وقد طلبت أمريكا مثل البريطانيين إستخدام الأجواء الإسرائيلية. إذ بلغ عدد القوات التي أنزلت لحماية البلاط الملكي الاردني ونقاط إستراتيجية أخرى 4000 عسكري مع الأسلحة والذخائر. بقيت هذه القوات عدة أشهر الا ان تقلص التهديد، وقد شكر الملك حسين بريطانيا وإسرائيل.

فيما بعد إعترف العاهل الاردني بالعزلة التامة التي عانت منه بلاده بعد الإطاحة بالنظام الملكي في بغداد وانه لم يكن هناك مخرج غير استخدام الأجواء الإسرائيلية للتزود بما نحتاجه، لقد ساعدنا البريطانيون والأمريكيون ونقدر ذلك بكل تأكيد، كما شكر إسرائيل للتسهيلات التي قدمتها في مجال سماحها بمرور المساعدات عبر أجوائها.²⁷

إستغل بن غوريون الوضع الجديد وأهمية إسرائيل في تسهيل مخططات الغرب في الشرق الأوسط، فجمع مستشاريه وقال لهم: "علينا الآن العمل بكل طاقاتنا للحصول على السلاح من الولايات المتحدة، وطلب الإشتراك في المناقشات السياسية والعسكرية المتعلقة بالمنطقة، والعمل على تقريب دول الشرق الأوسط المعارضة لناصر". ومن النقاط المهمة التي أراد تحقيقها بن غوريون "ضمان الدعم الأمريكي لسياسة تحالف الهامش، والإعلان عن ضمان أمن إسرائيل."²⁸

والجدير بالذكر أن الدكتور (الأمير كامران عالي بدرخان) كان على إتصال بمسؤولين بارزين إسرائيليين منذ الأربعينات، أي حتى قبل إيجاد استراتيجية التحالف مع الهامش، وكان قد إلتقى بغولدا مائير وآخرين، وهو المبادر الأول في إقامة العلاقات مع إسرائيل وإليه يعود الفضل في تسهيل إقامة قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني - العراق - العلاقة بتل أبيب، حيث زارها إبراهيم أحمد، عصمت شريف فانلى، ملا مصطفى، إدريس ومسعود ولدا ملا مصطفى، الدكتور محمود عثمان، سامي (محمد محمود عبد الرحمن، مقدم عزيز عقراوي وآخرون. وقد إستمرت هذه العلاقة بين أعوام 1963 - 1975.²⁹ لا شك ان الصلات التي أوجدها الأمير كامران وطلب قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني من تل أبيب تقديم المساعدات لها، كانت منسجمة تماماً مع سياسة (تحالف الهامش) التي نوهنا عنها والتي طورها بن غوريون مع عدد من مستشاريه.

Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History, 12:2. May 1999. 27

Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History, 12:2. May 1999. 28

29 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. ترجمة: بدر عقيلي. دار الجليل للنشر. عمان. 1997. ص: 8

إن نقطة الضعف في هذه السياسة - فيما يخص الحركة الكوردية - كانت متأية من الهامش الوسيط - إيران، المانح للمساعدة والمتآمر في نفس الوقت - ومن الهامش الثانوي - جهل قيادة الحركة الكوردية في إدارة العلاقات الدولية - فعن طريق الهامش الوسيط - إيران — تعبر المساعدات من إسرائيل إلى معاقل الحركة الكوردية.

شكل إنقلاب 14 تموز نقطة إنعطاف إضافية هامة في تاريخ الشرق الأوسط وفي علاقات المنطقة بالغرب، إذ إنتهى الشكل القديم من علاقات الامبراطورية البريطانية، رغم إستمرار تواجدها في عدن والخليج، وبدأت حقبة تزايد النفوذ الأمريكي وحلوله محل النفوذ البريطاني والفرنسي. وقد نجم عن الوضع الجديد تحول في طبيعة العلاقات بين تل أبيب والغرب، وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد تمتعت مصر بقيادة عبدالناصر بعد ثورة 1952 بوضع متميز عن سائر الدول العربية الاخرى. فقد تصرفت كمحرّك أساسي للوحدة العربية وكحامية "للأنظمة العربية التقدمية" ومعادية "للأنظمة الرجعية" ومارست نفوذاً كبيراً على سائر الدول والشعوب العربية. وكان جمال عبدالناصر الزعيم القومي بلا منازع. وفي شباط/ فبراير من عام 1958، هرع القادة السوريون إلى القاهرة من أجل الوحدة، وفي 22 من نفس الشهر أيد الشعب السوري الوحدة من خلال الاستفتاء. وفي اليمن انعكس دور (الأخ الأكبر) عندما ارسلت مصر جيوشها لحماية الجمهوريين ضد الملكيين عام 1962. الا ان مصر لم تكن في الواقع دولة قوية اقتصادياً ومواردها لاتسمح لها بالقيام بدور قوة عظمى في المنطقة. في تلك الفترة بدا العالم العربي منقسماً على ذاته، رافعاً شعارات متضاربة ويتآمر الزعماء بعضهم ضد بعض. بحيث لم تسمح هذه الظروف لإمكانية تطور طبيعي للدول العربية نحو دول تسودها مؤسسات وفيها تراعى مبادئ الديمقراطية، انما دخل الحكام القوميون، بعد الاستيلاء على السلطة، في مواجهات مع شعوبهم فصادروا الحريات العامة ومارسوا القمع والاضطهاد وتبنوا المحسوبية والمنسوبية، وبقي مشروع بناء الدولة الحديثة غير مكتمل.

وفي العراق، مارس القوميون الضغط على عبدالكريم قاسم للانضمام الفوري إلى الجمهورية العربية المتحدة، التي تشكلت بوحدة مصر وسوريا، بقصد احراجه،

وكان البعثيون واضحين في موقفهم العدائي أزاء الشعب الكوردي، فقد ورد في 4 شباط عام 1959 في مقالة لهم: "ان الشعب العربي الكريم قد أسبغ حمايته على كل هذه الاقليات.... وترك لهم الخيار بالبقاء فى الوطن العربي او الهجرة إلى بلادهم كالأرمن.... القومية العربية تساند نضال الأكراد من اجل اقامة دولة كوردية. لكن اين حدود هذه الدولة؟ ان الحدود التى تحوى القومية الكوردية هى كوردستان التى تؤلف جزءاً من تركيا وإيران، وستكون القومية العربية مسرورة بوجود جارها الصديق بلاد كوردستان الديمقراطية المتحررة... إلا أنها ليست على استعداد لاقتطاع جزء من بلادها واعطائه للآخرين...."³⁰

كان حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق قد شكل منظمة شبه عسكرية اصبحت نواة للحرس القومي في عام 1963 بقيادة ضابط استخبارات، الرائد صالح مهدي عماش وزير الدفاع لاحقاً. وصدرت جريدة البعث اليومية (الجمهورية) في 17 من تموز، صاحب امتيازها عبدالسلام محمد عارف، وفي صدر الجريدة الشعار البعثي الشهير، وحدة، حرية، اشتراكية، ويرأس تحريرها الدكتور سعدون حمادي.³¹

وبعد عشرة ايام من انقلاب 14 تموز بقيادة عبدالكريم قاسم، زار ميشيل عفلق السكرتير العام للقيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي والذي كان مقيماً في سوريا ومؤسس حزب البعث "شيخ البعثيين"، زار بغداد، مشدداً على وجوب قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. لكن لم تكن لهذه الزيارة اهمية تذكر لضعف حزب البعث السياسي آنذاك.

وتم الاعتراف المتبادل بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة، وأعلن عبد الناصر ان أي اعتداء على الجمهورية العراقية هو اعتداء عليها، وزار عارف دمشق والتقى بعبدالناصر في 19 تموز 1958 والذي كان في زيارة لها، ووقعا اتفاقاً أمنياً وسياسياً. وحسب ماورد في عدد من المصادر فقد اكتشف جمال عبد الناصر انه امام رجل ذي ذكاء محدود ونسب اليه قوله فيما بعد: "انه لايعدو ان يكون

30 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. والنص منقول عن جريدة الصحافة: بيروت 4 شباط 1959. ص : 179 .

31 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص : 94-95 .

طفلاً³². ويروى في اول لقاء بين صديق شنشل وهو وزير الاعلام العراقي في اول وزارة بعد إنقلاب 14 تموز ومن قادة حزب الإستقلال أن عبدالناصر سأله عن رأيه في عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف، فأجاب: ان عبدالسلام عارف نصف مجنون وعبدالكريم قاسم نصف عاقل.

شعر قاسم ان عارف يتجه نحو الوحدة الفورية ويكرر بأنه هو بطل الثورة وانه [عارف] تسبب في شق وحدة المجتمع العراقي وهذا ما يتطلب إيقافه. في 7 آب 1958 خرجت في بغداد المظاهرة الاولى الحاشدة امام وزارة الدفاع وهي تندد بالوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. لكن من جانبه كان عارف يشدد على الوحدة الفورية. في نهاية شهر آب صدر مرسوم جمهوري يقضي باعفاء عارف من منصبه كنائب القائد العام للقوات المسلحة، لكنه ظل وزيراً للداخلية. و"نحي ايضاً العقيد احمد حسن البكر من عضوية المحكمة العرفية العسكرية، وهو معروف بميوله البعثية القوية وواحد من اوائل ضباط الجيش الذي صرح في مجلس خاص بان ليس ثمة سبيل للعودة إلى خط القومية العربية بغير انقلاب جديد."³³

ازدادت شكوك قاسم بتصرفات عارف فأبعده سفيراً إلى بون - المانيا - ، لكنه عاد إلى بغداد في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1958 وجرى مشادة كلامية بينه وبين قاسم الذي اصرّ على ان المصلحة العامة تقتضى بقاءه في الخارج. ثم اعتقل عارف وحوكم ووجهت اليه تهمة تدبير انقلاب في ليلة 5/4 من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1958 ومحاولة اغتيال قاسم. فحكمت عليه المحكمة بالموت، الا ان قاسم رفض تنفيذ الحكم على صديقه القديم.

يتسائل الكاتب اوريل دان عن سبب هذا التعامل مع عبدالسلام عارف فيقول:

"مالذي دفع قاسم إلى انتهاج هذا السبيل وهو يعرف [عارفاً] رجل افعال، قادراً على كسب الولاءات، قاسياً، ماكراً؟ لا بد وانه أدرك بأن [عارفاً] سيظل دائماً بؤرة

32 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 97 .

33 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 107 .

تجمع للقوى القومية المؤيدة [عبد الناصر] في العراق. في الواقع لم يشارك [عارف] في مؤامرة مسلحة في حينه، الا انه كان قميناً بذلك في اول فرصة تعن له لو صفح عنه. وبعض التفسير قد نجده بلا شك في ثقة [قاسم] بنفسه وكرهه الطبيعي في سفك الدماء. بل ربما كان يحفظ في قلبه بقية ودّ [عارف]. تلك المودة التي دفعته إلى رفع معاونه هذا إلى المقام الاول. ومن المحتمل ان [قاسماً] كان ينظر إلى [عارف] نظره إلى صبي مدرسة مشاغب لكنه ليس شريراً بطبعه. واحساسه بان [عارفاً] وقع تحت تأثير الآخرين تجلى في لحظة من التوتر العصبي حين قال له "سأبعدك عن رجال السوء."³⁴

وأودع عارف في السجن العسكري في معسكر الرشيد.

وكانت حكومة قاسم قد عملت على اعادة العراقيين الذين تركوا العراق لاسباب سياسية، منهم رشيد عالي الكيلاني الذي عاد إلى بغداد في الاول من ايلول 1958 بعد غيبة طويلة. كان شخصية تكره الشيوعية ولا يطبقها ومن الذين وعدتهم الجمهورية العربية المتحدة بالدعم لاسقاط قاسم. وكان من انصار الانضمام إلى الوحدة مع ناصر. قام رشيد عالي بالاتصال بالموثوقين والمقربين له وكثف الإتصالات مع شيوخ العشائر والملاكين وضباط الجيش للقيام بانقلاب. الا أن استخبارات قاسم إكتشفت خيوط المؤامرة بكل ابعادها وفي اليوم الموعد للانقلاب مثل المتآمرون امام المحكمة اي في 9/10/1958 في جلسة سرّية يترأسها فاضل عباس المهداوي.

كانت مصر بتلك الفترة على علاقات سيئة بالدول الغربية إلى جانب معاداتها للأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط وتعادي قاسم لموقفه من الوحدة مع مصر وإحتضانه للقوى اليسارية.

كذلك رأى الغرب ان تنحية عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني في العراق هو توجه نحو تقوية التيار الشيوعي في العراق.

34 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 118

إلا ان الحقيقة إن قاسم لم يقم علاقات عميقة راسخة، مع الحزب الشيوعي العراقي او الحزب الديمقراطي الكوردي الموحد، رغم انهما كانا من القوى الداعمة له، وهكذا نجد ان قاسم لم يعرف كيف يتعامل لا مع أصدقائه ولا مع أعدائه، فظل يعيش وسط اعداء له في الجيش يتربصون به، ويتحينون الفرص للإلتقاض عليه.

تتالت محاولات القوميين العرب في قلب النظام بدعم من القاهرة، فكانت حركة العقيد عبدالوهاب الشواف. كانت مجموعة كبيرة من طاقم المتآمرين العسكريين ينتمون الى: "اسر عريقة مثل الراوي والشواف والطبجلي والعمري وكثير غيرها، يدل دلالة لاتقبل الشك على ان طابع الحركة الحقيقي هو مكافحة الشيوعية، بل هو غير تقديمي. ولم تخطيء المحافل اليسارية هذه السمة بعدها فقد كان لاتهامها بالرجعية مبررات تزيد عن المطلوب عادة".³⁵

كانت طبقة الملاكين التي تقلص نفوذها بعد المصادقة في أيلول/سبتمبر 1958 على قانون الاصلاح الزراعي من مؤيدي حركة الشواف والإطاحة بحكم عبدالكريم قاسم.

في هذا المناخ السياسي المشحون بصراع المصالح والأيديولوجيات والمؤامرات في الخفاء كان هناك شاب عانى من ضنك العيش ومن الجو العائلي المتشنج والخلافات على الاراضي وكان ذو آفاق ثقافية محدودة، لكنه يحمل في داخله بذور المكيدة والانتقام، ولد في قرية "العوجة" التابعة "لتكريت" جاء إلى بغداد ليجد له مكاناً داخل خيمة حزب البعث العربي الاشتراكي.

ولنستشهد بمن كان في داخل خيمة حزب البعث وهو شاهد عيان، انه [حازم جواد] البعثي المعروف ووزير داخلية ابان حكم البعث في 1963، وكان معتقلاً في أواخر 1958 في مركز شرطة السراي في بغداد وإلى نفس المعتقل جيء برجلين، وتقول جريدة الحياة نقلاً عنه: "اقتادت الشرطة شاباً نحيل القامة ورجلاً في منتصف العمر. لاحظ المعتقلون أن مدير المعتقل مهدي الرفاعي، وهو من تكريت، اعطى

35 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 214

المعتقلين الجديدين غرفة منعزلة وأنهما حرصا على عدم الاحتكاك بسائر المعتقلين أو التحوار معهم. وبعد السؤال عن الرجلين جاء الجواب: انهما شاب اسمه صدام حسين وخاله خيرالله طلفاح. الأول متهم باغتيال الحاج سعدون التكريتي الذي يعتقد أنه شيوعي، والثاني متهم بتحريض الأول على ارتكاب الجريمة. وفي تلك الأيام لم يكن ثمة ما يدعو حازم جواد إلى التوقف عند اسم الشاب النحيل أو شخصه، فقد كان صدام حسين شاباً مجهولاً ولم ترشحه الأقدار بعد لمصير استثنائي³⁶.

هذا الشاب كان يبحث عن سلّم ليتسلق نحو قمة السلطة ومركز صنع القرار، وقد زودته القومية بشعاراتها البراقة نقطة انطلاق، ولم يكن هناك أفضل من السلّم القومي "الحزب" الذي يعاني من الضعف والتشردم والذعر من المدّ الشيوعي. ولم يكن المجتمع العراقي واعياً جريئاً فيه من المناعة ما يكفي لصد النزعات الدكتاتورية ودرحها وهي في المهد، او القدرة على اكتشاف ماهية الاشخاص الانتهازيين المتلبسين بلباس القومية والوطنية وسدّ الطريق أمامهم، انما كان مجتمعاً ينتشي بسرعة وبسذاجة بالشعارات البراقة ويعاني من التخلف. ومستتقع السياسة الأسن وفرّ للمغامرين والوصوليين مجالات واسعة للترقي والاستحواد على مقادير مجتمعاتهم، وهذا يشمل المجتمع الكوردي أيضاً.

اضافة إلى "سلّم" "العشيرة والحزب القومي"، كان هناك "سلّم" آخر الا وهو "الجيش" لقد سعد طغاة الشرق الاوسط نحو الإمساك بلجام السلطة من خلال هذه السلالم وعبر الدماء وسموا انقلابهم أو حركتهم [بالثورة الوطنية العظيمة] فالضباط ذوي الرتب العالية والمتوسطة في الجيش كانوا محدودي الثقافة العامة وكانوا ميسسين من دون ان تكون لديهم المام بالديمقراطية او تصور شامل لإدارة دولة عصرية. لقد تدخلوا في السياسة دون معرفة كافيها بها، فتعسكرت الدولة على حساب ضمور المجتمع المدني.

هذه التشكيلات "الجيش"، "الحزب" و"العشيرة" في النهاية مثلت الحكومة الظالمة - ليست حكومة بالمفهوم الغربي- ولجأت في عملية الصراع السياسي في الشرق

36 الحياة 8/02/2004 . مقالة بعنوان: الرجل الذي قاد البعث العراقي الى السلطة في 1963 يكسر عقوداً من الصمت ويفتح للحياة اسراره.

الأوسط، نحو العنف والتصفيات الجسديه للخصوم. وهذا مايتطلب تجنيد رجال من نوع خاص. وبكلمة ادق، وجد "الإنتهزيون الاذكياء والقساة" فرصتهم في العمل الحزبي، تحت شعار خدمة "الوطن العزيز" والتفانى من اجل "الشعب العظيم" ورفع "راية الكرامة القومية عالياً". لقد استخدم حزب البعث العربى الاشتراكى صدام حسين فى عملية اغتيال عبدالكريم قاسم. وكانت هذه ثانى خطواته فى تسلقه سلم السلطة والهرب من اليأس.

هنالك، على صعيد "الاحزاب" و "الحكومات" فى الشرق الاوسط، حالات عديدة تميز علاقات "المغامر" بـ "السياسي" فى ظل التخلف السياسى والاجتماعى السائد. فالسياسى هو إلى حد كبير "نظري" وقد يكون درس او تخرج من احدى الجامعات، اما "المغامر المتسيس" فهو "عملي" السياسى المثقف يكتب دستور الحزب ويرسم سياساته ويحدد اهدافه البعيدة والقصيرة الامد. وهذا السياسى المثقف يؤمن باستخدام القوة فى عملية الوصول لسدة الحكم، لكن غياب الثقافة الديمقراطية والقيم الحضارية لدى النخب السياسية، كان يدفعهم نحو التماس عون "القوميين القتلة" فى محاربة الخصوم. وهكذا كان صدام حسين وامثاله يسدون فراغاً مهماً فى النشاط السياسى لحزب البعث العربى الاشتراكى. كما كان بإمكانه ان يأتى من بين عشيرته وأقربائه بأعضاء جدد يحملون نفس الميل نحو القسوة. وفى مجرى عملية التبادل بين "المثقف السياسى الضعيف" و"المغامر المتبنى للقومية"، ترجح بالتدريج كفة الأخير على كفة المثقف السياسى المتردد والخائف والانتهازي. وفى النهاية يستسلم المثقف السياسى إلى المجرم، بعد ان أصبح المجرم بطلاً قومياً، إثر تحقيقه لعدد من الانتصارات للحزب. ان "النزعة السادية" الواضحة فى عدد من أعمال الجيوش وأجهزة الامن والمخابرات والاحزاب فى بعض بلدان الشرق الاوسط (المجتمع الكوردي لاىستثنى) هى نتيجة لخلل فى ثقافة النخب السياسية التى لا تتوانى باستخدام القاتل وتوفر له مكانة سياسية مرموقة ولا تنشأ العراقل لمنع صعوده إلى الحكم. يضاف إلى ذلك وجود "ثقافة الإنبطاح" فى الأوساط الشعبية أمام الحاكم الطاغى، هذه الثقافة المتخاذلة، عندما تصطدم بالطاغية، تتبطح وتنتج نمط من السلوك الوقائى من خلال عملية تحويل "خوف الجماهير"، إلى انصياع و"ولع هستيرى بالمستبد والإفراط فى تعظيمه وتبجيله".

ولنعد إلى ما أتى به النظام الجمهوري من مكاسب للشعب الكوردي، فقد نصت المادة الثالثة من الباب الاول لدستور 27 تموز 1958 المؤقت: ".... ويعتبر العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية". في حين تنص المادة الثانية من نفس الباب الاول من الدستور: "العراق جزء من الامة العربية".

في واقع الامر هذا الاعتراف الدستوري - رغم كونه لا يتعدى الاطار النظري- كانت له اهمية سياسية، فلا النظام الملكي ولا سلطة الانتداب اعترفت دستورياً بالشعب الكوردي. ناهيك عن حكومات انقره وطهران ودمشق. لم يحدد الدستور نوعية هذه الشراكة. حكم ذاتي ام فدرالي. لكن استمرارية تحكم الادارة الاحادية الملكية القديمة في ظل الجمهورية والتي كانت الوصاية البريطانية قد فرضتها، ادى إلى بقاء هذا النص حبراً على ورق. لكن في كل الاحوال استبشر الشعب الكوردي بالنص ووقف داعماً النظام الجمهوري بحماس كبير. ولاشك ان المادة الثانية تناقض المادة الثالثة عندما تنص على ان العراق جزء من الامة العربية. ان هذا يعطي مفهوم ان الشعب الكوردي ليس الاقلية في الوطن العربي وهذا مخالف للحقائق الاثنية والتاريخية والجغرافية.

كما اعيد الاعتبار في 1 آذار 1959 إلى الضباط الكورد الاربعة الذين شاركوا في انتفاضة بارزان عام 1945 والذين اعدمتهم السلطات العراقية الملكية في عام 1947. وليس من شك ان قاسم كسب الكثير من الدعم الشعبي الكوردي جرّاء هذه الاجراءات وكان بالفعل محبوباً من الجماهير الكوردية لفترة من الزمن انتهت بتراجعته عن معظم الوعود وترسيخ حكم دكتاتوري عسكري.

يقول اوريل دان: «قصد [قاسماً] في 17 تموز وفد تهنئة برئاسة [ابراهيم احمد] وطلب الوفد منه ان يمنح المنطقة الكوردية درجة من الادارة الذاتية. فأبى [قاسم]. ورغم هذا يعتبر الكاتب ان المقابلة مع قاسم كانت ناجحة ومرضية. ويضيف: «ففي اليوم التالي اذاع راديو بغداد برقية إلى الامين العام للامم المتحدة موقعة من اعضاء الوفد نيابة عن خمسة آلاف كوردي موقع باسم «القومية الكوردية في العراق»، تعرب عن تضامن الكورد التام «مع اخوتنا العرب في الدفاع عن جمهوريتنا الفتية». وعلى اثر

ذلك اظهرت الحكومة حسن نيتها باطلاق سراح [الشيخ أحمد البارزاني] الأخ الأكبر [لملا مصطفى] وبقيّة الاشخاص ذوى العلاقة بالثورات البارزانية فى الأربعينات.»

37

فى يوم نشر الدستور المؤقت قابل قاسم وفداً كوردياً كان من ضمنه ابراهيم أحمد للتهنئة بالحدث، المحامى ابراهيم احمد كان سياسياً وشاعراً وريوائياً، ذاع صيت احدى اشعاره : "شيرين بهاره" "شيرين انه الربيع" غناها المطرب الكوردى المعروف طاهر توفيق، كما ألف رواية "جراح الامة" وكلها تحمل طابعاً وطنياً كوردياً تدور حول المعاناة والاضطهاد والغربة والتي يعانى منها الشعب الكوردى. نشط فى فترة الغليان السياسى التى اعقبت الانقلاب، ذهب لاستقبال ملا مصطفى مع عدد من الرفاق ضمنهم صادق بارزاني وعبيدالله بارزاني ، الابن البكر لملا مصطفى فى جيكوسلوفاكيا .

وتم واصل ابراهيم احمد مساعيه وكان هدفه الحصول على مكاسب ملموسة للشعب الكوردى، فقابل فى 19 آب 1958 مع عضوين من الحزب الديمقراطى الكوردى الموحد عبدالسلام عارف، والاخير كان وزيراً للداخلية وطلب منه اجازة باصدار صحيفة للحزب، فرفض ونصحهم بالاستفادة من جريدة الجمهورية. ورفض عارف ايضاً الاعتراف الرسمى بعيد نوروز، وذكر ان القانون يجعل 21 آذار "يوم الشجرة" كما طلب الوفد الكوردى منح الجنسية العراقية للكورد الفيليين البغداديين، ولم يوافق عارف على ذلك ايضاً.³⁸

وفى 6 من شهر تشرين الأول وصل ملا مصطفى بغداد وفى اليوم التالى زار قاسم برفقة ابراهيم احمد . ويظهر ان قاسماً كان يخشى من اندلاع النزاعات القبلية بعودة ملا مصطفى فأشار إلى الخصومات: "القديمة بين القبائل الكوردية واعرب عن امله بحلول التصافى والوثام والتحلّى بحسن النية".³⁹

37 العراق فى عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامى. ص: 172-173

38 العراق فى عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامى. ص: 174

39 العراق فى عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه

تأخر عودة البقية من البارزانيين من الاتحاد السوفيتي إلى شهر نيسان/ابريل من عام 1959 ووصلوا ميناء البصرة في 16/4/1959 وتم نقلهم إلى اربيل والبقاء هناك لفترة لترتيب امور السكن والعمل لهم. كانت الخلافات بين ملا مصطفى والشيخ سليمان، قد اندلعت اثناء اقامتهما في الاتحاد السوفيتي، وذكر لـ (كاتب هذه السطور) شخصياً المسؤول عن رعاية شؤون العائدين من البارزانيين، انه تلقى الاوامر الواضحة من ملا مصطفى مباشرة بوجود تشيت انصار [شيخ سليمان] وعدم السماح له و[السليمان بگ ده ركه له] بالسكن قريبين، انما يجب ابعاد احدهم عن الآخر. ان هذا الاجراء يكشف حرص ملا مصطفى في التضييق على من يعتبرهم معارضين لسياساته نزولاً إلى حدود السكن وخلق صعوبات الاتصال بينهم. في حين يبقى هو مختفياً وراء الستار. لكن يجب التنويه ان الخلافات بين الرجلين لم تسبب انقساماً لدى البارزانيين وذلك بفضل وجود شيخ بارزان حيث كان يمثل رمز الوحدة البارزانية.

طلب قاسم عند اللقاء بملا مصطفى تجاوز الخلافات القديمة والبدء بفتح صفحة جديدة، وحسب ما ورد في كتاب [اوريل دان] نقلاً عن ابراهيم احمد، ان ملا مصطفى أجاب: « انه مع احترامه العميق [لقاسم] يقرّ بان الصفع عن اعدائه الكورد أمر لا يقوى عليه وليس الأمر بيده لأنهم "مجرمون" ولا مرء في ان رواية [ابراهيم احمد] هي الصحيحة.⁴⁰ عندئذ طلب قاسم من ملا مصطفى الإقامة في بغداد، والسكن في منزل نوري سعيد القديم مع راتب بمبلغ (500) دينار عراقي شهرياً. ليس من شك ان الأعضاء القياديين في الحزب الديمقراطي الكوردي الموحد اندهشوا من طريقة التعامل التي تعامل بها ملا مصطفى مع عبدالكريم قاسم. فقد كانوا يعتقدون ان سنوات المنفى في الاتحاد السوفيتي غيرته. ولدهشتهم وجدوه انساناً لا يابيه بهم ويستمر في اسلوب تعامله القديم أزاء الأقوياء. ويذكر سعد جواد في اطروحته ان ملا مصطفى "خضع كلية لقاسم والذي رأى في الحزب - يعني (حدك) الموحد - وقائده أداة مفيدة لمواجهة الضغوط النامية من القوميين العرب وفيما بعد مواجهة المدّ الشيوعي".⁴¹

جرجيس فتح الله المحامي. ص: 175

40 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله إلى العربية وعلق حواشيه

جرجيس فتح الله المحامي. ص: 175

1970. By Sa'ad Jawad. P. 44,45. Ithaca Press- Iraq & the Kurdish Question 1958 41
London. 1981.

كان جلال الطالباني كثير النشاط وكان الناطق الصحفي لملا مصطفى ويكتب خطباته، ويقول بشأن المشكلة الساخنة والتي تمثلت في المواقف المتباينة للأحزاب والجماعات والأشخاص تجاه الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. فالحزب الشيوعي تبنى شعار الاتحاد الفدرالي في حين تبنى القوميون العرب (البعثيون) شعار الوحدة الفورية. "فانقسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى اتجاه موال للحزب الشيوعي العراقي وآخر استقلالي. ووقف سكرتير الحزب الاستاذ ابراهيم احمد موقف الوسط، في حين كنت على رأس الموقف الاستقلالي، اما الاتجاه الموالي للحزب الشيوعي فمثله الاساتذة حمزه عبدالله والمرحوم نزاد احمد نزاد وخسرو توفيق وحميد عثمان وصالح الحيدري."⁴²

لم تكن شعارات القوميين في مسألة الاتحاد الفوري جدية انما اريد بها احراج عبدالكريم قاسم، والشيوعيون ايضاً في الواقع لا يريدون الوحدة الفدرالية. في حين يذكر جلال الطالباني عن الموقف الكوردي: "ان شعوب الوطن العربي لها حق تقرير مصيرها بنفسها وان الشعب العربي في العراق له الحق في تقرير نوع العلاقة التي يفضلها مع بقية شعوب الوطن العربي. ونحن كأكراد لا يحق لنا الجزم في هذا الموضوع، ونؤيد في الوقت نفسه مايجمع عليه شعب العراق ضمن شروط، أولاً تحقيق الديمقراطية وثانياً ضمان حقوقنا القومية."⁴³

يمضى جلال الطالباني إلى القول: "ترك اشتداد الخلاف داخل حزبنا تأثيراته على نشاط اللجنة المركزية، فقد كانت اكثرية المكتب السياسي تميل إلى موقف الحزب الشيوعي، في حين كانت اكثرية اللجنة المركزية تميل إلى الموقف المستقل، ما دفعني وحميد عثمان إلى الخروج من المكتب السياسي، بشرط اجتماع اللجنة المركزية خلال شهر من ذلك، ولكنه للأسف لم يعقد. استغلت الكتلة الموالية للحزب الشيوعي، حادثة فشل حركة الشواف، وزيادة المد الشيوعي وتصوير عبدالكريم قاسم شيوعياً، وان الشيوعيين سيأخذون الحكم، فانضم ملا مصطفى اليهم، وبالتالي استحصلوا على قرار بتجميد نشاط الحزبي وبتوقيع من ملا مصطفى، وهو امر يخالف قواعد نظامنا الداخلي."⁴⁴

42 مجلة الوسط الاسبوعية. 1998/11/23. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

43 مجلة الوسط الاسبوعية. 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

44 مجلة الوسط الاسبوعية. 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

لم يكن الحزب الديمقراطي الكوردستاني بمنأى عن العقلية الاستتصالية رغم اسمه ورفع شعار "الديمقراطية"، ففي الشرق عموماً أسماء الاحزاب وشعاراتها هي إلى حد كبير أسماء تجميلية ولايتطابق الاسم مع النهج الفعلي. ويذكر جلال الطالباني حادثاً ذا مغزى كبير، فبعد ان نال شهادة البكالوريوس في القانون عاد من بغداد إلى اهله في كويسنجق بعد غيبة طويلة، فيقول: "تسلمت برقية من ملا مصطفى يبلغني فيها بضرورة حضوري إلى بغداد . وسافرت إلى بغداد ووجدت ان ملا وحراسه احتلوا مقرّ الجريدة وهو في حال عصبية. سلمني مفتاح الجريدة وطلب منى اصدارها، وقد حظى القرار بموافقة ابراهيم احمد"⁴⁵

ان هذا يكشف كيف كانت الخلافات السياسية تحلّ في قمة السلطة الحزبية، أخذ "المفاتيح" وطرد الفريق العامل، واعطاء نفس "المفاتيح" إلى "فريق" آخر في صالة الانتظار. وهناك دائماً فريق "ثوري" يرضى بأخذ المفاتيح، إلى ان يأتي دور مجموعة اخرى في الانتظار لتلقف "المفاتيح" من نفس اليد وهكذا إلى ما لانهاية. وتبقى القمة التي يحتلها "القائد" هي لا تتغير.

ويعلق الصحفي الفرنسي كريس كوتجيرا على شخصية ملا مصطفى بعد العودة الزائفة من الاتحاد السوفيتي بما يلي:

«فقد سيطر على أقدار الشعب الكوردي في العراق، فارضاً سلطته على الحزب الذي كان هو «الرئيس المؤسس» طارداً المناهضين له وجلب الاعتراف لشخصه من الجميع، من الجماهير الكوردية، من الجنرال قاسم، من السوفييت، كمثل وزعيم وطني لجميع أكراد العراق.

وكان يحبذ كثيراً أن يكون زعيماً لجميع الأكراد. لكنه هنا لاقى الفشل. وكان فشله الأساسي.

ولم يكن هو الوحيد في هذا المجال.

فللجنرال بارزاني عيب أساسي: فهو لا يعرف ماهو الحزب! ... يجد فيها «وسيلة» فتفكيره يتركز على «التسلط» ويجهل معنى «النقاش» و «المشاركة» وبديهي إنه يجهل «الديمقراطية».

وخلال سنوات النشوة الثورية، لم يكن على وفاق مع (حدك).... وعند عدم الارتياح

45 مجلة الوسط الاسبوعية. 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

للسياسة التي يتبعها الحزب، يحيل السكرتير العام للحزب جانباً ويعين بدله شخص آخر وهكذا دواليك. لكن رغم هذا المشهد أو ربما بسببه، وبوضوح فقد كان هناك تعثر بين هذا الحزب الثورى ورئيسه.

وهنا تكمن بذور أزمة 1964 وبعدها السقوط النهائى فى عام 1975.⁴⁶

ازدهرت الحياة الثقافية فى جوٍ نسبى من الحرية فى كوردستان، فقد اجيزت الصحيفة اليومية السياسية الكوردية "خه بات" النضال، وكانت لسان حال الحزب الديمقراطى الكوردستانى. ثم ظهرت «آزادى» الحرية، اصدرها الحزب الشيوعى العراقى فرع كوردستان. وتتالت المجالات والكتب والاعمال الادبية، "هه تاو" الشمس، Jin، الحياة، هيووا، الامل، Roje Neuy، اليوم الجديد، فى السليمانية. "روناهى" النور بالكورمانجية كانت تصدر فى بغداد. «شفق» الغسق كانت تصدر باللغتين الكوردية والعربية فى كركوك و"ده نكى كورد" صوت الكورد، تصدر فى بغداد بالكوردية والعربية. لاشك ان سنوات الكبت السياسى ادى إلى تراكم مادة ثقافية غنية وجدت فرصة التعبير عن نفسها فى العهد الجمهورى الاول القصير، فوجد العديد من الكتاب والمؤرخون والشعراء المجال لطبع مؤلفاتهم.

طلب ملا مصطفى وابراهيم احمد من وزارة الداخلية اجازة الحزب فى 9 كانون الثانى/جانيرى 1960 وارفقوها بالبرنامج الحزبى لعام 1959 وموقع من قبل 15 مؤيداً، فى نهاية الشهر ذهب ابراهيم احمد لتسلم الاجازة ومقابلة وزير الداخلية. استغرب ابراهيم احمد عندما ادرك ان الوزير سلمه برنامجاً يختلف عن الذى سلموه قبلاً. وادعى الوزير ان البرنامج الحالى كتبه قاسم نفسه، وان الاجازة منحت وفق البرنامج الجديد. وعند معارضة احمد نصحه الوزير لقاء قاسم.

لقد تغير الاسم إلى الحزب الديمقراطى الكوردستانى، وحلّ محل عبارة "وناضل" بـ "يسعى الحزب" وحذف اسم كوردستان من البرنامج. واستبدل "الشعب الكوردى" بـ "إخواننا الأكراد"، كما ان المادة المتعلقة بالحصول على الحكم الذاتى وتبنى النظرية الماركسية اللينينية حذفت من البرنامج.

Le Mouvement National Kurde. Chris Kutschera. Flammarion. 1979. page:212-

46
213

يقول سعد جواد فى كتابه (العراق والمسألة الكوردية 1958-1970) مايلى:

"أثناء لقاء بين قاسم وأحمد وملا مصطفى وزعماء آخرين من الحزب، ذكر قاسم ان كلمة "الحكم الذاتى" ممكن ان يستخدمها الأعداء ضده والثورة لاتزال طرية العود". فالحكم الذاتى قد يعطى لهؤلاء الأعداء فكرة فقدان الارض العربية " وقال انه متعاطف مع حق الأكراد فى الحكم الذاتى لكن ليس إلى حد تضمين هذا الحق فى البرنامج. "يمكن الإشارة إلى ذلك فى صحافتكم " قالها لأحمد.. وفيما يخص النظرية الماركسية اللينينية ذكر شارحاً انه مادام قد رفض منح الاجازة للحزب الشيوعى العراقى بسبب ذلك، فانه من المتعذر عليه قبول ذلك من حزب آخر. لقد ظفر قاسم فى كسب الوفد الكوردى وتم قبول التغييرات حتى اسم الحزب تغير وفق نصيحة قاسم إلى الحزب الديمقراطى الكوردستانى (حدك).

كان هذا اللقاء هاماً ليس فقط بسبب التغييرات التى جرت على برنامج الحزب الديمقراطى الكوردستانى انما أظهرت مدى نفوذ قاسم على الحزب وضعف إنتماء الحزب العقائدى وكانت مؤشراً على تدهور العلاقات بين قاسم وحدك. فأثناء النقاش الطويل الذى حصل اتهم عبدالكريم قاسم، إبراهيم أحمد وعدد من رفاقه بالتعاون مع العناصر المعادية لإزاحته من السلطة، مشيراً إلى تعاون أحمد مع القوميين العرب فى بداية الثورة، وقد قبل ابراهيم أحمد وجماعته التهم على مضض من أجل الحصول على الإجازة. إلا أنه أثناء المؤتمر الخامس عام 1960 رفض الحزب تعديلات قاسم بينما أبقى على الاسم الجديد.⁴⁷

يبدو ان قاسم لم يطمئن جانب أحمد وهذا ما أكده الوزير الكوردى فى حكومة قاسم عونى يوسف.⁴⁸ وأيضاً كان أحمد شاكاً فى نوايا قاسم. وقد ازدادت شكوك قاسم نحو أحمد و(حدك) اثر توزيع عدد كبير من الخرائط فى بغداد وكوردستان بعد الثورة شبيهة بتلك الخرائط التى قدمت فى مؤتمر السلام فى باريس عام 1919 تمثل "كوردستان الكبيرة". جىء بنسخ منها إلى قاسم واتهم الأخير (حدك) بتوزيعها.⁴⁹

1970. By Sa'ad Jawad. P. 49,50. Ithaca Press- Iraq & the Kurdish Question 1958 47
London. 1981

Ibid. P: 59. 48

Ibid. Page : 70 - 71 49

ولنعد إلى كوردستان حيث المشاعر المناهضة للأغوات الذين قاموا بأعمال إجرامية ضد البارزانيين وبتواطء مع النظام الملكي كانت جامحة وقدمت شكاوى تدعوا إلى محاكمتهم من قبل السلطة الثورية لكن دون جدوى. وكان شقيقان من الاغوات مسؤولين عن معظم اعمال الجرائم والسرقات والسطو، هما محمود آغا الزيبارى حماي ملا مصطفى وأحمد آغا زيبارى. وكان ملا مصطفى واعياً لمشاعر الثأر المتفشية عند البارزانيين ضد هذين الشقيقين من الاغوات، لكنه كان شديد العاطفة نحو والد زوجته فعمل بكل مالمديه من دهاء ونفوذ إلى حمايته ومنع الانتقام منه وتحويل مشاعر العداة نحو أحمد آغا الزيبارى فقط.

تهياً عدد من البارزانيين للقضاء على أحمد آغا الزيبارى منهم:
ملا حسن بابيزدين، قتل الاغوات والده الهرم وهو لا يزال فى المنفى الروسى.
"كنا قد أشرنا فى كتابنا السابق (المقاومة الكوردية للإحتلال 1914 - 1958) إلى هذه الاحداث"

حاجكى جه مى (Hajke Cemi) هو الآخر علم بمقتل شقيقه بعد عودته من المنفى الروسى
عيسى سوار
ورابعهم هو سعيد ملا عبد الله
هؤلاء جميعهم كانوا ضمن المجموعة البارزانية التى التجأت إلى روسيا.

كان أحمد آغا الزيبارى يتردد على مدينة الموصل لزيارة عدد من الموظفين الحكوميين الناقمين على بارزان، هؤلاء كانوا يساندونه ويثيرون الخلافات، وكان عدد من المتعاونين يأتون بالمعلومات حول تنقلات الآغا. فرصدوه فى 4/11/1959 فى أحد شوارع مدينة الموصل وتابعوا خطى الآغا بعد خروجه من احدى المبانى الحكومية، وعندما شعر بالخطر من دنو البارزانيين منه وهم يفصحون له علناً عن هويتهم، حاول الهرب، لكن البارزانيين تعقبوه وأطلقوا عليه النار من مسدساتهم إلى ان وقع ميتاً فى الشارع. لم يدافع عنه احد من مرافقيه، انما تخلوا عنه، وقبضت السلطات على البارزانيين الاربعة واقتيدوا إلى السجن. كانت عملية قتل علنية واسبابها معروفة. فالسلطات العراقية الجمهورية لم تتخذ اية اجراءات ضد هؤلاء الاغوات ولم تعر اهتماماً لما قام به هؤلاء من ظلم مفرط.

ولابد من ذكر ان المدّ الشيوعي الذي رافق الانقلاب وسن قانون الاصلاح الزراعى ادخل الرعب في نفوس الاغوات الكورد والملاكين العرب. فقد عبّر شيخ رشيد لولان وهو من المتنفذين في مناطق برادوست المحاذية للحدود الايرانية عن رفضه التغيير في بغداد بابداء المقاومة ضد النظام الجديد. ولايستبعد انه تلقى التأييد من نظام الشاه، اذ كان الاخير قلقاً من خروج العراق من المعسكر الغربى نحو تقوية العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وبروز المدّ اليسارى بقوة وتقرب الحكومة الجديدة من الشعب الكوردى وبروز احتمالات الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. ولمواجهة تمرد شيخ رشيد لولان فى ايار/مايس عام 1959، هرع الحزب الشيوعي العراقى (بمقاومته الشعبية) والحزب الديمقراطى الكوردستانى إلى حشد القوات لمواجهة شيخ رشيد لولان، حماية للنظام الوطنى.

بعد هزيمة قوات شيخ رشيد لولان، حصل خلاف بين الحزب الشيوعي العراقى والديمقراطى الكوردستانى، اذ ادعى كل طرف في بياناته بأهمية دوره والانتقاص من دور الطرف الآخر، خاصة ان فاخر محمد آغا ميركه سورى هو الذى تولى قيادة القوة الشيوعية، والاخرى قادها ملا مصطفى نفسه. وكان فاخر شيوعياً ولم يكن على وفاق مع ملا مصطفى. لم تصمد قوات لولان طويلاً اذ انسحبت إلى داخل حدود ايران، وبذلك تم اعادة السيطرة على المنطقة. وكان ذلك موضع تقدير من عبدالكريم قاسم للحزبين. وبعد فترة منح قاسم العفو عن شيخ رشيد لولان وعاد إلى موطنه، وربما أراد قاسم من وراء ذلك سحب اى ذريعة قد يلجأ اليها النظام الايرانى ضد العراق، او ربما لاستخدامه ضد بارزان في وقت لاحق.

لقد كان قادة الشعب الكوردي المتمثلين في الحزب الديمقراطى الكوردستانى قد عرفوا منذ الايام الاولى للثورة نيات الحكومة غير الحسنة تجاه الشعب الكوردي وحقوقه القومية وعرفوا كذلك طبيعة قاسم الميالة للدكتاتورية والسيطرة واستهانتته بالشعور القومى الكوردي، لقد تحدث الأستاذ ابراهيم احمد سكرتير البارتي مجمل هذه الحقائق للجنة المركزية للحزب المذكور بعد اجتماعه مع قاسم.⁵⁰

50 الحركة القومية التحررية الكوردية في كوردستان العراق . 1958- 1964 . البروفيسور د . كاوس قنطان . تموز 2004 . وزارة الثقافة - المديرية العامة للطباعة والنشر . سليمانيه . ص: 122

قد يتسائل المرء، لماذا فى هذا الجو السياسى المؤاتى الملىء بشعارات التآخى العربى الكوردى الآشورى الكلدانى التركمانى والاجماع على حماية الجمهورية الفتية، لماذا لم تطور الحلول الديمقراطية لحل المسألة القومية بشكل يكفل الاستقرار والمساواة فى العلاقات بين الشعوب؟

لاشك ان جو التآخى كان على النطاق الشعبى ولم يشمل المسؤولين الرسميين الحكوميين. فالقوميون العرب كانوا معادين للحقوق الكوردية ولا يخفون عدائهم. وبهذا الصدد يذكر الدكتور كاوس قفطان: ".... فالكتل القومية وجناحها فى السلطة ويمثلها عارف ارادت فرض وحدة فورية على العراق من دون اعطاء أي اعتبار لوجود الشعب الكوردي ودون أي حساب لحقوقه ومصيره وظهر كذلك فى معارضة هذا الجناح لعودة البارزانيين إلى وطنهم، فعارف الذى كان القائد الثانى بعد قاسم - عبر عن معارضته لعودة البارزانيين - فإنه قد قابل الشيخ احمد البارزاني فى مكتبه بوزارة الدفاع والذى جاء مهتماً بالثورة، قابله بالاهانة والتهديد حيث هدده امام جمهرة من الضباط والمسؤولين بان الحكومة سوف تهدم بيوتهم وتبيدهم من الوجود اذا فكروا فى مقاومة السلطة او اذا لم يخلدوا إلى السكينة."⁵¹

كالعادة تتجاهل القوى السياسية المهيمنة فى بغداد جذور القضية التاريخية والارث الاستعمارى الذى بقى دون تغيير فى ذهن القادة فى بغداد. فتم تجاهل حقيقة ان كوردستان الحقت قسراً بالعراق. ويشهد تاريخ الإنتفاضات الكوردية رفض الشروط الإستعمارية التى فرضت عليهم. فالثورات المتلاحقة منذ بدء تكوين الدولة العراقية وحتى انهيار نظام صدام حسين، تعكس واقع الرفض الكوردي للمخطط الاستعمارى البريطانى. فى حين يرى القادة القوميون العرب الحاق مايقارب 75000 كيلومتر مربع من ارض كوردستان الغنية بالنفط بالعراق توسعاً فى النفوذ العربى جغرافياً وسياسياً واقتصادياً، وهكذا اصبحت الحدود الاستعمارية حدوداً مقدسة والويل لمن يمسه ولمن يبغى تغيير الارث الاستعمارى. فخلال القرن الماضى لعب الجيش البريطانى والعراقى دور المحتل لكوردستان وقضوا على كل مقاومة او حركة تحررية كوردية بقوة السلاح.

51 الحركة القومية التحررية الكوردية فى كوردستان العراق . 1958- 1964 . البروفيسور د . كاوس قفطان . تموز 2004 . وزارة الثقافة - المديرية العامة للطباعة والنشر . سليمانيه . ص: 122

وبدل مواجهة الأسباب التاريخية للقضية الكردية لجأت النخب العراقية الحاكمة استخدام لغة "المجاملات" مثل "اخواننا الأكراد" و "شمالنا الحبيب" ووصفت الانتفاضات الكردية بالانفصالية وتكوين "اسرائيل ثانية" وسأقت الجيوش مرتكبة مجازر وصلت في النهاية مرحلة الإبادة الجماعية.

"في المرحلة الأولى من عمر الجمهورية كان نظام قاسم مهتداً من قبل القومييين العرب الملتفتين حول عبدالسلام عارف، واعتمد قاسم في مواجهتهم على الحزب الشيوعي العراقي والكورد. وفي المرحلة الثانية والتي بدأت في 14 تموز 1959 حاول قاسم بشتى الوسائل كبح جماح الحزب الشيوعي العراقي والذي أزعجه تنامي نفوذه الهائل. وفي مواجهتهم اعتمد على عناصر انتهازية مدنية وعسكرية وعلى الجناح المعادي للشيوعية في الحزب الوطني الديمقراطي، ونجح قاسم في تقسيم (حشع) إلى ثلاث مجموعات متنافسة، وفي حالات اخرى استخدم حتى عناصر قومية عربية، أعدائه في الماضي القريب، وايضاً على الاخوان المسلمين وبقايا النظام السابق.

كان قاسم بسياسة فرق تسد تجاه الاحزاب، ومساغيه في شقها داخلياً، يحفر قبره بنفسه، ويهيء الفرصة لاعدائه الحقيقيين من البعثيين في الانقضاض عليه من داخل مؤسسة الجيش المغامرة. وبشكل عام في هاتين المرحلتين بقيت علاقات قاسم جيدة مع الكورد. وقد حاول قاسم ممارسة السياسة نفسها ضد الحزب الديمقراطي الكوردستاني وذلك قبيل عقد المؤتمر في بغداد، ويقول جلال الطالباني بهذا الصدد: "بعث قاسم رسالة نقلها المرحوم عونى يوسف، وزير الاسكان والعضو في قيادة حزبنا، مفادها ضرورة ترك ملا (يعنى ملا مصطفى) خارجاً لأنه رجل عشائري وانتم حزب مدنى. وواضح ان الهدف احداث انشقاق في صفوف الحزب، تماماً كما فعل مع الحزب الوطني الديمقراطي بين الاستاذين المرحوم كامل الجادرجى ومحمد حديد طبعاً إتبهننا إلى ذلك. واخبرنا الوزير باننا لن نمش في انشقاق وان الطلب غير مقبول."⁵²

52 المجلة الاسبوعية (الوسط) العدد : 357 . جلال الطالباني يتذكر : ص : 26 . 6 كانون الاول 1998

انتبه الحزب الشيوعي العراقي إلى النزعة الدكتاتورية المتنامية لدى قاسم فطلب سلام عادل سكرتير الحزب مقابلة قاسم في شهر ايار عام 1959، «ومن خلال المناقشات التي استعرض فيها الوضع السياسى والمخاطر التي تواجه الجمهورية والأساليب المتجددة التي يلجأ اليها الاستعمار وعملائه وبالاخص تفرقة صفوف القوى الوطنية ودق اسفين بينها وبين السلطة الوطنية لضعافهم جميعاً وتمير مؤامراته. ان ذلك يتطلب بالضرورة احياء جبهة الاتحاد الوطنى واطلاق الحريات الديمقراطية للعمل السياسى. ضحك قاسم ورد على سلام عادل بسؤال هو، لماذا يحتاج حزب المليون؟

(يقصد مظاهرة أول أيار التي قدر عدد المساهمين بمليون متظاهر! وأردف بسؤال آخر هو "ثم من من الاحزاب يمكن ان ينضم اليها! هل تقصد الحزب الوطنى الديمقراطى! هذا الحزب الذى كان كلما اشتد الارهاب على الشعب يتركه ليتدبر بنفسه ثم ينسحب من الساحة. أما حزب الپارتى فالملا مصطفى البارزانى ذهب إلى الاتحاد السوفيتى وبقى هناك سنين طويلة مرتاحاً، أما نحن فقد كنا معرضين للخطر فى كل الأحوال. هل انت تعول على هؤلاء لصيانة الجمهورية!

وهكذا حاول قاسم أن يدس على الأحزاب الوطنية وعلى القوميين الأكراد ساعياً لكسب تأييد حزبنا ضدهم، وتصديع جبهة الشعب لهذا عرج بمكر على الأحزاب التي تستحق حرية العمل المشروع. أجابه سلام عادل بلهجة قاطعة: «لانريد هذه الحرية حتى وان اقتصرت على حزبنا..... نريد حرية للجميع... لجميع الأحزاب والقوى الوطنية المخلصة».⁵³

ولعل من أكبر نقاط ضعف قاسم تتجسد فى عدم الشروع بانشاء تنظيم شعبى جديد موال له، فقد كان يعتقد انه مقبول شعبياً ك "زعيم أوحده" ولم يع مدى كراهية القوميين العرب له ولم يسلم القوى المناهضة للشوفينية العربية والعناصر البعثية الحاقدة، انما ناهض الحزب الشيوعي العراقي وحارب الأكراد، فدمر نظامه فى النهاية وقضى على آمال من أحبوه وأيدوه.

53 سلام عادل سيرة مناضل . الجزء الثانى . ثمينة ناجى و نزار خالد . ص 17 . 18 . الطبعة الاولى 2001 . دار المدى للثقافة والنشر .

كان الحزب الشيوعي العراقي يسعى إلى تغيير سياسة الحكومة ببطء هائل من خلال سياسة سماها بـ (الضغط من الاسفل) ويتمثل في تحريك الشارع العراقي واقتناع قاسم على تبني مطالب الشارع العراقي. بينما كان القوميون العرب والبعثيون يعملون بسرعة خارقة من خلال "الضغط من الاعلى" اى السعى إلى استلام السلطة عن طريق انقلاب عسكري. ففشل الشيوعيون رغم كونه أكثر الأحزاب شعبية ونجح البعثيون في استلام السلطة من خلال انقلاب دموى رهيب في 8 شباط عام 1963 رغم أنه كان حزباً صغيراً.

لقد اتسمت تصرفات عبدالكريم قاسم بسمة اخلاقية، فقد كان ينتظر من الذين أحسن لهم تبني مواقف ولاء تجاهه، ففي نظره ان السماح لملا مصطفى والبارزانيين بالعودة إلى الوطن وإطلاق سراح شيخ بارزان من السجن هي من الفضائل الكبيرة التي لا تنسى، وان كل ذلك سيضمن له ولائهم الدائم بغض النظر عن التقلبات السياسية، وعندما اصطدم بواقع التحولات السياسية وحصل الفراق، اتهمهم "بنكران الجميل".

ولابد من القول بان شيخ بارزان احتفظ بالاحترام والتقدير لشخص عبدالكريم قاسم وتآلم كثيراً لمقتله وكان يذكره دائماً بالخير في مجالسه.

الإنعطاف 1960/10/23 عصمت شريف فانلى

هنالك منحى واضح ومتعمد لدى مسؤولي (حدك) في تقليل أهمية الدور الذي لعبه عصمت شريف في الساحة السياسية الكردستانية، فقد كان عصمت أكثرهم ثقافة ومبعثاً على الإحترام ولديه رؤية سياسية واضحة فيما يخص حق الشعب الكردي في تقرير مصيره. ومن الأهمية هنا ان نشير إلى ملاحظات دونها هو عن هذه الفترة التي أعقبت إنقلاب 14 تموز ونشاط جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا. ولنمضي مع ملاحظاته:

«قدمت في 1958 أو 1959 طلباً لكي تصبح الجمعية - جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا - عضواً مشاركاً في (اتحاد الطلبة العالمي) وكلمة «مشارك» تشير إلى اننا نقبل قسماً من أهداف الاتحاد العالمي وان الجمعية تحتفظ بحريتها فيما يتعلق بأهدافها وتحرير كردستان من الاستعمار. وفي شهر اكتوبر من عام 1960 عقد (اتحاد الطلبة العالمي) مؤتمره السنوي في بغداد بحضور وفد الجمعية الذي كنت اترأسه والى جانبي كاك كمال فؤاد وكوردي عراقي آخر هو، محمد أمين هاورامي. كما اتفقت مع صديقي (بليكان Pelikan)⁵⁴ بان تفصل هذه الكونفرانس في قضية انتماء جمعيتنا إلى اتحاد الطلبة العالمي، بصفة (عضو مشارك) ام لا. سافرنا جواً من براغ إلى بغداد، ونزلت الوفود في دار خاصة للطلبة، واتصل وفدنا رأساً بحدك، وكانت علاقاتي قوية مع مام جلال. وكان (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) وفد الدولة العراقية المضيفة ويسيطر عليه الحزب الشيوعي العراقي، وكان يترأسه شيوعي عراقي اسمه مهدي الحافظ، واخذنا الوفد العراقي لزيارة معرض اثنوغرافي عراقي قبل بدء المؤتمر. فوجدت في المعرض صوراً لازياء قومية عراقية، منها ازياء وطنية كردية كتب عليها "ازياء شمال العراق" واخرى عربية كتب عليها "جنوبي العراق" فقلت لمهدي الحافظ مؤنباً لماذا لاتكتبون "ازياء كردية" او "ازياء عربية" كما يفعلون حتى في الاتحاد السوفيتي حيث يعترفون بالقوميات سواء أكانت روسية أم ارمنية ام آذرية ام تركمانية وغيرها؟

54 من أصل تشيكي من براغ وكان رئيساً لإتحاد الطلبة العالمي.

وقبل بدء المؤتمر كتبت نص الخطاب الذي ألقيته باسم الجمعية. وبعد تحية الثورة العراقية (14 تموز) والجنرال عبدالكريم قاسم والدستور العراقي المؤقت لاعترافه في المادة الثالثة بوجود الاكرد كقومية إلى جانب القومية العربية وشريكها في العراق، انتقدت المادة الثانية من الدستور القائلة بأن "العراق كدولة هو دولة عربية وجزء من الامة العربية" فقلت هنالك تعارض في الدستور المؤقت علماً بأن العراق العربي فقط هو جزء من الامة العربية، في حين ان كوردستان العراق هي "جزء من الامة الكوردية التي قسمها الاستعمار" وذكرت لكمال فؤاد ومحمد امين ما كتبه بالفرنسية عن هذه النقطة قبل القاء الخطاب، فقال كمال فؤاد "ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني (حدك) لم يبحث حتى الان هذه النقطة الاساسية" ولكن فكره كان في الواقع مثل فكري، وقال الاثنان: "اترك الخطاب كما تعتقده صحيحاً" وهكذا كان.

وفي اليوم التالي لدى بدء المؤتمر قرأت خطاب الجمعية بالفرنسية وكان كلامي يترجم للعربية (التي كانت احدى لغات المؤتمر). واحتج العراقيون الشيوعيون من الخطاب لاننى كتبه بالفرنسية وليس بالعربية، وبصورة أخص ها جمونى لانتقادى لدستور الجمهورية العراقية المؤقت، ولطلبي ان تنتمي جمعيتنا كعضو مشارك في الاتحاد العالمي للطلبة. فقلت لهم "اننى لست مجبوراً لأن أكتب خطاباً باسم منظمة كوردية وتحوي اعضاء غير عراقيين باللغة العربية". في الواقع كان بين الوفود الاجنبية الممثلة في المؤتمر نحو عشرين وفداً يمثلون مستعمرات فرنسية في افريقيا وغيرها وأصبحوا من اعز اصدقائنا اذ كنت اتكلم معهم بالفرنسية. وخلال مدة يومين تقريباً انقلب المؤتمر الى ساحة عراك وخصام بين وفدنا ووفد الجمهورية العراقية، الذي مانع ممانعة شديدة في انتماء الجمعية لاتحاد الطلبة العالمي بصفة "عضو مشارك". وكانت أخبار المناقشات تنشر في الجرائد ومنها (خه بات)، ولما علمت الجماهير في كوردستان ماذا يحدث داخل المؤتمر وموقف (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية - وهو موقف الحزب الشيوعي) قامت بمظاهرات صاحبة وحطمت مراكز الحزب الشيوعي في كوردستان الذي كان يسيطر على ماكان يسمى "بالمنظمات الشعبية" أي منظمات الطلبة والشبيبة والمرأة والكتاب وما إلى ذلك من المنظمات المهنية، كلها كانت بيد الحزب الشيوعي وليس بيد (حدك) أي واحدة منها. وبسبب هذه القضية تحول الرأي العام في كوردستان لصالح (حدك) لأول مرة. ووصلتني

من كوردستان أكثر من 50 برقية كلها تؤيد موقف جمعيتنا، وجاءتنا دعوات لزيارة كوردستان بعد نهاية المؤتمر. وقبل نهاية المؤتمر ترجمت بنفسى نص خطابى من الفرنسية للعربية واعطيته للسيد ابراهيم احمد سكرتير المكتب السياسي في (حدك) والمشرف على (خه بات) فنشره فيها اثناء وجودي في بغداد مع مقدمة صغيرة بعدة أسطر قال فيها "بأن الحزب لم يشأ حتى الان بحث القضايا التي يثيرها الدستور المؤقت حفظاً لمكاسب ثورة 14 تموز" مما يعني ضمناً بأن (حدك) يؤيد ماجاء في خطابي باسم الجمعية حول تعارض المادتين الثانية والثالثة من الدستور المؤقت. وحدث آنذاك أن دعيت كافة الوفود الحاضرة في المؤتمر لأمسية في حديقة عامة وكان الطقس جميلاً وجاء الجنرال عبدالكريم قاسم شخصياً لاستقبال الوفود والترحيب بها، وكان رئيس اتحاد الطلبة العالمي، صديقي Pelikan، يقدم رؤساء الوفود لرئيس الجمهورية العراقية وفدا بعد وفد، وقدمني لعبدالكريم قاسم والى جانبي الأخين كمال فؤاد ومحمد امين هاورامي.



بليكان يقدم عصمت شريف لرئيس الدولة العراقية عبدالكريم قاسم. بغداد 1960

وفي اليوم التالي جاءني ضابط أمن عراقي لمقر وفود الطلبة وأخبرني بأنه يجب «ان أغادر العراق بأمر الحاكم العسكري في 24 أو 48 ساعة» وكان مؤدياً. فقلت لكمال فؤاد ومحمد أمين بأنني لأرغب بمغادرة العراق بل أريد «زيارة كوردستان التي لا اعرفها الا في الكتب ولدى وفدنا مئات الدعوات من المنظمات الكوردستانية لزيارة

الوطن». وفي الواقع ان الفكرة خامرتني بعدم الامتثال لأمر الحاكم العسكري تلبية لدعوة الجماهير الكوردستانية. وكان هذا الأمر لي فقط ولايخص كمال فؤاد ومحمد امين بصفتهم عراقيين. فعقد المكتب السياسي لحدك اجتماعاً طارئاً واتخذ القرار بأنه يجب ان امتثل لأمر الحاكم العسكري، وجاءني مام جلال لاجباري بالقرار قائلاً « اذا خالفت الأمر وذهبت لكوردستان فسوف تأتي الشرطة للقبض عليك واخراجك من العراق بالقوة، وبذلك تضع (حدك) في موقف محرج، واذا ماحاول الحزب الدفاع عنك فمعناه بدء ثورة كوردية ونحن لسنا في وضع للقيام بثورة الآن». ثم أضاف: «كك عصمت، لقد ربح (حدك) خلال هذا الاسبوع في كوردستان، أكثر مما ربحه خلال عشرة سنوات ماضية». فقلت لجلال الطالباني بأن الجماهير الكوردية تفضل السياسة الواضحة والأهداف الوطنية الثابتة. - الرجاء قراءة نص خطابه في ملحق لهذا الفصل - وقبل مغادرتي للعراق في اليوم التالي زرت ملا مصطفى بارزاني في داره في بغداد، وكان اول لقاء به لاستودعه وقدمت احتراماتي له، فأشتكى من دكتاتورية عبدالكريم قاسم ومن توزيعه السلاح على أغوات اكراد من زيبار للإعتداء على بارزان. وقال: «لم اعد آمناً على سلامتي في بغداد وافكر بالرجوع إلى بارزان». وبعد عودتي لسويسرا قدم ابراهيم احمد للمحاكمة لنشره في (خه بات) نص الخطاب الذي قدمته في المؤتمر، وفي نظر الدولة كان هذا النص بمثابة «تحريض للتمييز العنصري بين العراقيين». وبدأ عملاء قاسم في الصحف الموالية للحكم بالدعوة «لصهر الاكراد». وكل ذلك كان من أسباب بدء ثورة أيلول بعد عدة أشهر.

في عام 1960 أو 1961 عقد مؤتمر الجمعية في برلين ودعونا لحضوره الجنرال احسان نوري باشا من طهران، فجاء واحتفينا به، وقال لنا بأن حكومة طهران لم تسمح له بالمجيء لبرلين الا برفقة ضابط من المخابرات - السافاك - في لباس مدني. ولم يأت هذا الضابط لقاعة المؤتمر انما بقي في فندقه. وأضاف احسان نوري: «لم تسمح الحكومة الايرانية بمجيء زوجته معه، ولولا بقائها في طهران - كشبه رهينة - لما رجع لطهران بل طلب اللجوء من المانيا والبقاء في اوروبا».



إحسان نوري باشا وعصمت شريف فانلي وطلبة أكراد. برلين. 1961

لدى بدء ثورة أيلول 1961 بدأت أعمل في المجالات الدولية ليس باسم الجمعية الطلابية، بل باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي، أو بالأصح الامة الكوردية) وكنت في الواقع الوحيد الذي كان يعمل بهذا الاسم واتصل بالمنظمات الدولية ولاسيما في جنيف تحت هذا الاسم من تلقاء نفسي (ولهذا تركت التدريس في باريس).⁵⁵

في صيف عام 1962 جاءني خبر من المرحوم عبد الله اسحاقى (كان سكرتير حدك) إيران) الذي كان في بيروت وسألني فيما اذا امكنتي ان اسافر إلى بيروت لرؤيته وان عنده اخبار من طرف مصطفى بارزاني والثورة. فاتفقنا على ان اسافر وسافرت بحراً وكان الأخ اسحاقى وبعض اكراد بيروت في انتظاري في المرفأ. وكان قد استأجر شقة صغيرة وبدأ بالإتصال بالأوساط الصحفية الغربية في بيروت. فنزلت ضيفاً في شقته وبقينا سوية نحو اسبوعين. ولم يكن يحمل اية رسالة لي من طرف الثورة بل قال ان البارزاني تسائل لماذا لا اعمل مع الثورة؟ فقلت له

55 فتحت الحكومة الفرنسية فرعا خاصاً لتعليم حضارة كردستان في جامعة السوربون، وكان ذلك لأول مرة في العالم لتعليم حضارة وتاريخ كردستان: وباقتراح من الدكتور كامران بدرخان عينت وزارة المعارف الفرنسية عصمت شريف كمحاضر في هذا الفرع الجديد. (المصدر: مذكرات عصمت شريف فانلي غير مطبوعة).

هذا ما بدأت به من تلقاء نفسي باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) . ثم رجعت لأوروبا ورجع هو لكوردستان العراق مع مسؤول مكتب صحيفة (نيويورك تايمز) للشرق الأوسط Dana Adams Schmidt الذي اجتمع بالبارزاني في مركز الثورة وكتب عنها كتاباً في عام 1964 نال به جائزة صحفية اميركيه . كان اسحاقى الملقب (بأحمد توفيق) في خدمة البارزاني وشديد الاخلاص له وانساناً شجاعاً وذكياً وجريئاً، وكان مقتنعاً بأن من مصلحة كافة احزاب الأمة الكوردية العمل لنجاح ثورة كوردستان العراق، أي ان افكاره كانت قريبة جداً من أفكارى . علمت بأن البعث قد قتله،⁵⁶ لا أدري متى، رحمه الله .

في عام 1963 تركت رئاسة الجمعية وانتخب الاخ كمال فؤاد رئيساً لها، وذلك رغبة منى العمل باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) أكثر فأكثر.⁵⁷

ما قرأناه يظهر مدى تعاضد وتأثير متقضى الامة الكوردية على الحركة التحريرية في جنوب كوردستان، فعصمت شريف فانلى هو من اكراد شمال كوردستان، بالأصل من قرية Zivike المطلة على مدينة (وان)، كان جده قد هاجر أواخر القرن التاسع عشر الى الشام وعاش في حي الأكراد بدمشق حيث ولد عصمت... وعبد الله اسحاقى — سكرتير الحزب الديمقراطى الكوردستانى (إيران) ولد في مهاباد، وجميل محو الذى أصبح فيما بعد (سكرتير عام الحزب الديمقراطى الكوردي في لبنان) من الأكراد المهاجرين إلى لبنان من شمال كوردستان . والأمير كامران بدرخان من أكراد شمال كوردستان، وقد لعب دوراً كبيراً في إقامة الحركة الكوردية العلاقات مع الخارج، وكان قد التقى بعدد من المسؤولين الاسرائيليين ضمنهم Golda Meier .

وكان عدد من المثقفين الكورد ومن جميع أجزاء كوردستان، يسعون إلى اسماع صوتهم في أوروبا، فقد تأسست (جمعية الطلبة في أوروبا) في Wiesbaden سنة 1956، ويذكر عصمت شريف فانلى : "وكنا فقط 17 أو 18 من الطلبة كلهم من أكراد العراق أو سوريا ومعظمهم كانوا شيوعيين أو تحت تأثير الأحزاب الشيوعية وكان

56 تعليق من المؤلف . قتل احمد توفيق في بغداد عام 1972 على يد عملاء جهاز الأمن البعثى .

57 من مخطوطة يدوية كتبها عصمت شريف فانلى بتاريخ 30 آذار 2005 - لوزان - وفيها نبذة عن حياته .

هؤلاء لا يرغبون بتأسيس اية جمعية كوردية، نظراً لوجود جمعيات طلبية عراقية او سورية او ايرانية...الخ، ثم قبلوا نظراً لاصرارنا، انما حصلوا في الانتخابات على اكثرية صوت واحد - لأنني لم أصوت بنفسي - وبقيت الجمعية حبراً على ورق. لاحظ ان المرحوم عبدالرحمن قاسم لم يحضر الاجتماع من براغ (لميوله الشيوعية) . وبعد ثورة عبدالكريم قاسم وانهيار الملكية العراقية نظمنا اجتماعاً عاماً في لندن عام 1958، وهناك عدلنا دستور الجمعية، وانتخبي الاخوان رئيساً لها. كان المرحوم نورالدين زازا قد أخذ المبادرة في الدعوة لتأسيس الجمعية، ولكنه رجع إلى سوريا مباشرة بعد مؤتمر فيسبادن في 1956.

ومنذ 1958 بدأت بالأسفار باسم الجمعية في اوربا، وكان من أوائل أسفاري عام 1959 عبر المانيا ثم السويد وفرنلندا إلى روسيا السوفياتية، ليننغراد وثم موسكو. وهناك تعرفت على المرحوم البروفسور كوردوئيف والأخوان جليلي جليل وأوردوخان. كنت أكتب عن أسفاري كلمات كانت تنشر في (خه بات). رأيت جلال طالباني في عام 1959 في زيارة له في أوروبا وأصبحنا مقربين لبعضنا.

نظراً لنشاط الجمعية وارتفاع اسمها في كوردستان بدأ الطلبة الشيوعيون بالإلحاح للإنتماء لها (وهم الذين كانوا قاطعوها ولم يرغبوا بوجودها) ولكننا كنا نرفض قبولهم الا قليلاً. كانت أكثريتنا الكبرى من مؤيدي (حدك) والبارزاني بطل شعبنا.

عندما حصل الخلاف بين قيادة ملا مصطفى والمكتب السياسي، واستخدم العنف بين الطرفين، اقترح كمال فؤاد على عصمت شريف السفر إلى كوردستان لرأب الصدع الذي حصل داخل الحزب. وكان ابراهيم أحمد وجلال طالباني وأعضاء آخرين قد التجأوا لإيران إثر مصادمات مسلحة مع قوات ملا مصطفى. يقول عصمت: " كان ذلك في شهر سبتمبر... وسافرت وكمال فؤاد لطهران في طريقنا لكوردستان العراق. ونمت عدة ليالي في المنزل الذي كان يقطن فيه الاخوان من أعضاء المكتب السياسي في حي شمال المدينة، كانوا أيضاً اخوانا لي، ولاسيما مام جلال. تعرفت هناك على المرحوم المقدم عزيز شمزيني، وكنت أقدره لكتابه اطروحته في الاتحاد السوفياتي عن القضية الكوردية باللغة الروسية، وقرأت ترجمة لها في (خه بات) بالعربية. ثم غادرت والأخ كمال إلى كوردستان العراق (بمساعدة السافاك) اجتمعت بالبارزاني في بيته في رانيه، ولي صورة معه (إثنتان) في الجبال القريبة من رانيه."



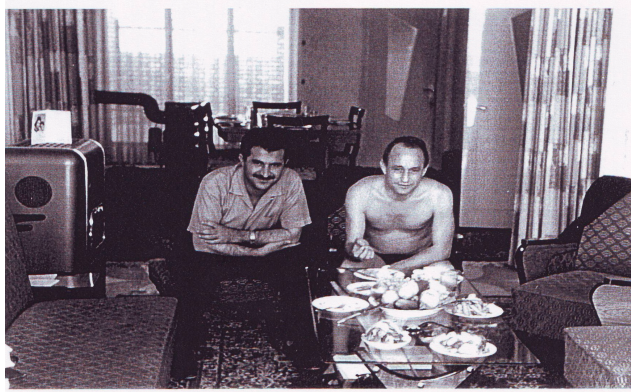
عصمت شريف في زيارة لملا مصطفى في مسعى لحل الخلافات مع المكتب السياسي
عام 1964

هذه الجهود لم تثمر للأسف، ويضيف فانلى : «قال لي البارزاني «لأبأس حاول ذلك» في الواقع لم يكن ملا مصطفى متحمساً لهذه الوساطة.

«ورجعت والأخ كمال مرتين لطهران، كل مرة في ضيافة الاخوان، او بالأصح ضيافة الحكومة الايرانية (ولدينا صورة سوية مع الاخوان م. س. على بلكون منزلهم) . لم تتجح المحاولات آنذاك في اصلاح البين بين قيادة البارزاني و م. س. (السابق) بل كان البارزاني قد عين الاخ حبيب كريم كسكرتير (حدك) الجديد.»



عصمت مع فريق المكتب السياسي. طهران 1964



ومع جلال الطالباني عام 1964 في طهران

لعل مايبعث على الدهشة هو رغم ان الحركة الكوردية كانت مهددة على الدوام من قبل حملات الجيش العراقي، فقد تقاوت الطرفان الكورديان دونما اعتبار للمخاطر التي سيواجهها الشعب الكوردي، كانت الخلافات تحل بالقوة وبروح من العناد والإصرار، وليس بالحوار والتنازلات المتبادلة لصالح شعب مصيره في الميزان، وشكل هذا المنحى في سلوك الزعامة الكوردية والذي دام لعقود، واحد من العوامل المعرقلة لتقدم الحركة الكوردية نحو النصر كما كلف الشعب الكوردي أعباءً إضافية صعب

عليه تحملها، إذ كيف يمكن له أن يخوض حربيين في آن واحد، حرب ضد حكومة تشن حرباً ظالمة لديمومة احتلال وطنه وإنكار حقوقه ويدفع ثمن حرب أهلية أشعلها زعماءه لمطامع شخصية.

ولنمض مع عصمت شريف:

«زرت في طهران برفقة مام جلال احسان نوري باشا في بيته، فطلب ان نتكلم بصوت خافت «لأن الجدران لاشك ملاءى بالميكروفونات» للتجسس عليه. وتكلم لنا همساً عن رغبته في كتابة مذكراته عن آغرى داغ. واخذنا في بيته صورة سوية عام (1964).»

ثم من جديد عاد عصمت إلى رانيه، حيث يذكر: «رجعت لرانيه وطلب الاخوان المسؤولون في الثورة أن أشاركهم في الاجتماعات الشعبية والحزبية لوضع (مجلس قيادة الثورة) وقوانين لها، وأصبحت عضواً في «مجلس قيادة الثورة» انما غير حزبي. وبطلب من البارزاني أصبحت ناطقاً باسمه خارج الوطن وممثل الثورة في الخارج.»

أثناء وجود فانلى في كوردستان لاحظ الحاجة الملحة لتوفير السلاح حتى تتمكن الحركة الكوردية من الدفاع عن النفس أمام هجمات جيش عصري ومتفوق، فيقول: «أثناء وجودي في رانيه في صيف وأوائل خريف 1964 وجدت ان الثوار الاكرد ينقصهم السلاح اللازم لمجابهة جيش بغداد، عدا بندقية (البرنو) التشكوسلوفاكيه التي لاتكفى. وعملت تحقيقاً شخصياً مع بعض العسكريين الكورد عن حاجاتهم، وذات ليلة كنت وحيداً مع البارزاني تحت خيمته، فسألته: هل يرغب أن أذهب لإسرائيل بغية الحصول على مساعدة؟ فقال: «نعم» واكتفيت بهذا الجواب. ولم أتكلم لأحد عن تحقيقاتي الشخصية حول حاجات الثورة.»

وبعد يومين رجعت لطهران ونمت الليلة في فيلا. م. س. ثم زرت الجنرال باكرفان، رئيس السافاك (الذي أخذ هذا المنصب بعد الجنرال بختياري). كان باكرفان إنساناً طيباً ويحب الحديث معي باللغة الفرنسية التي كان يتقنها (وقد أسفت كثيراً عندما سمعت عن اعدامه من قبل الثورة الاسلامية). كنت أزوره كل مره امرّ بطهران. وبعد الحديث هذه المرة سألتني فيما إذا كان لدي أي طلب؟ فقلت له «نعم أريد زيارة إسرائيل». فقال: حسناً، سأعمل اللازم لكي تسافر غداً.»

كان يوجد آنذاك في طهران سفارة غير رسمية لاسرائيل تحت ستار مكتب تجارة، وكما قال الجنرال باكرفان سافرت في اليوم التالي على متن هليكوبتر من طهران لاسرائيل، وكان بانتظاري في المطار الاسرائيلي مسؤول مخبرات اسرائيلي برتبة عقيد في لباس مدنى، إنسان مهذب ويتقن الفرنسية، وذهبنا أولاً لبيته وتعرفت على زوجته، ثم عمل لي برنامج لقاءات غير علنية، انما رسمية مع كبار الدولة الاسرائيلية، وسألني اذا كان البرنامج جيداً فقلت « إنك اعلم» (كان اسمه العقيد ألوف).

بين كبار المسؤولين الذين رأيتهم هناك كان رئيس الوزراء (لني أشكول : من حزب العمال)، شيمون بيريز الذي مازال رئيس حزب العمال وحالياً نائب رئيس وزراء في حكومة شارون)⁵⁸ وكان آنذاك وزير تموين الجيش بالسلاح وأخذنا الطعام سوية مع بيريز و ألوف في منزل قائد سلاح الطيران الاسرائيلي، وكان منهم المدير العام لوزارة الخارجية واسمه حسب ذاكرتي هرزوك (وإذا ما صحت ذاكرتي اصبح فيما بعد رئيس الجمهورية، وهو منصب افتخاري فقط) كما عمل لي السيد ألوف برنامج شبه سياحي (حيث كان اسمي السيد (كوهن) وزرنا القدس، والبحر الميت وبحيرة طبرية، والبرلمان ومزارع جماعية وبناء تحت الأرض لندكرى ملايين اليهود الذين ذهبوا ضحية للنازية الهتلرية، وتل أبيب وشاطئ البحر الأبيض. وكانت طلباتي، التي قدمتها للكولونيل ألوف، تتحصر في ارسال مساعدات لثورة أيلول بالمدافع والأدوية والرشاشات الثقيلة واذا أمكن بعض المال، وإيجاد علاقة مباشرة مع قيادة الثورة، واذا أمكن تهيئة بعض الاسفار لي للتكلم باسم الثورة في الخارج.

«أرسلت إسرائيل بعد رجوعي لرانيه رجلاً للاتصال المباشر بين قيادة الثورة والسلطات الاسرائيلية كان مجهزاً بوسائل الاتصال التكنيكية، ويعيش خارج البلدة، وكنا نسميه «بالصديق العزيز». انني لم اطلب هذه المساعدة ضد العرب، انما دفاعاً عن الشعب الكوردي المظلوم ومساعدة له. وأن الفلسطينيين أنفسهم وقيادتهم حالياً لها علاقات تعاونية مع إسرائيل بغية احلال السلام ووضع حد لظلم الشعب الفلسطيني ولي لنضاله كل احترام. بل ان هذا ما كتبته في رسالة الدكتوراه التي جاء ذكرها (كوردستان العراق كيان وطنى...) وأكدت بها على حق الشعبين الاسرائيلي

58 منذ عام 2005 ترك شمعون بيريس حزب العمال وانضم الى حزب كاديما (الى الأمم) وأصبح عام (2011) رئيس دولة إسرائيل.

والفلسطينى فى تقرير المصير وإقامة دولتين متجاورتين فى ظل السلام والتعاون لمصلحة الطرفين. بل وكنت رأيت هذا الحل قبل ان يؤمن به الشعبان المذكوران - وهذا ما أقوله أيضاً منذ أربعين سنة وأكثر لحل القضية الكوردية فى ظل الاخاء والتعاون بين الامة الكوردية والأمم المجاورة مع المساواة الكاملة والجماعية بين الكورد والعرب والعجم والترک، كل شعب مع حق تقرير المصير وسيداً على ارض بلاده. وهذا أيضاً ما كررته مراراً فى كافة كتاباتي ومحاضراتي.⁵⁹

فى واقع الأمر كان إبراهيم أحمد قد سبق فانلى فى الإتصال بالإسرائيليين. ويذكر فانلى: «عندما كنت فى وزارة الخارجية قال لى مديرها العام: «ان حدوث الخلاف داخل الثورة الكوردية بين القيادة العليا والمكتب السياسى كان شيئاً مؤسفاً، فقد زارنا الأستاذ إبراهيم أحمد ومعه العقيد عزيز شمزينى، ووجدناه انساناً عاقلاً، فقلت له اننا نعمل لحل هذه الأزمة الطارئة.

كان إبراهيم أحمد مركزاً جهوده على أ- جهاز اعلامى للبحث على الأثير. ب- توفير السلاح لوحدة الانصار(بيشمركة). فى شهر تموز 1963 وبناء على طلب إبراهيم أحمد وطلب من (ر) تم تدريب اول كوردي كفى راديو وأطلق عليه "المهندس" وقد انتقل هذا المهندس من معسكر إبراهيم أحمد، إلى معسكر البرزاني وأدار محطة راديو من هناك حتى انهيار التمرد الكوردي فى آذار 1975.⁶⁰

"لقد كان إبراهيم أحمد ذا علاقة أيضاً بتلقى او ارسالية سلاح اسرائيلية لكوردستان، وكانت الارسالية الاولى مؤلفة من عشر راجمات بازوكا وذخيرتها، وقد وصلت إلى هدفها فى 18 تموز 1963.⁶¹

فى حين كان مهندس هذه العلاقة هو الدكتور كامران بدرخان، وكان قد سبق إبراهيم أحمد وفانلى فى تمهيد العلاقة منذ أعوام الخمسينات. يقول شلومو نكديمون عن بداية إقامة الاتصالات مع طهران وتل أبيب: "عقد اجتماع بين موظفين رفيعي

59 مذكرات عصمت شريف فانلى - غير مطبوعة - .

60 الموساد فى العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1997. ص : 101

61 ن . م . س . ص : 101

المستوى، أحدهما اسرائلي والثاني ايراني في 30 حزيران 1963 في باريس، وذكر الاول للثاني ان الاكراد يطلبون المساعدة منا ومن مصلحتنا مساعدتهم، الا اننا لا نعتزم القيام بذلك دون موافقتكم. وثم قدم الاسرائيلي تفاصيل المحادثات التي جرت مع الأمير كامران بدرخان، بدا الايراني مرتاحاً من هذا الدعم، ونتج عن اللقاء اتفاق من خمس بنود بين تل ابيب وطهران. لم تكشف بعد فحوى الاتفاقية. ويقول مدير الموساد مائير عميت: "كانت هناك مشاعر متضاربة تتنازع الشاه، فهو من ناحية كان يشعر بالرضا جراء اثاره القلائل للعراقيين، ومن الناحية الاخرى كان يشعر بالخوف جراء التأثير المحتمل لنجاح الاكراد في العراق في تشكيل حكم ذاتي، على ملايين الاكراد في بلاده".⁶²

وهكذا توطدت الصلات بين طهران - تل ابيب وقيادة الحركة الكوردية، ولكي تشمل العلاقة الولايات المتحدة الامريكية، فقد أقتضى الانتظار إلى بداية السبعينات وبطلب من شاه ايران، استقبل مدير وكالة المخابرات المركزية في واشنطن (ريتشارد هيلمز) وفداً كوردياً مؤلفاً من الدكتور محمود عثمان وإدريس نجل ملا مصطفى في 5 تموز/يوليو 1972. بقي أن نفهم كيف تم استخدام المساعدات الخارجية من قبل القيادة الكوردية فيما بعد.⁶³

62 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1997. ص: 99
63 ملحق خطاب عصمت شريف في مؤتمر إتحاد الطلبة العالمي المنعقد في بغداد 1960/10/23 نشرته خه بات عدد 344 يوم الثلاثاء في 1960 - 10 - 25 .
«.....»

«سلام الى أولئك الذين وضعوا البند الثالث من الدستور العراقي المؤقت، البند القائل بشراكة القوميتين الكبيرتين في الجمهورية، العرب والأكراد، في ظل الحقوق المتساوية والإحترام المتبادل.»

«أيها الاخوان قد يوجد بينكم ممن لا يعرفون جيداً المسألة الوطنية الكوردية واطراح الطلبة في كوردستان. ان وفدنا قد وزع على الوفود الحاضرة هنا قسماً من مطبوعات الجمعية، ولكن أرجو مع ذلك ان تسمعوا لنا بإعطائكم بعض المعلومات الأساسية عن هذه المسألة.

ان الشعب الكوردي يعد حالياً بأكثر من 12-مليون من البشر ويسكن بلاده وهي كوردستان.. وان كوردستان اسم مؤلف من كورد، وستان وهذا التعبير الأخير يعني بلاد او أرض في اللغات الهندية الإيرانية. ان كوردستان هو وطن مقسم بين عدة دول. تركيا والعراق وإيران، قسم منها ملحق بشمال سوريا. ان كوردستان هي بلاد شاسعة جبلية متحدة الأوصال وتشكل وحدة جغرافية واثوغرافية واضحة ومحددة، وهي بلد غني بالثروة الطبيعية من كل نوع ومنها البترول والتبغ. ولكن كوردستان بلد مجزء تمزقه الحدود السياسية وان الأكراد موزعون الى:-

نحو ستة ملايين في المقاطعات الشرقية من تركيا التي تشكل كردستان تركيا، ونحو أربع ملايين في كردستان إيران الذي يحتل القسم الغربي من إيران وما يقرب من مليونين في كردستان العراق المؤلف من المناطق الشمالية والشمالية الشرقية في هذه الدولة، ونحو 400 ألف في شمال سوريا يعيشون في مناطق متصلة بكردستان تركيا. ان أكراد تركيا يشكلون ما يقارب 25 % من مجموع سكان هذه الدولة، وهكذا الأمر في إيران، ويشكل الأكراد في العراق 28، 30 بالمائة من مجموع السكان وفي سوريا نحو 10 بالمائة من مجموع السكان.

ويوجد نحو 150 الف كوردي في الاتحاد السوفيتي يعيشون في مجموعات صغيرة على هامش كردستان في جمهوريات أرمينيا وجورجيا واذربيجان السوفيتية. جغرافياً ان كردستان اقليم يربو مساحته على - 450 - الف كم مربع ويمتد من الحدود السوفيتية القفقاسية في الشمال حتى نقطة تقرب من الخليج الفارسي في الجنوب ومن ملاطيا وسيواس في الغرب حتى بحيرة اورميا في الشرق وكان في العهد الاقطاعي مقسما الى نحو - 40 - امارة كوردية مستقلة ولكن هذه الامارات سقطت الواحدة تلو الاخرى في يد سلاطين ال عثمان وشاهات ايران اعتباراً من موقعة - جالديران - عام 1541 ، أما اللغة الكوردية فهي من فصيلة اللغات الهندية الاوروبية ولها علاقة اكيدة مع الفارسية والسانسكريتية القديمة من جهة ومع معظم اللغات الاوروبية الحديثة ، ولكنها لغة مستقلة ولها تطورهما الخاص وادبها الخاص.

وبعد الحرب العالمية الاولى جاءت معاهدة سيفر المعقودة بين الحلفاء وتركيا العثمانية عام 1923 تعترف في بنودها 62، 63، 64 الباب الثالث المسمى كردستان بحق كردستان في انشاء دولة كوردية مستقلة ان هذه المعاهدة لم تطبق ابدا وان كردستان بدلا من ان تبقى مقسمة الى جزئين بين الامبراطورية العثمانية اصبحت مقسمة الى اربعة اقسام بعد معاهدة الصلح ورسم حدود دول جديدة في الشرق الاوسط مثل العراق وسوريا. ذلك هو المصير الذي لاقاه الشعب الكوردي على ايدي الشاهات والسلاطين، مصير قاس تفرضه الآن الرجعية الشرقية بمساعدة الامبريالية العالمية. ان الشعب الكوردي يشكل أمة بالمعنى العلمي لهذه الكلمة، فنحن أمة مؤلفة من جماعة كبيرة ومستقرة من البشر، مكونة تاريخياً وقائمة على وحدة عوامل الارض واللغة والروابط الاقتصادية والحياة النفسية المتمثلة في الثقافة الوطنية.

إننا لسنا أقليات قومية تعيش ضمن اطار الدول التي تقسم كردستان، اننا امة قد تكونت في كردستان وبناء على الظروف الاقتصادية والتاريخية والثقافية القائمة في كردستان، ولكننا أمة مقسمة سياسيا ومضطهدة قوميا ما عدا العراق.

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين قامت الحكومة التركية التي كان يرأسها عصمت إينو بمحاولة تنفيذ برنامج محكم يهدف الى تترك شعبنا بالقوة والى القيام بمذابح وبترحيل اجماعي لانباء الشعب الكوردي من كردستان الى الاناضول التركية كما كانت قد حاولت ان تفعل تركيا السلاطين مع الارمن والعرب والبلغار واليونان والصرى. ولكن شعبنا دافع عن نفسه بوسائله الخاصة ضد محاولات هذه الاقطاعية والبورجوازية التركية العسكرية الحاكمة المتشعبة بالفاشستية والتي تتغذى من نظرية قومية اعتدائية تجعل من الطورانية فكرة فوق الانسان وتتكر حتى وجود القومية الكوردية في الجمهورية التركية. ان الشعب الكوردي في تركيا قد قام بثلاث ثورات كبرى عام 1925 ومن عام 1927 الى 1931 وعام 1937 واذا لم ينجح في تحرير نفسه فانه قد تغلب على محاولات تتركه. فقد حافظ ومازال على كيانه كشعب خاص ولكنه بقي ومازال شعبا مضطهدا

ساعات احواله المادية وحرم في بلاده من كل حق وطني وثقافي، فلا يسمح له بآية مطبوعات اوصحافة كردية ولامدارس له بلغته القومية. وفي خلال هذا الوقت كانت البورجوازية العسكرية التركية الحاكمة تسعى جهدها لافئاع العالم بان تلك الثورات التحررية الكردية انما كانت عبارة عن ثورات رجعية تهدف الى ارجاع السلطنة في تركيا. ولكن جميع الناس يعلمون الان بانها كانت عبارة عن مظاهرعنوية في الحركة التحررية الكردية وان الشعب الكردي في تركيا مازال يعيش مضطهدا من قبل الطغمة الحاكمة التركية وان هذه الطبقة قد زجت بتركيا في احلاف عسكرية مع الاستعمار العالمي والحكومات الشرقية الرجعية المتفسخة مثل حكومة شاهنشاه ايران والحكومة الملكية العراقية المقبورة، ان الطبقة الحاكمة التركية قد دعت الاستعمار الاجنبي لانشاء قواعد عسكرية في كوردستان تركيا ولاختزان الاسلحة النووية وانشاء قواعد الانطلاق للصواريخ، بغية تهديد السلام العالمي وسلام الشعوب المجاورة وذلك في تلك الأمانة منها التي كان الشعب الكردي قد خاض فيها غمار الحرب ضد تركيا الفاشستية لانتزاع حقوقه وحرته المغتصبة.

وبهذه المناسبة فاننا نشكر المؤتمر الخامس لاتحاد الطلبة العالمي الذي عقد في بكين عام 1958 لاتخاذ قراراً صحيحاً يدعو فيه الحكومة التركية الى الاعتراف بالحقوق القومية والثقافية لـ 5 - ملايين كوردي في تركيا، لجعل التعليم باللغة الكردية في المناطق الكردية فيها، ولكن جميع الناس لم يفهموا مع الاسف آنذاك حقيقة الوضع وهكذا راينا هذه الحالة الشاذة المؤلمة في تركيا الكمالية التي كان يحكمها الفاشست والتي كانت دول العالم كافة تتودد اليها وتطلب صداقتها، بينما كان الشعب الكردي الذي كان مهددا بخطر الفناء والذي كان يدافع عن نفسه وحيدا وبوسائله البسيطة منعزلا عن القوى الديمقراطية في العالم ليرد هجمات الطورانية الفاشست.

ويجدد الا تتكرر هذه المأساة.

ان نظام عدنان مندرس الفاسد قد وضع في السجن قبل انهياره، خلال شهر كانون الاول 1959 مئات من المواطنين الديمقراطيين الاكراد والأتراك وقد احتجت جمعيتنا في حينه لدى لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة.

وبعد الانقلاب العسكري الذي حدث في - 27 - مايس الاخير قام النظام العسكري الجديد برئاسة الجنرال كورسيل باطلاق سراح السجناء السياسيين الأتراك ومنهم الطلبة، ولكن هذا النظام مع الاسف الذي كان يدعى احترام لآئحة حقوق الانسان العالمية لم يطلق سراح السجناء السياسيين والطلبة الاكراد، بل على العكس فان عدد الموقوفين الاكراد ومنهم قسم كبير من الطلبة قد ارتفع بصورة مقلقة جدا في الأشهر الاخيرة. وان لدى جمعيتنا قائمة تحوي على - 70 - اسم من هؤلاء المساجين الاكراد السياسيين وهي قائمة جزئية ولا تحوي الا اسماء القليل من هم في سجن استانبول العسكري وغيره من السجون حيث يعيشون في جومن التعذيب وبدون محاكمة.

وقد صرح الجنرال كورسيل في مناسبات ثلاثة بصورة رسمية وامام المراسلين الاجانب بأنه لا يوجد في تركيا مسألة كردية ولا اكراد - اقرأ جريدة التايمس اللندنية - . واذا ماقرأتم الجريدة التركية المسماة - حرية - عدد - 14 - تموز 1960 فسوف ترون مقالاً بعنوان مفضوح اسمه - لا يوجد اكراد بل فقط اترك - ويتكلم هذا المقال عن محاضرة القاها استاذ التاريخ السيد ف . كرس اوغلو في جامعة انقره وامام الجنرال فخري - اوزولك - الذي هو السلطة الخفية في النظام العسكري التركي الحاضر. وقد تكلم هذا الاستاذ مدعياً بصورة غير علمية بان الاكراد هم من اصل تركي وانهم قد غيروا لغتهم فقط وان الامة الكردية غير موجودة وان الاتحاد السوفيتي فقط يتكلم عن وجود امة

كوردية ، واذا ماقرأتم جريدة - جمهوريت - عدد - 14 - تموز 1960 فسوف تجدون ايضا مقالا تحت عنوان - الكورد والترك - ويتحدث المقال عن محاضرة القاها الأستاذ نجاتى اكثر استاذ التاريخ في جامعة انقره وكذلك مدير معهد عارفيه كوى وقد القيت هذه المحاضرة في جامعة استانبول في لجنة الاتحاد الوطني التركية وقد تكلم فيها هذان المحاضران عن نظرية مشابهة وبنفس المعنى وهل من حاجة لان نقول بان هذه النظرية المستوحاة من نفس القومية الاعتدائية المتعصبة ليست لها اية صبغة علمية وانها بالعكس تشوه التاريخ والعلم وتتحدى مبادئ العدالة والحريات الديمقراطية في عصرنا الحاضر. وانها تتجاهل تجاهلا تاما الحقائق التاريخية والجغرافية والاثنولوجية المعروفة جيدا والمتعلقة بشعبنا الكوردى وانها تعبد الطريق للقيام بمحاولات جديدة لتتريك الملايين من ابناء شعبنا في تركيا. ولكن هذا لايمكن ان يحدث لان الشعوب لاتموت ابدً ولن تموت في عصر النضال من اجل التحرر الوطنى ومن اجل السلام العالمى ضد الفاشستية وضد القوميات الاعتدائية العمياء التى تتفوه بها الاوساط الرجعية وضد الاستعمار والامبريالية.

لقد قال البانديت نهرى في كتابه لمحات من تاريخ العالم بان الحركة التحررية الثورية الكوردية لايمكن ان تخمد، وما أحق ماقاله.

وفي جريدة - ترييون دى جنيف - عدد - 14 - ايلول 1960 كتبت مراسلة الجريدة من استانبول السيدة - رين جوفريت - مقالا عن الوضع في تركيا وذكرت بان مجمعا من اللغويين الأتراك قد ادعوا مؤخرا بان اللغة الكوردية ما هي الا فرع من اللغة التركية وتضيف المراسلة قائلة: انها لفكرة تبعث القشعريرة في اجسام اللغويين المطلعين في العالم لبعدها عن الحقيقة واذا ماحدث لكم وركبتم الباص في هذه الايام في مدينتى انقره واستانبول فسوف تجدون لافتات تدعو السكان الى التكلم باللغة التركية فقط. وفي المدارس الثانوية القليلة الموجودة في كوردستان تركيا، وحيث يجري التعليم طبعاً باللغة التركية، يسأل الأساتذة الأتراك طلابهم علنا فيما اذا كانوا أتراكا... اما الطلاب الذين يجاوبون بشجاعة بانهم أكراد فيطردون حالا من المدرسة...

قولوا لنا أيها الأصدقاء الذين أتيتم من بلاد مستقلة او غير مستقلة قولوا لنا رجاء اذا كان ذلك يختلف عن الفاشستية.

واخيرا ايضا قررت السلطات التركية بان الطلبة الذين يقدمون من المقاطعات الشرقية اي من كوردستان تركيا يجب عليهم قبل ان يقبلوا في الجامعات ان يقدموا فحصا ناجحا في مادة جديدة تدعى اثبات ان الاكراد هم اترك.

ولا أعرف اذا ماكان يوجد في هذه القاعة وفد تركى قادم من تركيا. اننا نود ذلك كثيرا لان وفدنا سيسر في هذه الحالة ان يدعو هذا الوفد مع الوفود الاخرى الراغبة لزيارة كوردستان العراق لكي تتاح الفرصة للجميع لكي يروا كيف يعيش الشعب الكوردى حرا في بلاد كوردستان العراق وكم تختلف اللغة الكوردية عن التركية.

ان لغتنا تختلف عن التركية اختلافا الفرنسية التى اتكلم بها الآن عنها - ولكن شعبنا هو صديق الشعب التركى.

يجب ان يكون معلوما بان الشعب الكوردى هو اول من يهيم ان تتحرر تركيا من قبضة الاستعمار وان ينشأ فيها نظام ديمقراطى يستجيب الى رغائب ومصالح شعب هذه الدولة بقوميتيه الكبيرتين التركية والكوردية. ولكن هذا النظام يجب ان يكون ديمقراطيا حقا.

لقد ذكرنا في مؤتمرا الاخير في - برلين - وسوف نكرر ماذكرناه دائما: بأنه لاحل للمسألة الكوردية بدون الديمقراطية ولكن الديمقراطية لن تتحقق في الشرق الاوسط قبل ان تحل المسألة الكوردية الوطنية حلا جذريا صحيحا. وان نظاما لايعترف بوجود قومية مؤلفه من ستة ملايين من الاكراد لايمكن ان يكون نظاما ديمقراطيا.

ان الشعب الكوردي لايضمر اي شىء ضد الشعب التركي بل على العكس تماما - فان مصلحة هاتين القوميتين الكبيرتين هي ان تتحد لانقاذ تركيا من قبضة الاستعمار ولأجل انشاء حكومة ديمقراطية تعترف بكافة الحقوق الوطنية الكوردية، وان القوى الديمقراطية لهاتين القوميتين متفاهمتان حول ذلك. وان واجب ديمقراطي العالم ومنهم الطلبة هو ان يساعدوا بوسائلهم الممكنة لحدوث مثل هذا التطور وان يساعدوا شعب تركيا للتخلص من الاستعمار والطبقة الحاكمة التي تدعى الديمقراطية وهي غير ديمقراطية - ان واجب هؤلاء الديمقراطيين هو ان يساعدوا الشعب الكوردي في تركيا ومنهم الطلبة - في نضاله من اجل حصوله على حقوقه المشروعة. ان هذا الهدف هام. اما مساعدة حكم الجنرال - كورزىل - والعمل في الحقل الدولي لتقوية نظام عسكري يضطهد بشكل فاضح ستة ملايين من الاكراد ومازال خاضعا للإستعمار العالمي، فهذا هدف آخر ويختلف عن الاول تمام الإختلاف.

ومن هذا المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمى وبواسطه الحركة الطلابية العالميه ونشاطات المنظمات الطلابية الوطنية فاننا نطلب من ديمقراطى العالم اجمع ان يحسبوا فى مواقفهم وسياساتهم تجاه تركيا الحاضره تركيه الجنرالات ان يحسبوا حساباً لوجود ستة ملايين من الاكراد وضرورة مساعدتهم لنيل حقوقهم الوطنية والثقافية المشروعة من احل مصلحة الديمقراطية ومصصلحة كافة سكان الجمهورية. ان السلام العالمى والديمقراطية لهي حاجات تهم العالم اجمع ويجب ان تتحقق لصالح كافة الامم والشعوب كبيرها وصغيرها ولكافة الشعوب المستقلة وغير المستقلة ومنها شعبنا الكوردي المظلوم.

ان شعبنا ليس مستعداً لأن يضحي حتى بوجوده القومى لكي تحقق امم اخرى على حسابنا ديمقراطية لن تكون من الديمقراطية وسلاماً لايمكن الا ان يكون ظالماً.

إن شعبنا لا يود ان يموت لكي يعيش غيره على أنقاضه.

أن شعبنا يود ان يعيش وينعم بنعم الديمقراطية والسلام كجميع الامم والشعوب كبيرها وصغيرها.

أن شعبنا سيحارب كل ديمقراطية لن تكون من الديمقراطية في شىء، وسوف يثور ضد كل سلام اقليمى، مثل السلام الذي ولدته معاهة لوزان الجائرة التي تتجاهل حتى وجوده ان شعبنا يود ان يعيش بسلام وأخوة مع جميع الشعوب ولاسيما الشعوب المجاورة فى ظل المساواة والاحترام الكامل لحقوقه القومية والثقافية المشروعة.

أيها الاخوة الاعزاء نرجو ان لاتفكروا باننا متطرفون. ولكن وجود شعبنا مهدد بالخطر في تركيا فمأذا نستطيع ان نعمل سوى ان نعرفكم بهذه الاوضاع ونناضل من اجل تحقيق الديمقراطية ونطلب من الديمقراطيين ان يعبروا عن تضامنهم معنا.

اننا ندرك جيداً الدور الايجابي الذي لعبته الحركة الطلابية التركية باسقاط حكومة عدنان مندرس الظالمة ولكننا وبكل صداقة ومن اجل مصلحة الديمقراطية والسلام نطلب من الطلبة

الأتراك ان يكونوا ديمقراطيين حقيقيين ، ان يعملوا من اجل حرية وسعادة تركيا، من اجل رفاة كافة سكانها، من اجل الاخوة والمساواة في الحقوق القومية والثقافية بين الشعبين التركي والكوردي العائشين في الجمهورية التركية وكذلك من الاقليات القومية مثل الأذريين واليونان والعرب والشركس الجراكسة وغيرهم.

اننا نطلب من الطلبة الأتراك ان يعملوا لكي يكون التعليم باللغة الكوردية في كوردستان تركيا، من اجل اطلاق سراح السجناء السياسيين الاكراد ومنهم الطلبة كما حدث ذلك بالنسبة للأتراك. أما في ايران الشاهنشاهي الذي تحكمه طبقة متفسخة فان الوضع ليس احسن بكثير مما هو عليه في تركيا بالنسبة للاكراد وبالنسبة للفرس ولا للأذريين لا للتركمان ولا للأقليات الوطنية المختلفة، وكلهم من اخواننا.

في عام 1946 قامت الحكومة الايرانية بمساعدة الامبريالية العالمية بالقضاء على الجمهورية الديمقراطية الكوردية في مهاباد كما قضت على الجمهورية الديمقراطية الأذربيجانية وان الـ 4 - ملايين كوردي الذين يعيشون في كوردستان ايران- بالمعنى القومي وليس بالمعنى الاداري الضيق - فانهم محرومون حالياً من كل الحقوق القومية والثقافية وان لغتهم لاتعتبر رسمية في بلادهم وليس لديهم مدارس ولا مطبوعات كوردية. هنالك مئات من الديمقراطيين الاكراد في السجون واربعة منهم:- عزيز يوسف، غني بلوريان، رحمتي شريعتي والطالب اسماعيل قاسملي وهم محكومون بالاعدام، ومن الممكن اعدامهم في كل لحظة . اننا نشكر جميع المنظمات الطلابية التي احتجت على هذا الحكم ، ومنها اتحاد الطلبة العالمي واتحاد طلبة عموم الصين واتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية وهنالك مئات آخرين من الفرس والأذربيجانيين وغيرهم من ابناء الأقليات الصديقة في السجون ايضاً، فتعبر في هذا المؤتمر عن تضامننا جميعاً وان وضع الديمقراطيين ومنهم الطلبة عامة والاكرد بصورة خاصة هو ايضاً سييء مع الأسف في الجمهورية العربية المتحدة . اننا نطلب منكم أيها الإخوان ان تعبروا عن تضامنكم مع الاخوان العرب والاكرد والمسجونين ظلما في الجمهورية العربية المتحدة مثل المواطن اللبناني فرج الله الحلو والمفكرين والطلبة الاكراد الذين يضمهم حالياً سجن - المزة - العسكري بالقرب من دمشق بدون اي محاكمة ومنهم الدكتور نورالدين زازا عضو شرف في جمعيتنا واحد مؤسسها والأديب عثمان صبري والشاعر قدري جان والطالب مجيد حاجو . اننا نطلب منكم ان تعبروا عن عواطف الصداقة تجاه 400 الف كوردي يعيشون في سوريا لكي يستطيع اطفالهم ان يدرسوا باللغة الكوردية ولكي تتاح لهم الحرية لاصدار المطبوعات والجرائد بلغتهم الوطنية ولكي يتحرروا من كل اضطهاد قومي."

ثم يتناول فانلى أكراد الاتحاد السوفيتي:

".....لايتجاوز عددهم 150 الف نسمة كما ذكرنا آنفاً لكنه يعيش بحرية وحقوقه محترمة. وان اقليم لاكوز بالقرب من اريفان عاصمة أرمينيا السوفيتية، هي منطقة قومية كوردية يحكم الاكراد فيها انفسهم بانفسهم حسب الدستور السوفيتي. وان الاكراد السوفيت لهم مدارسهم ومطبوعاتهم الكوردية ويعيشون بشروط مادية سعيدة. واننا نرجو من زملائنا الذين يمثلون لجنة الطلبة السوفيات في هذا المؤتمر ان يبلغوا السلطات السوفيتية شكر الجمعية والطلبة الاكراد . لكل هذا ولأجل تشجيع السلطات السوفيتية لتقدم الدراسات الكوردولوجية في المعاهد الشرقية المتخصصة في لينينغراد وموسكو واريقان وبالو، اننا نشكر السلطات السوفيتية لتقديمها الضيافة خلال سنوات عديدة لبطل

الشعب الكوردي الوطني السيد مصطفى البارزاني ورفاقه الشجعان الذين كانت تلاحقهم قوات الامبريالية والرجعية الشرقية المجتمعة. ان اسماء العلماء السوفيت من روس واكراد وغيرهم الذين يهتمون بالدراسات الكوردية من امثال اردبيلي وتلجلفسكى وبكاييف وكوردوييف هي اسماء معروفة ومحبوبة في سائر انحاء كوردستان. اننا نعبّر عن املنا في ان تقوم السلطات السوفيتية باجابة رغبتنا في ان تطبع على الاقل قسماً من المطبوعات الكوردية في الاتحاد السوفيتي بالاحرف اللاتينية وذلك لكي تصبح مفهومة لابناء الشعب الكوردي في كوردستان، كما نود ان يقوم راديو موسكو بفتح برنامج خاص للاذاعة الكوردية. منذ ثورة 14 تموز العراقية المجيدة بقيادة الرئيس عبدالكريم قاسم فان جمعيتنا كما يعرف الجميع لم تألو جهداً في الدفاع عن الجمهورية العراقية بكافة وسائلها الطلابية ضد المؤامرات الامبريالية واعوانها. وان الشعب الكوردي بأجمعه، الشعب الكوردي المجزأ وطنه ظلاماً، وليس فقط اكراد العراق، كان ايضاً يدافع عن الجمهورية، وان هذا الموقف كان له سببان رئيسيان: من جهة البند الثالث من الدستور العراقي المؤقت الذي يعترف بشراكة القوميتين الكبيرتين في الجمهورية بحقوقهما المتساوية، ومن جهة اخرى هنالك الديمقراطية التي كانت تتصف بها الحياة السياسية في هذا البلد. وان الديمقراطية والحقوق الوطنية للشعب الكوردي هما ناحيتان تتعلقتان ببعضهما كثيراً، وهننا ايضاً نردّد ما ذكرناه في اماكن اخرى وهو: لاحل للمسألة الكوردية بدون ديمقراطية ولاديمقراطية في الشرق الاوسط بدون حل جذري للمسألة الكوردية.

ومن النتائج الهامة للثورة العراقية، يجب ان نظهر حرية التعبير والصحافة وتقوية الصداقة العربية الكوردية تحت ظل الديمقراطية والمساواة في الحقوق وفيما يتعلق بالاكرد، تقدم الصحافة الكوردية والاداب الكوردية ورجوع ابطالنا البارزانيين واجازة الحزب الديمقراطي الكوردستاني اجازة رسمية لأول مرة في تاريخ شعبنا، وتوطد حركة التحرر الوطني الكوردي. اننا نشكر مرة اخرى حكومة الرئيس عبدالكريم قاسم لاجابتها بصورة ديمقراطية لرغبات شعبنا.

ولكن اذا كان يحلو لنا ان نعدد ما ينشرح له الشعب الكوردي في العراق، فليسمح لنا ايضاً ان نعدد بصورة سريعة بعض المسائل والاوضاع التي يشكو منه شعبنا الكوردي، مع العلم انها موروثه من العهد المباد، فهناك اولاً البند الثالث من الدستور العراقي الذي تكلمنا عنه والذي بقي بنداً نظرياً لدرجة كبيرة، فالتعليم الابتدائي لايجري بالكوردية الا في بعض مناطق كوردستان العراق والتعليم الثانوي يجري بالعربية فقط في كافة كوردستان العراق، اما التعليم العالي فغير موجود بالمرّة في كوردستان. ولذا يجب اصلاح هذا الوضع باسرع وقت، ولاسيما بوضع اسس جامعة كوردستان العراق منذ الآن. وان اللغة الكوردية ليست لغة رسمية في الدوائر الحكومية والقضاء في مناطق كوردستان، ويجدر ان تكون رسمياً.

وان كوردستان العراق التي هي اكبر بمرتين ونصف من سويسرا، واغنى منها كثيراً في الثروات الطبيعية، انها مازالت مجزأة الى مقاطعات بدون اي علاقة عضوية بينها سوى شعور سكانها الاكرد بانتماهم لامة واحدة.. ان هذه انما هي بقايا مكروهة تركها الاستعمار والانتداب البريطاني والعهد الملكي المباد ويجدر ازالتها. ويجدر توحيد كوردستان العراق ادارياً ومنحها الحكم الذاتي داخل اطار الجمهورية العراقية حسب ارادة الشعب الكوردي التي عبر عنها مئات المرات وبناء على وعود رسمية متكررة اعطيت بصورة خاصة ابان دخول العراق عصابة الامم وبقيت مع الاسف حبراً على ورق.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية فاننا نود ان تقوم الحكومة العراقية بمساندة الحركة التحريرية الكوردية خارج العراق كما تفعل ذلك بالنسبة للحركة التحريرية العربية. فمن متطلبات الشراكة مثلاً،

ان تقوم الحكومة العراقية بعرض المسألة الكوردية في تركيا على انظارهيئة الامم المتحدة كما فعلت ذلك بالنسبة لقضايا الشعب العربي المكافح بحق في الجزائر وعمان وغيرها .
وهنالک ايضا تلك المسألة الهامة الناجمة عن البند الثاني من الدستور العراقي القائل بان العراق - اي بالجملة - هو جزء لايتجزأ من الامة العربية .

ان رأينا كما ذكرناه في مؤتمر جمعيتنا الخامس في برلين هو ان العراق العربي فقط او الشعب العربي في العراق هو جزء من الامة العربية، اما كوردستان العراق والشعب الكوردي في العراق، فهو جزء لايتجزأ من الامة الكوردية . اننا واثقون بان الحكومة العراقية بما لديها من حكمة فانها ستعمل على ازالة هذه الاسباب التي يشكو منها الشعب الكوردي في العراق والتي هي موروثه من العهد المباد .

وان جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا ستستمر في الدفاع عن الديمقراطية وعن الجمهورية العراقية وعن الصداقة التاريخية الموجودة بين الشعبين العربي والكوردي في العراق وخارجه .
ان شعبنا الكوردي بما فيه الطلبة هو صديق الشعب العربي في العراق وسوريا وصديق الشعب التركي في تركيا وصديق الشعب الفارسي في ايران . ومن متطلبات الصداقة الاخلاص والمساواة في الحقوق والواجبات القومية .

ان العمل من اجل تحرر الوطن الكوردي هو بنفس الوقت عمل من اجل السلام والديمقراطية وهو من اجل تقديم كل ماينته الرجعية الشرقية وكل ماتسانده الامبريالية العالمية الحالية من ظلم وتفسخ في الشرق الاوسط .

ان الشعب الكوردي له حق دائم في تقرير مصيره بنفسه وانه سيمارس هذا الحق عندما يصبح ذلك ممكنا .

ان الشبيبة والطلبة الاكراد جنبا الى جنب مع شعبهم سيسيروون قدما الى امام في خدمة هذه الاهداف المذكورة .

ان جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا هي منظمة طلابية تحظى بتأييد وحب شعبنا في كل اجزاء كوردستان . ان جمعيتنا هي منظمة طلابية خارج الوطن وتضم الطلبة الاكراد في اوروبا سواء أكانوا في كوردستان تركيا او ايران او العراق او سوريا وانها تعبر عن مشاعر وامال كافة طلبة كوردستان، وتوصل صوت شعبنا الى العالم الخارجي، ولاسيما ان الظروف السياسية لوطننا كوردستان لم تسمح بعد لانشاء منظمة طلابية كوردية شاملة داخل الوطن . ولجمعيتنا 12 فرعا في الدول الاوروبية الاشتراكية منها والغربية .

اننا قد جئنا الى المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمي وكلنا رغبة في ان نعقد صداقات جديدة وان نتعاون لأبعد حد من اجل نجاح هذا المؤتمر الطلابي الكبير .

ان جبال كوردستان ووديانها الضاحكة الخضراء ليست بعيدة كثيرا من هنا . ومن مدن كركوك والسليمانية واربيل حتى الحدود السوفيتية، ومن ملاطيا ودياربكر ووان ومهاباد وكرمنشاه فان شعبنا ذا التقاليد الثورية العريقة يوجه انظاره نحوكم . انه يعلم بان طلبة العالم مجتمعون في بغداد في دار السلام، لكي يساهموا في بناء عالم سيكون اجمل واكثر عدالة، عالم متحرر من الفاشستية والحق .

ولهذا السبب فان جمعيتنا قد قدمت طلب الدخول الى اتحاد الطلبة العالمي ونود ان يدرس المؤتمر ذلك بديمقراطية .

ان مهمتنا نحن الطلبة الاكرد هي جدا صعبة. ان اعداء شعبنا الذين هم اعداء السلام، لارحمة عندهم، وفي نضالنا فاننا سنحتاجكم انتم طلبة الشعوب الاخرى كما تحتاج اية منظمة لمساندة المنظمات الصديقة الاخرى.

وقبل ان نختم هذه الكلمة نود ايها الاصدقاء ان نشير مرة اخرى الى النقاط التالية:

اولاً . اننا نشكل امة بالمعنى العلمى الكامل لهذه الكلمة.

ثانياً . ان امتنا مضطهدة وبلاد كوردستان مجزأة، وان الرجعية الشرقية تهدد سلامة شعبنا وسلامة الشعوب المجاورة بسبب القواعد العسكرية والذرية الاجنبية التى انشأت في كوردستان خلافا لرغبة سكانها .

ثالثا . ان جمعية الطلبة الاكرد في اوروبا هي منظمة تتوفر فيها كافة الشروط اللازمة للعضوية وذلك بموجب النقطة الرابعة من البند الخامس من دستور اتحاد الطلبة العالمى، اذ لا يوجد في كوردستان منظمة طلابية كوردية شاملة وان منظمنا خارج الوطن لها اكبر قوة تنفيذية بالنسبة لآمال وحاجات طلبة كوردستان انفسهم. وان اتحاد الطلبة العالمى قد قبل اتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين وطلبة بورتوريكو ومنظمات طلابية لبلدان اخرى غير مستقلة او مجزأة ومن جهة اخرى فان اتحاد الطلبة العالمى يقبل عضوية اكثر من منظمة واحدة بالنسبة لبلد واحد، كما هو الامر بالنسبة لأصدقائنا الطلبة في المكسيك الذين عندهم منظمات عضويتان واخيرا فان اتحاد الطلبة العالمى يقبل منظمات تمثل بلاد متعددة ايضا مثل منظمة اتحاد طلبة افريقيا الغربية وافريقيا الشمالية .

رابعا . يجب ان ناخذ بعين الإعتبار بان منظمنا هي المنظمة الطلابية الوحيدة تحمل اسما كورديا وان لشعبنا المؤلف من اكثر من 13 مليون من البشر الحق في ان تكون لهم منظمة ممثلة في أ.ط.ع .

خامسا . اننا نود الدخول في أ.ط.ع . لإعتقادنا بان ذلك هو في صالح جمعيتنا وصالح الحركة الطلابية وان لم ندخل فسوف نستمر ايضا في العمل الى الامام كما فعلنا في السنوات الماضية في خدمة الحركة الطلابية ومن اجل تحرر شعبنا الوطنى.

ان شعبنا مستعد ان يخوض كافة معارك الحرية كما يفعل منذ عدة قرون، كما فعل في آراءات وبارزان ومهاباد وكما يفعل الآن الشعب الجزائري الشجاع، ونحن جزء من شعبنا . ان عدم قبولنا في أ.ط.ع سيكون معناه التخلي عن المبادئ الديمقراطية لبعض الاعتبارات السياسية والانتهازية والرضوخ لضغط بعض الاوساط الشوفينية .

ليعيش اتحاد الطلبة العالمى ولنأمل في ان ينهي مؤتمره السادس في ظل الصداقة وفي صالح طلبة كافة البلدان ومنهم الطلبة الاكرد ومن اجل توحيد الحركة الطلابية العالمية ومن اجل ديمقراطية التعليم، في خدمة التحرر الوطنى لكافة الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة ومنها شعبنا الكوردى في خدمة السلام ومن اجل نزع السلاح النووى واندحار الامبرياليه والاستعمار .

وقبل ان انهي هذه الكلمة فان وفدنا الكوردى لسعيد جدا بان يخبر المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمى بان شعب كوردستان العراق يود كثيرا ان يراكم جميعا ايتها الوفود الطلابية بين ظهرانيه. كما ويسر الجمعية ان تتعاون مع اتحاد الطلبة العام في الجمهورية وشكرا . «

ركوب الموج الإقطاعي (نحو المجابهة المسلحة)

يعيد الدكتور عصمت شريف وانلى اسباب تدهور العلاقات بين الأكراد وحكومة قاسم إلى الاسباب التالية:

1- منح قاسم السلاح والاموال للاقطاعيين الزيباريين والبرادوستيين وهم جيران لبارزان. وهؤلاء كانوا قد تعاونوا مع السلاح الجوى البريطانى فى عام 1945 لضرب الكورد وارغامهم على الالتجاء إلى كوردستان ايران. وفى شهر تشرين الاول/اكتوبر 1960 طلب عصمت شريف من ملا مصطفى شخصياً الذهاب إلى الزيباريين والطلب منهم وقف هذه الاعمال فردّ ملا مصطفى «لاتتعب نفسك، لافائدة ترجى من هذه المحاولة». ⁶⁴ ففى الاشهر الاخيرة من عام 1959 كانت عصابات من الزيباريين مصحوبة-بعض الاحيان-بقوات من الشرطة العراقية تهاجم مناطق بارزان لسرقة الماشية واغتيال المواطنين. ⁶⁵

2- زيارة ملا مصطفى إلى موسكو فى شهر تشرين الثانى/نوفمبر 1960 بدعوة من الحكومة السوفيتية بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر وقد استقبل بحفاوة وكان اقرب إلى خروتشوف فى حفلة التكريم من عدد من اعضاء الوفد الحكومى العراقى الرسمى. ان هذه الزيارة ازعجت قاسماً. وعاد ملا مصطفى إلى بغداد بداية عام 1961.

اما جلال الطالبانى فيذكر انه بعد مقتل احمد آغا الزيبارى بدأت العلاقة بين قاسم وملا مصطفى تتردى، «وبدأت العشائر الكوردية من الزيباريين والبرادوست والسورجية تزور بغداد وعبدالكريم قاسم وتتشكى، وفى احيان تدعى اشياء غير صحيحة رغبة فى اثاره الفتنة ضد ملا مصطفى، مما اضاف عوامل اخرى لسوء

Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution 64
de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL.

Ibid. Page :89. 65

الفهم ووتر العلاقة بين الاثنين. وهنا سأكشف شيئاً فقد تصاعد التوتر بين الرجلين وعرف السوفييات بذلك. كان لنا ضباط في الجيش العراقي وبالذات في الاستخبارات العسكرية، سربوا خبراً مفاده ان عبدالكريم قاسم، قال في احدى اجتماعات قادة الفرق، ان على ملا الهدوء والا سأنشر الوثائق، وهي مجموعة رسائل متبادلة بينه وبين الضابط السياسي البريطاني والحكومة البريطانية وهي موجودة في ملفات وزارة الداخلية العراقية. وحال وصول هذا الخبر الينا وشعور ملا ان علاقته بعبدالكريم قاسم لم تعد كما كانت، دعا السوفيت ملا مصطفى لحضور احتفالات ثورة اكتوبر 1960 لتحاكى اصطدام الرجلين. وكانت الخطة السوفيتية لقاء ملا، كما فعلوا مع القادة الشيوعيين الذين تنافروا مع عبدالكريم قاسم.⁶⁶

ويمضى جلال الطالباني إلى القول: «استقبل ملا استقبالاً جيداً في موسكو ودفع له تعويض عن الاسلحة التي كان قد اخذها معه عندما ذهب إلى الاتحاد السوفيتي،».

كان ملا مصطفى يخشى ان لايجيز له السوفييت العودة السريعة فاتصل بجلال الطالباني لكي يقوم بتوجيه رسالة إلى السفارة السوفيتية في بغداد يطلب باسم الحزب ضرورة عودته إلى بغداد. فيقول جلال: «وكان من المفروض ان ارافقه — يعنى إلى موسكو — لكنه اتصل بي وطلب ان ابعث إلى السفارة السوفيتية في بغداد رسالة مفادها ان الامور في الحزب وكوردستان تتطلب عودة ملا إلى العراق. وترافق هذا مع تولى صحيفة حزبنا انتقاد الاجراءات الخاطئة والمطالبة بتحقيق الوعود التي جاءت بها الثورة وانهاء الاوضاع الاستثنائية في العراق. كانت رغبة السوفيت ابقاء ملا في موسكو، وبعد ارسال الرسالة عبر السفارة السوفيتية في بغداد واقناعهم بضرورة عودة ملا وافق السوفييت على عودته شرط تحسين العلاقة مع عبدالكريم. وبالفعل جاء ملا والتقى مباشرة عبدالكريم وابلغه حتى بموضوع الأسلحة المعوضة، وعلى رغم عدم اعتراضه على هذا الموضوع بدا البرود واضحاً على وجهه.⁶⁷

66 جلال الطالباني. المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثاني- 6 كانون الاول. 1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

67 ن . م . س .

ولنعد إلى ملاحظات عصمت شريف حول أسباب تدهور العلاقات مع قاسم:

3- شمل الامتعاض العام كوردستان ايضاً، فقد طالت «فترة الانتقال» رغم تكرار الوعود بانهاؤها. رفض قاسم حرية الصحافة والأحزاب واقامة النظام البرلماني وكان قميناً ان يضع ذلك حداً للنظام الدكتاتوري. فالاغتيالات السياسية تفتت بوتيرة شبه يومية في شوارع المدن العراقية ضد العديد من الديمقراطيين تقوم بها عصابات مسلحة تعمل تحت اعين الشرطة المتواطئة. لقد حلت فترات كانت الصحيفة «خه بات» الوحيدة المسموح لها بالظهور ضمن كل المعارضة، وحتى آخر أيام ظهورها نددت بشجاعة بالاغتيالات السياسية والفضى التي عمت العراق وبعبارات عنيفة، داعية الحكومة وضع حد لها، وطالبت باطلاق الحريات وانهاء «الفترة الانتقالية».

4- بقيت المادة الثالثة من الدستور غير دقيقة ومجرد حبر على ورق، رغم طلب الاوساط الكوردية منح الشراكة العربية الكوردية صيغة عملية مؤثرة.

5- مثلت المادة 2 من الدستور المؤقت نقطة المجابهة السياسية المباشرة بين الحركة الكوردية ونظام قاسم. فحتى حلول شهر اكتوبر من عام 1960 لم يثر الكورد الاشكالية القائمة في المادة المذكورة. وقد وقع على عاتقها، وكان ذلك أثناء انعقاد المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمي في بغداد من 8 الى 19 من نفس الشهر»⁶⁸

كان عصمت شريف يرأس وفد جمعية الطلبة الأكراد في اوربا في المؤتمر الخامس لاتحاد الطلبة العالمي المنعقد في بغداد بين 18 إلى 19 من شهر اكتوبر عام 1960، وهو الذي أثار هذه النقطة الحساسة من الدستور المؤقت. ولنمض مع مايقوله هو بهذا الصدد:

«عند وصولنا بغداد كان يسودها جو من التوتر، فمدركات الجيش تجوب الشوارع والمجابهات تحدث بين مجموعات من القوميين العرب والشيوعيين. وحال وصولنا - سمحت السلطات لنا بالدخول في اللحظة الأخيرة - حللنا ضيوفاً على المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. كان وفد اتحاد الطلبة الأكراد مؤلفاً من كمال فؤاد السكرتير العام، تحسين هاوراماني محرر (مجلة كوردستان) وانا الذي لم يكن مواطناً عراقياً. وصل الزميلان قبلي إلى بغداد ورفضت تأشيرة الدخول العراقية

Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution 68 de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL.

اليهما . وكانت القنصليات العراقية فى اوروبا قد تلقت تعليمات من هذا النوع، وقد اكد لنا هذا ضمن آخرين جلال طالبانى، ورغم ذلك توجهنا نحو الطائرة المؤجرة من قبل اتحاد الطلبة الدولى، وفى بغداد منحت «تأشيرة جماعية» لجميع اعضاء الوفود الذين وصلوا . واثاء العشاء الذي اقامته الحكومة قدمنا رئيس اتحاد الطلبة الدولى إلى الجنرال قاسم، لم يبدو عليه اطلاقاً انه مسرور بوجودنا فى عاصمته .

القى قاسم خطاباً فى افتتاحية المؤتمر . وفى الخطاب الذى القيته باسم وفدنا، عددت «المنجزات الايجابية لثورة 14 تموز» للعراقيين وللاكراد قبل الإشارة إلى «نقاط معينة ليس شعب كوردستان راضياً عنها» وعلى رأس هذه النقاط اوضحنا التناقض بين المادة 2 و 3 من الدستور، بكلمات واضحة وبأسلوب موضوعى ذكرنا ماسبق فى هذا الكتاب . فالعراق العربى هو فقط جزء من الامة العربية فى حين كوردستان هى جزء من الامة الكوردية . هذا الخطاب الذى قرأته بالفرنسية نشر بكامله باللغة العربية فى جريدة خه بات والتي كانت تصدر فى ذلك الوقت.⁶⁹

أثناء المناقشات التى جرت بعد القاء الخطاب، حصلت مناقشات حامية بين وفدنا ووفد الدولة المضيفة، اى الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية والذى كان يعرف تحت شعار UGERI وكانت تسيطر عليه العناصر الشيوعية . رئيس هذا الوفد أكد ان المادة 2 والتي تنص على ان الدولة العراقية فى حدودها الحالية هى جزء لايتجزأ من الامة العربية، وان هذه المادة قد اعترفت بها جميع الاحزاب السياسية العراقية بما فيها الحزب الديمقراطى الكوردستانى . هذه التأكيدات تسببت فى اندلاع مظاهرات عارمة فى جميع المدن الكوردية ضد الحكومة العراقية، وفى بعض هذه المظاهرات حصلت مشادات وهوجمت بعض اللجان المحلية التابعة لكراد شيوعيين هم أعضاء فى الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية . وانهالت على وفدنا برقيات التأييد من كوردستان بعثت بها شخصيات كوردية ومنظمات الشباب والطلبة والكتاب والمعلمين والنساء والفلاحين ومن اللجان المحلية للحزب الديمقراطى الكوردستانى .

69 أنظر الى نص خطاب عصمت شريف فانلى فى مؤتمر اتحاد الطلبة العالمى المنعقد فى بغداد فى 18 - 19 / 10 / 1960 فى الفصل المعنون بـ «الإنعطف» .

وعلى أثر تصريحات رئيس وفد الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية اضطر (حدك) ان يتخذ موقفاً . فبتاريخ 19 أكتوبر 1960 نشرت خه بات مقالاً افتتاحياً بعنوان : « الامة الكوردية والمادة 2 من الدستور» قدم الحزب الديمقراطي الكوردستاني اطروحة مطابقة تماماً لوجهة نظرنا، وشرح بانه ان كان (حدك) لم يثر سابقاً عيوب المادة 2 من الدستور فيعود سببه إلى انه كان ينتظر نشر المشروع النهائى للدستور وايضاً لأن الدفاع عن الجمهورية كانت من أولويات نشاطه .

6 -أدى نشر هذه المقالة الافتتاحية إلى تقديم رئيس تحرير خه بات وهو سكرتير عام (حدك) السيد ابراهيم أحمد يوم 19/11/1960 إلى المحكمة العسكرية العراقية بتهمة «خرق الدستور ونشر الخلافات والاحقاد بين المواطنين العراقيين ودفعهم نحو التطرف» لكن القضية انتهت «بتصالح» وافرج عن ابراهيم احمد لأن وقت الاقتتال لم يحن بعد . وفيما يتعلق الأمر بنا فقد أخبرتنا السلطات العسكرية يوم 1960/10/24 بأن نغادر مع الوفد فى حين كنا ضيوفاً لدى (حدك) وكان من المفروض ان نزر كوردستان و تلقينا أوامر بمغادرة الأراضى العراقية فى أول طائرة تغادر المطار . بعد ان زرنا الجنرال بارزانى وبالتفاهق مع قادة (حدك) وحيث كان مكتبه السياسى يعقد اجتماعاً عاجلاً وسرياً فى بغداد، فضلنا ان نترك العراق كى لانكون سبباً فى تأزيم الوضع أكثر.

اذا كنا قد شرحنا باسهاب هذه الفترة ليس فقط لاهميتها فى تطور الاحداث التى أدت إلى الاقتتال بين الحكومة العراقية والحركة التحررية الكوردية، لكن ايضاً لأنه فى هذه الفترة تمكن (حدك) ولأول مرة من اخذ زمام المبادرة السياسية والدور الطليعى من الحزب الشيوعى العراقى فى المدن والقرى الكوردية .

يجب ان نذكر بأن كوردستان كانت ممزقة بسبب الصراع السياسى بين تيارين متنافسين، فالكوردستانيون من جهة كانوا ملتفين حول حدك، ومن جهة اخرى «انصار الانصار» فى البوتقة العراقية» كانوا ملتفين حول الفرع الكوردى للحزب الشيوعى العراقى . ومن الملاحظ ان هذا التيار الانصارى فى عام 1959 كان مسيطراً على كوردستان لدرجة ان تأثيره وصل احياناً إلى اضطرار كوادى (حدك) العيش فى شبه خفاء . ففى السليمانية واربيل وكركوك كما فى المدن العربية من بغداد إلى البصرة

كانت الجماهير تدعم الحزب الشيوعي العراقي وتطيع أوامرهم. وبفضل التأثير المفاجيء الذي احرز عليه (حشع) وتأييد الغالبية له بعد ثورة 14 تموز داخل اللجان والمنظمات الكوردية للشباب والطلبة والكتاب والمعلمين والمهنيين والنساء وآخرين، جميع هذه المنظمات حلت ودمجت -أرادت أم لم ترد- فى المنظمات العراقية العامة. حصل ذلك بتشجيع من قاسم وطبق القانون الجديد الذى سنّ من قبل نظامه. لم يقبل الاعضاء القدامى فى هذه المنظمات هذا الدمج وانما عملوا ضدها بعد ان كانوا قد قبلوا بها وهم فى غمرة «نشوة ثورية وتآخ كوردي-عربى». كان قد اعيدت هيكله هذه المنظمات الكوردية والتي لم يعد فيها غير أعضاء (حدك) وكان ينقصها التأييد الجماهيرى. فالجماهير كانت وراء المنظمات العراقية العامة والتي فتحت فروعاً لها فى كوردستان. كانت العواطف من القوة بحيث أن شيوعى كوردي كان يعتبر من قبيل «الاستفزاز الرجعى الشوفينى» إن سلّم عليه أحد الكوردستانيين باللغة الكوردية، وكان يجيبه بالعربية بأسلوب ساخر وتحدٍ. حقيقة لم يشهد هذا الوضع اللامعقول من قبل. ونشرت خه بات عدة مقالات عرضت بوضوح «المخاطر» التي يسببها «فرع كوردستان للحزب الشيوعى العراقى» للحركة التحررية الكوردية ودعت الصحيفة إلى حلّ هذا الفرع نهائياً.

ان تبنى الوفد الكوردي فى جمعية الطلبة الأكراد هذا الموقف فى مؤتمرات الاتحاد العالمى للطلبة والموقف المطابق للحزب الديمقراطى الكوردستانى، قلب الوضع فى أقل من أسبوعين، فقد كسب (حدك) تأييد الجماهير الواسعة على حساب الإنصهاريين فى الحزب الشيوعى العراقى. فأدارت الجماهير الكوردية ظهرها لـ (حشع) والتفت حول (حدك). وذكر لنا عضو المكتب السياسى جلال الطالبانى وذلك قبل ان ترغمنا الحكومة على مغادره بغداد : «أن حزينا كسب فى عشرة أيام عدداً من الأعضاء والمؤيدين أكثر مما كسبه خلال العشر سنين الأخيرة». فبالنسبة لهذه الجماهير ان (حشع) والاتحاد العام للطلبة العراقيين مسؤولين عن قرار المؤتمر السادس للاتحاد العالمى للطلبة تأجيل دراسة طلب الانضمام الذى قدمته جمعية الطلبة الأكراد فى أوروبا، لقد اتخذ هذا القرار رغم صداقة الوفود الافريقية تجاهنا وبالاخص من أفريقيا الفرنكوفونية والانتيل.

كسب (حدك) المبادرة السياسية خلال شهر أكتوبر عام 1960 على حساب العناصر(العراقية) من (حشع) والتي كانت تمثل عقبة أو عنصر شلل في طريق الحركة التحررية الكوردية، ومنذ ذلك الوقت أصبحوا أقلية في كوردستان، إن هذا عامل جدّ مهم، ففى الواقع أتاح هذا ليقوم (حدك) بدور طليعى فى دفع الحركة الكوردية إلى أمام ووفر الحرية فى تنظيم الدفاع عن الشعب الكوردى فى الحرب التى كانت تقترب تحت قيادة الجنرال بارزانى.

إن هذا يشكل دليلاً ملموساً فى كون الشعب الكوردى يضع كوردستان فى مقدمة كل شيء، وانه من غير الممكن أن يضمن أى حزب سياسى ولمدة طويلة تأييد الجماهير الكوردية له إلا إذا كانت سياسته تهدف بوضوح وصراحة وعزم إلى تحرير كوردستان.

7- لقد بقيت معظم مشاريع الاصلاح فى كوردستان حبراً غلى ورق. فأعضاء مديريةية التعليم الكوردية كانوا موظفين لاغير فى وزارة التعليم العامة، لم تكن لديهم صلاحيات وكانوا دون نشاط. ولم تهتم الحكومة بتوصيات المؤتمرات اللذين عقدتهما مديريةية التعليم الكوردية، ورفضت الحكومة تشكيل الأكاديمية الكوردية بذريعة وجود الأكاديمية العراقية، مع ان الأخيرة اقتصر نشاطها على الثقافة العربية. ولم يرَ النور لا الاوتونومى ولا المتحف ولا المعهد الكوردى

8- وفى نهاية عام 1960 تم اغلاق الصحف الكوردية الثلاث: هه تاو، ژين و ده نكى كورد. ونفى المحررون إلى جنوب العراق.

9- وفى مجال التخطيط الاقتصادى العراقى، اهملت كوردستان كلية رغم وجود الثروة الطبيعية فيها بوفرة. وخلافاً لرأى الخبراء السوفيت والذين كانت بغداد تشاورهم، فقد قرر قاسم انشاء مصنع الصلب فى العاصمة بغداد، هذا رغم توفر المواد الخام فى كوردستان. وينطبق نفس الشيء على الطاقة الكهربائية التى ينتجها سدّ دوكان ودريندخان وهما فى كوردستان. وليس للأكراد أى نفع منها. فالطاقة الكهربائية نقلت إلى الجنوب فى المناطق العربية لغرض تشغيل المصانع التى هى الأخرى تحتاج إلى المواد الأولية المستوردة من كوردستان. ومن حيث الإرواء فان

المياه المحبوسة خلف السدود تروى المناطق العربية حيث الأراضي أكثر انخفاضاً من الاراضى الكوردية، علاوة على إغراق عشرات القرى الخصبة فى سهل شھررزور، وتحول القرويون الكورد إلى عاطلين وبأئسين بسبب فقدانهم لأراضيهم. فلم تقدم الحكومة لهم غير النزر اليسير كتعويضات، وسرق الموظفون الفاسدون نصف هذا المبلغ المخصص لهم. كما إن مصفاة النفط فى خانقين والتي أسهمت فى رخاء هذه المدينة، هى الأخرى نقلت بأمر من قاسم إلى الجنوب. وفيما يخص معمل الدخان فى السليمانية والتي افتتحت فى ظل نظام قاسم، فى الحقيقة كان النظام السابق قد بدأ بإنشائها وكان المعمل على وشك الانتهاء عندما سقط النظام الملكى.. كما إن الطرق المعبدة العامة الضرورية لنقل الفاكهة من كوردستان لم يعر لها أى إهتمام من قبل الحكومة، لذا فسدت الفاكهة، هذا عدا الإشارة إلى المشاكل الخطيرة التي كانت تواجه محاصيل التبوغ.

10- أما السياسة الخارجية العراقية فإنها لم تعر أى إهتمام لثنائية الدولة، لقد ضحت بالمصلحة الكوردية.

11- أما الأكراد الفارين من تركيا وايران وسوريا والذين التجؤوا إلى كوردستان فقد رفض قاسم منحهم حق اللجوء رغم احتجاجات جريده خه بات وطلبات الأكراد كما تنص عليها المادة 19 من الدستور المؤقت. أعيد البعض منهم إلى الحكومات التي فروا منها، أو لقوا معاملة فضلة من الموظفين العراقيين.

12- ازداد خوف وقلق أعضاء اللجنة المركزية لحدك على حرياتهم وعلى سمعتهم بسبب الموقف الحكومى، فقد اتهمت الحكومة السكرتير العام للحزب ابراهيم أحمد بتهمة القتل المتعمد لاحد الإقطاعيين الكورد وهو برىء من هذه التهمة. أما عمر مصطفى، عضو المكتب السياسى فقد اعتقل ونفى إلى مدينة عربية لكنه هرب من المنفى فى بداية العمليات والتحق بالثورة.

13- فى 1961/2/17 نشرت جريدة الثورة القريبة جداً من قاسم وكانت تعبر صراحة عن آرائه مقالاً تحت عنوان «القومية العربية ومشكلة الأقليات» دعت بصراحة إلى صهر الأكراد. وتساءلت «من هو العربى؟» أجابت الصحيفة «جميع اولئك الذين

ارتبط قدرهم بالوطن العربي أياً كان أصله سواء كان كوردياً أو أرمنياً أو من السود» انطلاقاً من فكرة ان العراق بحدوده السياسية هو جزء من الوطن العربي وتحدد الصحيفة ان قدر «الأقلية الكوردية في العراق» مرتبط بقدر الأمة العربية وأن «هذه الأقلية يجب صهرها» لكن لاتذكر الصحيفة كيف يتحقق هذا الصهر، هل بالقوة؟ وتعتبر الصحيفة عن ندمها لأن عملية الصهر لم تنفذ في الماضي بسبب الامبريالية البريطانية.⁷⁰

كان (قاسم) يهدد (ملا مصطفى) بالكشف عن وثائق تدينه، وهي مجموعة رسائل كان ملا مصطفى قد بعثها في أعوام 1943-1945 إلى الممثلين البريطانيين في بغداد كتبها بخط يده، وهي رسائل لم يكن على علم بها أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، فأنبى جلال الطالباني يدافع عن ملا مصطفى ويتحدى السلطة لنشر هذه الوثائق، في مقالة كتبها في صحيفة الحزب.⁷¹

كان لنفوذ الأغوات أثر كبير في مجرى الأحداث في كوردستان وكانوا يخشون الاصلاح الزراعي وتوسع نفوذ الحزب الشيوعي العراقي. فقد تجمع عدد من الأغوات واتباعهم وهم من مناطق رانيه ويشدر في تموز عام 1961 واجتمع رؤساء العشائر في دار الشيخ حسين بوسكين وهم من الملاكين «وقرروا قطع الطريق بين رانيه وكويسنجق والسليمانية وعدم السماح للقوات الحكومية بالتنقل»⁷²

«وفي عين الوقت قامت العشائر في منطقة السليمانية وهي(هماوند وشوان وشيخ بزین وسمايل عوزیری والجاف) بقطع طريق بازيان ودر بندخان بعد جمع مسلحيهم وبذلك انتشرت اخبار الثورة في المنطقة وكانت تلك العشائر تتصور بأنها الجهة الوحيدة المسيطرة على كوردستان وكانوا يقولون بأنه في حالة عدم رضوخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني لمقاصدهم وعدم خضوع أعضاء المكتب السياسي واللجنة

Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution 70
de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL.

جلال الطالباني. المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثاني- 6 كانون الاول.
1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

عبدالله بشدرى. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 . الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول
البشدرى. مطبعة الثقافة . اربيل. 2001 . ص: 20 . (المؤلف شاهد عيان)

المركزية للحزب الهاربيين من السلطة المركزية لأوامرهم فانهم سيقفون ضدهم
أيضاً.»⁷³

من الواضح ان رؤساء العشائر سبقوا الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى
الانتفاضة وورّطوا الاخير في خطتهم، وهذاخير مؤشر على بدايات الثورة الكوردية
المفتقرة إلى التخطيط. والمنطلق العشائري لازمها حتى النهاية. ونلجأ إلى شهادة
إثنين من المشتركين فى الحركة هما (جلال الطالبانى) و(عبدالله احمد رسول
پشدرى) ولنبدأ بشهادة الأخير:

«ومع ان موقف العشائر كان بهذا الشكل إزاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني
الا ان الحزب لم يكن يرغب فى قطع الصلة بالعشائر والجماهير الكوردية وخلق هوة
بين طبقات المجتمع الكوردستاني لذا التجأ جميع أعضاء المكتب السياسى واللجنة
المركزية والصادر بحقهم أوامر القبض إلى كوردستان وانخرطوا بين صفوف تلك
العشائر وبدأوا يعملون على احلال نوع من الانسجام بينهم وبين رؤساء العشائر لأنه
لم يكن أمامهم خيار غير هذا فأصدر الحزب المذكور أوامره إلى كافة أعضائه
ومناصريه القادرين على حمل السلاح الالتحاق بقوات تلك العشائر(وأنا كنت واحداً
منهم حيث تلقيت أمراً حزبياً بوجوب التحاقى فوراً والتوجه إلى وادى خلكان والانخراط
فى صفوف الحركة العشائرية المذكورة)...⁷⁴

كان جلال الطالبانى موجوداً أثناء انعقاد هذا التجمع العشائرى وعارض قرارهم
بقطع الطريق بين رانية والسليمانية وكويسنجق واعتبره عملاً خطيراً وغير مقبول،
واقنعهم جلال بالانتظار الا ان يذهب إلى بارزان ويأخذ رأى ملا مصطفى بهذا
الشأن. فقبلوا. وهكذا غادر الطالبانى إلى بارزان والتقى بملا مصطفى. «.....»⁷⁵
ويذكر(جلال الطالبانى) بهذا الصدد:

73 عبدالله بشدرى. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 . الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول

البشدرى. مطبعة الثقافة . اربيل. 2001 . ص: 21

74 عبدالله بشدرى . ن.م. سابق. ص: 21

75 ن.م. سابق. ص: 21

"وبعد دراسة الموقف في حزبنا تولد اتجاهان، الأول على رأسه الملا (يعنى ملا مصطفى) وكنت أنا أقوده، وآخر قاده الأستاذ ابراهيم أحمد والدكتور عزيز شمدينى والدكتور نورى شاويس ومالت أكثرية المكتب السياسى إلى اعتبار ان هذه الحركة عشائرية مشبوهة ترتبط بإيران والتاريخ أثبت أن كل الحركات العشائرية فاشلة ولا مستقبل لها لذا على الحزب الابتعاد عنها . فيما كان الاتجاه الأول الذى يمثله ملا وأنا والاستاذ عمر مصطفى دبابه والشهيد على العسكرى وملا عبدالله اسماعيل، يرى ان هذه الحركة تستغل المشاعر القومية الكوردية وإخافة عبدالكريم وما علينا سوى العمل ضمنها من اجل افراغها والسيطرة على قيادتها واخراج عناصرها وبالتالي نحن الذين نتولى العمل المسلح الحقيقى ضد عبدالكريم قاسم.(.....)

«...وقد سعى (ملا) إلى تشجيع هذا الإتجاه العشائرى وكان يعتقد بأن دفع هذه العشائر إلى التجمع فى مناطق وادى خلكان بهدينان ورائيه ودريندخان ودهوك ستدفع عبدالكريم قاسم إلى الرضوخ والمصالحة مع الحزب وملا مصطفى....»⁷⁶

بعد ان عاد جلال الطالبانى من زيارته إلى بارزان إجتمع برؤساء العشائر واخبرهم بعدم موافقة ملا مصطفى على خططهم متذرعاً بعدم وجود دعم خارجى ونصحهم بضرورة قيادة كل آغا لمجموعته المسلحة والقيام بحرب عصابات ضد السلطة لإرغام نظام قاسم على التفاوض وتلبية المطالب الكوردية.⁷⁷ لكن عباس مامند آغا وشيخ حسين بوسكين وأغوات بشدر لم يأخذوا النصيحة .

كانت العشائر من القوة بحيث كلفوا جلال الطالبانى وعبدالله آغا بشدرى بالتجوال فى مناطق پنجوين وجوارتا وحث العشائر إلى الانضمام للحركة، ولنمض مع مايقوله شاهد عيان الا وهو (عبدالله بشدرى) :

«بدأنا بالجولة (يعنى مع جلال الطالبانى) فقصدنا دار قادر تيكرانى فى السليمانية وقد دخلناها سراً ثم توجهنا إلى پنجوين

76 جلال الطالبانى. المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثانى- 6 كانون الاول. 1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

77 عبدالله بشدرى. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 . الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول البشدرى. مطبعة الثقافة . اربيل. 2001. ص: 22.

وأقلنا الأخ كمال حاجى فرج إلى پنجوين بسيارته ليلاً فشهدنا قرب الدار شيخ عبدالكريم الموجود فى قرية (لوبان) قرب پنجوين مجموعة من (ال دراويش والصوفية) حاملين بنادق برنو فأعترضوا سبيلنا وبعد ان تعرفوا علينا استقبلونا استقبالاً غير ودى وسمحوا لنا بالذهاب إلى مضيف الشيخ عبدالكريم وعندما حضر الشيخ فاتحناه حول مشاركته فى الحركة العشائرية وأيد الحركة وأبدى استعداداه الكامل للمشاركة فى القتال وفرحنا بهذا الموقف كثيراً وصدقناه فى كل ماقاله وكنا متصورين بأنه سيصبح قائداً بارزاً فى الثورة الكوردية وبتنا يومنا عنده. وعلمنا بمقدم الشيخ لطيف الشيخ محمود إلى پنجوين وفى ضيافة حاجى رشيد ولم يكن يرغب جلال الطالبانى زيارته لكون العلاقة بين الشيخ لطيف والحزب الديمقراطى الكوردستانى آنذاك كانت غير جيدة وكان الشيخ المذكور محسوباً على الحزب الشيوعى لذا كلفنى جلال الطالبانى بزيارته والتحدث اليه باسم رؤساء العشائر وطالبته بالانضمام إلى الانتفاضة وتبواً مركز والده الشيخ محمود الحفيد وباستغلال هذه الفرصة وقيادة الحركة وقلت له ان جميع الناس فى كوردستان يقبلون بزعامتك لكونك نجل الشيخ محمود. الا انه لم يكن مقتنعاً وطلب منى امهاله فرصة للتفكير فى هذه المشاركة وبعدها سيخبرنا بالنتيجة وانى بدورى ودعت الشيخ لطيف وعدت إلى جلال الطالبانى وذكرت له مادار بيننا بالتفصيل فكان رأى جلال هو نفس رأيبى وهو عدم قناعة الشيخ لطيف بهذه الحركة ولكونه كان ينفذ تعليمات الشيوعيين.....»⁷⁸.

وفى هذه الجولة التقى المبعوثان بحه مه رشيد خان وحه مه صديق خان ومحمود بگ كولى وشيوخ (نزاره) وأحمد مينه رندان وحاج ابراهيم چه رمه كا وآخرين. وبعد عودة المبعوثين إلى وادى خلكان عرضا على رؤساء العشائر النتائج الموفقة لجولتهما.⁷⁹

ويضيف عبدالله بشدرى:

«..... وبسرعة البرق ثارت معظم مناطق ألوية السليمانية واربيل وبدأ أعضاء

78 عبدالله بشدرى. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 . الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول
البشدرى. مطبعة الثقافة . اربيل. 2001. ص: 24

79 ن.م. سابق. ص: 21

الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالانخراط فى صفوف الثورة بعد ترك المدن وقاموا بنشاط ملحوظ وخاصة فى منطقة شقلاوه لأن معظم مسلحي تلك المنطقة كانوا من أعضاء ومؤيدي ومؤازري الحزب الديمقراطي الكوردستاني وهم آنذاك بقيادة محمود كاوانى وحמיד كاوانى وشمس الدين مفتى وملا عبد الله إسماعيل الملقب ب (ملا ماطور) ..⁸⁰

ويذكر جلال الطالباني لمراسل الاسبوعية العربية (الوسط) أمراً ينبغي الوقوف عنده بتمعن إذ يقول: "في كانون الاول (ديسمبر) 1961 عقدنا اجتماعاً للجنة المركزية بمن حضر، وكان عددنا 12 عضواً، والموضوع المطروح هل نقاتل أم لا ؟ وقررنا تشكيل حركة الانصار الدفاعية المسلحة على ان تمارس الكفاح المسلح على طريقة حرب الانصار، وان لاتتخلى عن الحوار والتصالح، ورفعنا شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتى لكوردستان. وعارض هذا القرار اثنان من اعضاء اللجنة المركزية أحدهما الأستاذ علي عبد الله، وهو الآن نائب رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، اذ قال ان قرار الثورة خطأ وان عبدالكريم قاسم سيعود إلى توجهاته الديمقراطية تحت ضغط القوميين بحكم قلة خياراته. اما الشخص الثاني فهو المرحوم المقدم نوري أحمد طه، أحد الضباط الذين ساهموا في جمهورية مهباد ، وقال في ضوء تجربته الشخصية ان كل حركة مسلحة بقيادة ملا مصطفى سيكون مصيرها الفشل. وهكذا بدأت عمليات الكفاح المسلح في أواخر العام 1961، على شكل حرب عصابات ومن بعدها توسعت.

هنا لابد وان ننظر إلى المقطع السابق بدقة، فالبدء بشن ثورة هي عملية معقدة تتطلب استراتيجية ومعرفة بالموازنين بين طرفي الصراع وبالأخص التأكد من أهلية القيادة ووحدها لضمان أداء دورها التاريخي، وهنا يبرز للعيان الموقف العقلاني لنوري أحمد طه للقضية الوطنية الكوردية، فقد كان واضحاً في توجهه من أن مكمن الخطر هو ملا مصطفى نفسه وأن قيادة غير مؤهلة ستودي بنضال الشعب إلى كارثة محققة. لكن القادة الآخرين لم يعيروا لرأي نوري أحمد طه الاهتمام اللازم فركبوا الموج ولم يمض وقت طويل حتى تعثرت المسيرة النضالية وثبت أن توجه نوري أحمد طه كان صائباً، لكن بعد فوات الأوان.

80 ن.م. سابق. ص: 25

وفى رسالة مطولة مؤلفة من 24 صفحة موجهة من جلال الطالبانى وهو عضو المكتب السياسى والقائد العسكرى لمنطقة السليمانية، موجهة إلى عصمت شريف فالنلى ومؤرخة فى 9 تموز 1962 يتناول الاوضاع فى كوردستان بتفصيل دقيق وجاء فيها :

«اجتمعت اللجنة المركزية لـ (حدك) فى شهر نيسان/ابريل 1961 لاتخاذ قرار أزاء استفزازات ونوايا قاسم العدوانية، هل ينبغى «اعلان الثورة أو اتخاذ موقف دفاعى حالة هجوم قاسم على بارزان بشكل خاص وعلى كوردستان بشكل عام» ... كان سكرتير الحزب ابراهيم احمد يعتقد ان كوردستان ليست مهيأة لشن حرب ضد الحكومة وان الاستعدادات العسكرية الدفاعية الكوردية هى فى درجة الصفر وانه حتى بارزان حيث هناك الجنرال بارزانى، ليست فى وضع عسكرى مناسب. وان توقعات الدعم الخارجى للأكراد هى ايضاً فى مستوى الصفر، لذا يجب اتخاذ موقف الحيطه والحذر والتأهب للدفاع، هذا الا اذا قرر البارزانى اعلان الثورة مبتدئاً ببارزان. لكن واثاء حالة الانتظار ينبغى اتخاذ اجراءات دفاعية تقوم بها لجنة ستتشكل وعليها واجب تنظيم نواة من الانصار وتوفير مستودع للسلاح والمؤنة.⁸¹

وفى رسالته إلى عصمت شريف يذكر الطالبانى: "وفى شهر آب (أوائله حسب ما أتذكر) حدثت تجمعات عشائرية مسلحة فى منطقة خلكان (قضاء رانية) تحت قيادة وبتحريض عباس مامند آغا واغوات بشدر وشيخ حسين وقد أيدت اللجنة المحلية لحزبنا فى رانيه هذا التجمع واشتركت فيه وكان قد حدثت تجمعات عشائرية فى سورداش (السليمانية) وفى منطقة شقلاوة كانت هناك تجمعات فلاحية (پارتية فى غالبيتها) تحت قيادة عضو اللجنة المركزية لحزبنا المناضل ملا عبدالله اسماعيل. ثم توسعت التجمعات العشائرية فى قضاء جوارتا ومنطقة شهرزور.

ان الموقف الرسمي للحزب تجاه هذه التجمعات كان كما يلي:

الاشترارك فيها بغية توجيهها وقد كلف الحزب الاستاذ عمر مصطفى

Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution 81
de 1961. Page : 99-100. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL

المحامي (عضو المكتب السياسي الذي كان قد فرّ من السجن لتوه، كلف بتمثيل الحزب ضمن مسلحي منطقة خلكان كما كلف جلال الطالباني المحامي الذي كان مختلفاً عن الانظار الحكومية بتمثيل الحزب في قضاء جوارتا وكادرين آخرين في سورداش وشهرزور وخلال شهر آب تطورت التجمعات المسلحة تطوراً عجبياً إذ بدأ رجال العشائر يرضون رأيهم أكثر من اللزوم ودون عقل او تدبير او حساب لمستقبل الحركة او موقف الحكومة او أي حساب معقول للوضع السياسي والعسكري المتوقع. وهكذا احتلت قوات العشائر المسلحة (دربندي بازيان ودريندي خان) وهما بابي السليمانية باعتبارهما مضيقين يفصلان السليمانية عن كركوك وديالى.

وكان قاسم يعد العدة لشن هجوم مسلح على كوردستان بينما كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني يعمل لتحاشي تصادم مسلح (وفق قرارات لجنته المركزية) وقدم مذكرة إلى الحكومة طالباً إنهاء الاوضاع الاستثنائية واطلاق سراح المعتقلين واطلاق الحريات الديمقراطية وعدم عرقلة صدور جرائد الحزب الموقوفة عن العمل بصورة لاقانونية، ومن ثم اجراء انتخابات حرة لانتخاب المجلس الوطني ومن ثم وضع الدستور الدائم وضمان حقوق الشعب الكوردي القومية وغيرها من مطالب الشعب، كما استتكر الحزب مواقف الحكومة الرجعية وتعاونها ودعمها للعناصر الاقطاعية الخائنة وتمويلها اياها بالمال والسلاح.

لقد خطا الحزب خطوة أخرى اذ دعا في 6 أيلول 1961 إلى اعلان اضراب عام في كوردستان (في ذكرى حادثة 6 أيلول 1930) لتأييد مذكرة الحزب الأنفة الذكر. وقد نجح الاضراب نجاحاً منقطع النظير، اذ اغلقت السليمانية وهلبجه وبنجوين ودرينديخان وجوارتا وماوه ت ورائية وقلعه دزه وكركوك وكويسنجق وجمجمال ودهوك وزاخو والعمادية وشقلاوة ورواندوز وخانقين اغلقت أسواقها وواقفت اعمالها أي كان الاضراب نجاحاً رائعاً جداً. ونجح الاضراب في اربيل نسبياً وكذلك في طوزخورماتو وكفري وپردی.

ان الاحداث كانت تمر بسرعة وكانت اللجنة المركزية قد دعيت إلى اجتماع في 14 ايلول 1961 لتقرير موقف الحزب من جديد، الا ان الهجوم القاسمي الوحشي حدث في 9 ايلول على درينديخان ودهوك وفي 11 ايلول على بازيان وبقية مناطق كوردستان،

وكان هجوماً وحشياً قاسياً، استعمل العدو فيه أثقل وأحدث وافتك الاسلحة من طائرات ودبابات ومدافع ورشاشات.

لقد قرر سكرتير الحزب وعضو في المكتب السياسي وعضو احتياط فيه يوم 11 أيلول مايلى:

تنظيم فصائل الانصار الوطنية من التجمعات الموجودون بسرعة لتهيئتها لشن حرب الانصار (خلاف رأي العشائر التي كانت تميل إلى تجمعات جبهوية علنية، بدلاً من اسلوب حرب الانصار - بارتيزان)

ارسال عضو المكتب السياسي الاستاذ عمر مصطفى لمعرفة موقف الملا مصطفى من الثورة، ومعرفة ما إذا كان وضعه في بارزان (التي كانت خارج الثورة حتى هجوم قاسم عليها يوم 16 و 17 أيلول) يساعد على اشتراكه في الحركة ام لا؟ وحينما علم السكرتير وبقيّة اعضاء اللجنة المركزية ان بارزان مشتركة (منذ 18 أيلول) صدر بيان حزبي لشن حرب فصائل أنصار وطنية على نطاق كوردستان كلها، اذ كانت الاوامر الحزبية قد صدرت قبل 11 أيلول لمنطقة شقلاوة بتأديب عصابات الشقاة الاقطاعيين وفي 14 ايلول لمنظمات الحزب في بهدينان ببدء الحركة الثورية. وهكذا دخل الحزب في الثورة. وكان أعضاء المكتب السياسي (بسكرتيره واعضائه) من المندفعين للثورة وعملوا (بكل طاقتهم) لتوسيعها وتقويتها وانجاحها.

ولكن حدث مالم يكن متوقفاً فقد انهزمت العشائر في لواء السليمانية ولم يبق في الميدان الا الحزبيون (وكانوا قليلين جداً لقلة سلاح الحزب).

أما في لواء اربيل فقد كان المئات من الانصار البارتيين يقودهم عضو اللجنة المركزية ملا عبد الله اسماعيل يخوضون ببطولة معارك عنيفة ضد قوات الجيش والشرطة و(الجحش بوليس) - الشرطة غير النظامية - في منطقة شقلاوة، وكان التفوق في البداية لنا إذ حررت الفصائل البارتيية أغلب مناطق شقلاوه واحتلت ناحية هيران ومراكز الشرطة في (هرتل) و (باليسان) وقه لاسنج، وبذلك اسر الانصار الشرطة ومدير الناحية (رقيب حسين ملا) ومعاون مدير شرطة اربيل (عبدالقادر

النجدي) وحصل الانصار على مئات البنادق وعلى عدة رشاشات ومدافع هاون. وظلت هذه العناصر الثورية البارتيية تقاتل العدو الاكثر عدداً وعدة) وعصابات الاقطاعيين الخونة، وظلت تقاتل ثلاثة أشهر حتى نفذ عتاها وانسحبت إلى منطقة (بشت كلى) من قضاء خوشناو أي بعيداً عن القضاء.⁸²

في الواقع كانت بارزان تعاني من الضغوط قبل اندلاع الحركة الكوردية بعام، فقد كان التوتر في شهر تموز على أشده بين بارزان والعشائر المعادية التي تطوقها من الجهات الثلاث عدا الحدود الدولية مع تركيا. إذ كان قاسم قد سلح روءساء الريكان والزيبار والسورجي والبرادوستيين وشجعهم على مهاجمة بارزان. وبهذا الشأن كتبت اليومية الكوردية خه بات في افتتاحيتها في 7 تشرين الاول 1960 عدد 331 مايلى:

واجب إخواننا العرب حيال العدوان الرجعى على بارزان

تتعرض بارزان منذ مدة إلى اعتداءات متكررة تقوم بها حفنة من الاقطاعيين الاكراد والخونة من حملة اوسمة فيصل ونورى السعيد، ومن ايتام العهد الملكى المندثر، ولايخفى على احد المغزى الحقيقي لهذا العدوان الاجرامى الذي تشنه قوات الاقطاعيين المتآمرين الخونة، اعداء الجمهورية والديمقراطية، ضد بارزان التي كانت على الدوام قلعة حصينة للحرية وللجمهورية الديمقراطية العراقية. خاصة اذا اخذت بنظر الاعتبار حقيقة محاولة المستعمرين واذنابهم لخلق جو من القلق والارهاب في البلاد تمهيدا لامرار المؤامرات المعادية لشعبنا ولجمهوريةه.

انهالت آلاف البرقيات حاملة آلاف التواقيع للاحتجاج على اعتداء اعوان الاستعمار الخونة على بارزان الابية ولمطالبية السلطة بالضرب على ايدي المعتدين بشدة تنفيذاً لواجبها في صيانة ارواح وممتلكات المواطنين، واحتراما لمشاعر الشعب الكوردى، ومنعا لحدوث ما لا يحمد عقباه اذا استمر التحشد الرجعى المسلح.

82 رسالة بخط يد جلال الطالباني الى عصمت شريف فانلى مؤرخة في 1963/7/9. كوردستان الجنوبية -باله ك-

استنكر الشعب الكوردي استنكارا شديدا هذه المحاولة الجديدة للاعتداء على بارزان، لانه يدرك جيدا مغزاها هذا ولأنه تعلم من تجاربه الخاصة ان المستعمرين واعداء القومية الكوردية يبدؤون ببارزان في توجيههم الضربات الاولى اليها في كل معركة يريدون خوضها ضد الكورد وكوردستان.

وبالاضافة إلى ماتقدم، المصلحة الوطنية ايضا تتطلب الاسراع في توطيد الاستقرار ووضع حد نهائي لمثيري القلاقل والشغب والضرب بأيدي من حديد على اعوان الاستعمار الذين لا يخفى على السلطة الوطنية نشاطهم التامري، ويعلم الشعب كله خيانتهم وجرائمهم العديدة ضده.

ان اخواننا العرب، على اختلاف احزابهم الوطنية وافكارهم السياسية الديمقراطية، مدعوون إلى إدراك خطورة العدوان الرجعي على بارزان ونتائجها السيئة جدا على سلامة الجمهورية والوحدة الوطنية، وهم مدعوون ايضا إلى اداء واجبهم الوطنى اولا والقيام بما تستلزمه الاخوة العربية الكوردية ثانيا.

وذلك برفع اصوات الاحتجاج والاستنكار على هذه المؤامرات الاجرامية الجديدة التي تحيكتها القوى الرجعية المتنامرة ولمطالبه الحكومة الوطنية بايقاف المعتدين عند حدهم وتأديبهم، اذ اثبتت الوقائع ان التساهل مع المتنامرين والاقطاعيين الخونة لايزيدهم الا اصرارا على ارتكاب الجرائم والتمادى في الخيانة والتامر.

وقيام اخواننا العرب بواجبهم هذا سيؤدى حتما إلى تقوية الاخوة العربية الكوردية وتعزيز الثقة بين القوميتين العربية والكوردية من جهة والى وضع حد لنشاط تأمري خطير من جهة ثانية.

فالى اداء هذا الواجب الوطنى ندعو جميع اخواننا العرب الحريصين على الاخوة العربية الكوردية ومصالح الجمهورية الديمقراطية.»

أما الطالبانى في رسالته إلى عصمت شريف فيذكر:
«شهد شهر آب/اغسطس حالة هيجان وتجمع للعناصر العشائرية المسلحة فى

مواقع مختلفة من البلاد، في خلكان ورائية بقيادة عباس مامند آغا والشيخ حسين بوسكىنى وفى منطقة سورداش التابعة للسليمانية وفى (ورتى) وأماكن أخرى، وتظاهر الفلاحون ومعظمهم أعضاء فى (حدك) وشملت المظاهرات مدينة شقلاوه تحت امره عبدالله اسماعيل⁸³.

وبشأن إيفاده من قبل الحزب لنقل مادار من نقاش إلى ملا مصطفى فى بارزان فيقول: « لم يكن رئيسنا راغباً فى اعلان الثورة اطلاقاً » ثم يمارس الطالبانى النقد الذاتى فيقول « لقد أثبتت الأحداث بشكل واضح أن التحليل العلمى للأغلبية كان صائباً »، اذ كان هونفسه مع الأقلية الراغبة فى شن العمليات الثورية⁸⁴.

وفيما يتعلق بنفس الموضوع يقول الدكتور سعد جواد:

« فى اجتماع عقد فى شهرتموز 1961 انقسمت اللجنة المركزية إلى قسمين، الغالبية التى يترأسها إبراهيم أحمد أصرت على أن الأوضاع غير ناضجة لشن الثورة وانه من الافضل التحضير لها تحت قيادة (حدك) وفى نفس الوقت الابقاء على صلة بالحكومة. ومن رأيهم ان على (حدك) اعلان الثورة فى ثلاث حالات: عند عدم ادخال حق الحكم الذاتى فى الدستور الدائم. منع الحزب من العمل و فى حالة الهجوم على بارزان. وكان من رأيهم ان ايران هى التى تستخدم القوى العشائرية خدمة لأهدافها ضد ثورة تموز. وانه خلال الوقت المناسب سيتمكن الحزب من شن ثورته «التقدمية» دون الاعتماد على القبائل.

أما الاقلية ويترأسها جلال فكانت تحبذ اعلان الحرب على الفور وكانت خشيتها هى تولى زعماء العشائر قيادة الحركة الكوردية وكان الهدف هو أخذ زمام المبادرة منها⁸⁵.

Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution 83
100.-de 1961.Éditions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL. Page : 99
100.- Ibid. Page : 99 84
81. Ithaca Press-Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. P. 80 85
London. 1981.

" فقد اتفق الطرفان على أخذ النصيحة من ملا مصطفى. وانتدب عمر مصطفى عن الأكثرية وجلال عن الاقلية وهما من المكتب السياسي، غادرا للقاء ملا مصطفى. بينما أرسل نوري أحمد طه للقاء قاسم لكسب الوقت. وفضل ملا مصطفى رأى الغالبية لكنه أبلغ المبعوثين ان على الحزب اعلان الحرب أيضاً فى حالة هجوم تقوم بها الحكومة ضد عشيرة (أكو) التي يترأسها عباس مامند آغا....."⁸⁶

هنا يظهر بوضوح ضعف توجه الطرفين ومن خلالها هزلة البرجوازية الكوردية الناشئة والمتردة وقلة ثققتها بالذات وغياب وجود أية خطة استراتيجية.

وفى رأى سعد جواد أن قاسم نفسه فى النهاية دفع (حدك) نحو الحرب فى 1961/9/24 عندما منع نشاطه السياسي.⁸⁷

ويذكر سعد جواد عن النتائج التي تترتب على موقف (حدك) هذا فيقول: "ان قرار (حدك) الانضمام إلى ثورة ذات قاعدة عشائرية كان من الاسباب الرئيسية فى تدهور سمعته، على الاقل بين اوساط المثقفين. لو بقى (حدك) صادقاً فى التصاقه بالآمال الوطنية الكوردية، لما استسلم للزعامة القبلية للثورة وبذلك حطم فرص قيادته للحركة. وقد فطن القادة لهذا العمل فى عام 1964، عندما طردهم ملا مصطفى بالقوة ليرسخ سلطوته ويوقع اتفاقاً مع الحكومة."⁸⁸

ويقول القيادي الدكتور محمود عثمان بهذا الصدد :
«...الا ان هنالك نقطة قميئة بالإشارة وهى ان اندلاع الثورة لم يأت بعد التخطيط اللازم والدراسة الموضوعية للوضع فى الداخل والخارج آنذاك بل فرضته الاوضاع والظروف الاستثنائية فى تلك الفترة....»⁸⁹

81- Ibid. P. 80 86

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970.By Sa'ad Jawad. Ithaca Press London. 87
1981P: 81.

Ibid . P: 82. 88

89 الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية. تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. 1977. ص: 10 .

يتضح مما سبق أن الملاكين والأغوات هم الذين جرّوا الحزب وليس العكس إلى ميدان المجابهة مع نظام قاسم. ولم يكن أمام قادة الحزب غير ابداء ردود أفعال، إذ كان قد صدرت أحكام بالقاء القبض على معظم القادة الرئيسيين: ابراهيم أحمد وجلال الطالبانى. واختفى معظمهم أو وصلوا إلى جبال كوردستان. أى بالأحرى كان هناك ضغط من الملاكين الكورد ومن حكومة قاسم على قادة الحزب ودفعهم نحو المقاومة المسلحة. كان موقف المكتب السياسى بين ضغوط العشائر الكوردية والحكومة العراقية بمثابة «متلقى للأفعال» وابداء «ردود أفعال». ولهذا كان موقفه هزياً دائماً، ومن هذا الضعف نتجت انحرافات خطيرة سببت قبل كل شيء تقوية المنحى القبلي والفردى فى قيادة الحركة الكوردية وفساد ادارتها وسقوط الثورة فى عام 1975.

هنا لابد من كلمة حول تركيبة القيادة الكوردية. فالمجتمع الكوردى كان مشكلاً من الأغوات والشيوخ ومن البرجوازية الكوردية التجارية الصغيرة وهى فى بدايات نموها. وكان هناك تداخل وترابط فى داخل الانسان الكوردى، فالانتماء العائلى، والعشائرى والطائفى والصوفى والقومى والحزبى كانت متداخلة فى ذات الفرد. وعندما تتناقض المصالح ينحاز الفرد إلى المكونات الاقتصادية والثقافية الأقوى فى ذاته. فقد يتخلى عن قوميته لصالح العشيرة أو الطريقة أو ينحاز إلى قوميته أو إلى عائلته. وبصورة عامة لم يكن هناك حدود واضحة المعالم لاتباع بتداخل المكونات الاجتماعية الرئيسية فى المجتمع، فلم يكن هناك قومية بحت أو عشائرى أو صوفى بحت. لكن بشكل عام كانت القوة الرئيسية فى المجتمع الكوردى هى القوة العشائرية - ملاكون مستغلون وفلاحون مضحون يناصرون طغاتهم - واكثرها تماسكاً. والحزب الديمقراطى الكوردستانى كان يعكس هذه الحقيقة بقوة فى نخبته القيادية. فقوى الريف المتمثلة فى شخص ملا مصطفى وقوى المدينة المتمثلة فى المكتب السياسى لم تتسجم بصدد كيفية ادارة دفة الحركة التحررية. ففي مجرى الصراع الريفى-المدينى، كانت الغلبة للريف وانكسار المدينة طوال فترة حياة الحركة .

ولابد من الإشارة إلى قضية مهمة لاتزال غامضة. الا وهى كيف تم تأسيس الحزب الديمقراطى الكوردستانى، هل فعلاً بمبادرة من ملا مصطفى؟ أم ليس لها أساس من الصحة؟ المشكل ان المصادر الحزبية غارقة فى الطابع الدعائى بحيث لاتتوفر فيها

مايكفى من المصدقية للاعتماد عليها . فقد وجدت اثناء قراءتي لكتاب (جرجيس فتح الله . زيارة للماضى القريب . وقد كتبها فى السويد بعيداً عن ضغوط السياسة فى كوردستان ومغرياتها) يذكر ما هو مخالف تماماً للشائع من ان ملا مصطفى هو الذى اسس الحزب . فيقول بوضوح: « فى أول مؤتمر للحزب آب 1946 انتخب (ملا مصطفى البارزاني) رئيساً وهو بعيد عن الوطن (كان موجوداً فى جمهورية مهاباد) ويضيف فى تعليق فى الحاشية: «كان ذلك بمبادرة الهيئة المؤسسة . فقد بعثت بمندوبها (حمزه عبدالله) المحامى إلى مهاباد لحمل ملا مصطفى على القبول برئاسة الحزب .» . فإن صح هذا ، فهو يعنى ان المثقفين المؤسسين للحزب لم يكونوا واعين لحقيقة مهمة وهى انه من غير الممكن مواجهة مشاكل العصر وتحدياته بعقلية قديمة مثل ايجاد تنظيم سياسى عصري وقضايا الديمقراطية والتقدم الاقتصادى والثقافى . إن هذه المبادرة منهم فرضت حالة سياسية خطيرة على عاتق الحركة التحررية الكوردية فأصبحت القيادة فريسة لخلافات دموية وهوت تحت ثقلها مرات عديدة ولاتزال تشكل عائقاً أمام تقدم المجتمع الكوردى وانفلاته من القبضة العشائرية والعائلية . وهم يتحملون جزءاً مهماً من المسؤولية فيما آلت اليه الاوضاع الكوردية من تمزق واقتتال داخلى وسقوط الحركة فى النهاية .

لم يعد لقاسم أصدقاء مخلصين فقد أدت النزعة الدكتاتورية لديه إلى محاولة تهميش دور الأحزاب مما أضعف مركزه . وأخذ يوزع الأسلحة على العناصر المعادية لبارزان ويمول أغوات الزيبار والريكان والسورجية.⁹⁰

أختار قاسم أهم شخصيتين فى الحزب الديمقراطى الكوردستانى ليوجه اليهما الانتقادات ، وهما ملا مصطفى و ابراهيم أحمد . ففي شهر تشرين الثانى 1960 قدم ابراهيم أحمد إلى المحاكمة بوصفه صاحب امتياز « خه بات » بتهمة اثاره النعرات القومية وبث التفرقة ، لكن المحكمة برأته .⁹¹ وفي 3 آذار 1961 صدرت مذكرة توقيف ثانية بحق ابراهيم احمد لابتهامة سياسية بل بتهمة المشاركة فى حادثة مقتل (صديق ميران) رئيس عشيرة خوشناو واحد مؤيدي قاسم وكان قد قتل فى شهر شباط

90 جلال الطالبانى . المجلة الاسبوعية الوسط . العدد 357 . 30 تشرين الثانى- 6 كانون الاول . 1998 . ص: 22-23-24-25-26-27 .

91 العراق فى عهد قاسم . اوريل دان . ترجمة جرجيس فتح الله المحامى . دار نبل للطباعة والنشر 1989 السويد : ص: 414 .

بالقرب من شقلاوه، نفى ابراهيم احمد هذه التهمة بشدة، ثم الغيت مذكرة التوقيف في اليوم التالي، لكن ابراهيم احمد اختفى عن الانظار وبقي في بغداد.⁹²

ثم وجه انتقاداته إلى ملا مصطفى، وقد عاد إلى فترة هي مجهولة تماماً لدى السياسيين وكوادر الحزب وحتى مجهولة في الوسط البارزاني، هذه الفترة مهمة جداً لفهم شخصية ملا مصطفى وسيكولوجيته، أعني شبابه وحتى بداية عودته من السليمانية عام 1943. وهذا يغطي أكثر من 40 عاماً من الفراغ في حياته. ينبغي التعمق في هذه الفترة بشكل علمي مجرد من أي انحياز، وذلك لفهم شخصيته الحقيقية الخالية من الرتوش الحزبية المضللة.

ففي 23 من شهر أيلول 1961 دعا قاسم إلى مؤتمر صحفي وادلى بحديث دام أكثر من ساعتين. ونورد هنا بعض ما كتبه جرجيس فتح الله حول هذا المؤتمر:

«خصص الجانب الاول منه لحديثه والجانب الثاني لأسئلة الصحفيين. وقد احتفظت ببعض اجزاء هامة من حديثه هذا اثبتته هنا بنصه تاركا للقارئ حرية الاستنتاج:

«طلبت منكم الاجتماع بكم اخواني الصحفيين، لابلغكم اننا تمكنا بعون الله وبعون المخلصين من ابناء شعبنا المظفر، وبجراحة جيشنا المخلص ان نحطم أقوى مؤامرة استعمارية ضد بلدنا.»

ويقول جرجيس فتح الله عن الملف الخاص الذي فتحه عبد الكريم قاسم هو « ملف وقفت عليه شخصياً » وايضاً ملف آخر يعود إلى وزارة الداخلية.

تناول عبد الكريم قاسم الرسائل التي وجهها ملا مصطفى إلى المسؤولين البريطانيين بين أعوام 1943 - 1945 وهي مجموعة رسائل لم يكن قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني على علم بها، ولا حتى البارزانيون. هذه الرسائل تعكس العقلية التي كان يدير بها الشؤون السياسية، انها عبارة عن إلتماس ينزل إلى مستوى

غير معروف في عالم السياسة. فهو يقسم في رسالته بأغلق الأيمان «انني لا ازال على وعدي معكم حتى الموت»⁹³.

في رسالة اخرى: « للكايتن هولت » إذا امره فانه يشعل ناراً ويرمي نفسه فيها.....» عرف هذا الاسلوب من الكثير من الأغوات الكورد وهم يلتمسون عطف الموظفين الحكوميين من أجل امتيازات تغدق عليهم مقابل الولاء غير المشروط. وفيما بعد مارس نفس الأسلوب مع شاه إيران في السبعينات من القرن العشرين.

ويضيف جرجيس فتح الله: « بعدها انتقل إلى حياة ملا مصطفى في العشرينات فقرأ في المؤتمر الصحفي عريضة معزوة إلى (ملا مصطفى) في اواخر العشرينات يطلب فيها تعيينه حارساً للغابات بمرتب لا يتجاوز 4 دنانير شهرياً. ثم قرأ على الحضور تقريراً جاء فيه ان [ملا مصطفى] في شهر كانون الاول 1933 تصدى مع بعض رجاله إلى مدير ناحية بارزان في الطريق العامة، وطلب من الحكومة ان تدفع له امماً مائتي دينار او عشرين دينار شهرياً. والأ فانه يهدد بالعودة إلى الشقاوة وتكليف الحكومة أضعاف هذا المبلغ!»⁹⁴

تقع المهمة على عاتق المؤرخين الكورد في كشف صعود نجم ملا مصطفى من شاب لايعرف الكثير عن القومية والوطنية إلى رئيس بلا منازع للحزب الديمقراطي الكوردستاني. انها عملية معقدة تقتضي الكثير من البحث والتحليل والجرأة في كشف المراحل الخفية والمنعطفات التاريخية في المجتمع الكوردي. وقد يكون مفيداً من وجهة نظر تاريخية واجتماعية، عمل دراسة مقارنة مع حزب البعث العربي الاشتراكي وصعود نجم صدام حسين - وهو محدود الثقافة - ليصبح رئيساً بلا منازع لحزب البعث ويحكم العراق لأكثر من عقدين من الزمن.

93 العراق في عهد قاسم . جرجيس فتح الله . دار نيز للطباعة والنشر. السويد . 1989) ص: 580

94 ن . م . س . ص : 851 .

هنا لابد من كلمة عن الوضع في كردستان - إيران - إذ في عام 1958 التجأ العديد من الكوادر المتقدمة لحدك إلى كردستان الجنوب. هؤلاء لعبوا دوراً مهماً في الحركة التحررية الكردية تحت قيادة ملا مصطفى - فبعد سقوط جمهورية مهاد نهاية عام 1946 ، وما تلا ذلك من اعدامات ، وتحكيم قبضة الجيش الإيراني وأجهزة السافاك في كردستان، اضطرت الحركة الكردية إلى العمل السري. وكما هو الحال في العراق، توسع نفوذ الحزب الشيوعي العراقي في كردستان واصبح القوة المهيمنة، كذلك الحال مع (حدك) -إيران- إذ هيمن نفوذ حزب توده واصبح (حدك) منذ عام 1948 بمثابة الفرع الكردستاني لحزب توده.

وبوصول مصدق إلى الحكم عام 1951 ساد إيران جو نسبي من الحرية، نشط فيه الحزب الديمقراطي الكردستاني. وفي عام 1951 انتفض الفلاحون في مناطق مهاباد ضد ظلم الاقطاعيين. وفي شهرى مايس وحزيران من عام 1953 شهدت مهاباد مظاهرات تعرض لها البوليس الإيراني، لقيى احد المتظاهرين حتفه كما اعتقل البوليس عدداً من المتظاهرين. وفي أغسطس 16 من عام 1954 قامت مظاهرة جماهيرية حاشدة تأييداً لمصدق وهي أيضاً مناسبة لإحياء ذكرى تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في عام 1945، القى فيها الشاعر المشهور هيمن احدى قصائده. وهي المرة الاولى التي يظهر فيها الشاعر هيمن ملقياً شعره بعد سقوط جمهورية مهاباد .

لم يدم حكم مصدق طويلاً إذ عاد الشاه بعد انقلاب خطط له الـ C. I. A. واضطر الأعضاء القياديون للحزب الديمقراطي الكردستاني إلى الاختفاء، فالتجأوا إلى القرى النائية. وخاب ظن القيادة الكردية في الحزب الشيوعي الإيراني الذي تراجع عن موقف شن الصراع المسلح فبدأت القطيعة مع (توده) وهذا بدوره أدى إلى استقلالية الحزب فكرياً وعملياً . خلال سنوات الضغط والاضطهاد الشديد بعد عودة الشاه، لم تعد هناك قيادة كردية موحدة لكل كردستان، انما كانت هنالك لجنتان رئيستان، لجنة مهاباد التي أشرف عليها شخصيات فعالة: عزيز يوسفى، غنى بلوريان، عبد الرحمن قاسمى، كريم ويسى وعبدالله اسحاقى (أحمد توفيق) أما لجنة الحزب في سنندج فقد تولى إدارتها السيد شريعتى ومناضلون آخرون.⁹⁵

- Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. 1979. Flammarion. Paris. 95
P :186,187,188.

تمكن غنى بلوريان من اصدار صحيفة كوردستان بين أعوام 1954-1955 لكنها توقفت بعد ان اكتشف السافاك اجهزة الطباعة فى تبريز وتم مصادرة العدد 5 من صحيفة كوردستان. ومن جانب آخر اتحدت لجنة مهاباد وسنندج وناهز عدد أعضاء الحزب عدة آلاف عضو. كما أنشأ الحزب روابط مع قوى اليسار فى العراق وسوريا وايران.

لابد من ذكر أن أحمد توفيق ومنذ باكورة شبابه انضم إلى حركة التحرر الكوردية ولعب دوراً كبيراً فى دفع التنظيم الحزبى إلى الأمام فى ظروف سياسية قاسية، بإخلاص وهمة نادرة متحدياً جبوت القوى الفاشية المعادية للحركة التحررية الكوردية. وفى واقع الأمر كانت حالة السقوط واليأس والخوف فى المجتمع الكوردى فى ظل نظام الشاه قد وصلت إلى درجة يتطلب مواجهتها التحلى بإرادة وعزم لايلينان، تنهض بالامة من كبوتها وتمزق جدار الخوف وتشيع الأمل من جديد فى أوساط الأمة الكوردية. وكان أحمد توفيق من مناهضى حكم الشاه وخدم بشكل رئيسى الثورة التى قادها ملا مصطفى. ولد من اسرة دينية فى مهاباد عام 1932 ولم يتسلق إلى أعلى الوظائف الحزبية من خلال عشيرة أو واسطة، إنما بإخلاصه لقضية تحرير الشعب الكوردى وتفانيه وذكائه.

وعندما ضيق السافاك الايرانى الخناق على نشاط حرك-ايران- التجأ عدد منهم إلى كوردستان بعد 14 تموز 1958. وللحقيقة نقول ان هؤلاء لم يضمنوا بخدماتهم سواء فى كوردستان - العراق أو ايران- فقد كانت كوردستان بالنسبة لهم وطناً واحداً لايتجزأ. وتصرفوا وفق هذا المنطق تماماً كما سنرى. ففى رسالة وجهها أحمد توفيق إلى ملا مصطفى مؤرخة فى 1960/5/5 يشكو فيها الحالة المزرية التى يعيش فيها اللاجئون من كوردستان ايران فى مناطق السليمانية وقد تراكمت عليهم الديون، ويقول:

« لو سارت الامور كما هى الآن، فأعتقد أن وضعاً سيحدث من شأنه أن يستاء كل كوردى مخلص».⁹⁶

96 مسعود البارزانى. البارزانى والحركة التحررية الكردية. 14 تموز 1958- 11 ايلول 1961. وثيقة رقم 26 مكتوبة بخط يد أحمد توفيق. ص. 261 - 262. سنة 1990.

وفى رسالة اخرى مؤرخة فى 1960/5/26 ينبه إلى المخاطر التى قد تحدثها نزعات الـ (عراقى) و الـ (ايرانى) الـ (قبيحة) هنا ايضاً يكشف عبد الله اسحاقى اولوية الانتماء الكوردي وتغليبها على جميع الانتماءات الحزبية الاخرى. فهو ينتقد «التصرفات الحالية للإخوان (البارتيين) حيال 200 - 250 شخصاً من الذين تشردوا للنضال فى سبيل الكورد وكوردستان»⁹⁷

ويضيف:

«ولكن الأهم من مسألة اللاجئين هو موضوع العلاقة بين الحزبين، هذه العلاقة لم تتوضح فحسب وانما لم يجر بصدها حديثاً ولم يعقد من اجلها اجتماعاً.....»
ويقول فى نهاية رسالته: «ان العلاقة القوية والمتينة بين كوردستان ايران وهنا (يعني كوردستان الجنوبية-عراق) هو واجبنا التاريخى والقومى وهو ايضاً كرامتنا وعزة وطنيتنا»⁹⁸



من اليمين أحمد توفيق (عبد الله إسحاقى) وحسن إسحاقى

97 ن.م. س. ص: 266.

98 ن. م. س. ص: 267.

رغم مضي ثمانية أعوام على تشرد أحمد توفيق فقد ظل نشطاً ويتصل بزعماء العشائر في جنوبي كردستان لاقتناعهم بالانضمام إلى الصف الوطني.⁹⁹

وبمناسبة احتفالات ثورة أكتوبر، حاولت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني المشاركة في السفر إلى موسكو مع «الرفيق القائد مصطفى البارزاني....» وإيفاد وفد يضم (قاسم سلطانيان) و (سليمان معيني - ابن وزير الداخلية السابق في جمهورية مهاباد) وعبدالله اسحاقى . لكن هذه الزيارة لم تتم.¹⁰⁰

كانت الاوضاع المالية لأعضاء (حدك) ايران، في هذه الفترة صعبة جداً . ومع هذا بقي أحمد توفيق ورفاقه يتحملون المصاعب ولايلوون عن درب النضال.

وفي واقع الامر أصبح (أحمد توفيق) واحداً من المناضلين البارزين الذين خدموا انتفاضة الكورد ضد نظام قاسم وكان قريباً جداً في السنوات الاولى من ملا مصطفى، أى قبل تطور علاقات الاخير بنظام الشاه محمد رضا بهلوى.

99 ن.م. س. وثيقة رقم 28. ص: - 261 270

100 ن. م . س . ص: 270 .

احتلال أراضي بارزان 1961

لابد من كلمة مع بعض التفصيل حول خصائص الحياة في ريف بارزان بعد 14 تموز عام 1958. وبإمكانني هنا التحدث كشاهد عيان على ما كانت عليه الأوضاع الحياتية في الاعوام الأربعة التي فصلت بين انقلاب تموز وبداية الانتفاضة الكردية عام 1961. وقد ينطبق هذا إلى حد كبير على عموم اوضاع الريف الكوردي الفقير، مهد الانتفاضة، باستثناء الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية المأساوية المتميزة لمناطق بارزان.

بعد اطلاق سراح شيخ بارزان من السجن وعودة اللاجئين من الاتحاد السوفيتي بعد إنقلاب 14 تموز 1958، اجتمع شمل البارزانيين على ارض الوطن، وتم تعيين عدد من البارزانيين في وظائف في المدن مثل اربيل والسليمانية والموصل.

بعد تموز 1958 سمح لجميع المنفيين البارزانيين بالعودة إلى موطنهم، ولأول مرة شاهدت منطقة بارزان، - كان بيتنا في بارزان لا يزال مهتماً بعد انتفاضة 1945 - فاختر والدي السكن في قرية ريزان وهي تبعد عن بارزان مسافة ما يقارب ثلاث ساعات مشياً بالأقدام، وبما انه لم يكن لدينا بيت في قرية ريزان فقد تخلى مختار القرية (محمد زادو) مؤقتاً عن بيته لنا واختر السكن في دار احد القرويين. لقد كانت القرية مؤلفة من ثمانية عوائل لايربو عدد سكانها عن 40 شخصاً. كان الوضع العائلي يحمل آثار العنف والاضطهاد والموت. لم تكن هناك عائلة واحدة تطورت ونمت بشكلها الطبيعي الا فيما ندر، كانت العوائل غير متكاملة من حيث تركيبتها جراء تفتيت شملها بالحروب والمنفى والموت والظلم والدمار. لم تكن عين المراقب لتخطيء في كون المنطقة هي "منطقة منكوبة" وكأن زلزالاً قوياً عصف بها.

كانت زوجة مختار القرية قد توفيت تاركة خلفها ولداً وبنيتين وكان ربّ العائلة، المختار(محمد زادو) يقوم بامور الطبخ والاعتناء بالاطفال لوحده.
(به ندى) أرملة لها ولدان وبنيت، كانت ترعى الغنم، وابنها (نه بو) يعمل يومياً سقاءً لمركز الشرطة، كان يحمل المياه من النهر إلى مركز الشرطة الذي يطل على النهر

والقرية. لم يستلم أي راتب من مركز الشرطة طوال ستة أشهر. كانت عملية شاقه، صعوداً وهبوطاً كل يوم مع دابته لتزويد طاقم الشرطة بالماء.

وعائلة اخرى (احمد فقو) مكونة من أخوين وأخت وكان الوالدان قد توفيا .
(حسن آيشى) الذى عاد من الاتحاد السوفيتي كان قد تزوج هناك وعاد مع طفلين وكانت زوجته البارزانية قد ماتت اثناء لجوئه في روسيا . خلفت زوجته الاولى بنتاً، كانت الجدّة آيشى (والدة حسن) تعنتي بها لوحدها، اذ كان والد حسن قد فارق الحياة.

(حفصه خانم) ارملة الشهيد (ولى بگ) قتل الأغوات ابنها (احمد) كما ذكرنا في المجلد 2 وابنها (سعيد ولى بگ) كان قد التجأ إلى روسيا . كانت (حفصه خانم) تعيش مع اخت ولى بگ (حليمه) و زوجة سعيد (آيشى) وابنتها الصغيرة . لم يكن بينهم ذكور . هؤلاء كانوا ايضا يعيشون في نفس القرية .

عائلة ميرخان ميرو كانت مؤلفة من الوالدين وأربعة أولاد وبناتان .
عائلة حاجي به سى كانت مؤلفة من الوالدين وستة أطفال ذكور .

ذاكرة القرويين كانت محشوة بصور الحروب والتشتت والموت والرحيل وظلم الاغوات واضطهاد الحكومة العراقية . كانت كل معلوماتهم التاريخية لاتتعدى ما اودعه الكبار الذين ماتوا إلى احفادهم واولادهم، ولم يكونوا على علم بما يجري خلف حدود المنطقه من احداث . ولم يكن أي من القرويين ليملك حتى راديو ترانزيستور، وما يحصل خلف الهضاب المحيطة يمثل عالماً آخر . كانت دهشتي كبيرة لهذا الحرمان من ابسط وسائل الحضارة . نسبة الامية كانت 100 % . عاش الاطفال في جو من الحرمان والخوف الشديد من البوليس، والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشوها أنضجتهم قبل الاوان وارغمتهم على العمل في سن مبكرة في الحقول تحت أشعة الشمس الحارقة، لسد رمقهم . لكن يجب الإشارة إلى أن قوة الرابطة النقشبندية بين معظم البارزانيين هي التي مكنتهم من تحمل المصائب والمظالم واوجدت الثقة بالنصر في النهاية . الواقع ان ثقافتهم كانت ثقافة بارزانية (ثقافة نقشية) وكانوا رغم الوضع المأساوي يعيشون على أمل النصر المقبل .

مايلفت النظر هو عدم وجود أي أثر ملموس للخدمات الحكومية . لاتوجد في طول

مناطق بارزان وعرضها خدمات للمياه والكهرباء أو المدارس أو المستوصفات¹⁰¹. كانت القرى معزولة وتعيش ظروف القرون الماضية. لا يوجد شيء اسمه نقود الا فيما ندر. الناس يعيشون على قوتهم اليومي من محاصيل الحبوب وما تجود به الطبيعة. آثار سوء التغذية كانت واضحة على ملامح القرويين. كان النظام الملكي ومن بعده النظام الجمهوري لا يعبران أي اهتمام بهذه القرى ولم يعمل على تنمية موارد المنطقة الزراعية كما لم تمول اية مشاريع ثقافية او اقتصادية ذات شأن.

هنا لابد من الإشارة إلى دور الحزب الشيوعي العراقي في الاعداد للثورة داخلياً وخارجياً، تنظيم الفلاحين في نقابات وجمعيات سرّية وتبني مطالبهم في الارض واعدادهم للثورة في عدد من مناطق العراق العربي، مثل الفرات الاوسط، وركز الحزب نشاطه من اجل تحقيق «المناصفة» في المحصولات والانتفاضة بوجه الاقطاعيين المسندين من الحكومة. وكان الحزب الشيوعي يرى قبل انقلاب 14 تموز 1958 امكانية القيام بثورة يقوم الفلاحون بانتفاضة تساندها المدن وينضم اليها الجيش.

102

اختلفت التركيبة الفكرية للريف الكوردي عن تركيبة الريف العربي، فقد كانت الافكار السائدة في ريف كوردستان متجذرة في التقاليد الموروثة والفكر الصوفي عميق الجذور وسط العديد من القبائل الكوردية يمنع إلى حد كبير تغلغل الافكار الجديدة وسط تلك القبائل. فرغم العيش في الاتحاد السوفيتي قرابة 12 عاماً، عاد البارزانيون وهم محتفظون بكامل معتقدتهم. ومع هذا كان للحزب الشيوعي تأثيراً محدوداً في قضاء ميركه سور كما اشرنا إلى ذلك في كتابنا السابق.

خلت معظم قرى مناطق Mizori Jeri, Mizori Bala, Sherwani Dera, Seremeznaa من المدارس والمستوصفات في العهد الملكي والجمهورى على حد سواء. لكن في السنوات الثلاث الاولى من حكم عبدالكريم قاسم، شعر سكة المنطقة بالأمان، اذ تقلص نفوذ الاغوات كثيراً كما وضع حداً لاعمال البوليس المجحفه بحق

101 تم بناء مدارس ابتدائية في ميركه سور، بارزان وبلى وشيروان في العهد الملكي في حين بقيت غالبية قرى بارزان بلا مدارس.

102 سلام عادل. سيرة مناضل مجلد 1. ثمينة ناجي يوسف و نزار خالد. دار المدى للثقافة والنشر. 2001 قبرص. ص: 202، 203، 205.

الاهالي.

اضافة إلى جمع شمل البارزانيين في ارض الوطن، طراً تحسن نسبي في الانتاج الزراعي. فالبارزانيون الذين عادوا من المنفى السوفيتي اكتسبوا خبرة في تلقيح وتطعيم وانماء الاشجار واستثمار الاراضي والمياه، وأتوا باصناف جديدة من الفاكهة وزرعوها في بساتين وحقول بارزان.

في الواقع كان الفلاح مهماً في هذه الاصقاع النائبة، ولم يكن موضع اهتمام رجال الدولة المترفين في بغداد، رغم ان الطبقة الفلاحية كانت تشكل الغالبية العظمى من السكان. فقد ندر ان زار هذه المناطق رجال الدولة، والزيارات التي قاموا بها كانت خاطفة ولأغراض الدعاية لاغير. فبقيت المنطقة في حالة من التخلف والفقير. كانت الفروق كبيرة بين حياة الريف الفقير وحياة المدن. لم تكن المشاريع والقوانين المتعلقة بالاصلاح الزراعي جدية بما فيها الكفاية، وهكذا بعد عقود من تأسيس الدولة العراقية لم يصل شيء من خيرات الحكومة العراقية إلى هذه المناطق. إن طالبوا بحقوقهم اشتركت القوات البريطانية والعراقية في ضرب وتدمير القرى، وإن سكتوا اهملوا وسلطت عليهم حكم المخافر وسوط الأغوات الظالمين. في حقيقة الامر كانت كردستان "مستعمرة داخلية مهمة" فيما تستغل ثرواتها النفطية لاغناء بغداد وتمويل مشاريع في مدن عربية سنية على الاكثر.

سبق وان نوهت إلى جمع شمل البارزانيين على ارض الوطن بعد العودة من المنافس اثر الاطاحة بالنظام الملكي. إختار والدي قرية ريزان للسكن اذ كان بيتنا في بارزان مهتماً منذ عام 1945. - ورغم زوال نظام صدام حسين بقي منزلنا في ريزان حتى ساعة الانتهاء من هذا الكتاب مهتماً، إذ تم تفجيره بالديناميت من قبل المرتزقة عام 1987 - شيخ بارزان عاد إلى مسقط رأسه بارزان مع الاكثرية من العائلة البارزانية، وسكنوا في منازل مؤقته ريثما تبنى لهم منازل جديدة. بينما سكنت مؤقته عائلة ملا مصطفى في ميركه سور، اذ تخلى محمد آغا ميركه سوري وشقيقه عبدالله واولادهم عن منازلهم لهم.

خصصت حكومة عبدالكريم قاسم اموالاً كافية لبناء منازل لجميع أفراد العائلة

البارزانية، وكانت حصتنا 6 غرف مع مرافق، ثم انتقل جزء من عائلة ملا مصطفى إلى ريزان وبنيت الحكومة لهم منازل في القرية ريزان. وفي الصيف ذهبت برفقة ادريس ملا مصطفى إلى معبر في (بلي) لاستقبال عقيلة ملا مصطفى الثالثة، حيث كانت هي وابنها مسعود لدى والدها محمود آغا الزيباري طوال فترة وجود ملا مصطفى في المنفى السوفيتي، شاهدنا في الطرف الآخر من النهر قافلة من البغال تقترب، إيذاناً بوصولهم إلى مناطق بارزان. لم تكن هناك طرق سيارات تربط القرى المتناثرة في هذه الجبال.

كان انقلاب 14 تموز قد أزال كابوساً مؤلماً عن عامة السكان: عرب وكورد وأشوريين وكلدان وتركماني، وخلقت حالة من النشوة والابتهاج الشعبي ظل سائداً لسنوات، وبقي عبد الكريم قاسم بطلاً محبوباً من الجماهير.

نجح قاسم في تقليص نفوذ معظم الأحزاب العراقية ضمنها الحزب الشيوعي العراقي الذي كان من أقوى الأحزاب قاطبة. لكن دون ان يتقوى هو من ضعفها. وفيما يخص سياسته في تقليص نفوذ الحركة الكوردية فقد أدت إلى الحرب عام 1961، واحياء نفوذ المرتزقة الكورد. واستغلت هذا الصراع، القوى المعادية للحقوق الكوردية وللحزب الشيوعي العراقي ولقاسم. وفيما كان الجانبان يتقاتلان كان البعثيون يستعدون للانقضاض على السلطة ومن ثم شن حريين "إبادة" ضد الحزب الشيوعي العراقي وفيما بعد الهجوم على كوردستان بمساعدة حزب "البعث الشقيق" السوري الذي استولى على السلطة في دمشق عام 1963.

في بداية الستينات كانت ثلاث مجموعات ذا نفوذ سياسي في كوردستان:

- بارزان

- التجمعات العشائرية الكوردية

ويمكن تقسيم الأخيرة إلى قسمين: (أ)- عشائر موالية لبارزان والحركة الكوردية. (ب)- عشائر معادية لبارزان، وهي العشائر التي انضمت إلى الحكومة العراقية كمرتزقة.

- الحزب الديمقراطي الكوردستاني: وينقسم إلى تيار ملا مصطفى، وتيار المكتب

السياسي. والحزب كان ساحة صراع بين الرئيس وأعضاء المكتب السياسي. كما كانت منظمة (كازيك) نشطة، لكنها لم تتحول إلى منظمة جماهيرية واسعة، وبقي نشاطها محصوراً في السليمانية حيث نشأت، وعند حصول الانشقاق بين ملا مصطفى ومكتبه السياسي، أيد تيار (كازيك) ملا مصطفى، وأصبح يشكل تياراً داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني.¹⁰³

وجدت بارزان نفسها وسط عشائر معادية لها وممتعضة من تنامي النفوذ البارزاني اثر ثورة تموز، وكانت أيضاً معادية للإصلاح الزراعي وفقدت امتيازاتها بسقوط النظام الملكي ومكروهة من قبل المثقفين والوطنيين الكورد، ومن هذه العشائر ريكانى، زيبارى، سورجى وبرادوستى ولاتحمل مشاعر وطنية فى صفوفها¹⁰⁴ وهذه العشائر تمثل الطوق الجغرافى الذى يحيط ببارزان ويحاصرها تماماً بحيث لايبقى لبارزان غير الحدود التركية إلى أقصى الشمال.

واستطاع صادق بارزاني ويصحبه سعيد ولي بگ، تخفيف العداء بين بارزان وجارتها الغربية المتمثلة في عشائر برادوست وقائدها الروحي شيخ رشيد الساكن في (لولان)، اذ توجه شخصياً لمقابلة شيخ برادوست وأقنعه بأن بارزان لاتكن له العداء بل راغبة فى إقامة علاقات حسن الجوار معه، كما شدد على منحنى أهمية الوحدة الكوردية وما تجلبه من خير واستقرار للجميع. وكان حجي محمد ابن الشيخ رشيد حاضراً أثناء الاجتماعات. ثم واصل صادق بارزاني مساعيه وفق خطة تهدف إلى كسب ودّ العشائر التى هى خلف الخط المعادى لبارزان. واعتبر عبدالعزيز حجي ملو وهو من وجهاء عشيرة المزورى ومن أصدقاء بارزان الأوفياء وارتبط بصادق بارزاني بروابط حميمة. كما وسع صادق دائرة علاقات بارزان الودية مع العشائر البعيدة، فى بادينان وسوران على حدٍ سواء.

103 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. ص: 168 - 169 .

104 1970. By Sa'ad Jawad. P. 53. Ithaca Press- Iraq & the Kurdish Question 1958
London. 1981.



صادق بابو بارزاني وملا أحمد بيخشاشي وخلفهما الزنزانة في سجن الموصل 1953

وفى داخل بارزان استمرت الخلافات بين أسعد خوشفى ومصطفى ميروزي، وهى خلافات ممتدة جذورها إلى فترة منفاهما فى الاتحاد السوفيتى وبقيت دون حلّ. وفى النهاية ترك مصطفى ميروزي قريته ميروز وأقام فى المنطقة التى كانت تحت النفوذ الحكومى.

لقد تمتع صادق بشعبية كبيرة ليس فقط بين البارزانيين، انما بين الاوساط الكوردية المثقفة. فقد ذكر جلال الطالبانى لعدد من الشخصيات وفى مناسبات عديدة، كما سمعت منه شخصياً يقول: "لو بقى صادق على قيد الحياة لما حصل خلاف بيننا وبين ملا مصطفى ولما حصل الإقتال الداخلى ولما انتهت الثورة بهذا الشكل المأساوى...".

ولابد من ذكر انه كان فى بارزان توجه واضح فيما يتعلق بدورها فى قضية التحرر الوطنى. فقد كان من رأى صادق أن الأقدار فرضت على بارزان دوراً ومسؤولية تاريخية تجاه مقاومة الظلم وقضية التحرر الوطنى، وكان يصرح بهذا لمن يثق بهم. ان لبارزان رسالة تاريخية تؤديها، وما أن يتم ذلك عليها أن تتسحب وتترك المجال للسياسيين المخلصين لكى يقوموا بدورهم. وليس من القيم البارزانية الاستفراد بالحكم وتوظيفه لخدمة مصالح فردية وأن هذا ليس من إختصاصها بل يبعدها

عن دورها الطبيعي. ثم انه لايجوز المخادعة والتضليل فى امور جوهرية فى حياة الشعوب كقضية التحرر من الظلم والعبودية. ولايجوز استخدام هذه الأهداف النبيلة لهدف شخصى أو لربح مادی.



ملا مصطفى وصادق بابو بارزاني، بغداد 1959

كانت قوة شخصيته تتبع من روح الخدمة المخلصة وتمسكه بالمبادئ والقيم القومية والوطنية والمنحى التقدمى للنضال الشعبى وكان يدرك ان العلم اساس تقدم المجتمعات ولا بد من الاعتماد عليه فى النضال وتحريك الجماهير. ويريد تغير القبائل عن طريق دفعها نحو قيم الانتماء إلى الامة الكوردية بدل الانتماء القبائلى. وكانت نظرتة إلى الحزب تختلف تماماً عن نظرة ملا مصطفى، فهو يرى فى الحزب أداة نضال وخدمة وقوة للحركة التحررية الكوردية وتقدم المجتمع وليس أداة للتسلط والدكتاتورية.

التركيبة الداخلية البارزانية كانت منقسمة إلى مجموعتين رئيسيتين:

المجموعة التى تسكن قرية (شرى) وهو «تجمع روحى» عن اقتناع، اختاروا نمط حياتهم المتميز، وخليط من كافة القبائل والقرى البارزانية ولهم أتباعهم فى القرى النائبة. وينوب عن شيخ بارزان فى الارشاد (شيخ خورشيد) وهذه المجموعة محصنة كاملاً من كل ما هو خارج عن فضائها الروحى. وكانت تقيم لـ {ملاى ملا محمود}

مرشد بارزان الذي أعتيل في 1/9/1927 في بارزان مع اثنين من المريدين - سبق وان تناولنا هذا الموضوع في كتابنا السابق تحت فصل معنون بـ (ملاى ملا محمود . اغتيال المرشد) . - تقديراً فائقاً وتعتبره رمزاً للحق والعدل وترى الاغتيال عملاً في منتهى الاجرام، ولم تكف للقتلة في العمق غير كونهم «مجرمين» و«محتالين». هذه المجموعة مرتبطة بشيخ بارزان مباشرة ولاتثق بغيره من أفراد العائلة البارزانية .

والفئة الثانية كانت مؤلفة من مجموعة اخرى من المريدين والاتباع تدين بالولاء لشيخ بارزان لكن دون نبذ البقية من أفراد العائلة البارزانية . وكان من بينها شخصيات ذوي منزلة رفيعة في الوسط البارزاني . ضمنها : (نبي زراري . شيخ أمير زراري . محمد دوري . حسن حاجي دوري . حسو بيداروني . محمد صالح بيداروني . مامل ليريبي . سعيد محمد ليريبي . سيفدين ليريبي . ره شوى خال همزه . عبد الله ملا شين . محمد كوركه ي المعروف بـ حه مى كوركه يى) ، محى تانكي ، نه بي تانكي ، ره شو بيخشاشي وآخرون بالعشرات إذ ندر أن تخلو قرية من واحد من هذه الشخصيات الروحية العميقة الايمان بتعاليم الطريقة . وكانوا بمثابة ملجأ لمن عانى من ضيق أو كآبة . - كان ملا مصطفى يتقرب منهم ويظهر احتراماً لهم ويعتمد عليهم في تجنيد المقاتلين وسدّ حاجات الجبهات- وقام هؤلاء بدور كبير في الحفاظ على الوحدة البارزانية خلال الأعوام التي قضاها شيخ بارزان في المنفى . كان شيخ بارزان يخشى من التأثيرات السلبية من جراء اختلاط هذه الطائفة وطاعتها لأفراد من "العائلة البارزانية" . وكان واضحاً في تعليماته ويحذرهم من مغبة الثقة بهم . ففى نظره انهم يتقمصون شخصية المريد والتابع للطريقة زيفاً ولا مفرّ من الحذر منهم . وكان يقول ان هؤلاء أخطر من العدو المعلن ، لأنهم يعيشون بيننا ويستخدمون لغتنا ويعرفون عاداتنا وبهذا يتمكنون من سدّ الضربات القاتلة كلما سنحت لهم الفرصة وينخرون على مهل في الجسم السليم إلى ان يهلكوه .

كان لشيخ بارزان خمسة اولاد :

محمد خالد ، جمال ، عثمان ، نذير وصانع ، والأخير كان أصغرهم ولد بعد عودة شيخ بارزان إلى مسقط رأسه بعد الافراج عنه عام 1958 . وبشكل عام كان محمد خالد يميل نحو التفاهم مع الحكومة العراقية ولايرغب في محاربتها وكان يسكن في ميركه سور حيث تتواجد ادارة حكومية (قائمقام) ويعتبر وسيطاً بين بارزان

والحكومة العراقية. بينما كان عثمان يميل إلى المقاومة الكوردية، يسكن بارزان وفي خدمة والده، ولا يحب التقرب من الحكومة العراقية وكان قريباً جداً من ملا مصطفى ومتفاهم معه حتى عام 1970.

كان من أهم الأدوار التي ارتبطت بشيخ بارزان هو (الدور الموحد) للبارزانيين، كان يعرف ان في بارزان تيارات مختلفة ولكنه لم ينحز لطرف ضد الآخر. انصب اهتمامه على توحيد المجتمع البارزاني ابتداءً من الخلية الصغيرة (العائلة). وعند اشتداد الخلافات كان يسعى للتوصل إلى تفاهم بين المتنازعين ومصالحتهم. وقدّر تقديرًا عالياً أهمية الوحدة البارزانية. وكان يذكر ويكرر اننا بدون اتحادنا سنصبح لقمة سائغة لأعدائنا. لافائدة من المقاومة بدون اتحاد وحرص صفوفنا. ولم يكن شيخ بارزان على وفاق مع محمد صديق وملا مصطفى فقد كان يرى فيهما ما يعارض قيم بارزان ونزعة من الأنانية. ولم تتغير نظرته إلى ملا مصطفى حتى بعد احرازه لعدد من الانتصارات العسكرية وتوسع نفوذه في كوردستان، فقد كانت نظرته واقعية وبعيدة المدى وكان يذكر "ان أي عمل يقوده ملا مصطفى لامحال سينتهي إلى الفشل بسبب دوافعه غير السليمة".

أما أولاد ملا مصطفى فقد كانوا من ثلاث زوجات :

عبيد الله ولقمان وصابر من ام شيروانية. ادريس من ام بارزانية (من نفس قرية بارزان) ومسعود ونهاد وأشقاؤهما هم من الزوجة الثالثة (قرية نباخي) وهي ابنة محمود آغا الزيباري، والزوجة الاخيرة كانت تصغره بأقل تقدير 28 عاماً.

كان عبيد الله يمثل تياراً خاصاً، فقد دخل السجن وعانى مع اخوته المنفي العراقي ويعتبر نفسه أحق بالوراثة وكان داهية يملك كل صفات والده وأكثر ثقافة منه. أما ادريس فقد كان ذكياً وتلميذاً لامعاً، هدفه في الحياة هو إرضاء والده كما كان يقول مراراً رغم ماله عليه من نقد لاذع لمواقفه العاطفية "الهدامة" حسب تعبيره. في حين كان مسعود أقرب إلى والده عاطفياً ومدللاً وعلى الدوام ملتصق بالمال. لم يكن من طبيعة ملا مصطفى التوفيق بين التيارات المختلفة داخل أسرته لصيانة وحدتها، انما كان شديد الإستبداد في تعامله مع أفراد عائلته وعلاقته بهم مبنية على تطويعهم بشكل أعمى وعن طريق المال والإبتزاز لضمان تسلطه، وفرض موقف (دونى) على

ادريس أزاء مسعود بالرغم من ذكاء الأول المتفوق وذلك بشهادة مسعود نفسه، وقد انعكس هذا في المهام المناطة بادريس، ونجح ملا مصطفى في مسعاه في تطويع ادريس بينما فشل في فرض نفس (الدونية) على عبيدالله ولقمان وأدت ممارسته للضغوط عليهما إلى خصومات وأحقاد مدمرة بين الوالد والأولاد واستغلها نظام بغداد لصالحه. وكان لهذا الموقف تأثيره على مجرى الحركة الكوردية وحالة عائلته وثم هدم بارزان، كما سيتضح لنا خلال رحلتنا في هذا الكتاب الذي يشمل ما يناهز 14 عاماً (1961 - 1975). والجدير بالذكر ان الفضل في عدم انقسام وتفشي العداء بين أفراد عائلة ملا مصطفى بالشكل الذي ظهر للعيان بعد 1970، يعود إلى موقف شيخ بارزان والذي ردع ملا مصطفى من تمزيق عائلته طالما كان حياً كما سنرى.

ويذكر المحامي والمؤرخ جرجيس فتح الله عن البارزانيين انهم يتمتعون بميزتين بارزتين: "أولهما معرفتهم الجيدة بمنطقة الحركات العسكرية والثانية، ولأوهم المتوارث للشيوخ والزعماء الروحانيين البارزانيين وهو ولاء نابع عن علاقة روحية ودينية وصوفية نادراً ما تجدها في مجتمع آخر معاصر. ان مثل هذا الولاء عند العشائر الكوردية الاخرى بصورة عامة وما خلا استثناءات قليلة اخرى كان مهترئاً او لا وجود له بسبب الصراعات على النفوذ والزعامة بين رؤوساء العشيرة الواحدة ولان بعضهم كان يحارب في مناطق اخرى بعيدة عن مواطن نفوذه. وليس ادل على هذا الرأي من ان (عباس آغا مامند) اقوى رؤوساء العشائر في منطقة السليمانية (قبيلة آكو) لم يجد بداً من الاستجداد بقيادة الحزب في أواخر عام 1961 طالباً عدم سحب الاعضاء الحزبيين المسلحين الذين كانوا يعملون لديه لاجل حمايته بسبب عدم اطمئنانه إلى ولاء قبيلته وخاصة في حالة رفضه العفو الذي عرضه عليهم (قاسم) مقابل القاء سلاحهم بدون قيد او شرط. وقبلت لجنة الحزب المركزية طلبه وزودته بأخرين. ولم يكن حظ غيره من زعماء العشائر بأسعد من حظه في هذا الباب.¹⁰⁵

ويقول الدكتور سعد جواد: "معظم الأغوات كانوا مناهضين للإصلاح الزراعي ومن هنا التفاهم حول ملا مصطفى الذي كان قريباً منهم فكراً رغم كونه (البطل القومي) لم تكن لديه (يعنى ملا مصطفى) أيديولوجية معينة، لذا لجأ إلى مناورات معقدة

105 جرجيس فتح الله. زيارة للماضي القريب. ص: 31 (ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. 1998

ومصحوبة باستخدام القوة للحفاظ على سلطته. كان هذا واضحاً خلال الثورة عام 1961، إذ نجح في كسب تأييد مجموعات مختلفة تشمل الشيوخ والاقطاعيين الملاكين ووجهاء دينيين وشيوعيين وفلاحين وعمال. وقد رأى فيه الشيوخ والملاكين والزملاء الدينيين كحامٍ لمصالحهم ولهيبتهم لأنه بشكل رئيسي يعارض المنحى التقدمي داخل الحركة الكوردية ومعارض للإصلاحات الحكومية.¹⁰⁶ ملا مصطفى نفسه ينتمى إلى هذه الطبقة لكنه يختلف عنهم في كونه اقترن بالمعتقدات القومية ولديه أملاك أقل حتى يخشى عليها".¹⁰⁷

كان البارزانيون أقوى مجموعة ضمن الحركة الكوردية الوطنية، إضافة إلى جغرافية المنطقة الشديدة الوعورة والصعبة الإحتلال، وبتطور الحركة أصبحت الفئة الوحيدة التي تنال الاهتمام والتعاطف الخارجى. ومن هنا استلامها للسلاح والمؤونة والتأييد المعنوى والمادى. ففى بداية الثورة من عام 1961 كانت قوات ملا مصطفى عشائرية بحته، سيئة التنظيم وإلى حد كبير دافعها الولاء العشائرى، فرغم هيمنة التأثير العشائرى لكن حصل لديها تغيير كبير بمرور السنوات فيما يخص التدريب والتنظيم. وفى النهاية تمتع ملا مصطفى ضمن الحركة القومية الكوردية بالمصداقية فى إدعائه بأن مجموعته هى المجموعة الشرعية التى تمثل الشعب الكوردى.¹⁰⁸ .. ولا بد من القول ان قيادة الحزب الديمقراطى الكوردستانى ابتداءً من حمزه عبد الله و ابراهيم أحمد والطالبانى سخرؤا جهاز دعاية الحزب لتعظيم ملا مصطفى وجعلوا منه المادة الرئيسية فى دعايتهم، وهكذا وقعوا فى الفخ الذى ساهموا هم انفسهم فى نصبه عندما طردهم رئيسهم من الحزب. إذ كان الجميع يتسائل كيف نصدقكم بعد كل هذا المديح والتعظيم. فى أسوء الأحوال كان السؤال الوجيه: هل خدعتمونا فى المرة الأولى؟ أم تخدعوننا الآن؟ فإن كنتم تصدقون الآن فالوقت متأخر، لأن سفينة الثورة أبحرت والرجعة الآن غير ممكنة.

كان من السهل لعبدالكريم قاسم استغلال زعماء العشائر ضد بارزان وإعتبروا حلفاء دائميين للحكومة. وفى عام 1963 شكلت منهم السلطة قوات غير نظامية

1970. By Sa'ad Jawad. P. 51. Ithaca Press- Iraq & the Kurdish Question 1958 106
London. 1981.

1970. By Sa'ad Jawad. Page. 53.-Iraq & the Kurdish Question 1958 107

.52 .Page . 1970. By Sa'ad Jawad- Iraq & the Kurdish Question 1958 108

اسمها بـ (الفرسان) "لكن دوافعها بقيت عشائرية ومادية وعدائها للبارزانيين كان عاطفياً نقلوا عدواه إلى اتباعهم المطيعين، وبمعزل عن ذلك لم يملك أى من رؤساء العشائر هذه تنظيمياً سياسياً ولم يكونوا متحدين انما كانوا يتعاملون مع الحكومة بشكل منفصل وكانوا مسيطرين على الريف..."¹⁰⁹

لابد من ذكر انه كان هناك تداخل عاطفى شديد بين العديد من رؤساء العشائر عن طريق التزاوج فمعظمهم كانوا «متعدى الزوجات». وكانت تلك هى حالة رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. فقد تزوج للمرة الثالثة عام 1944 من ابنة محمود آغا الزيبارى، والد زوجته الأخيرة من الفرسان العريقين وجدّ مسعود رئيس (حدك) الحالى ومربيه. وكانت العلاقات العائلية وارسال المال والهدايا لاتتأثر بمجريات الثورة وتسان سراً بين رئيس الحزب وحموه محمود آغا الزيباري فيما كان البيشمركه والمرتزقة يتقاتلان فى جبهات القتال المتعددة. وقد أكد لي عدد من الحراس الشخصيين لملا مصطفى عن هذه الحقيقة. هذا التداخل العاطفى أضعف القيم الثورية وأنمى الروح الانتهازية وأساليب التضليل والتحايل على الشعب الكوردي. ونرى فى كثير من الاحيان ان اولاد كل زوجة يمثلون "مصلحة خاصة متميزة" تحسب حسابات الوراثة، وفي مجرى التنافس بين أبناء الضرات يتولد جو مشحون بالتآمر والتجسس والضعينة والمكر، وتشترك فيه الحاشية المباشرة من خدم وخادما ويبذر المال فى هذا الصراع الخفى لكسب الأنصار ضد بعضهم البعض. ويقول John Keegan فى كتابه القيم The Iraq War وهو يتناول موضوع السلطة فى المجتمعات الاسلامية: "السلطة الدينية والدينية فى العهد العثمانى كانت وراثية. فالأبناء ورثوا السلطة عن آباءهم، لكن الزوجة المفضلة كثيراً ما نجحت فى تقادى مبدأ حق البكر فى الإرث " Primogeniture " وهكذا يتمكن السلطان الجديد تبوأ السلطة بقتل جماعى لإخوته...."¹¹⁰

ثم يمضي إلى القول:

" عند موت السلطان، يشن المتنافسون من الجيل الاول من اولاده حرباً اهلية لارحمة فيها، مهددة بعنفها بقاء الامبراطورية بالذات. ماهو الحل؟ يكمن الحل في

1970. By Sa'ad Jawad.. Page: 54.- Iraq & the Kurdish Question 1958 109

The Iraq War. John Keegan.Hutchinson. London. 2004. p: 33 . 110

القضاء على العائلة. لانقاذ المملكة، وعندما يقترب السلاطين من الموت، يقومون بعمليات قتل منظمة لأولادهم ويحتفظون بابن واحد - الذي سيقلد رسمياً. او حتى يقوم الابن الذي تبوأ الحكم حديثاً بقتل اخوته. اصبح قتل الاخوة في الامبراطورية العثمانية جزءاً من تقاليد المؤسسة، صادق عليها علماء مسلمين. وفي عام 1400 اورد السلطان محمود مثل هذا القتل في القانون: " من اجل سلامة الدولة، يجوز لابني الذي من الله عليه بالسلطنة ان يحكم على اخوته بالموت شرعاً. وأعتبر غالبية العلماء مثل هذا العمل جائزاً. ¹¹¹"

كان هذا المنحى متوفراً بوضوح في عائلة ملا مصطفى كما سنرى فيما بعد .

أما في مناطق سوران فقد عاد بعض الأغوات من ايران والذين فرّوا اليها بعد ثورة تموز. عادوا إلى كوردستان بعد ان ظهر التوتر عام 1961 بين بغداد والكورد، وبدأوا بتنظيم المقاومة ضد حكومة قاسم. ولكي يمنحوا أنفسهم بعض الشرعية أسسوا حزباً باسم (حزب الثورة = پارتي شورش) إنه لمن المفارقات العجيبة سهولة استخدام المصطلحات، فهذه الطبقة الإقطاعية الأكثر رجعية في المجتمع الكوردي تلجأ إلى مصطلح (شورش = ثورة) لتمرير نواياها المعادية للثورة خلال تبني هذا المصطلح البعيد عن دوافعها الحقيقية المخبئة، وكان الاعتقاد السائد ان ايران هي التي تدعمهم.¹¹² لكن في كل الاحوال يظهر هذا الموقف قدرة رؤساء القبائل الكوردية التحايل على الاوضاع وتبنيهم زيفاً للأمال الكوردية الوطنية للحفاظ على نفوذهم في مجتمع مكبل بأغلال تدنى الوعي السياسي إلى حد كبير.

لقد كان عباس مامند آغا واحد من الأغوات الاثرياء ومن أكبر مؤيدي ملا مصطفى وقد جمع قوات عشائرية كبيرة تحت قيادته منذ حزيران من عام 1961. وكان يحظى بمنزلة خاصة لدى ملا مصطفى.¹¹³

Edwin Black . Banking on Baghdad. Inside Iraq's 7,000 – Year History of War, Profit, and Conflict. John Wiley & Sons, Inc. 2004. Page :63

1970. By Sa'ad Jawad. P: 57. Ithaca Press- Iraq & the Kurdish Question 1958 112
London. 1981.

Ibid. Page: 79. 113

وهنا لا بد من كلمة حول قدرة رؤساء العشائر الكوردية على التأقلم مع التغيرات الجديدة وغير المؤاتية لمصالحها، فهؤلاء تمكنوا بفعل الصراع الشديد بين قوى الحركة التحررية الكوردية والحكومات المتعاقبة في بغداد من التغلغل وتأمين بقائهم وتفاذي انحلال نفوذهم بفضل مواقف حكومات بغداد المشجعة لهم وأيضاً ضمان دعم ملا مصطفى المطلق لهم عن طريق دحر القوى التقدمية والمناهضة للأغوات في المجتمع الكوردي وفي الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي تحول تدريجياً إلى قلعة حصينة لحماية نفوذ الأغوات بعد سيطرتهم التامة على قيادة الحزب وتحويله إلى حزب وراثي (أغوي). فهناك ما لا يحصى من الأغوات انقلبوا من مهنة الارتزاق إلى وطنيين قياديين في الحزب متبنين الشعارات الوطنية السائدة. وهذا يفسر بقاء نفوذ الأغوات وهيمنتهم على جزء كبير من المجتمع الكوردي معيقين تطوره وتقدمه نحو الحياة الديمقراطية الحقيقية والمساواة في فرص التقدم في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

واختلفت بارزان عن بقية العشائر المحيطة بها بماض وطني يبعث على التقدير ويشمل المقاومة في العهود الثلاث المتعاقبة: العثماني حيث دفع شيخ بارزان [عبدالسلام] حياته. وفي العهد البريطاني والعراقي، قدمت عدداً كبيراً من الشهداء وكان لها دور رئيسي في الدفاع عن جمهورية مهاباد، وذاق البارزانيون صنوف الهجرة إلى تركيا وإيران والاتحاد السوفيتي وسجنوا ونفوا إلى المناطق الجنوبية من العراق وماتوا بأعداد كبيرة في الشتات، وقصفت وهدمت واحرقت بيوتهم وحقولهم مرات عديدة. والبارزانيون شديداً التعلق بمرشدهم الروحي الذي خرج من السجن بعد نجاح ثورة تموز. كما ان (البطل القومي) ملا مصطفى ينتمي إليها ويستمد قوته ونفوذه من اخلاص وتفاني البارزانيين في سبيل العدل ومناهضة الظلم، واستفاد ملا مصطفى من الميزات العسكرية التي يتحلى بها البارزانيون. وهذا ما لم يكن موجوداً في أية بقعة أخرى من كوردستان.

وكما ذكرنا في كتبنا السابقة فان وحدة البارزانيين تستمد وشائجها من مبادئ الطريقة النقشبندية وحيث تنتظم علاقات المجتمع الداخلية وفق اسسها وكان لديها الكادر الكافي لمراعاة مسيرة بارزان ومنعها من الانحراف وصيانتها من الإغراءات المادية. وأهم رادع هو شيخ بارزان نفسه وأتباع الطريقة الملتزمين وسيرة الأجداد الغابرين والظلم المشترك الذي عانوه.

فى ذلك الوقت كانت الجبهة البارزانية الداخلية متينة ولا يخشى عليها . وفى مثل هذه الحالة قد يأتى الخطر من الداخل . أى العمل على ادخال "حصان طروادة" إلى داخل القلعة البارزانية، أو إختيار هذا الحصان من الداخل . لقد نبه شيخ بارزان مراراً من الخطر الداخلي الذي لم يؤخذ مأخذ الجدّ . وهذا الكتاب سوف لن يغفل هذه العملية التدريجية المبرمجة والتي نخرت بارزان من الداخل ودفعت بها وبالحرّة الكوردية نحو الفواجع والذل والدمار . والآلة الرئيسية لبلوغ ذلك هو قائد الحركة نفسه (ملا مصطفى) .

والتركيبة الثالثة، الحزب الديمقراطي الكوردستاني . وهو عبارة عن تجمع للمثقفين الوطنيين الذين أرادوا الحصول على الحقوق الشرعية للشعب الكوردى داخل اطار الجمهورية العراقية وهى اصلاً لا تقبل بذلك . وكانوا متأثرين بالموجة القومية التحررية التى اجتاحت منطقة الشرق الاوسط وبالحركة الاشتراكية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتى، ومنطقهم فى العمل هو النقاش واتخاذ القرارات السياسية بشكل جماعى، فالأغلبية هى التى تقررها يجب اتخاذه من اجراءات، والصلاحيات والواجبات محددة كل يعرف حدوده وما عليه من حقوق وواجبات وفق دستور الحزب .

كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني (حدك) قد أمسى بعد سنوات القمع التى تلت سقوط جمهورية مهاباد، بلا قيادة . حاول بعض من الكوادر فى بداية شهر سبتمبر 1950 إعادة تنظيم الحزب فتم عقد كونفرانس فى مارس/ آذار عام 1951 وبرز فيه نجم ابراهيم احمد متبوءاً منصب السكرتير العام لحدك، وكان قد خرج من السجن قبل ذلك بشهرين . ثم عقد المؤتمر الثالث فى كركوك فى شهر كانون الثانى/ جنيورى 1953 . تبنى الحزب برنامجاً يسارياً معلناً انه "حزب ماركسى لينينى" متبنياً الكفاح المسلح ومطالباً بنظام فدرالى ضمن جمهورية عراقية، لكن الأولوية منحت للكفاح ضد الرجعية والامبريالية . وكان هذا الاتجاه السياسى السائد فى معظم دول العالم الثالث . ويذكر نوري شاويس انه بالنسبة لنا هناك الامبرياليون والاشتراكيون، أما الذين فى الوسط فانهم يخدمون الامبريالية .

"لكن النزاع ظهر بسرعة بين ابراهيم أحمد وحمزه عبدالله، وتولد اتجاهان، إتجاه يترأسه ابراهيم أحمد وإتجاه ثان دعى بـ "الجبهة التقدمية" يترأسه حمزه عبدالله .

لم ينجو الحزب منذ تأسيسه من الحيرة المتمثلة في منح الأولوية للقضية القومية أو للقضية الاجتماعية ؟ فقد كان الحزب مهدداً باستمرار من قبل السلطات من جهة، ومن جهة ثانية كان عليه أن يدافع عن نفسه أمام الحزب الشيوعي العراقي. وكان يدير الحزب قادة ماركسيين أو متبنيين للماركسية، لذا لم يكن بمقدوره معرفة ما يميزه عن الحزب الشيوعي العراقي.

بعد مضي عشر سنوات من تأسيسه بقى الحزب بلا عقيدة (أيديولوجيا) فى عام 1955 طلب الاتجاهان، القومي والتقدمي تحكيم (حدك) - ايران، الأخ الأكبر عمراً. ورأى الأخير ان القضيتين متلازمتان ويجب حلها فى الوقت ذاته وان على الاتجاهين ان يندمجا ويتحدا.¹¹⁴

وفى عام 1956 اندمج الاتجاهان من جديد ودعى الحزب بـ "الحزب الديمقراطي الكوردستاني الموحد" وسكرتيره العام حمزه عبدالله وقام الاخير بطبع (خه باتى كوردستان) أي (نضال كوردستان).

لقد عانى الحزب بقوة من التناقضات الحادة الداخلية مما أضعف أداءه في النضال التحرري. فرئيس الحزب قبلي في توجهاته السياسية وفردى، والمكتب السياسي تقدمي وعصري لكنه من فرط ضعفه قبل الانقياد تحت زعامة قبلية وقد جسدت هذه بدايات خطأ قاتل ظهرت نتائجه فيما بعد، والقاعدة الشعبية كانت محدودة الوعي وتنتشي بالشعارات التي رفعها الحزب.

وهنا لا بد من الإشارة إلى عامل مهم من عوامل ضعف الحركة السياسية الا وهو الافتقار إلى عامل (التراكم الثقافي). لقد تنقف السياسيون الكورد ثقافة يغلب عليها طابع "الشرق الإستبدادي" وباللغة العربية، محامون ومعلمون ومهندسون درسوا فى بغداد أو مدن عربية اخرى. حمزه عبدالله، ابراهيم أحمد، على عبدالله، نوري شاويس، صالح اليوسفى، جلال الطالبانى الخ. يمكن تسميتهم بـ " مثقفي الداخل" عدا شوكت عقراوى الوحيد الذى تخرج من بريطانيا كمهندس كهربائى. أى انهم تمتعوا

Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. 1979. P : 197. Flammarion. Paris

بثقافة جيدة نسبة إلى تخلف مجتمعهم، لكن رغم ذلك بقيت ثقافتهم ثقافة محاصرة وإلى حد كبير ترجمة للنظرة العربية إلى القومية والأيدولوجيات التي كانت رائجة فى ذلك الوقت، لقد عاشوا فى مجتمع شرقى متخلف ويغلب عليه نظام سياسى قمعى. كما ان مهمة تشكيل حزب سياسى عصرى متفهم لواقع مجتمعهم وللعلاقات الدولية المعقدة خلال الحرب الباردة كان خارج نطاق مداركهم. علاوة، كانت "عملية بناء الحزب" بمثابة تحدٍ لهم وكانوا مبتدئين فى هذا المجال البكر. أما رئيس الحزب (ملا مصطفى) فقد كان محدود الالمام بالتاريخ والثقافة وبالتنظيم السياسى وفي أعماقه يكره الثقافة والمتقنين. يستمد نفوذه من قوة بارزان العسكرية وذكائه في استخدام هذه القوة كان تماس هذه النخبة السياسية مع الحضارة الغربية قليلاً (مركز تصدير جميع الأيدولوجيات السياسية والاتجاهات الثقافية المختلفة وتأسيس الأحزاب والنقابات والمنظمات). هنا كان الفشل في بناء حزب سياسى طليعى يقود حركة التحرر الوطنية بعيداً عن التوافه القبلية والتسلط الفردى والخلافات الشخصية التافهة. لقد بقيت القيادة الكوردية مكبلة بقيود التخلف الاجتماعى وتصرفت ضمن تلك الأطر الثقافية المتناقضة. كما ان تبنى الماركسية اللينينية - في الظاهر فقط - عمق التناقض بين أقوالهم وأفعالهم.

فيما يخص قادة الحركة التحررية الكوردية فى كوردستان- ايران -فنفس القيود الثقافية التى كبلت قادة الحركة التحررية الكوردية فى كوردستان الجنوب، كبلتهم أيضاً. وتأثر الحزب الديمقراطى الكوردستانى -عراق وايران- على التوالى بالحزب الشيوعى العراقى والحزب الشيوعى الايرانى (توده) وفى بعض المراحل خضعوا لنفوذ الحزبين الماركسيين خضوعاً يكاد يكون كاملاً.

وعلى عكس هؤلاء، نرى المثقفين الكورد الشماليين (متقضى الخارج) شريف باشا، جلادت بدرخان، كامران بدر خان، نورالدين زازا وعصمت شريف فانلى، مثقفين عصريين تتقنوا فى أوروبا، وتحديدأ فى فرنسا وسويسرا ولبنان، معظمهم عاشوا فترة من حياتهم فى كوردستان الغربية والتي كانت تحت الوصاية الفرنسية. هؤلاء لم يعيروا للماركسية أهمية كبيرة. وكانوا أقرب إلى "رجال دولة" Statesman من سياسيين عاديين او قادة احزاب، وقدموا خدمات مهمة فى مجال تطوير الثقافة واللغة والتاريخ الكوردى فى أصعب مراحل مرّ بها الموروث الثقافى الكوردى، وأعنى

تعرضه للأبادة المبرمجة على يد النخب القومية التركية الحاكمة في كردستان الشمال منذ عام 1923. وكانوا متحررين من "النوبات العصبية" و "الأحقاد الشخصية" و "التنافس غير الشريف" والذي ميّز المواقف السياسية لقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كردستان الجنوب، كان (مثقفو الخارج) أكثر توازناً ووقاراً ومبعثاً على الإحترام من (مثقفي الداخل).

ومجموعة أخرى من المثقفين الكورد بقوا في بغداد، هؤلاء كانوا يتمتعون بمواهب ثقافية، أعقد عليهم النظام البعثي بعض الامتيازات مثل الوظيفة والسكن والرواتب الجيدة، فتركز نشاطهم على الكتابة والبحوث الأكاديمية أو التدريس في جامعات الحكومة العراقية.

ولنعد إلى بدايات الحركة الكوردية، ففي 11 ايلول 1961 قام السلاح الجوي العراقي بقصف تجمعات العشائر في (دربند بازبان) و (دولى خه له كان) ومواقع أخرى، رافقه هجوم عسكري للمشاة لفتح طريق كركوك - سليمانية حيث كانت القوات القبلية قد استولت عليه.

أما في مناطق بارزان فقد كانت معارك عنيفة تدور منذ 15 تموز 1961، معارك كانت بارزان تواجه الطوق المعادي من برادوست والزيبار والريكان. وكانت القوات البارزانية متمركزة على جبهات واسعة: برادوست، خط رواندوز - ميركه سور، خليفان - شاندر، جبهة بيرس وجبهة آميدي. اذ لم يكن ممكناً اتساع رقعة الحركة إلا بفك الطوق القبلي الذي يقطع تواصل بارزان مع القوى المؤيدة للحركة خلف الخط القبلي المعادي. كان رؤساء هذه القبائل قد استلموا اسلحة واموال من قاسم لضرب بارزان. وباطراد كان يتزايد عدد القوات الحكومية المشتركة في القتال إلى جانب المرتزقة الكورد كلما عانت الاخيرة الهزائم. خاصة بعد انهيار مقاومة الأغوات وفك الحصار. إلى ان اصبحت المواجهة مباشرة بين البارزانيين والجيش العراقي.

كنا قد عدنا من بغداد لقضاء العطلة الصيفية في كردستان على امل العودة إلى بغداد لمواصلة الدراسة بعد نهاية العطلة. وفي 15/9/1961 وصلت أبناء تقول ان ثلاث مواقع اختيرت للقصف: بارزان، حيث شيخ بارزان، وجالبي في أعلى جبل شيرين حيث يقضي ملا مصطفى فصل الصيف، وأيضاً ريزان. ستعرض هذه المواقع

إلى قصف جوي. وفي الصباح الباكر غادرت النساء والاطفال منازلهم إلى وادٍ محصن يبعد عن القرية بأقل من كيلومتر. والدي فضل البقاء في القرية وبالذات في البيت، كنت معه ومعنا (سليمان فقو ايسومري) و(احمد ايسومري) الملقب بـ (كابتن) - لا أعرف لماذا لصق به هذا الاسم منذ ان كان لاجئاً في الاتحاد السوفيتي- وايضاً فيض الله عقراوي (فيزو) . وكان لقمان ملا مصطفى موجوداً في القرية الا انه كان أكثر حذراً منا فقد غادر البيت إلى حفرة قريبة من القرية. اما المخترار (محمد زادو) فقد إختار البقاء خلف صخرة على مشارف القرية لأنه كان يخشى نشوب حرائق في المنازل - وهي عادة أكواخ طينية سريعة الالتهاب مصنوعة من أخشاب واغصان جافة متكدسة - وسيكون في وسعه اطفاء النيران إن نشبت في منزل من منازل القرية أو في التبانات المتناثرة على مشارف الأكواخ- لم يكن احد على علم بالتطور الهائل في قدرات الطائرات الحربية الحديثة، فقد كانت تجاربهم مع قصف السلاح الجوي تعود إلى اعوام الاربعينات- بينما غادرت قبل الفجر قطعان الابقار والماعز بعيداً عن القرية حيث تختفي تحت الأغصان الكثيفة لاشجار البلوط في الهضاب المطلة على ريزان.

لم تكن هنالك تعليمات عن كيفية مواجهة هذه الحالة من القيادة! حماية الاطفال من الصدمة المخيفة! كيفية الاحتفاظ بالحبوب والطعام ومواجهة الحصار الاقتصادي وحرق المحاصيل الخ. الجميع: نساء حوامل، أطفال، عجائز، شباب وشابات يتكيفون ذاتياً حسب ظروفهم الشخصية والعائلية وعلى ضوء تجاربهم السابقة.

كنت لأزال نائماً في الصباح الباكر يوم 1961/9/16، عندما أفاقتني أمي من النوم وهي تلح على أن أصحبها إلى الوادي القريب توكياً من ضربة جوية محتملة، لكنني رفضت ذلك وأصررت على البقاء مع والدي، فغادرت مكرهة وهي قلقة لبقائنا. بدت ملامح الصباح تبان وشيئاً فشيئاً تراءت أشعة الشمس على قمم الجبال وثم توضحت الرؤية في الوديان، وإذا بسرب مؤلف من ستة طائرات تظهر من خلف جبل بيرس، كل إثنين تختران إتجاهاً مختلفاً في سماء بارزان الصافية ولها أهداف محددة: قصف بارزان حيث شيخ بارزان، وأعلى جبل شيرين في موقع محصن (جالي) حيث ملا مصطفى، والهدف الثالث كان قرية (ريزان). قبل هذا القصف كانت الطائرات العراقية قد قامت بجولات استطلاع في سماء المنطقة لتحديد الأهداف.

لم نكن بعد واثقين من حدوث القصف، كنا في باحة البيت الذي لم ينته بعد بنائه بإعانة حكومية. عندها مالت إحدى الطائرات متجاوزة سماء القرية ثم عادت وأخذ الطيار يعود نحو القرية بإنخفاض متزايد، ونحن لانصدق بعد نبأ القصف، أنظارنا مشدودة نحو القاصفات العراقية. فإذا بالطيار الذي دار متوجهاً صوب القرية، يطلق الصواريخ التي أحدثت دويًا هائلًا هزت الأرض بشدة من تحت أقدامنا جراء انفجارها بمسافة لاتتعدى العشرة أمتار من البيت، ويظهر الآن لي أن جدار المنزل الصخري هو الذي حمانا من شظايا الصواريخ المتطايرة في كل إتجاه والتي سقطت خلف جدار البيت، فتساقطت الأوراق وأغصان الشجر المحيط بالمنزل. ثم علت الطائرة لكن دون ترك فرصة كافية لنا كي نبتعد عن البيت الذي كان هدفاً مباشراً للقصف، فإذا بالطائرة الثانية تسلك نفس خط الطائرة الأولى، تتخفض وتتقدم ثم تنقض على القرية وتطلق صواريخ أخرى. في هذه اللحظات ووسط الدخان والحرائق، كان (سليمان فقو) يحتفظ بكامل هدوئه، وياحترام ظاهر طلب من والدي:

"لنبتعد عن المنزل لأنه هدف للقصف، لابد أن نغادر الآن قبل الشروع بدوران الطائرات نحونا من جديد.

غادرنا البيت باتجاه النهر، لكننا لم نتمكن من الابتعاد أكثر من حوالي عشرين متراً حتى عادت الطائرة الأولى بإعادة القصف، فانبطحنا على الأرض لتفادي الشظايا التي تطايرت في كل حذب وصوب.

الطائرتان، كانتا تتناوبان عملية القصف بشكل منظم حيث لاتتركان لنا مجالاً للابتعاد عن وسط القرية المتلاصقة المنازل، فما ان تنتهي احدهما من القصف بالصواريخ او الرشاشات محدثة هديراً وانفجاراً مخيفاً، تعلقو إلى السماء بعد الإنقضااض، حتى تصل الطائرة الثانية إلى نقطة الهجوم، وتطلق النيران من منخفض، ثم تعلقو محدثة هديراً مربعاً، ويأتي دور الطائرة الأرى. وفي الواقع لم نتمكن من الابتعاد عن منزلنا سوى مايقارب الخمسين متراً طوال فترة القصف التي دامت مايقارب عشرين دقيقة، وبقينا في موقع القصف المباشر تحت شجرة (بيوك) الصفصاف وينهال علينا نيران الرشاشات بكثافة. وثم تعتمت الرؤية بسبب الحرائق والنيران التي التهمت منزل يحيى إسماعيل وهو ابن عم لي، وقد قرر بعد نهاية

المنفى العراقي، السكن في ريزان، وبنى بيته عام 1960، وكان يقع إلى يمين منزلنا بحوالي عشرة أمتار، كانت النيران تلتهم السياج الخشبي المحيط بمنزله والدخان الكثيف يخرج من نوافذ المنزل بقوة وهنا وهناك الأعشاب الجافة تحترق، فقد أطلقت الطائرات قنابل حارقة لإتلاف المحاصيل والحبوب.

هنا لا بد من ذكر أن المقاتلات العراقية كانت سيدة الموقف، فهي تقصف مواقع لا وجود فيها لأية مضادات للطائرات، وضد أناس لا يملكون حتى البنادق القديمة الا ما ندر. كما انه لم يكن للأهالي خبرة لحماية أنفسهم من هجوم المقاتلات العصرية. كان عملاً همجياً يخلو من الانسانية تجاه النساء والشيوخ والأطفال يعيشون في قراهم المهملة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة. كان وقع القصف على الأطفال شديداً رغم إحتماهم بالكهوف، فهدير الطائرات ودوي الانفجارات كان يملأ الوديان ويصم الأذان وكان القصف لا يبعد عنهم سوى أمتار. فيما بعد رأيت أطفالاً كورد سيكون لمجرد سماع صوت الطائرات من بعيد.

بالنسبة لي ولد فيض الله عقراوي (فه يزو) كان تلك أول تجربة قصف نشهده في حياتنا، فيما كان والدي وسليمان فقو و(كابتن) أحمد إيسومري، قد خبروا القصف، لكن كانت خبرتهم تعود إلى حقتين مضت، وما شاهدوه من قصف الطائرات السوفيتية الصنع كان شياً جديداً، يشهد على التطور الهائل في القابليات الهجومية لسلاح الطيران والتصويب الدقيق ولا يمكن مقارنته بعمليات القصف التي نفذها السلاح الجوي العراقي والبريطاني في الثلاثينات ومنتصف الاربعينات من القرن العشرين.

بعد إنهاء الطائرات مهام القصف غاب السرب خلف جبل بيرس، والتجأنا إلى الوادي القريب من القرية. تغيرت حياة الناس كلية. رحب رؤساء المرتزقة الكورد بالقصف ضد مناطق بارزان وأجزاء أخرى من كوردستان واعتبروا ذلك دعماً وإحياءً لنفوذهم من قبل الحكومة العراقية. وتم حشد قوات كبيرة من المرتزقة وبدأت قوات المشاة، الجيش والمرتزقة الكورد، لاحتلال أراضي بارزان على شكل كماشة، من جبل بيرس حيث يتقدم الجيش العراقي مجموعات مسلحة من المرتزقة الكورد تحت إمرة أغوات الزيبار والريكان والسورجية، ومن الغرب عشائر البرادوست. هؤلاء المرتزقة كانوا أكثر فعالية من الجيش العراقي لدرابتهم بالتضاريس والحرب الجبلية ولعدائهم المزمّن لبارزان.

تقدمت القوات العراقية من محور راوندوز لاحتلال ميركه سور ومن محور جبل ببيرس تقدمت لاحتلال بارزان. احترقت العديد من قرى المنطقة، تم احتلال جزء كبير من مناطق بارزان بجهود مضيئة وتضحيات كبيرة من قبل الجيش والمرتزة مما أرغم بغداد توخي هدنه مع بارزان. وحصل اتفاق بين قاسم وشيخ بارزان، بموجبها تنسحب القوات العراقية من اراضي بارزان وتبقى بارزان محايدة. القت السلطات العراقية القبض على لقمان ملا مصطفى واودعته في سجن معسكر الرشيد، كما قبض على عدد آخر من البارزانيين والقوا في غياهب السجون، ولم يفرج عنهم الا بعد انقلاب شباط 1963.

تكتيكان في الصراع المسلح

ولكي نفهم المشاعر الوطنية التي اجتاحت صفوف الشعب الكوردي ودفعته إلى المقاومة الوطنية بحماس كبير غير مبال بالمخاطر والمصاعب إلى درجة التفاني والتضحية بكل شيء لأبد من اللجوء إلى أمثلة حيّة، وهنا لافمر من القول ان ماكتبه مسؤولون على مستوى الزعامات الكوردية لا يخلو من المبالغات، لذا تجنبت الاعتماد عليها. عوضاً عنها إستشهدت بذكريات أناس صادقين من القاعدة الشعبية والتي شكلت قوى المقاومة الكوردية الحقيقية بالأخص الطبقة الفلاحية وأفراد الشرطة والجنود -هؤلاء تحملوا عبأ التضحيات كاملاً حتى النهاية المأساوية. - نبهني صيف عام 2007 المؤرخ والباحث عبدالرقيب يوسف لكتاب عريف سليمان - وأهداه لي، إنه كتاب ميداني ويتضمن سرد حقائق عاشها المؤلف في فترة زمنية محددة، فمن جانب سيرى القارئ ان الشعب الكوردي تحمل التضحيات وبإخلاص مشهود له. أما الزعامة الكوردية في بداية الحركة فقد كانت كفوءة وبدأت تكسب خبرة في حرب العصابات وتنظيم المجتمع وكانت تعيش مع الشعب وتتجسس آلامه وأمانيه، لكن للأسف أعاققت الخلافات الداخلية الشخصية مسار الحركة التحررية الكوردية، وبسرعة تدنى مستوى أداء القيادة لدورها الطبيعي في قيادة النضال التحرري لشعب كوردستان.

يقول (عريف سليمان) وهو من أوائل المقاتلين الذين تركوا المدينة (أربيل) إلى الجبل (سفين) في مذكراته بعنوان (من البذرة إلى سنابل القمح) والكتاب هو باللغة الكوردية طبع عام 1999 في كوردستان ويسرد فيه سنوات نضاله داخل (حدك) وبدايات تكوين وتطور الحركة التحررية الكوردية المسلحة فيذكر :

« الأغوات والملاي والبعض من رؤساء العشائر بشكل عام واينما كانوا هم متغطرسون ومتكبرون ويعملون من أجل تثبيت نفوذهم ودائماً يتوخون الدعم من الأجنبي ويظلمون من حولهم كلما سنحت لهم الفرصة. إن أغوات بلادنا، وبسبب تدني المستوى الثقافي لشعبنا وتخلف مجتمعنا وسياسات الدول المحتلة لوطننا جعلت من السهل انسجامهم مع السلطة التي أتت بعد ثورة تموز ولم يكن للحزب

الديمقراطي الكوردستاني، الحزب الكوردي الوحيد، برنامج لمواجهة نفوذ الأغوات الكورد، وكان شيوعيو كوردستان حسب مفهومهم السياسي قد شرعوا بالعمل ضد تصرفات الأغوات.»

«في ربيع عام 1961 خطط الأغوات للتقرب من الحكومة الجمهورية، فذهب (صديق ميراني) مع عدد من الأغوات إلى بغداد لمقابلة (عبدالكريم قاسم) والذي كان صديقاً شخصياً لـ صديق ميراني، ونظراً لخصوصياتهم وطموحاتهم الفردية المختلفة فقد وعدوا عبدالكريم قاسم والحكومة بحمل سلاح الارتزاق (جاشايه تي) وكانت الحكومة تتراجع عن وعودها فيما يخص الكورد وسادت البرودة بين عبدالكريم قاسم وملا مصطفى. واعتبرت أن هذه فرصة جيدة لتسليح الأغوات ووعدوهم بأمور أخرى. خلال تواجد الأغوات في بغداد روجت لهم الحكومة بانهم يمثلون الوفد الكوردي وفي الخفاء كانوا يتعاملون معهم كمرتزقة (جاش) لقد بدأوا بنشر بذور الارتزاق (جاشايه تي).»

«.....»

« كانت مهنة الارتزاق (جاشايه تي) آنذاك عيباً وعاراً، ولذا قامت مجموعة من أعضاء الحزب المنتمين للكاوانيين إلى نصب كمين (عند عودة صديق ميراني من بغداد إلى شقلاوه في موقع بين (حوجران - كاوانيان) وباقتراب سيارة صديق ميراني فتحت عليها النيران وقتل على أثرها صديق ميراني).»

«كان لمقتل ميراني صدىً كبيراً بين قبائل المنطقة ونشرت الرعب بين الأغوات الذين ذهبوا لاستلام سلاح الارتزاق من الحكومة العراقية ومن عبدالكريم قاسم بالذات. ومن أجل انقاذ ماء الوجه صدرت الأوامر للقبض على المنفذين. لكن الذين قاموا بهذا العمل لم يعيرو لهذا القرار وتهديدات الحكومة اية اهمية ولم يستسلموا للسلطة المركزية، التجاؤا للجبال وقرى المنطقة ووعدوا بمقاومة الحكومة معتبرين ان ماقاموا به هو انتصار للشعب الكوردي.»

«ولفترة كان القرويون يأوون ويشجعون هذه المجموعة والحزب كان يدعمهم ويخبرهم مسبقاً بخطط الحكومة ويعطيهم التوجيهات حول الهرب والاختفاء، وكان الحزب يقوم بذلك لأن:

- 1 - الذين قاموا بهذا العمل كانوا أعضاء في الحزب .
- 2 - لم يكن الحزب راغباً في ان تعتاد الحكومة على اعتقال ومطاردة ومضايقة اعضائه
- 3 - كانت هذه المجموعة تمثل ورقة لتذكير الحكومة بالتجاوزات التي تقوم بها بحق الشعب الكوردي والحزب ومن نتائج الضغط التي تمارسه الحكومة يتولد الانفجار .»

«وللقبض على الكاوانيين لجأت الحكومة إلى استخدام «مفارز قوات الشرطة الاحتياط» لكن الشرطة في هذه القوة وكما أشرنا سابقاً، فإن 95 % منهم كانوا على اتصال بتنظيم بوليس اربيل. وكانوا يبلغون الحزب كلما تقرر اخراج مفارز وذلك قبل وصولها إلى الموقع المعين، والكاوانيون كانوا يتركون الموقع، ولكي لا تظن الحكومة إلى هذه الخطة، فانهم كانوا يطلبون من الكاوانيين اطلاق الرصاص ثم الفرار أو احداث معركة من بعيد، كان كلا الطرفين ينفذان اوامر الحزب، والحكومة كانت راضية.»

«أخيراً شعرت الحكومة بإنعدام نفوذها في المنطقة وبتعاطف الجماهير مع الحزب وهنا بدأت بمحاربة (حدك) فطلبت من الحزب تسليم هؤلاء العصاة، ثم بدأت بخطة اعتقال الاعضاء والانصار والمسؤولين القياديين في الحزب، فقبضت على عمر دبابة وهو عضو قيادي في الحزب، وصدر قرار باعتقال على عبدالله وهو عضو في المكتب السياسي، وشمس الدين مفتي العضو الاحتياطي في اللجنة المركزية للحزب، وئازاد عمر وهو عضو في لق اربيل، هؤلاء لم يستسلموا انما اختفوا في المدن الكردستانية، ظهر التشنج في العلاقة بين الحزب والحكومة إلى العلن، استمر هذا الوضع عدة أشهر.»

«شهدت كوردستان توتراً بسبب الاعمال المعادية لكلا الطرفين وأصبحت المواجهة بين الحزب والحكومة امراً وارداً.»

ففي تموز 1961 قام البعض من رؤوساء العشائر المتعاطفين مع معاناة الكورد والذين تمتعوا بشعور وطني، وبموجب أوامر من البارزاني قاموا بتجميع عشائهم في عدد من الاماكن ضد الحكومة، دعي هذا التجمع بـ «التجمع المسلح» واحتشد هؤلاء

في الاماكن التالية:-

- 1- Derbendikhan. 2- Azmer. 3- Derbendbazyan. 4- Dolikhelekan. 5- Cinarok. 6- Degele.

لم يؤيد الحزب هذا التجمع العشائري اذ لم يكن لديه برنامج للبدء بالثورة المسلحة وكان اعتقاد الحزب هو انه يمكن تحقيق اهدافه عن طريق العمل السياسي ولأن الحكومة التي جاءت اثر ثورة 14تموز ضعيفة ومهزوزة»

«كانت الحكومة العراقية في تلك الفترة تولي اهتمامها بملا مصطفى أكثر من الحزب ولذا لم تعراية اهتمام بموقف الحزب، كانت الحكومة تعتقد ان الحزب ليس الأآلة بيد البارزاني، ونتيجة لهذا الموقف الخاطيء فقد كانت الفوائد تذهب لملا مصطفى والخسائر من نصيب الحزب ومستقبل الشعب الكوردي.»

«أثناء هذا الوضع المتوتر والخطير كانت قيادة البوليس في اربيل قد شعرت بنشاطات الحزب داخل سلك البوليس ولذا وعن طريق وزارة الداخلية تبنت سياسة نقل وتبديل البوليس. فكانت تصدر قرارات بنقل افراد من البوليس او كل اثنين إلى مدن اخرى. وكانوا يبلغون عن أماكن نقلهم وان يكونوا بانتظار التنفيذ. وينشر هذا القرار وجد البوليس أنفسهم امام مشاكل جدية.»

«فبالنسبة لمصادر العيش سبب ذلك مشكلة لهم، فقد كانوا يعيلون عوائلهم بالراتب المخصص لهم، وكانوا قد اعتادوا العيش في المدينة ولم يحبوا ان يتركوها إلى مدينة غريبة، ولذا كانوا يسعون إلى تعليق قرار النقل.»

ونحن المجموعة التالية كان قرار النقل هو كالاتي:

- 1- أنا، إلى مدينة الناصرية (المقصود عريف سليمان)
- 2- عبدالرحمن ملا قادر و رشيد شيره إلى مدينة العمارة.
- 3- أنور جوخين إلى البصرة.
- 4- تاهير حاجي إلى (سيبا في البصرة)»

«وبعد الكثير من التفكير والنقاش بيننا، كل كان يعبر عن حيرته وكيفية تمويل

عائلته فقلت لقد تعقد وضعنا فبالنسبة لي (كلماعدت إلى البيت تبكي والدتي وتقول، ابني سليمان لاتذهب إلى (المنطقة العربية فقد يفنى اولادك او يموتون جوعاً لايحوز ان تغادرنا) هذا الوضع لايحتمل هيا لنتخذ قراراً جماعياً ونجد حلاً (الجميع وافقوا وقالوا لنجتمع باخواننا الباقين ونحدث معهم ، وبعد يوم او يومين التقينا جميعاً وقررنا كتابة تقرير للحزب)»¹¹⁵

تشرح هذه المجموعة في تقريرها الموجهة للحزب، الاهداف التي تتوخاها الحكومة العراقية من وراء ضرب تنظيم الحزب في سلك الشرطة في مدينة اربيل وان ضربات اخرى ستتبع ضد التنظيمات الجماهيرية واحدة تلو الأخرى، وتضمن التقرير اقتراحاً بعدم تنفيذ اوامر النقل بل المغادرة مع السلاح والانضمام إلى التجمع العشائري المسلح الذي كان موجوداً آنذاك وثم القيام بالثورة... وبعد ايام من الانتظار ردّ الحزب بما يلي:

«لايرى الحزب في التجمع العشائري أمراً ايجابياً، ولم يقرر الحزب القيام بثورة مسلحة، لايزال الأمل في النضال الفكري والسياسي للجماهير وقدرتها على نبيل الاهداف الكوردية. مقر الحزب لايزال في بغداد وفي المدن الكبرى، وان الحكومة لم تعادينا كلية، ان هؤلاء المسلحين الذين التجأوا إلى الجبال هم بلا برنامج. نطلب عدم القيام بأية اعمال تلقائية، نفذوا قرار النقل. 8/5-1961»¹¹⁶

تخلت المجموعة عن اقتراحها وكانت تهم بتنفيذ توجيهات الحزب عندما عدل الحزب في آخر لحظه عن رأيه فتوقف عريف سليمان عن تسليم بندقيته إلى المسؤول الحكومي، وعلى عبدالله (عضو المكتب السياسي لحدك) الذي كان مختفياً في اربيل قد بُلغ لكي يطلب منهم التهيؤ ومغادرة (المدينة) إلى (الجبل) وهؤلاء -مجموعهم أربعة رجال شرطة -شكلوا المفزة الاولى التي غادرت (هه ولير) المدينة إلى (سفين) الجبل.

115 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان به شى به كه م. 1949 - 1961. لاپهر: 85 (من البذرة الى سنابل القمح. عريف سليمان. 199. مطبعة آسا. ص: 85).

116 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان ص: 87

تكتيكان في الصراع المسلح

يعطينا (عريف سليمان) صورة حية عما انتابه من صراع داخلي بين العاطفة والواجب فيذكر:

« كان موضوع نقل وظيفتي من أربيل إلى الناصرية قد اوجد قلقاً لدى عائلتي و قرار الالتجاء إلى الجبل جعلني افكر في عدد من الاحتمالات، في مقدمتها مصير أطفال السبعة وكيف ستكون حياتهم بغياب عاطفة الأب، كيف سيعيشون بلا مصاريف، فكرت في والدي ونحن نعيش معاً لسنتين حيث أساعدهم، وإن صارحتهم، هل سيتحملون خبر مغادرتي إلى الجبل، كيف سيكون رد فعلهم ¹¹⁷»

« وبعد تفكير طويل تذكرت شعبي ، ف 80 ٪ منهم متخلفون ولايعون شيئاً عن التغييرات والاضاع الصعبة التي يعيشها وطنهم، وتذكرت خطواتي الاولى عن انضمامي إلى الحركة الوطنية وقد مرت سنوات وها هي الفرصة تحين لنا الآن.»

في كل الأحوال غادر (عريف سليمان) مع ثلاثة من رفاقه بحماس إلى جبل سفين ليشكلوا نواة المقاومة في المنطقة.

اندلعت الحركة التحررية الكوردية في مجتمع داعم لها بقوة. فقد بدأ الأفراد (أعضاء) الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالأخص في سلك البوليس بمغادرة مخافهم مع سلاحهم والالتجاء إلى الجبال بأمر من قيادة الحزب. والجدير بالذكر أن مجموعة الكاوانيين كانوا موجودين في جبل سفين منذ شهر نيسان عام 1961 بعد مقتل صديق ميران. كما غادر مجموعة من البوليس من أربيل إلى الجبل في شهر آب من عام 1961 وألتقوا بشمس الدين مفتي وآخرين من قادة الحزب. وهؤلاء شكلوا قاعدة المقاومة الأولى في منطقة سفين.

ندرك ان الفريق الذي تولى قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني من حمزه عبدالله إلى ابراهيم أحمد، كانوا قد قاموا بجهود ناجحة في تكوين القاعدة الشعبية للحزب خلال الاعوام الصعبة من 1947 - 1958. حيث نشاط الحزب سرّي، وكان المنضمون إلى الحزب كما هو واضح من خلال مذكرات (عريف سليمان) ناضلوا عن

117 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان ص : 89

إيمان وإخلاص إلى حد التفاني من أجل قضية التحرر الوطنية الكوردية. ونستشهد بما ذكره عريف سليمان في كتابه القيم «من الحبة إلى سنابل القمح» .

وصلت المجموعة من رجال البوليس إلى قرية Gerote في نفس ليلة مغادرتها أربيل. وأصلوا على الفور بشمس الدين مفتي الذي كان ينتظرهم. وهناك وضع لهم أسماء سرّية. ولم يكن لدى الحزب سلاح لتوزيعه على أعضائه للدفاع عن أنفسهم، إنما كان لديهم ثلاث بنادق فقط. شمس الدين مفتي كان قد اشترى بندقية بماله الخاص. هذه المفترزة كانت تخرج من القرية في النهار وتعود إليها في المساء. أهالي القرية كانوا أسخياء في بذل المساعدة والاهتمام بهم. وبدأ بعض الأهالي بشراء السلاح. فتوفر السلاح قليلا وهو في كل الأحوال سلاح قديم الطراز.

تم التخطيط في 1961/8/18 لنقل مستودع السلاح من مركز سراي اربيل بنجاح، إذ كان معظم أفراد البوليس هم أعضاء في الحزب، وتم نقل 55 قطعة سلاح مع الطلقات وثلاث رشاشات إلى الجبل. وعقد اجتماع بعد نجاح العملية حضرها ملا عبدالله وشمس الدين مفتي ومأم طه شه قلاوه بي وتقرر تسليح الملتحقين وتشكيل وحدات المفارز وتنظيمها، كما تقرر تشكيل قاعدة حزبية في كاني شيلان.

إضافة إلى تزايد عدد المسلحين نتيجة الإستيلاء ونقل السلاح من مستودع سراي أربيل، إنضمت اليهم القوه المؤلفة من الكاوانيين الذين لجأوا إلى الجبل بعد مقتل (صديق ميران) وكان عددهم 30 مسلحاً بقيادة الأخوين حميد ومحمود كاواني. لقد تطورت بسرعة قوة مسلحة ومنظمة ومنضبطة ومتفانية، قارب عددها المئة مسلح، ويقول (عريف سليمان) كان الهدف من هذه التشكيلة إنماء شعور بالتمايز بين (التجمع العشائري) وبين (التجمع الثوري). وكان القرويون هم الذين يزودون بسخاء هذه القوة بالمؤونة ويدعمونها بإخلاص.¹¹⁸ .

«قررت القوة القيام بعملية لإظهار النضال الثوري المسلح للحزب وإفشال خطط المرتزقة، فتقرر الهجوم على مرتزقة (عوسمان بك) والذي كان في قرية (Spedare) (ففي يوم 1961/8/21 هوجمت القرية وتقدمت القوات الثورية نحو القرية وإحتلالها، وتم الاستيلاء على عدد من البنادق والعتاد، ولأذ المرتزقة بالفرار واستسلمت غالبيتهم

118 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 107 - 108 - 109 - 110

للقوات الثورية. يمكن اعتبار العملية الأولى التاريخية المظفرة للحزب في هذه المنطقة.¹¹⁹

«عمدت الحكومة لمواجهة القوة الثورية المتمركزة في (كاني شيلان) بإرسال قوة فوج احتياطية من البوليس في أربيل، لكن الفشل كان ينتظرها، ف 75٪ من أفراد هذه القوة كانوا من الحزبيين وعلى اتصال بالقيادة، وكانوا راغبين في الالتحاق بالثورة مع أسلحتهم. كانت القوة بإمرة (عبد الوهاب الأتروشي).¹²⁰ أرسلت الحكومة العراقية العدد الأكبر من هذه القوة إلى (شقلابة) وقسم آخر أرسل إلى (قه لا شيخ)، ولكي يهاجموا قوة (كاني شيلان) من الجهتين. كانت المشاعر القومية متأصلة بين البوليس، ففي عصر يوم 1961/8/23 تحركت قوة البوليس من شقلابة وقررت الالتحاق بفصائل المقاومة، إعترض أمر القوة عبد الوهاب الأتروشي، أين تذهبون دون أوامر؟ كان الردّ: «لن نخون شعبنا ولن نحارب قواته».¹²¹

«هذه القوة المؤلفة من 80 مسلح مع مدفع هاون عقده (2) إنضمت إلى الفصائل الكوردية في موقع (Heware Kheje)».

«وتم فتح مقرّ آخر للحزب في (Kanî Guze) في جبل سفين. ثم التحق 25 بوليس من مخفر (Qela Senkh) بهم، وبلغ عدد القوات الثورية في كلا المقربين 200 مسلحاً».¹²²

«لقد مثل ذلك ضربة قوية للحكومة العراقية وانتصار هام للحزب الديمقراطي الكوردستاني».

بدأ أهالي مناطق أربيل بتضخيم قوة الفصائل الكوردية وانتشرت أخبار الثورة المسلحة بشكل واسع».

ويعلق (عريف سليمان):

119 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 111، 112، 113.

120 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 114

121 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 116

122 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 120

«لم يكن الواقع بتلك الصورة، فالأمر الواقع هو الذي فرض إسم الثورة المسلحة على الرفاق، إذ لم يكن للحزب برنامج للقيام بثورة مسلحة، كان الهدف من إنشاء المقدرات وتعيين إثنين من القياديين في المنطقة (هو أولاً منع التجمع العشائري تبوء القيادة والنطق باسم الشعب الكوردي، فقد قاموا بالعصيان المسلح ضد قانون الاصلاح الزراعي رقم 30 لعام 1959، إذ سيكون هذا بمثابة تخلف الشعب الكوردي أمام هذا الإصلاح الهام) وفي الوقت ذاته لإستيعاب أولئك الذين يخفون بسبب إدانة الحكومة لهم.»
ويضيف:

«.....في تلك الأيام كان الهدف من تجمعاتنا الحزبية في (Kanî Guz) و (Kanî Shîlan) هو منع الضغط الحكومي على الأعضاء في المدن والتخلي عن فكرة مطاردتهم وملاحقتهم، إذن لم يكن هدف اللجوء إلى الجبل هو النضال السياسي والجماهيري، في حين كانت الجماهير تردد الثورة ولم تكن تميز بين التجمع العشائري والثوريين، كانوا ينظرون إلى الأثنين نظرة متساوية كوطنيين أكراد.»¹²³

ويزيد عريف سليمان:

«.....لم يكن لدينا في ذلك الوقت برنامج للنضال المسلح، وعندما توجه الملتحقون إلى المناطق الواقعة تحت سلطة الحزب ومقراته، كانوا يقبلونهم وينظمونهم إذ لم يكن هناك حل آخر، وماكان ممكناً الطلب منهم البقاء في بيوتهم إلى إشعار آخر، فقد كانت بوادر إنتفاضة جماهيرية في الأفق بسبب دعاية التجمع العشائري.»¹²⁴

«فخلال الفترة الفاصلة بين 25-28 / 8 / 1961 ألتحق أكثر من 600 شخص من مناطق (Sefîn, Dolî khoshnawefî, Dolî Simaqolî, Deshtî Hewler) إتصلوا بنا وبلغ مجموع قوتنا 800 إلى 850 شخصاً في المنطقة.»

«في نهاية شهر آب من عام 1961 التحق أعضاء البوليس من مخفر باليسان بالثورة، وكان عدد المناصرين أكثر من عدد الحزبيين، كلهم كانوا يحملون روحاً

123 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 121

124 له ده نكهوه بۆگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 122

كوردية عالية. لم يميز الحزب بين أعضاء الحزب والمناصرين له. إجتمعت سكرتارية المنطقة وتقرر بعد الاجتماع فتح مقر ثالث وتشكيل قوة أخرى وإرسالها إلى منطقة جديدة، وكان الهدف من ذلك هو تخفيف أعباء إدارة القوات عن القرى الممولة لها وتوسيع مناطق النفوذ السياسي والتهيؤ للتصدي للعدو واستيعاب الملتحقين الجدد وتوزيعهم في المناطق التي هم خبيرون بها.¹²⁵

«عقد اجتماع خاص حضره مسؤولو المنطقة القياديون، شمس الدين مفتى وملا عبد الله وعدد من كوادر الحزب منهم مجيد كاوانى، كويخا عزيز حاجى، أمين سماقولى وعريف سليمان، وذكر المسؤولون انهم إختاروا Derbendî Goma Span للقوة الجديدة المؤلفة من 50 مسلحاً وتم تعيين عريف سليمان مسؤولاً عنها. وقبل المغادرة اعطى شمس الدين تعليمات لعريف سليمان: «ما ان تصلوا المنطقة عليكم الحذر الشديد، انتم ذاهبون لفتح مقر للحزب والبقاء هناك، ينبغي اظهار الانضباط العسكري في المنطقة حتى تتمكنوا من أداء دور سياسي وحزبي جيد. هناك مخفر بوليس في القرية مع أسلحة وذخيرة جيدة، من المحتمل أن يشعر المخفر بوجودكم ويتصدوكم، وفي الوقت نفسه مرتزقة (كمال خورشيد بك قه لا سنجى) الموالون لعائلة (عثمان ميران شه قلاوه ي) سيساندون الحكومة عند إندلاع القتال ويشتبكون معكم، لذا ما أن تصل المنطقة يجب فتح النيران على المخفر من مواقع (ده ربه ند) العالية حتى لايتمكنوا من ممارسة ضغط عليكم، وتشتون بذلك قوة الحزب العسكرية.»¹²⁶

تحركت القوة المشكلة حديثاً يوم 1961/8/29، كانت قوات المرتزقة قد لاذت بالفرار خوفاً وبقي المخفر دون حماية المرتزقة، وقامت القوة بتنفيذ خطة الهجوم، ولم يكن أمام المخفر سوى الإستسلام لو إستمر القتال، لكن لسوء الحظ، وصلت رسالة من ملا عبد الله يؤنبهم على الهجوم على المخفر ويأمرهم بوقف القتال. تضايق عريف سليمان من فحوى الرسالة ويقول بهذا الصدد:

«كثيراً ما يفسد خطط القوات الثورية الناجحة قرارات القيادة العليا.... ففي منطقة صغيرة وفي نفس المقر لايعرف الرفيق القيادي مايصدر عن الآخر من

125 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 123 - 124

126 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 125 - 126

قرارات فردية، ولو تحولت كوردستان إلى مناطق ثورية ونضالية منفصلة كيف يمكن التنسيق بينها.»¹²⁷

«في كثير من الأحيان يؤدي فقدان التنسيق، لأي سبب كان، بين المسؤولين القيايين للقوات الثورية إلى إرباك عمل القوات الثورية المسلحة لدى المستوى الأدنى، وفي النهاية ينقذ المسؤول نفسه بينما الثوريون يدفعون الضريبة بأجسادهم ودمائهم ثم هذا الخطأ.»¹²⁸

«وأثناء اجتماع أعضاء اللجنة المسؤولة بخصوص ما ورد في رسالة ملا عبداللّه بوقف القتال، وصل رسول آخر من القرية وقال إن أمر المخضر وهو عربي أرسله ويطلب وقف إطلاق النار والبدء بحوار. تواصل الحوار عن طريق الرسول من القرية ثم وافق الطرفان على الاجتماع في زاوية القرية.»

قدم عريف سليمان مطالبيه وهي: تطبيق قانون الاصلاح الزراعي رقم 30 لعام 1959، تطبيق المادة 3 من الدستور العراقي وإطلاق سراح السجناء السياسيين كافة، وعليهم مغادرة المخضر. وعد أمر المخضر بإرسال هذه المطالب إلى الجهات الحكومية المعنية وتفارقوا.¹²⁹

«فتح مقر في Goma Span وكان دعم الأهالي للحزب قوياً ومخلصاً، هنا لايفصلنا غير 11 يوماً عن بدء قصف الطائرات للتجمع العشائري. وخلال هذه الفترة كانت الطائرات العراقية تقوم بشكل منتظم بعمليات إستطلاع للمنطقة ومواقع تحشد قوات العشائر.»

قام الحزب بالإعلان عن إضراب عام، شمل كوردستان برمتها، مدن وأرياف، في 1961/9/6 ليثبت لقاسم دعم الجماهير الكوردية لمطالب الحزب والدخول في حوار بدل القوة. لكن للأسف الشديد كانت عقليات السياسيين بعيدة عن العمل على

127 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 127 - 128

128 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 128

129 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 130 - 131

توطيد أو اصرار الاتحاد الاستراتيجي بين الشعبين بروح الحرص على المصالح العليا وديمومة النضال المشترك، فتبخرت ما نتج من ديناميكية شعبية هائلة إثر سقوط النظام الملكي فيما يتعلق بالتعاطف والتعاقد الأخوي الحقيقي بين العرب والكوورد. وهكذا سار الطرفان نحو التناحر والهدم، ولا يزال الذهن السياسي العراقي رغم كل مامرٍ عليه من محن، سجين عقلية سلطوية ضيقة عنيفة وانتقامية.

كانت الإخبار تصل القوات الكوردية بشكل منظم عن نيات الحكومة العراقية، فكانت على علم مسبق بخطة الهجوم الجوي والبري للجيش والمرترفة على جميع مواقع القوات العشائرية، مع تركيز خاص ضد مواقع: Kanî Guz, Kanî Shilan, Derbendî Goma Span بسبب تواجد مقرات الحزب فيها كان واضحاً منذ البداية أن الحزب لا يثق بقوات العشائر لذا كانت الواجبات الأساسية هي على عاتق الحزبيين المنظمين.¹³⁰

«صدرت التعليمات التالية لمجابهة الهجوم الوشيك:
من الغد لا يجوز عمل تجمعات مكشوفة ويجب الاختفاء عند قدوم الطائرات
وعند القصف لا يجوز التحرك
عدم اطلاق النيران ضد الطائرات
عند الهجوم البري لا يجوز ترك المواقع، وعند انكسار الخط الأمامي تقوم القوات الخلفية بمساندتها.¹³¹

في صباح 1961/9/11 حصلت القطيعة، إذ شنّ السلاح الجوي العراقي حملة واسعة ضد المواقع الحزبية والعشائرية، يقول عريف سليمان:

«في الساعات الأولى من القصف خلقت حالة من الخوف، فنزول القنابل وأزيز الطائرات وصداها في الأودية كانت تهز المنطقة ولم يسبق لنا أن شاهدنا وضعاً خطيراً كهذا ولكون قوتنا تشكلت حديثاً ومعظمها عشائرية ولا تتمتع بالمبادئ الحزبية فقد دبّ الذعر في صفوفها بمواصلة القصف وتكثيفه..... لم يعط

130 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 139

131 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 140

القصف المتواصل في ذلك اليوم أية مهلة للتحرك... وكانت القنابل الفسفورية النازلة على الصخور والوديان تحرق ماتقع عليه واكثرها مبعثاً للخوف..... كنا قد تهيأنا للتصدي لهجوم قوات المشاة وقناعتنا أن هذا القصف يجري لتسهيل مهمة الهجوم البري على مواقعنا.»¹³²

«.....تحرك اللواء في الساعة العاشرة وأخذ يقترب من تقاطع الطرق الثلاثي... ثم ساروا في طريق (Degele-Koye) ووجهتهم Degele لكن كان التجمع العشائري الموجود هناك بقيادة بعض الأغوات قد ترك الموقع أثناء القصف. واصل اللواء تقدمه فأجتاز وسط مدينة كوي وأخذ معارج طريق هه بيت سلطان نحو جناروك... التجمع العشائري بقيادة محمود آغا ومن عشائر البلباس كانوا قد تركوها... واصل اللواء تقدمه إلى رانيه دون خوف..... تواصل قصف الطائرات دون توقف حتى حلول الليل.»¹³³

«ولدهشة العناصر الحزبية وجدوا أن القوة المؤلفة من 300 شخص حتى الأمس، لم يبق منها سوى 18 شخصاً فقط وهم من أعضاء لجنة المنطقة ومن رجال البوليس، ويقول عريف سليمان:

«اكتشفنا أن هؤلاء في الحقيقة لم يأتوا لمحاربة الحكومة، كانت لهم أهدافهم الخاصة، وحتى نحن، لو لم نكن متشربين بالروح الحزبية، لما كنا نصمد أمام هذه الهجمة الشرسة الوحشية والتي لم يشهدها تاريخ المنطقة»¹³⁴. استمر القصف في الأيام التي تلت. وبعد ثلاث أيام قرر الباقون ترك Derbendî Goma Span واللجوء إلى موقع أكثر حصانة. وعندما التقوا بملا عبد الله قال لهم، من بين 2400 شخص لم يبقى معنا غير 200 شخص وكلهم أعضاء في الحزب، أما رجال العشائر فقد تركونا دون اعلامنا. واجتمع الجميع فقررروا تشكيل قوة من الباقين في جبل سفين.»

«كانت الاذاعات الأجنبية تورد أنباءً تشل معنويات القوات في جبل سفين، في

132 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 143 - 144

133 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 146 - 147

134 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 147

الفترة بين 19 ، 29 / 9 / 1961 منها ان ملا مصطفى ترك المقاومة وانه مع مسلحيه توجهوا نحو الحدود التركية وقد يطلب اللجوء من الحكومة السورية¹³⁵، لقد كان وقع هذه الأنباء مثبطة لعزيمة ماتبقى من القوات في جبل سفين. وفي 1/10/1961 وصل (حه ميد باتاسي) إلى سفين واكد لهم مغادرة ملا مصطفى منطقة بارزان.

«من الأهمية بمكان ذكر روح المقاومة وصلابة العود لدى ملا عبد الله ففي ساعات المحنة والإنهيار، وقف صلباً يذكر القلة الباقية بالمبادئ الثورية وشرف المقاومة والتضحية من أجل كرامة الشعب والوطن، ويذكرهم بالفرق بين من يخوض غمار المصاعب وبين الانتهازي الذي يصل ساعة اقتطاف الثمار، وأن شرف المقاومة هو الآن على عاتق القلة الباقية وسيأتي يوم يشهد لكم التاريخ بدوركم البطولي. فقد انهارت المقاومة في العديد من المناطق وبقيت قوة سفين تحمل شرف المقاومة. لقد أعاد الثقة والأمل إلى القوات الثورية القليلة العدد كلما عاكستها الظروف الصعبة وظهور حالات اليأس.»

وذكر لي السيد شمس الدين مفتي في مكالمة من هولندا: «كانت الاتصالات في ذلك الوقت بطيئة ولم يكن ممكناً الاتصال مباشرة بيغداد أو أربيل. وكان عدد من الموظفين في شقلاوة وهم من أعضاء الحزب وعلى اتصال بنا في الجبل، فارسلوا لنا برقية مؤرخة في 12/9/1961 موجهة من ملا مصطفى إلى عبد الكريم قاسم يعرض فيها استعداداته للتوسط بين الحركة المسلحة وعبد الكريم قاسم. لكن لم نسمع أي ردّ من عبد الكريم قاسم على الرسالة.¹³⁶»

ترى هل كان يريد إنقاذ الوضع وإجراء مصالحة مع النظام؟

لكن في كل الأحوال وكما يشهد عليه تاريخ العراق الحديث، فإن الروح العسكرية كانت طاغية على عقلية الساسة وهم من العسكر، فقد إعتمدوا على إستخدام القوة لحل المسألة الكوردية رغم الفشل المتكرر والباهض الثمن.

135 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 162

136 مكالمة تلفونية مع شمس الدين مفتي جرت في 2006/9/19

تكتيكان في الصراع المسلح

تعرضت قوات الحزب الباقية في مواقعها إلى هجمات برية واسعة بدأت في 1961/9/21 إشتراك فيها الجيش العراقي والمرتزقه الكورد بهدف محاصرتهم، وكانت تتقصد القوات الثورية الطلقات فتقرر، جمع ما أمكن من القارورات الفارغة وإعادة ملئها بالبارود من قبل أحد المختصين وهو (وه ستا حمه د ئه مين باليسانى) لقاء ثمن لكل طلقة.¹³⁷

وفي شهري أكتوبر ونوفمبر استطاعت قوات سفين أن تقوم ببعض العمليات ضد قوات المرتزقة بتبني أسلوب حرب العصابات وأثبتت جدارة في المعارك رغم النواقص اللوجستية الكبيرة.

ويذكر عريف سليمان:

«في 1961/11/15 ذهبنا إلى قرية Betwate لزيارة أنور بگ، كان المشار إليه في ذلك الوقت مشهوراً ومن الأكراد المخلصين، وكما هو الحال مع عباس مامند آغا يعتبر واحداً من رؤساء العشائر المخلصين، عند وصولنا إلى الديوان خانه (دار الضيوف) كان هناك عدد من وجهاء المنطقة ضمنهم (عباس مامند آغا، شيخ حسين، هه مزه آغا منكور، سمايل سوار آغا) وكلهم برفقة عدد من المسلحين يناهز عددهم على المائة شخص، اظهر الجميع احتراماً فائقاً لنا.....»¹³⁸

«وفي 1961/11/19 عدنا إلى قرية (دوله ره قه) وحلت فترة مؤقتة من الهدوء، تمكنا من الراحة واستعادة قوانا بعد أن نال التعب من وحدتنا.

وفيما يخص المؤونه وحاجاتنا، فقد كانت تأتي من أهالي المنطقة ومن عباس آغا بالذات، ومن المدن تعاون معنا الكورد المخلصون، فعلى سبيل المثال: حسين حاجي تاهير، كان عضواً في لجنة رانيه، وأرسل لي رسالة معتبراً إياي ممثلاً عن البوليس يقول فيها، إنه يريد خدمة المخلصين من شعبه، وأنتم اليوم مناضلو الحزب قد رفعتم السلاح في الجبال لتحقيق أهداف شعبنا السياسي.

وأرى من واجبي، ونسبة إلى امكاناتي أن أرسل لكم بعض الأشياء بالأخص للبوليس.

137 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان به شى به كه م. 1949 - 1961. لاپهر: 154

138 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 169

شكرناه في جوابنا له لإخلاصه. بعد يومين وصلت الينا الأشياء التالية:
خمسون زوج حذاء من اللاستيك
خمسون يشماخ
خمسون قميص متنوع

بقينا في منطقة (Dolereqe) حتى 1961/12/21، استمرت القوة بالنمو واصبحت قاعدة للثورة.¹³⁹

ثم يصف وصفاً دقيقاً شيقاً تحرك مفرزته في 1961/12/22 والقرى التي مروا بها وطبيعة كوردستان الخلاية وعبور النهر، وكان (عمر دبابه، على عبدالله، ملاعه ولا وشمس الدين مفتي، قد تلقوا نبأ وجوب حضورهم للاشتراك في اجتماع قيادة الحزب والذي سيعقد لأول مرة في الجبال في قرية «هه والان»، وطلبوا قوة للحراسة بالأخص من البوليس.

«عندما وصلنا وسط قرية (هه والان) استقبلنا جلال الطالباني بحرارة، استقبل أولاً الإخوة من المسؤولين ثم صافحنا وعبر عن سروره بوصولنا. بعد نيل قسط من الراحة، شعرت بأن جلال كان لوحده بصحبة عدد قليل من الرجال، بقوا في جه مي ريزان، ولم يتمكنوا في تلك الفترة غير حماية انفسهم، وظهر لي أننا وحدنا في جبل سفين ابدينا المقاومة وتمكنا الحفاظ على قوتنا.»

«وفي 1961/12/24 أنيط بنا مسؤولية حراسة قرية هه والان والممرات المختلفة المحيطة بالقرية، وتقرر عقد اجتماع القيادة في اليوم التالي. لقد كان هذا الواجب شرفاً كبيراً لنا وقد انتهى الاجتماع بسلام. وعلمت بأن استدعاءنا من (دولى ره قى) كان من أجل حراسة الاجتماع وانهم علموا بمدى تفانينا واخلاصنا، إذ لم يكن في جه مي ريزان قوة ذات تجربة مثل قوتنا.»¹⁴⁰

139 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 197 - 198

140 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 201

«وصل في يوم الاجتماع هذا أعضاء المكتب السياسي المختفون في المدن ومنهم على سبيل المثال: الأستاذ إبراهيم أحمد، عبد الرحمن زبيحى ونوري أحمد طه..... الخ



جلال طالباني، على عسكري، إبراهيم أحمد، كاكه زياد وعمر مصطفى

استمر اجتماع (هه والان) من 25 - 29 / 12 / 1961 كنا بحكم وجودنا في الحراسة نجتمع مع أعضاء المكتب السياسي، نأكل سوياً وعلاقاتنا كانت جيدة مع اكثريتهم.»

«في إحدى الأيام، أثناء تناول الشاي، ذكر إبراهيم أحمد، سكرتير الحزب: «في عام 1958 ذهبنا من العراق لاستقبال مصطفى البارزاني، لم نتمكن من الذهاب إلى الاتحاد السوفيتي لعدم موافقته، فانتظرنا في براغ... نزلنا في دار ضيافة كبيرة، وفي القسم الذي نزلنا فيه، كان خالد بكداش موجوداً، وهو سكرتير الحزب الشيوعي السوري، ومن معارضي النظام السوري، وأيضاً كان معه في نفس القسم، عدد من الجنرالات السوفييت. حصل تعارف بيني وبين خالد بكداش وتعاهدنا خلال هذه الزيارة على التعاون المتبادل.»

ولانجاز شيء خلال الزيارة، رأيت أن التعرف على أحد الجنرالات عن طريق خالد بكداش شيء جيد، لكي أشرح له حالة الشعب الكوردي المستعبد .

قلت: أريد منك أن تعرفني على هذا الجنرال لكي احيطه علماً بحالة الحزب (پ د ك) وحركة التحرر الكورديه لكي نضمن مساعدة السوفييت .
أجاب: أنا سكرتير الحزب الشيوعي السوري، حليفهم الأول حتى كنت اعمل نيابة عنهم ضد الحكومة السورية . فمصر وسوريا دولتان بورجوازيتان اتحدتا، والسوفييت ارضاءً لهما ابعدونني عن وطني ويتعاملون معي مثل موقوف .

قلت: ولأي سبب؟

قال: لأن لديهم السلطة والقوة حتى وإن كانوا من البورجوازية، أنا لا املك القوة وليس لدي الامكانيات. يريد السوفييت بناء العلاقات على حسابي مع الطرفين، فإذا تصرفوا معي بهذا الشكل فكيف يكون موقفهم منك . صدقني إن تكلمت معهم حول الشعب الكوردي، لا يستمعون لك فحسب إنما قد يسخرون من كلامك .

قلت: إذن أي عمل تفضل؟

قال: أرى أن تعودوا إلى مناطقكم الجبلية الوعرة وتعملوا على تشكيل مفاوز مسلحة، قوموا ببعض العمليات هنا وهناك لإرباك الحكومه العراقيه إلى ان تحولوا إلى قوة ثورية في المنطقة. عند ذاك، لست أنت الذي يبحث عن لقاء جنرال سوفييتي إنما الجنرال السوفييتي وغيره سيأتون إليك ويتقربون منك . بإختصار ان عالم اليوم هو مع القوة، فكل شعب يملك القوة يحسب له حساب وإن لم يكن له قوة لا أحد يبالي به .

هنا التفت إبراهيم أحمد نحو أعضاء القيادة وقال: «لقد حان الآن تطبيق أقوال (خالد بكداش) علينا بناء قاعدة الثورة المسلحة وبعد هذا الاجتماع نبدأ بالنضال السياسي في الجبال، لكن أرى وضع إسم مناسب للفرد الذي ينتمي إلى هذه (القوة) اوجدوا اسماً كوردياً له وأتركوا الاسم العربي لي، سنطلق عليه اسم (فضائل الأنصار الثورية) لكي نمح للاخوة العرب فرصة المساهمة معنا في النضال الفكري ضد ديكتاتور العراق»¹⁴¹

يظهر أن جلال الطالباني كان يتلقى المعلومات عن تحركات الحكومة من شتى المناطق عن طريق خلايا الحزب السرية المنتشرة بصورة واسعة. فبيوم قبل إنهاء الاجتماع في (هه والان) أي في 1961/12/28 أبلغ قوة البوليس بالتهيأ لعمل هام معه، لكن دون إعطاء تفاصيل، إنه جزء من العمل السري في ظروف النضال المسلح. ¹⁴²»

ويذكر عريف سليمان خيراً ورد في عصر يوم 1961/12/30، «انتشر خبر مفاده أنه تم ضرب خزينة كويه في (شيخ خه روان) والحكومة مرتبكة وقد ارسلت قوات كبيرة ضد أولئك الذين استولوا على الميزانية، ودارت شائعات بأن القوة كانت مؤلفة من أعداد كبيرة، وقتل في الهجوم اثنين من رجال البوليس الذين كانوا يحرسون السيارة التي تحمل الميزانية.

وعند سماعي النبأ ظهر لي أن جلال والرفاق قد نصبوا كميناً ونجحوا في العملية، سررت جداً بالنتيجة.» ¹⁴³

ثم يروي أحد أصدقاء عريف سليمان ماسمعه من أخبار طيبة من قادة الحزب: «لقد تقرر استدامة الثورة واطلاق إسم «بيشمه ركه» على القوات الثورية.

وتقرر أيضاً وحسب امكانات الثورة

تأمين ادارة البيشمه كه

وبتوفر الامكانات، سيتم تحسين معيشة عوائلهم

وعندما تتوفر امكانات أكثر، سيجري تأمين معيشة عوائل السجناء السياسيين

الحزبيين

هذه الكلمات أدخلت سروراً عميقاً على قلب عريف سليمان كما يشير إلى ذلك

في كتابه.» ¹⁴⁴

142 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 207

143 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 207

144 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 208

ثم يذكر حادثة تدل على عدم تأصل القيم الثورية لدى أحد أفراد المفترزة بعد أن إستحوذ على المال فيقول:

«بعد ظهر يوم 1961/12/31 تحركنا سيراً ووصلنا قرية Rezine وقد وصلها لتوه جلال، وبعد تناول قسط من الراحة، طلب جلال جمع المال وعدّه وكانت النقود عند أفراد البوليس التاليه أسمائهم (ع. صمد، عه باس جبرائيل، عه لى حه مه ره سول، ته وفيقه ره ش) كل واحد منهم كان يحمل 6 آلاف دينار. كاكه حه مه بولقاميش كان يحتفظ بستة ألف دينار وقال انه تعب كثيراً ولن يسلمها حتى يأخذ نصف المبلغ.

ما أن سمع جلال حتى انتابه الغضب وصاح:
لسنا قطاع طرق نحن نعمل من أجل الثورة، هذه النقود تعود للثورة وليس ملكاً لأحد.

لا أبالي بذلك، اريد نصف المبلغ. ردّ كاكه حه مه.
ليس لأحد الحق في امتلاك فلس واحد. صّرخ جلال... حاصروه.. إن لم يسلم المبلغ عاقبوه أشد عقوبة.. إنه لص.. قطاع طريق...

كنت في تلك اللحظات استمع إلى جلال، عرفت كم كان مخلصاً ويضحى بالصدقة من أجل الثورة ولايتخلى عن مبادئه مهما كان الثمن، قلت:
ارجوك لاتقم بذلك، إن قتل، في نفس هذا اليوم سيصل الخبر إلى الحكومة وسيقال إن مسؤولي الثورة يتقاتلون على المال، وسيؤثر ذلك على سمعة الثورة ولايبقى فرق بيننا وبين المرتزقة.¹⁴⁵

رغم ان جلال تعرف علىّ في تلك الأيام، لم يعارض اقتراحي، قال: تفضلوا قوموا أنتم بحل المشكلة. انه يتمرد ولايقبل إعادة النقود.
قلت: جيد، سنأخذ المبلغ منه بالكلام الطيب، وبعد قليل أستعدنا من (كاكه حه مه بولقاميش) المبلغ وانتهت الأزمة.

وفي نفس تلك الليلة أرسل من هذا المبلغ 13000 دينار إلى ملا مصطفى وقد استلمه بعد عدة أيام. فقد أرسل أولاً إلى رانيه ليد (باقي حاجي جه لال) وكان تاجراً

145 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 209

مشهوراً في رانية وكردياً مخلصاً، ثم وصل المبلغ إلى أربيل وسلم ليد (ميرزا كويي) وكان كاتباً في عدلية أربيل وعضو في الحزب، وأرسل المبلغ إلى (كاكه على عسكري)، مسؤول لق بادينان الذي كان يرافق ملا مصطفى. واستلمنا خبر وصول المبلغ ليد ملا مصطفى، كما وصلنا نبأ المعركة التي خاضتها قوات بادينان بقيادة ملا مصطفى في زاويته ضد اللواء الخامس ومرترقة المنطقة وكانت معركة هامة.

وبعد هزيمة القوات الحكومية في هذه المعركة اضطرت إلى الانسحاب نحو دهوك. وتقدمت قوات بادينان نحو سرسنگ وسواره توکا واقامت المقرات فيها. دارت هذه المعركة بعد أن رفضت سوريا وتركيا منح حق اللجوء للبارزاني. فبقي في تلك المناطق، وعندما تحرك نزولاً اصطدم بتلك القوة الحكومية في زاويته. هذه المعركة رفعت من معنويات قوات سوران وبادينان»¹⁴⁶

واضح أن المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني إتخذ قرار مواصلة القتال وتبني أسلوب حرب العصابات (أضرب وأهرب) في اجتماع (هه والان) وقد رأينا كيف أن جلال الطالباني قاد إحدى هذه الوحدات لنصب كمين. وهذا التكتيك من القتال ناجح عندما يكون هناك تجاوب مخلص من قبل السكان القاطنين في منطقة العمليات، وهذا العامل كان متوفراً بقوة.

بدأت الحركة الكوردية عموماً تتحرك على محورين. فأعضاء المكتب السياسي بدءوا حشد المثقفين واناطة المسؤوليات بهم، ومن جهة ثانية كان ملا مصطفى يجمع العناصر الاقطاعية الوطنية من الأعوات حوله وينيظ بهم المسؤوليات. وهنا تشكل اتجاهان متناقضان لا ينسجمان. فالاثان كانا يبحثان عن الانصار كل حسب مفهومه الخاص دون مساومات.

هنا نرى أسلوبين: أسلوب تبناه المكتب السياسي في المناطق الجنوبية من كوردستان، فالبعض من أعضاء المكتب السياسي تحولوا إلى قادة عسكريين، يتجولون في القرى ويحشدون تأييد القوى التقدمية والمثقفة في المجتمع الكوردي، وبالأخص الفلاحين وهي الطبقة التي وقع على كاهلها عبء القتال وتقديم التضحيات وتمويل

146 له ده نكهوه بؤگوله كهنمهكان. عه ريف سليمان. ص: 210 - 211

قوات الانصار. فقد قامت الحركة في الريف الكوردي، والمدينة الكوردية متحالفة معه. وقد قرأ قادة الحزب - أعضاء المكتب السياسي - تجارب الثورات التحريرية في العالم، ضمنها كتب ماو تسي تونغ الشهيرة عن حرب العصابات وتجربة الثورة الكوبية وثورات أخرى. لم يكن لدى قادة الحزب «القيادة المدنية» عشائر موالية، كانوا مدينيين ونفوذهم مستمد من وظائفهم في الحزب، لقد بدأ أعضاء المكتب السياسي مهامهم الثورية من نقطة الصفر. ونجحوا في عمل تشكيلات ثورية مسلحة بعقيدة التحرير وجيدة التنظيم ذات معنويات عالية، والتزام اخلاقي بقضية الحرية وكرامة الشعب الكوردي وحقوقه. تضاعف عدد الوحدات المسلحة حتى غطت مساحات واسعة من أرض كوردستان الجبلية في حين ظلت المدن الكوردية نشطة سياسياً وتدعم الحركة الكوردية مالياً ودعائياً وارسال الاخبار عن تحركات الحكومة العراقية. (راجع مقالات الصحفي الفرنسي أريك رولو)

أما ملا مصطفى، فقد اختلف أسلوبه تماماً عن أسلوب المكتب السياسي. تبنى أسلوب نطلق عليه (الحامية العسكرية المتحركة). فبعد مقاومة بارزان للهجوم المشترك الجبهوي - الجيش العراقي بقوات المشاة والمدفعية والطائرات وتقدمه قوات المرتزقة الكورد - أدرك نظام بغداد صعوبة القتال، فاضطرت الحكومة العراقية على التفاهم مع شيخ بارزان لوقف العمليات، بعد الاحتلال الباهض الثمن لبارزان. هنا غادر ملا مصطفى بصحبة ما يناهز 600 مقاتل بارزاني منطقة بارزان لكن سرعان ما التحق به معظم رجال عشيرة نيروه المجاورة لبارزان.

التشكيلة العسكرية تضع ملا مصطفى في الوسط مع حرسه الخاص حيث يؤلف الدائرة الاولى، وتأتي الدائرة الثانية من القوات التي تحيط به على مسافة أبعد، ثم الدائرة الثالثة أكثر بعداً والرابعة وهكذا حسب المتطلبات الأمنية. وحيث تشمل الاراضي المحمية عدة كيلومترات أو العشرات. فالقوات البارزانية تحيط به من جميع الجهات محتلة جميع المرتفعات المحيطة بالمواقع التي يمرّ بها. وهذا ما جعله في مأمن من محاولات القبض عليه، وعندما ترك مناطق بارزان كان في نيته الالتجاء إلى سوريا.¹⁴⁷

147 البارزاني والحركة التحريرية الكردية. مسعود البارزاني. الجزء الثالث. أبريل 2002 ص: 34-35

كان من بين القادة: حسو ميرخان دولمري، حاجي بيروخي، محمد أمين ميرخان ميركه سوري، عمر آغا دولمري، ثه سعه د خوشه فئي، عه لى خه ليل، عيس سوار، عارس بيدارونى، حاجكى جه مى، ملا عه بدالله زيوه يى، مه لا شيني بيدارونى، ميره دولمه رى، عوزه ير محمد خه لانى دوله مه رى، حسين جرجيس بيندروى، هاشم ميروزي... وآخرون ممن كانت لهم تجارب في القتال. وهذه الحامية المتحركة شكلت قوة ضاربة لا تتمكن القوات الحكومية من السيطرة عليها. وبالنسبة للعشائر المعادية في مناطق بادينان، لم يكن ممكناً مقاومتها عندما تهدد بإجتياح قراها. أما القرى المتجاوبة فقد رحبت بالقوات البارزانية وزودتها بما تحتاج من غذاء. وقد أبلغ ملا مصطفى جميع أفراد قواته عدم الإعتداء أو سلب الممتلكات من القرويين، إنما الطلب منهم بلطف تزويدهم بالطعام الضروري لا أكثر. لقد إنضمت كلية عشيرة نيروه إلى القوات البارزانية، وأصبح أولاد صالح خاني قادة، منهم حه جي صالح ومصطفى شقيقه. وكانت عشيرة مضحية في سبيل ديمومة الحركة الكوردية. ثم أستمر زحف (الحامية المتحركة) نحو قرى بروارى بعد عبور نهر الزاب في 1961/10/24، وفشلت المقاومة التي أبداها محسن بگ برواري، وتمت السيطرة على مناطق بروارى بالا. وأستمرّ إلتحاق المواطنين والعشائر بالقوات البارزانية.

كان صالح اليوسفي من العناصر النشطة وقد أدخل إلى الحزب العديد من الشخصيات الكوردية ورفع من الوعي الشعبي بعدالة القضية الكوردية والنضال في سبيلها. وكان على عسكري في مناطق بادينان نشطاً في العمل الحزبي والعسكري. عانى من مطاردة القوات المعادية من المرتزقة الكورد والجيش. أنضم العديد من أفراد الشرطة إلى قوات الحركة الكوردية مع اسلحتهم وأصبح لهم دور مرموق في صفوف الحركة. كانت المخافر رمزاً للاحتلال والظلم. وتنازلت بسرعة تخلية المخافر والإلتحاق بالحركة الكوردية وبسهولة.

انتظمت قوات المرتزقة في وحدات تحت قيادة الأغوات في بادينان، فقد أصبح العديد من رؤوساء العشائر قادة كل واحد لمجموعه من المرتزقة. فمحمود آغا الزيباري كان له مجموعته وإبنه زبير كذلك - جدّ وخال مسعود - تولوا عمليات مطاردة قوات البيشمركه بالتعاون مع أبناء شقيق محمود آغا الزيباري (أحمد آغا زيباري) أرشد آغا ولطيف آغا، هؤلاء ايضاً كانت لهم مرتزقتهم، وكانت الحكومة

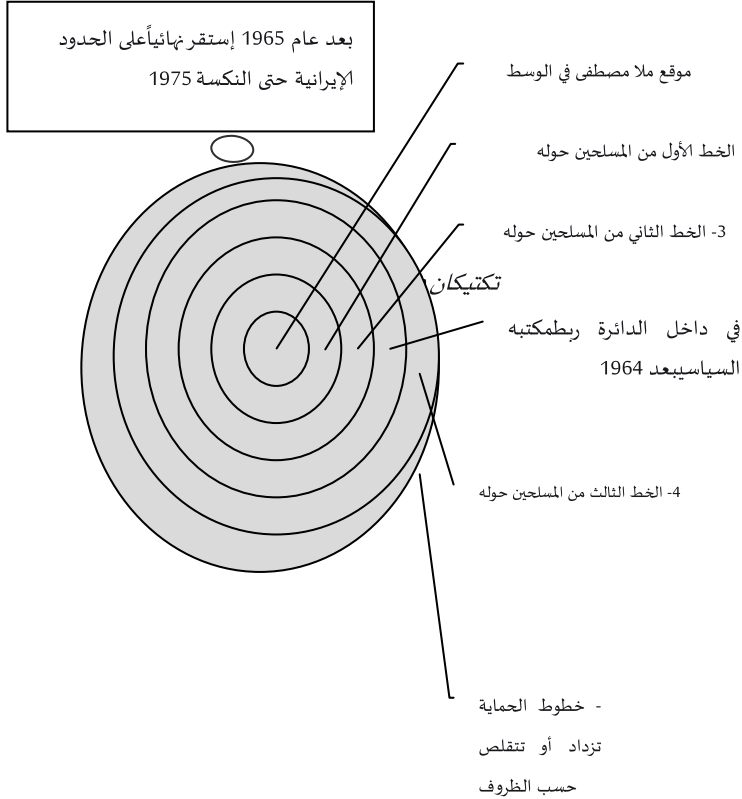
العراقية تعتمد عليهم وتبدي لهم اهتماماً خاصاً لكونهم من أقرباء قائد الحركة ملا مصطفى، والأخير كان يكن لمحمود أغا احتراماً متميزاً وتشكلت قوات مرتزقة من معظم العشائر في بادينان.

تركيبة قوات المرتزقة

يتلقون الأوامر من قادة الجيش العراقي
أو من دوائر الأمن



الحامية العسكرية المتحركة (ح.ع.م) يناهز عددها الألف مسلح



بعض الخصائص الملازمة لتكتيك الحامية العسكرية المتحركة:

يمكن أن تحقق الحامية العسكرية المتحركة النجاح في فرض نفوذها عندما تقوم بالعمليات في تضاريس وعرة، يؤيدها الشعب تأييداً قوياً وحزب عصري داعم لها وكان هذا هو الحال عام 1961، فقد كان لنشاط كوادر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الأعوام الماضية في وسط الريف الكوردي والمظالم التي ذاقها سكان الريف الجبلي الوعر على يد الإقطاع الكوردي المسند من قبل حكومات بغداد، قد ساعد على تعبئة الجماهير وراء الحزب تعبئة جيدة، فقد أوجد الأمل من ان الحزب سوف

ينقذهم من البؤس والحرمان والإذلال، هنا العنصر الأهم في سيادة نفوذ (ح.ع.م) لكن في غياب هذه العناصر فقد شاهدنا فشلها أثناء مقاومة البارزانيين عام 1932 - 1936 . بقيادة خليل خوشفي وأحمد نادر وعبدالله كلكه موي. فقد أيد غالبيتهم لأن المحيط العشائري وقف مع الحكومة العراقية. ولولا التفاف البارزانيين وعقيدتهم لما تمكن ملا مصطفى من تحقيق نجاحات عسكرية بين أعوام 1961 - 1975، ضد كافة خصومه في هذه الفترة الحساسة جداً.

1- موقع القائد محصن في الوسط، وهو بمثابة [الحاكم المدني والعسكري العام المطلق الصلاحيات] لم يكن له منافس في نفس الموقع، ومن حوله مباشرة بعض الخدم للسهر على حاجاته الشخصية، نفس الحماية العسكرية المتحركة التي وصلت خلال اسبوعين إلى آذربيجان السوفيتية عام 1947.

2- اصبح هذا الموقع مصدر جميع القرارات من حيث ساعة التحرك والاتجاه وتحديد الاهداف للهجوم أو الراحة

3- ومن هذا الموقع تم احتكار كل الأموال التي تأتي لمساعدة الحركة الكوردية سواء من الخارج أو الداخل وتحديد أوجه صرفه أو منعه، وبكلمة أخرى تم احتكار السلطة العسكرية والمالية وهو أمر في غاية الخطورة كما هو معروف فيما يخص فساد السلطة في كل زمان ومكان.

4- كانت هذه القوة عند مرورها، أكبر من أن تقف في وجهها أية قرية كوردية تمنع تقدمها، انضمت بسرعة قبيلة النيرو إلى الحماية العسكرية المتحركة في نهاية عام 1961 وتبعتها قبائل أخرى، كان النشاط الحزبي قد أنمى في اوساط الريف الكوردي الروح القومية والشعور بالغبن من تعامل حكومات بغداد، بالخاص في سلك الشرطة، فقد انضم إلى الحركة معظم رجال المخافر مع أسلحتهم من ذوى الاصول الكوردية.

5- عندما أيقن ملا مصطفى أنه لا توجد فرصة للجوء خارج الحدود سواء إلى تركيا أو سوريا، وفي ذات الوقت أيد الشعب الكوردي الانتفاضة غير من توجهه، فأخذ يتحرك مع الحماية العسكرية المتحركة داخل كوردستان. سيطر أولاً على المناطق الوعرة النائية المحاذية للحدود التركية، لم يكن الجيش العراقي مهيباً لمقاتلة الشعب الكوردي ومعرفته بمعارك الجبال كانت بدائية إلى حد ما ، وكان هم المرتزقة الكورد هو بالدرجة الأولى الحصول على المال.

6- ما أن يسيطر على منطقة معينة حتى يعين واحد من أمثائه في تلك المنطقة.

تعيين أسعد خوشفي كمسؤول أول في مناطق بادينان، ذكي ويفهم حياة الريف وطموحات سكانه، وتعيين ملا حمدي كاتباً له. إضافة، عين عيسى سوار مسؤولاً في منطقة زاخو وعلى خليل في بروراي، كان على خليل شخصية ملتصقة بأمانى الفلاحين ويناهض ظلم الأغوات، فأصبحت له شعبية كبيرة، وكان قد درس في الاتحاد السوفيتي وتمتع بروح متواضعة ونزيه. حسو ميرخان دولمري عين في عقره وشيخان وهو أيضاً لم يفسده المنصب أو المال ومن المحبين خدمة شعبيهم بإخلاص. جميع هؤلاء موالين لملا مصطفى موالاة غير مشروطة، وهم حكام عسكريون ومدنيون في نفس الوقت. ولهم صلاحيات مطلقة ولايحاسبون على اعمالهم.

7- وما أن تم له تعيين المسؤولين في بادينان، حتى بدأ بالزحف على مناطق سوران لدحر القوات الحزبية إذ لم يكن مرتاحاً لاستقلاليتها وكان الهدف تطويع الحزب وجعله تحت امرته. وفعلاً وبعد أن هزم مكتبه السياسي فريق [إبراهيم - جلال] وعين مكتب سياسي آخر، حدد مكان اقامته ضمن دائرة الحامية العسكرية المتحركة، وقد أصبحت ثابتة، وبذلك فقد المكتب السياسي الجديد استقلاليتها. وكانوا بمثابة «موظفين» لدى قائد الحركة ويستلمون منه الأموال. ولعب المثقف الحزبي دور أداة السلطة، والذي يبرر الاستبداد. فتشكلت بمرور السنين داخل الحامية بطانة السلطة وقد تشعبت، منها المباشرة كالندماء، والأقرباء، والمخبرين، وغير المباشرة كالإعلاميين، والكتاب والشعراء، يقومون جميعاً بخدمة القائد. ويبررون الاستبداد باسم الأمن العام، والمصلحة العليا للوطن والحفاظ على الثورة.

8- ضخمت الدعاية الحزبية هيبة القوة الكوردية، موجدة لدى الحكومة ومناصريها من المرتزقة، الخوف الشديد، أما قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني فلم يفتنوا إلى نوايا ملا مصطفى بخصوص نيته في الهجوم عليهم وتطويع الحزب بالقوة، لقد استمروا في تعظيمه أمام الجماهير الكوردية، قد يكون مصدر ذلك هو الشعور بالخطر المباشر الذي يولد في السيكولوجية حاجة البحث عن شعور بنوع من الأمان وإن كان أماناً وهمياً... ومن هنا الحاجة إلى «المنقذ».. ومن هنا تضخيم صورة ملا مصطفى وتقديمه في الخيال الشعبي بالبطل الذي لايقهر... دفع المكتب السياسي نفسه ومعه الشعب الكوردي إلى الفخ الذي صنعه... فقد قادت تلك الدعاية إلى تكوين نظرة غير واقعية عن ملا مصطفى ترسخت في المخيلة الشعبية، للتعويض عن واقع هش... أي الهرب من واقع مخيف إلى حالة من الشعور الوهمي بالقوة والأمان عن طريق صناعة الدعاية للقائد المنقذ في الخيال الجمعي المترفض نتيجة عوامل الخطر المحدقة.

9- لم تكن داخل الحامية العسكرية أقسام للتثقيف السياسي وتهيئة الكوادر، فقد كانت الروح العشائرية وما فيها من تعاون وتعاضد تضى بالفرص. ولم يكن بين البارزانيين حزبيين غير ملا مصطفى نفسه كان رئيساً للحزب الديمقراطي الكوردستاني، فقد كان يحتاج إلى هذه القوة غير الحزبية لضرب الحزب وتطويعه. جميع القادة الذين رافقوه بداية خروجه من بارزان، كانوا يحملون العقيدة البارزانية والمتمثلة في مناهضة الظلم وبالأخص ظلم الأغوات المتحالفين مع الحكومة. كل القادة من المنتمين لقبائل بارزان. لم يكن ولا واحد من هؤلاء حزبياً.

10 - في موقعه وسط الدائرة المحصنة، تعامل ملا مصطفى مع كل ماهو خارج الحامية من موقع القوة. كان يهدد ويفرض شروطه أو يأمر بالتصفية الجسدية لمن يعتبرهم مناوئين. ومن داخل الدائرة كان الزائر يشعر بوضوح بكبريائه وترفعه الشخصي.

11- لكن ما أن يصبح خارج «موقع الحصانة البارزانية»، حتى يتغير سلوكه وبشكل مذهل، ويتحول إلى عكس شخصيته المعروفة في كردستان. لقاءته بالشاه والمسؤولين الإيرانيين كشفت عن الانقلاب الكلي في شخصيته، أذهلت مرافقيه مثل الدكتور محمود عثمان، فكان يقبل يد الشاه ويعلن انه تحت إمرته وفي خدمته.... الخ. وما أن يعود من سفراته إلى داخل موقع الحصانة البارزانية تعود إليه شخصيته الصارمة المتعالية.

12- تتمتع الحامية العسكرية بالمرونة وسهولة التكيف لبعض الوقت وفي الظروف العسكرية والسياسية والموقع الجغرافي المحدد، لكنها كانت تميل باطراد إلى حوض «حرب جهوية» وفقدت في النهاية ملكة التأقلم مع التطورات السياسية والعسكرية المستجدة في الشرق الأوسط.

13 - نظراً لإستطلاع السلاح الجوي العراقي اليومية وتوقع الغارات، فقد لازم (ح.ع.م) التحرك السريع وتغير المكان والمواقع لتفادي القصف الجوي والكتمان الشديد لمنع تسرب الأخبار إلى الطرف المعادي عن تحركاتها.

14 - من نقاط ضعف (ح.ع.م.) إنها لاتستطيع البقاء الأ في المواقع الجغرافية الطبيعية الحصينة مدعومة بإسناد جماهيري واسع، حيث انعدام الطرق لتحرك الدبابات والمدركات، فهي ليست مؤهلة لحرب عصابات فعالة وراء خطوط العدو، ولاتتمكن من القيام بعمليات في السهول المكشوفة، فأسلحتها خفيفة.

15 - تم إستخدام (ح ع م) ضد قوات المرتزقة والجيش العراقي. كما استخدمها

- رئيس الحزب ضد قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني - القيادة المدنية - وتغلب عليهم في المعارك التي دارت في مناطق سوران.
- 16 - اقتضرت على الحرب الجبهوية وإهمال حرب العصابات في السنوات الأخيرة. وانتابها الجمود و عدم مسايرة التطورات السياسية والعسكرية المحلية والدولية.
- 17 - بقي المكتب السياسي (القيادة المدنية، فريق إبراهيم أحمد وجلال الطالباني) خارج الحامية العسكرية المتحركة حتى عام 1965 ، بينما تم وضع المكاتب السياسية اللاحقة بعد عام 1965 داخل إطار (ح ع م) وبهذا تم تدجين أعضاء المكتب السياسي، وفقدها استقلالية القرار الجماعي وأهم العمل بدستور الحزب.
- 18 - ومنذ عام 1965 أصبح وضع الحامية العسكرية المتحركة مختلفاً، تغيير موقع ملا مصطفى فيها، فقد ترك وسط الدائرة وأستقرّ إلى أقصى الهامش على الحدود الدولية مع إيران في حاج عمران، بعيداً عن الجبهات وشظف العيش، حيث يدير علاقات الحركة مع العالم الخارجي ويستلم المساعدات من الشاه ومن دول أخرى، ووضع مكتبه السياسي قريباً منه في جومان، أي داخل الحامية. هنا إستقرت الحامية وتحولت طبيعة المجابهة العسكرية مع حكومات بغداد إلى عمليات جبهوية، لاطاقة بها للشعب الكوردي، وأهملت حرب البارتيزان، ولم يكن هذا في صالح الحركة الكوردية على المدى البعيد.
- 19- كما حقق نجاحاً بارزاً تكتيك حرب الأنصار الذي تبناه المكتب السياسي - جلال طالباني، عمر دبابه وآخرون - في مناطق سوران في أعوام 1961 - 1962 - 1963 - 1964 ضد الحكومة العراقية، رغم أنهم بدأوا من نقطة الصفر. لكنهم لم يتمكنوا الصمود أمام هجوم الحامية العسكرية المتحركة لرئيسهم عندما هاجمهم وهزمهم وتعقبهم إلى ان التجأوا إلى الأراضي الإيرانية.
- 20- كان أحد أسباب استقرار رئيس الحزب بعد عام 1965 على أقصى هامش الحامية العسكرية المتحركة على خط الحدود مع إيران (قصة حاج عمران) هو الابتعاد عن القوات الحكومية وهجمات الجيش العراقي إلى أبعد نقطة ممكنة، ولضمان سلامة عائلته واتخاذ الحيطة من التغيرات السياسية والعسكرية الغير متوقعة للنجاة. تحولت ال «الحامية العسكرية المتحركة» إلى «ثابتة». وكان مركزه «القائد» على الحدود الإيرانية مما يسمح له سهولة المرور عبر الحدود إلى إيران، وبالفعل منها أعلن نهاية الحركة الكوردية في شهر آذار عام 1975 وأخذ بهدوء طريقه إلى إيران.

21- من الميزات الهامة ان هذه الحامية شكلت حكم عسكري في جميع مناطق تواجدها. وأضيف إليها جهاز الباراستن (الأمن) فزاد من تسلطها على رقاب المجتمع الكوردي وتحولها إلى جهاز مناوئ للحريات المدنية وترهيب المواطنين. كما تحولت مهمتها إلى حام لنظام الفرد الواحد المتمثل في قائد الحركة، وفي ظلها حصل شلل في ديناميكية المجتمع بالأخص في بادينان، وتقهقر ثقافي وسياسي وتم فرض الطاعة المطلقة على الجميع. وخلال عمر الحركة لم يبدل قائد بآخر، ولم يعاقب قائد لقصور في أداء المهام أو الفساد. كان هؤلاء القادة فوق القانون. وبعد بيان آذار عام 1970، وضعت مناطق عقره - شيخان وبشدر تحت نفوذ قادة مرتزقة خلافاً لكل مبادئ الحركة الكوردية والتزاماتها الوطنية. لقد تجمعت بفضل الحامية العسكرية صلاحيات واسعة مكنت قائد الحركة ممارسة الحكم بلا مبالاة أو خوف من أحد، وأينما ساد نفوذها قامت بنشر قيم الطاعة والإذعان لشخص القائد وقلصت مجالات الحرية والنقد.

1962 عام التوسع والمبادرات

بروح ثورية عالية وبلا إمكانات مادية كان الشعب الكوردي يلتف حول حركة التحرر ويحقق الانتصارات على جيش قاسم وتزداد هيبة الحركة الكوردية في الداخل، نرى من جانب آخر دعم كوردستاني واسع للحركة من كافة أجزاء كوردستان، بالأخص من (بارتي ديموكراتي كوردستان - سوريا - إيران). كامران بدرخان قام بنشاط ديبلوماسي كبير في الخارج. ومن الأهمية ذكر رجلين من أبطال الحركة الكوردية الحقيقيين هم موضع فخر وإعجاب يستحقون كل التقدير لما قدموا من خدمات مرموقة وبكفاءة عالية للأمة الكوردية، كلاهما تجاوزا الحدود الاستعمارية المصطنعة، فأعتبرا كوردستان وطناً واحداً. هذان الرجلان هما (عصمت شريف فانلي) و (عبد الله اسحاقى) اسمه المستعار (احمد توفيق) سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستان - إيران - الأخير من أكراد مهاباد والأول من أكراد شمال كوردستان، نزع جده من مناطق (وان) ليسكن في حي الأكراد في دمشق حيث ولد عصمت. كلا الرجلان كانا يحملان أفكار قومية تحررية وتوحيدية شاملة لجميع أجزاء كوردستان، كلاهما تمتعا بقدر هائل من الطاقات الثورية وخدماتهم مشهود له. وكلاهما كانا محكومين بالإعدام من حكومة دمشق ومن حكومة طهران. حاول صدام حسين القضاء على الإثنيين من خلال عمليات الإغتيال، نجح فيما يخص القضاء على أحمد توفيق عام 1972 في بغداد حيث قتل تحت التعذيب، وأرسل صدام حسين عميلاً له لاغتيال عصمت داخل شققته في لوزان - سويسرا صيف عام 1976 - حيث يقيم، نجح عميل صدام اصابة فانلي برصاصتين في رأسه، إذ صوب نيران مسدسه من مسافة لا تتجاوز 20 سنتمراً، سقط فانلى على الأرض مغشياً، فغادر عميل صدام وهو متأكد من مصرع فانلى، وفي نفس اليوم أقل الجاني طائراً وهرب من سويسرا عائداً إلى بغداد. نقل فانلى إلى المستشفى وقضى أياماً وهو بين الحياة والموت في ردهة العناية المكثفة في مستشفى مدينة لوزان، لقد أسعفته العناية الإلهية، فنجا من عملية الاغتيال.

كلاهما عصمت وأحمد توفيق آمنا بالنضال الشعبي المسلح (حرب العصابات) وحشد طاقات الأمة على اسس عصرية لنيل حق تقرير المصير للأمة الكوردية المستعمرة والمجزأة. بذلا جهوداً دبلوماسية كبيرة وبإمكانات محدودة من أجل تعريف القضية الكوردية بالعالم الخارجي وكسر الحصار الإعلامي الإقليمي المفروض على الانتفاضة الكوردية.

كان احمد توفيق يؤيد ملا مصطفى في جميع خطواته ويعظمه إلى حدّ المغالاة، وقد تعرّض لنقد شديد من قبل رفاقه في المكتب السياسي لحرك - ايران - بسبب خضوعه الكلي لملا مصطفى دون مراعاة لإستقلالية الحزب على المدى البعيد. بينما احتفظ فانلى باستقلاليته الفكرية وتمسك بقناعاته على ضوء مصلحة الشعب الكوردي وحركته التحررية بصورة شاملة.

كانت القضية الكوردية قد تعقدت أكثر من أن تكون على شاكلة النمط التقليدي كباقي المستعمرات الأوروبية في العالم الثالث. فالبلدان العربية كلها عانت من الإحتلال، لكن بقيت أوطاناً لها إسم، في حين، إضافة إلى التجزئة، أزيح عن كوردستان الإسم التاريخي للوطن "كوردستان"، كي يشار إليها باسم أوطان أخرى الحقت كوردستان بها قسراً. وهذا إجحاف مضاعف بحق الأمة الكوردية. ففي ظل التجزأة الإستعمارية المولدة لشلل النضال السياسي الموحد للأمة الكوردية، إضافة، أنشأت الدول المحتلة لكوردستان، الأحلاف العسكرية والسياسية وتعاونت لسحق المقاومة التحررية الكوردية. ومما اقترحه آنذاك عصمت شريف يوحى تماماً بأنه كان مدركاً لتعقيدات الحالة الكوردية وتشبثها والصعوبات الحتمية التي ستضعها الدول المحتلة امام تشكيل حركة وطنية موحّدة، بل ستحاول الدول شردمة الحركة الكوردية أكثر فأكثر. هذا التفهم لم يكن بالمستوى المطلوب ضمن أوساط قياديي (حدك).

بعد أن أمّن أحمد توفيق العديد من المساعدات خلال الحزب الديمقراطي الكوردستاني - ايران - للإنتفاضة الكوردية وجد ضرورة بناء علاقات خارجية فسمح له ملا مصطفى القيام بالسفر إلى لبنان عبر سوريا سراً. وكانت له علاقات جيدة مع الأحزاب السياسية الكوردية في كوردستان الغربية - سوريا - وما أن وصل لبنان حتى بادر إلى إجراء إتصالات واسعة مع الأوساط الصحفية الأجنبية والشخصيات الكوردية المرموقة. ومن ضمن الشخصيات التي إتصل بها كان عصمت شريف فانلي، والأخير كان نشطاً سياسياً حتى قبل اندلاع الثورة الكوردية في جنوب كوردستان عام 1961. كان على أحمد توفيق الحذر الشديد فوجوده في لبنان من ناحية، كان غير قانوني، ومن ناحية ثانية كان عليه الاتصال بالأوساط الصحفية الأجنبية والمحلية في لبنان بشكل واسع ونشر البيانات.

نلقى نظرة على رسائل بعثها فانلي عام 1962، وهو عام حشد الطاقات والمبادرات السياسية، وربما تنشر لأول مرة مقتطفات من هذه الأرشيفات التي احتفظ بها عصمت.

أهمية هذه الأرشيفات هي أنها تشكل إطلالة عميقة على المستقبل وتتطرق إلى سبل تحقيق الثورة لأهدافها المشروعة عبر النضال الشعبي المسلح. وفيها إشارات واضحة بأن انتصار الثورة مرهون بما تستطيع ان توفره من عوامل القوة الذاتية والضغط المؤثر على الطرف المعادي. إن ما عبّر عنه عصمت من قناعات لاتزال مؤثرة إلى يومنا هذا. من يقرأ هذه الأرشيفات يدرك ان فانلى تمتع بنظرة ثاقبة ومبكرة على المخاطر القادمة في الأفق البعيد وسعى إلى تفاديها، لم تكن هذه المخاطر قد بانّت عام 1962، لكنها ظهرت فيما بعد وأثرت تأثيراً خطيراً على مجمل حركة التحرر الوطنية في جميع أجزاء كردستان والى يومنا هذا.

أثناء وجوده في بيروت في شهر حزيران من عام 1962 ومعه أحمد توفيق، وقد أمّن أكراد تابعين لأحزاب كردية من كردستان - سوريا - مصاريف البقاء في بيروت، كتب عصمت تقارير ومذكرات هامة تتعلق بتقوية الانتفاضة الكوردية المسلحة عن طريق تبني إستراتيجية واضحة، تنسيق النضال والتعاون بين المنظمات والأحزاب الكوردستانية في جميع أجزاء كردستان وتعريف القضية الكوردية في المحافل الدولية. وذكر عصمت "بينما كنت في بيروت، جاء والدي وأمي لرؤيتي وكان ذلك آخر لقاء لي معهما في حزيران عام 1962".

شكل العامل الجيوستراتيجي لكوردستان وضعاً يستدعى استراتيجية خاصة تأخذ بنظر الإعتبار الظروف السياسية لجميع أجزاء كردستان: -
كان من الضروري حماية العلاقات الكوردستانية من التدهور والانزلاق نحو التناحر الداخلي. أي ترصين الوحدة الكوردية ضد محاولات المحتلين الهادفة إلى تمزيق العمل الكوردي المشترك والمنسق.

أن لاتشكل الحركة التحررية الكوردية المندلعة في جزء من أجزاء كردستان المحتلة، عائقاً أمام تطور الحركة التحررية في الأجزاء الأخرى.
تطوير الإقتصاد الداخلي وبالأخص القطاع الزراعي لتقليص آثار الحصار الاقتصادي المضروب على جنوب كردستان - عراق - .

ونظراً للمخاطر المحدقة بالشعب الكوردي وحركته التحررية في جنوب كردستان، كانت الظروف ضاغطة لإيجاد "هيئة عليا" تتمتع بصلاحيات اتخاذ القرارات المصيرية، وفيها تتمثل ديمقراطياً قيادات من جميع أجزاء كردستان لتنسيق العمل النضالي التحرري المشترك. كانت الحكمة تقتضي عدم السماح لحزب واحد أو لرجل واحد التحكم باقدار الامة المصيرية، فربما في لحظة ضعف أو بسبب الضغوط الإقليمية

أو لغايات الزعامة الشخصية قد تلجأ القيادة أو رئيس الحزب إلى تنازلات خارجية خطيرة، أو يتخذ موقف يمس صميم مصالح الأمة والوطن. يتلمس المراقب ان عصمت سعى مبكراً إلى سدّ هذه الثغرات الخطيرة والتي لا بد ان تبرز مع الوقت على طريق النضال التحرري الكوردستاني. فنراه يرأسل ملا مصطفى ومكتبه السياسي ويحذر من مغبة الخلافات، في حين ينكرها الجانبان رغم وجودها.

لم يلجأ القادة إلى الأسلوب الديمقراطي السلمي لحلّ الخلافات، فالقادة لم يكونوا في مستوى المهام التاريخية لمواجهة التحديات التي تواجه شعبهم، إذ ساد التناحر بشكل مدمر مسيرة الحرب التحررية. ظهر الإنشقاق للعيان عام 1963 بين جناحي ملا مصطفى وإبراهيم أحمد وشعر بذلك معظم الصحفيين الذين زاروا كوردستان في تلك الفترة وكتبوا عنها، ثم استمر الصراع الداخلي في السبعينات والثمانينات والتسعينات، شاملاً جميع أجزاء كوردستان تقريباً والتي ظهرت فيها انتفاضات مسلحة. أي إنخرط في الصراع الداخلي (حدك، ينك - عراق) (حدك - إيران) حزب العمال الكوردستاني (PKK) وأحزاب أخرى، بتدخل وتحريض عراقي - إيراني - تركي وسوري. كان ينقص القادة الكورد الحكمة والنضوج السياسي. لقد حرّف هؤلاء الزعماء المهام الوطنية لقوات الأنصار الكوردية من دفاع عن الحقوق القومية للشعب الكوردي إلى اقتتال داخلي لتصفية حسابات الزعامة فيما بينها، والخلافات الداخلية تجرّ معها حتمية طلب المساعدة من دولة محتملة لكوردستان لمواجهة الخصم المحلي، وتقع الحركة الكوردية في لعبة التداول الاقليمية القاتلة، لقد دفع الشعب الكوردي ثمناً باهضاً لمثل هذه السياسة الخاطئة... عصمت أراد تجنب الحركة التحررية الكوردستانية هذه المخاطر.

أدرك عصمت أهمية التحالفات الكوردستانية مقابل الأخطاف الاستعمارية الإقليمية والدولية المعادية للأمة الكوردستانية. فكتب رسالة موجهة إلى هيئة السكرتارية للحزب الديمقراطي الكوردستاني- إيران - باسم "لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي" وكانت هذه اللجنة قد أسسها فانلى مع رفاق آخرين، وكتب دستورها ثم عرضها على الشخصيات والأحزاب الكوردستانية للموافقة عليه أو إبداء الملاحظات حوله. فيقول في مذكرته:

" ان لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي سعيدة جداً لما حدث من تعاون وثيق بين حزبكم وبينها، في المدة الأخيرة في الحقل السياسي الخارجي لخدمة المسألة الوطنية الكوردية. ونشكركم بصورة خاصة على رسالتكم المؤرخة في 1962/5/10

والمرسلة لنا بالإشتراك مع (بارتي ديموكرات كوردستان - سوريا) من أجل توثيق التعاون وتنظيمه بين هذين الحزبين وبين اللجنة. ونشكركم على الثقة الغالية التي وضعتموها في لجنة الدفاع وسكرتيرها بناءً على تفويض رسمي من قبل ممثلكم الرفيق عبدالله اسحاقى، في تمثيل حزبكم المجيد والتكلم باسم خمس ملايين من ابناء شعب كوردستان - ايران - في كافة الفعاليات والاتصالات السياسية التي تقوم بها لجنة الدفاع لدى الأوساط الدولية للدفاع عن القضية الكوردية، ان هذا التمثيل شرف كبير للجنة الدفاع وسكرتيرتها وكان اصدار البيان الثلاثي من قبل حزبي (حدك - ايران) و (بارتي - سوريا - ولجنة الدفاع في مساندة ثورة كوردستان - عراق - من الأعمال الإيجابية الهامة التي حدثت في ميدان التعاون".

ويمضي إلى القول:

"واننا نسجل بسرور بالغ موافقة حزبكم بتاريخ 20 حزيران 1962 على الدستور المؤقت للجنة الدفاع، وبعد مذاكرات وتعديلات حدثت بالاتفاق بين ممثلكم (عبدالله اسحاقى) وسكرتير لجنة الدفاع".

"ومن جملة الاعمال الهامة التي قام بها حزبكم ولجنتنا بصورة مشتركة كان ارسالنا مذكرة لجناب يوثانث U Thant سكرتير عام الامم المتحدة بتاريخ 1962/6/25 لمساندة نداء بيئشه فا جنرال بارزاني الذي يدعو الامم المتحدة للتدخل في النزاع القائم بين شعبنا وحكومة قاسم الدكتاتورية واجراء استفتاء تحت اشراف دولي لمعرفة رغبات شعب كوردستان - عراق".

"كما انها تسجل بسرور بالغ بأن المذاكرات بين سكرتيرها وممثل حزبكم قد برهنت على وحدة آرائنا التامة وأدت إلى اتفاقيات حول نقاط هامة معينة وستعرض هذه النقاط على جناب بيئشه فا جنرال بارزاني والأحزاب الكوردستانية الأخرى الشقيقة، ولنا وطيد الأمل بأنها ستؤدي إلى توثيق نشاطها وتوحيد قيادتها في مجلس أعلى تحت رئاسة جناب الجنرال بارزاني ولما فيه صالح شعبنا الكوردي وحركته التحررية الصاعدة".¹⁴⁸

كتب سكرتير (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) عصمت وهو في بيروت، تقريراً مفصلاً موجهاً إلى ملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد العام للحركة الكوردية المسلحة، فيها تتضح لنا أكثر رؤية عصمت الإستراتيجية.

148 رسالة من سكرتير لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي الى (حدك) إيران بواسطة عبد الله اسحاقى عضو هيئة السكرتارية بتاريخ 1962/6/25

كان العائق الأساسي متمثلاً في النمط الفكري للقيادة الكوردية والعقلية التي تدار بها حركة تحريرية في ستينات القرن العشرين. كان التخلف أمراً واضحاً، من هنا ولسوء الحظ يجد شخصية هو موضع فخر لأمة مهمشاً والآراء التي يبديها لاتعمل بها القيادة لأسباب تعود إلى تخلفها وعدم فهمها للعلاقات الدبلوماسية آنئذٍ. لقد شعر عصمت في وقت مبكر بالمخاطر المحتملة على طريق وحدة الصف ووحدة القيادة الكوردية، لذا نراه شديد الحرص ويقدم حلول لتفادي التمزق في المستقبل. ونجد في رسالته الموجهة إلى ملا مصطفى والمؤرخة في 27 حزيران 1962 وهو في بيروت، يقترح عليه وعلى القيادة الكوردية، وبصفته سكرتيراً لـ "لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي" Komîtey Parezgarî Mafî Netewey Kurd عدداً من المقترحات الهامة ويستهل رسالته: "بناء على التعليمات التي تفضلتم باعطائها لكاك أحمد توفيق فقد جئت إلى بيروت للمذاكرة والقيام ببعض المهمات بالاشتراك مع كاك أحمد. ولم يتمكن الأخ العزيز دكتور وريا رواندوزي من المجئ لها ولكننا نحن على اتصال مع بعضنا وان الأخ وريا يقدم لكم ايضاً احتراماته وسلامه والى كافة الأبطال المحاربين. وعندما وصلت إلى بيروت بتاريخ 14 حزيران وجدت ان كاك أحمد وبمساعدة المسؤولين في (پارتى- سوريا) وبعض الاكرد المستقلين الوطنيين، قد قام بنشاط كبير في سوريا ولاسيما في بيروت وأهمها طبع نداء جنابكم إلى الرأي العام العالمي بالعربية وطبع منشورات أخرى متعددة منها (ديسان بارزاني) والعدد الأخير من (خه بات) وتوزيع ذلك، ومنها الإتصال بالأوساط الصحفية الاجنبية في بيروت. ومنذ وصولي إلى هنا تابعنا العمل معاً، ولاشك أن كاك أحمد عندما يرجع سيقدم لجنابكم تقريراً مفصلاً ويسرد كافة الأعمال ويخبركم عن الأوضاع في سوريا ولبنان وأوضاع المنظمات الكوردية في أوروبا. أود أن أشكر جنابكم للثقة الغالية جداً التي تتفضلون بوضعها في شخصي كما أفهمنا كاك أحمد، كما انني أشكركم نيابة عن أخي وريا، اننا نفتخر بهذه الثقة وكما في الماضي سوف نستمر دوماً في النضال في الطريق الصحيح واضعين مصلحة شعبنا الكوردي وتحرره الوطني وتحرير كوردستان فوق أي اعتبار آخر ونكون بذلك أهلاً لهذه الثقة".

نختصر مقترحات عصمت كما يلي:

قضية أسرى الحرب العراقيين.

أهداف الثورة الكوردية.

الخلافات الداخلية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

التنسيق في العلاقات الكوردستانية.
الإعلام في الخارج.
شروط الحكم الذاتي.

ويتناول قضية أسرى الحرب فيقول:

أود قبل كل شيء أن أشير إلى انني كنت قد أرسلت لجنابكم من سويسرا رسالة تحمل تاريخ 18 نيسان 1962 رقم A/1266 كما كنت قد أرسلت على دفعتين (150) "بطاقة أسير حرب" من طرف (الصليب الاحمر الدولي) وكنت قد أرسلتها بواسطة (پارتى ديموكراتى كوردستان - سوريا) وواسطة مندوبكم في سوريا ولبنان الأخ العزيز المناضل كاك أحمد توفيق. فعساها تكون قد وصلتكم، واننا مازلنا ننتظر وصول بطاقات أسرى الحرب المذكورة إلى لجنة الدفاع بعد ملئها من قبل الأسرى العراقيين لدى القوات الكوردية لكي نرجعها إلى الصليب الأحمر الدولي."

يسرني جداً ان أخبر جنابكم بهذا الخبر السار: ان المحادثات الرسمية التي كنت اقوم بها مع الصليب الأحمر الدولي، بصفتي سكرتيراً للجنة الدفاع ونيابة عن قيادة الثورة وباسم قائدها العام جنابكم، قد تكملت بالنجاح: ففي تاريخ 6 حزيران 1962 وافق الصليب الأحمر الدولي رسمياً على التدخل في النزاع بين شعبنا وبين قاسم، حسب مبادئه الإنسانية والبند الثالث من اتفاقيات جنيف الاربعة في قوانين الحرب الدولية. ففي هذا التاريخ ايضاً أخبرنا الصليب الاحمر الدولي في رسالة موجهة لسكرتارية لجنة الدفاع عن قبوله وكتابته للسلطات العراقية، بواسطة الهلال الاحمر العراقي، عارضاً وطالباً تدخل الصليب الاحمر الدولي في مسائل القتال وأسرى والجرحى لاسباب انسانية حسسب نظامه، وفي هذا التاريخ ايضاً أخبرنا الصليب الاحمر الدولي في رسالة موجهة لسكرتارية لجنة الدفاع عن قبوله وكتابته للسلطات العراقية. أرسل لجنابكم رسالة الصليب الاحمر هذه (بالفرنسية) مع ترجمتها العربية (وقد احتفظنا بصورتها لغرض الاتصالات القادمة).

أود بهذا الخصوص أن أوضح مايلي: بما أن أهداف الثورة لا تتعدى حدود الحكم الذاتي لكوردستان العراق ضمن الحدود العراقية، كما وضحتم ذلك في نداءكم، فإن الثورة بالنسبة لكافة الأوساط الدولية تعتبر لغاية الآن مسألة داخلية في العراق. ان دستور الصليب الأحمر الدولي يسمح له أيضاً بالتدخل في الحروب الداخلية بشرط أن يقبل الطرفان المتحاربان هذا التدخل. وهذا يعني بالنسبة للثورة ان

تدخل الصليب الأحمر عملياً لا يمكن ان يحدث إلا بقبول وموافقة السلطات العراقية (قاسم) وقبولكم. وبما أن قبولكم متوفر ينبغي الآن الانتظار لمعرفة جواب الحكومة العراقية.

إن هذا السبب هو الذي حمل الصليب الأحمر الدولي يتردد خلال أشهر طويلة في الكتابة للسلطات العراقية على أساس أن قاسم سيرفض هذا التدخل. وهذا ما شرحه لى مندوب الصليب الأحمر في مقابلة حدثت في لوزان في شهر ايلول 1961 وكذلك في 19 ايس 1962 ولهذا السبب كان الصليب الأحمر يصرّ على الحصول على قائمة بأسماء الأسرى العراقيين لدى قيادة الثورة الكوردية لكي تكون حجة بيده للتأثير على الحكومة العراقية (بحيث يستطيع في هذه الحالة عرض خدماته لتبادل الأسرى وغير ذلك). ولكن الصليب الأحمر الدولي قبل بالكتابة إلى السلطات العراقية قبل وجود لائحة أسماء الأسرى العراقية نظراً للحملة التي نظمها مؤخراً للتأثير عليه ولاسيما بعد الضجة التي أحدثها ندائكم في الأوساط الصحفية العالمية. ومع ذلك فإن الصليب الأحمر الدولي في رسالته الأخيرة لنا مازال يطلب اللائحة بأسماء الأسرى العراقيين (اي بطاقات أسرى الحرب) لكي يزيد تأثيره على قاسم، فأرسالها ضروري.

وقد تباحثت مع الصليب الأحمر الدولي حول هذه النقطة: طلبت منهم ماذا سيكون موقفهم في حالة تغيير أهداف الثورة وتأسيس حكومة كوردية في كردستان الجنوبي (أو الأقسام المحررة منه) تحت رئاسة جنابكم؟ فقالوا في هذه الحالة فإن قوانينهم تسمح لهم بالتدخل والاتصال مباشرة بالحكومة الكوردية بدون موافقة الحكومة العراقية، وهذا ممكن أيضا حتى في حالة عدم اعتراف أية دولة أخرى حقوقياً بالحكومة الكوردية لأن مجرد وجود الحكومة الكوردية كسلطة عملياً موجودة ومسيطره على قسم مهم من الأرض يكفي.

حول سياسة الثورة تجاه الأسرى العراقيين: إننا نقدر الأسباب التي تجعل قيادة الثورة تطلق سراح الأسرى حالاً بعد تجريدهم من السلاح والاحتفاظ فقط بعدد قليل جداً منهم من المجرمين أو ذوي المراكز المهمة. ونحن نعرف ان أسباب هذه السياسة هي أولاً إنسانية جنابكم، ثم الدعاية داخل العراق ثم عدم توفر الإمكانيات لتغذية عدد كبير من الأسرى ولاسيما خلال الشتاء الماضي. اعتقد بأنه من اللازم إعادة النظر في أساس هذه المسألة. وإن رأيي (وكذلك رأي وريا) هو ضرورة اتخاذ التدابير للاحتفاظ بأكبر عدد من الأسرى العراقيين، وذلك للأسباب التالية وحسب

الخطوة التالية:

أولاً: قتل أكبر عدد ممكن من الضباط والجنود القاسميين اثناء المعركة وفي نهايتها بغية تحطيم جيش قاسم تدريجياً.
ثانياً: الإحتفاظ بالأسرى الباقين وعدم اطلاق سراحهم وتنظيم معسكرات اعتقال لهؤلاء الأسرى.

ثالثاً: بخصوص مسألة تغذية الاسرى فقد تباحثت في هذه النقطة مع الأخ أحمد توفيق، وهو يقترح اصدار بيان على الشعب العراقي من قبل جنابكم تعلنون فيه عن تغيير سياستكم تجاه الأسرى وانكم ستحتفظون بهم في معسكرات اعتقال وتعاملونهم باحترام ولكن نظراً لأن قاسم يدمر بطائراته مزروعات كوردستان وتأخر الحالة الاقتصادية فانكم تطلبون من أبناء الشعب العراقي الكريم أن يرسل الاغذية والألبسة بكافة الطرق الممكنة لكوردستان لتغذية الأسرى.

رابعاً: إذا وافقتم على هذه الخطوة في الإحتفاظ بالأسرى يكون ذلك في يد الثورة وسيلة ضغط قوية على قاسم ودعاية مهمة جداً في الأوساط الدولية يمكن إستغلالها لأكبر حد. مثلاً إذا وافقتم على ذلك سأكتب إلى الصليب الأحمر الدولي من جديد ضمن فعاليات لجنة الدفاع وأخبرهم عن إحتفاظكم بمئات (أو آلاف) الأسرى، وانه نظراً لسوء الحالة الاقتصادية في كوردستان بسبب القصف الجوي فان جنابكم تطلبون من حكومة قاسم نفسه ارسال المأكل والملابس والادوية للأسرى ولكن عن طريق الصليب الأحمر الدولي. ان الصليب الأحمر الدولي سيكون بدون شك مسروراً جداً من ذلك اذ ان مركزه وامكانية الضغط على قاسم دولياً ستكون أقوى ويصبح قاسم في مركز حرج، فيما ان يقبل تدخل الصليب الأحمر الدولي رسمياً وارسال بعثة صليب لكوردستان والعراق واما لايقبل ولكنه اذا رفض يتحمل أمام الرأي العام العالمي والعراقي مسؤولية موت مئات الأسرى العراقيين من الجوع. وبالإضافة إلى هذا ستحدث دعاية دولية ضد تدمير قاسم بطائراته لمزروعات كوردستان.

الفكرة ان مساعدات الشعب العراقي للأسرى ليس من الضروري أن تحدث عن طريق الصليب الأحمر (واذا حدثت عن طريقه وهذا ممكن أيضاً فأحسن) أما مساعدات قاسم الرسمية للأسرى فيجب ان تحدث بواسطة الصليب الأحمر الدولي.

طبعاً لكي ينجح المشروع من اللازم أن تقوم القوات الكوردية بهجوم وتأخذ بضعة مئات من الأسرى عملياً وتحتفظ بهم. وحال وصول هذا الخبر لي مع عدد الأسرى

وأسمائهم ورتبهم سأقوم بالاتصال بالصليب الأحمر الدولي كما هو مذكور أعلاه.
أهداف الثورة

أولاً: إن قاسم، بالرغم من نجاحات الثورة العسكرية، مستمر في عناده الأحقق وفي غاراته الجوية وافتراءاته الكاذبة ولا يبدو ابداً بأنه مستعد للتنازل والاعتراف بالحكم الذاتي. انه يعرف إن اعترافه بذلك معناه فشله التام وهذا يؤثر على مركزه وربما يؤدي - على الأكثر - إلى انهيار حكمه الفردي وهو لا يريد ذلك. وطالما استمر هذا الوضع: قاسم يحكم العراق في بغداد والثورة مهيمنة على أجزاء هامة من كوردستان فإن حل المسألة معقد جداً وربما يدوم اشهر عديدة بل سنوات. لذلك ينبغي فحص كافة الإمكانيات لعدم إطالة الوضع الحالي كثيراً.

ثانياً: ان الرأي العام العربي المعارض في العراق لا يعتمد عليه كثيراً بنظري لإجبار قاسم على التراجع. فالحزب الشيوعي العراقي، بالرغم من كافة مناشيريه، مازال يؤيد قاسم عملياً وله سياسة ذات وجهين لا تخدع أحداً. أما جماعة الجادرجي فهم أكثر اندفاعاً ضد قاسم ولكنهم ضعفاء. لذلك ينبغي على الثورة أن تعتمد على قوتها فقط لحل المسألة.

ثالثاً: ان البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، لمصالحها الإستراتيجية والتجارية، مازالت تؤيد قاسم مادياً أو على الأقل سياسياً ومعنوياً في المجالات الدولية، وكذلك اقتصادياً.

رابعاً: إن البلاد الرأسمالية لا تحب قاسم ولا تؤيده ولكن عندها مصالح بترولية في العراق وهي لذلك لا تتدخل مطلقاً في المسألة ولا تعطي مساعدات لا إلى قاسم ولا إلى الثورة. ومن جهة ثانية ان البلاد الرأسمالية هي حليفة لتركيا وإيران وليست مستعدة للتدخل في المسألة الكوردية أو مساعدتها سياسياً، أمام الأمم المتحدة لأن الأتراك والإيرانيين لا يريدون ذلك ويخافون من الحركة الكوردية .

كل ما في الأمر ان الأوساط الصحفية فقط (صحف راديو، تلفزيون) في البلاد الغربية تدافع عن الثورة الكوردية لكراهيتهم لقاسم (وللعرب بشكل عام) ولان قسماً منهم عندهم عطف طبيعي على الحركات القومية (إذا كانت غير شيوعية الاتجاه بل مستقلة فقط).

خامساً: هذا لا يعني مطلقاً أن الأبواب ستبقى مسدودة ومغلقة أمامنا. فكل شيء يتوقف بالدرجة الرئيسية على قوة الثورة وصمودها وتوسعها. ومثال الصليب الأحمر الدولي خير دليل، فبعد تردد دام منذ بداية الثورة قرروا التدخل بعد ان رأوا ان الثورة

مستمرة وناجحة وبعد ان أعطيت مقالات الصحف الأوروبية والغربية بشكل عام نتائج ملموسة في إيجاد رأي عام عالمي لصالح الأكراد. إن هذا الرأي العام العالمي مازال بحاجة إلى التغذية والدعاية لكي ينمو ويؤثر على الدول والحكومات نفسها، وتغذيته ليست الا اخبار الثورة واستمرارها في اتصالاتنا الدولية على ضوء ذلك واذاعتها. وان لجنة الدفاع ستستمر في اتصالاتها ودعاياتها وتزيد منها.

سادساً: بالإضافة إلى قوة الثورة نفسها واستمرارها وتوسعها هنالك مسألة أساسية مهمة أيضاً للتأثير على الأوساط الدولية: الا وهي اهداف الثورة السياسية وقالها التنظيمي.

لقد أعطيت أعلاه مثلاً عن موقف الصليب الأحمر الدولي تجاه الثورة في حالة تأسيس حكومة كردية.

ان هذا صحيح ايضاً ولاشك بالنسبة للأمم المتحدة. بالنسبة للأمم المتحدة، ان هذه الثورة مازالت مسألة داخلية عراقية طالما ان هدفها هي الحصول على الحكم الذاتي ضمن العراق. ان هذه السياسة تضعف موقفنا كثيراً في المجالات الدولية، لأن الامم المتحدة والدول الأجنبية مهما كانت لا تتدخل في مسألة إذا كانت داخلية ولاسيما في مسألتنا المعقدة. إننا نقدر الاسباب التي تجعلكم تقتصرون على طلب الحكم الذاتي فقط ضمن العراق، واعتقد انها كما يلي:

أسباب عراقية داخلية لكسب المعارضة الديمقراطية العربية في العراق لهذا الهدف.

وربما هناك معارضة كردية داخلية من قبل بعض اليساريين النظريين لجعل أهداف الثورة تتعدى الحكم الذاتي إلى مجال المطالبة بالاستقلال حسب مبدأ تقرير المصير.

أعتقد إن الفوائد التي يمكن ان نحصل عليها من الرأي العام العراقي بالاقتصار على الحكم الذاتي لا تساوي أبدا الفوائد التي نحصل عليها، في حالة تأسيس حكومة كردية، من الأوساط العالمية الدولية.

فالفوائد في المجالات الدولية أهم من عطف بعض العراقيين العرب. ومن جهة ثانية من المؤكد ان قاسم والعرب كلهم بشكل عام وكذلك الإيرانيون والأتراك يعرفون تماماً إن الحكم الذاتي لكوردستان لن يكون إلى مرحلة قصيرة قبل الخطوة التالية نحو تأسيس دولة كردية. لذلك فان قاسم والاساط العربية بشكل عام لايعجبهم ولايريدون حتى الموافقة على حكم ذاتي، بل فقط على بعض الحقوق الكوردية واعتبار كوردستان العراق جزءاً من البلاد العربية وهذا شئ يرفضه شعبنا.

هناك شئ من التناقض بين المطالبة بالحكم الذاتي من جهة وبين المطالبة باجراء استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة لاستشارة شعب كردستان العراق حول مطالبه ورغباته. اذ من المؤكد ان الاستفتاء سيؤدى إلى انفصال كردستان حسب آراء شعبنا .

إن توسيع أهداف الثورة السياسية وتوسيع الأهداف من مرحلة المطالبة بالحكم الذاتي إلى المطالبة بحق تقرير المصير دولياً يجب ان تتماشى مع قوة الثورة العملية.

وأعتقد ان الظروف الدولية والمحلية وقوة الثورة قد وصلت لدرجة تسمح بها للشروع في المرحلة الجديدة، بل ان ذلك ضروري ولازم. اعتباراً من اليوم الذي شكل فيه الجزائريون الوطنيون الحكومة الجزائرية المؤقتة قد ازدادت أهمية الحركة الجزائرية في المجالات الدولية، هذا مع العلم ان الثورة الجزائرية لم تتمكن من الاستيلاء على مقاطعات جزائرية بل ان الحكومة الجزائرية موجودة في الخارج (قاهرة ثم تونس) في حين ان الثورة الكوردية تسيطر عملياً على مقاطعات وأراضي واسعة. أي ان وضع الثورة الكوردية من هذه الناحية فقط هو أقوى من الثورة الجزائرية قبل ثلاث أعوام مثلاً. طبعاً ان الثورة الجزائرية كانت تستفيد من المساعدات المادية والمعنوية والسياسية التي تقدمها البلاد العربية والحكومات الإفريقية - الآسيوية. من هذه الناحية ان وضع الثورة الجزائرية قبل عدة سنوات كان أقوى من وضع الثورة الكوردية، مع العلم ان الوضع العسكري للثورة الكوردية هو أفضل من وضع الثورة الجزائرية في ذلك التاريخ. ولكن المساعدات المعنوية والسياسية للثورة الكوردية ستزداد في الحقل الدولي ابتداءً من اليوم الذي تعلن فيه قيادة الثورة بكل صراحة وجرأة انها تعمل لتحرير كردستان (العراقي) حسب مبدأ تقرير المصير.

ولهذه الأسباب ولكي لانغلق الباب نهائياً أمام امكانية تحقيق الحكم الذاتي، أقترح على جنابكم الخطة التالية:

أولاً: القيام بتأسيس أو تأليف "الحكومة المؤقتة لجمهورية كردستان العراقي ذات الحكم الذاتي" (يكون الاسم بالفرنسية كما يلي:

Le gouvernement Provisoire de la République Autonome du Kurdistan Irakien

ثانياً: ان انشاء هذه الحكومة الذاتية المؤقتة يجب ان تكون برأسكم ورئاستكم فقط انتم الذين عندكم ثقة وتأييد الشعب الكوردي ومنظماته في كل كردستان، والمعروفون دولياً.

ثالثاً: ان تأسيس هذه الحكومة يجب ان يكون حالاً أو بأقرب وقت بعد أخذ الاستشارات اللازمة لتأليفها بدون أي تردد، وأن الأكراد الذين لا يوافقون على تأليف الحكومة سينظر اليهم شعبنا بإزدراء ويفقدون كل أهميتهم (إذا كان مازال عندهم أهمية). ومن المستحسن قبل اذاعة خبر تأسيس هذه الحكومة وصول الإذاعة الصغيرة لإذاعة ذلك.

رابعاً: من الضروري ان تكون هذه الحكومة ليست حكومة على الورق بل عندها نواة ادارة لحكم المنطقة التي تسيطر عليها الثورة. ومن الضروري بصورة خاصة أن تقوم الحكومة الكوردية بجباية الضرائب وتعيين قوات جندرية أو شرطة مرتبطة بقيادة الثورة.

إن خبر تأسيس هذه الحكومة ولاسيما بواسطة اذاعة ستلهب حماسة الشعب الكوردي وتتضاعف قوة الثورة في أيام، ويجب على الإذاعة ان تطلب من الضباط والمهندسين والمثقفين الالتحاق بقيادة الثورة التي هي رئاسة الحكومة للمساهمة في الثورة والإدارة.

خامساً: أرى ان تاريخ أول آب او 15 (وفي آخر تقدير اول ايلول) هو تاريخ مناسب لاعلان تأسيس الحكومة الموقته.

سادساً: (هام) عندما تعلن الحكومة الموقته عن تأسيسها تصدر بلاغاً رسمياً موجهاً بشكل إنذار إلى قاسم تطلب منه فيه الاعتراف بالحكومة الكوردية الموقته والحكم الذاتي في فترة ثلاث أشهر فقط (من أول آب إلى أول تشرين الثاني) ويكون في البلاغ نداء موجه إلى الرأي العام العراقي لإجبار قاسم على الاعتراف بذلك حفظاً للوحدة العراقية وصدقة العلاقات الكوردية العربية. ويقول البلاغ في حالة عدم اعتراف قاسم بالحكومة الكوردية الموقته والحكم الذاتي خلال هذه الفترة، أو عدم اعتراف أية حكومة عراقية أخرى بذلك (في حالة طرد قاسم خلال فترة ثلاث أشهر) فإن الحكومة الكوردية الموقته ستتخذ التدابير اللازمة حالاً لعرض المسألة الكوردية امام الأمم المتحدة وحلّ المسألة الكوردية دولياً حسب مبدأ تقرير المصير ويكون قاسم مسؤولاً عن إنهاء الوحدة العراقية. انني متأكد بأن العرب وقاسم سيخافون من تأسيس الحكومة الموقته وهناك احتمال كبير في أن يعترفوا بها ويتراجعوا، ولاسيما اذا سبق أو رافق تأسيس الحكومة الموقته نجاحات عسكرية كوردية، واخذ أسرى والاحتفاظ بهم، وهذا ضروري.

سابعاً: (هام) اذا مرت فترة ثلاثة أشهر بدون أي اعتراف عراقي بالحكومة

الكوردية الموقته والحكم الذاتي، تذييع الحكومة بلاغاً جديداً تعلن فيه انها غيرت اسمها واصبح اسمها كما يلي: (الحكومة الموقته لجمهورية كوردستان الجنوبي) وترفع العلم الكوردي وتعلن استقلالها وترسل وفداً حالاً للامم المتحدة لمحاولة عرض المسألة الكوردية امام الامم المتحدة وحل المسألة الكوردية دولياً حسب مبدأ تقرير المصير.

من المحتمل كثيراً في هذه الحالة ان لا يتمكن الوفد حالاً من عرض المسألة الكوردية امام الامم المتحدة، لكن هذه مسألة وقتية فقط، فإذا لم يتمكن في الشهر الأول سيتمكن في الشهر الثاني او الثالث على الأكثر. إنها مسألة وقت فقط وتعلق بقوة الثورة الكوردية وبالوعود التي يمكن ان يعطيها الوفد في النواحي الاقتصادية لبعض الدول الأجنبية. وعلى كل حال ان ذهاب الوفد إلى مقر الأمم المتحدة سيثير ضجة صحفية عالمية وهذه تساعد جداً على عرض المسألة رسمياً بعد مدة قصيرة على الامم المتحدة.

ثامناً: من المستحسن ان يسبق ذلك أو يترافق مع نجاحات عسكرية جديدة. اذا امكن رسم خطة للقوات الكوردية للاستيلاء فجأة على منشآت النفط في بابا كركر وعين زالة فسوف يؤدي ذلك بالتأكيد إلى جعل المسألة الكوردية حالاً دولية وفتح أبواب الامم المتحدة أمامها.

ومن اللازم في حالة الإستيلاء على منشآت البترول عدم مسها واصدار بلاغ بأن الحكومة الكوردية لن تؤم النفط الكوردي بشرط ان تدفع الشركات موارد نفط كوردستان الجنوبي إلى الحكومة الكوردية وليس إلى حكومة بغداد. أما إذا ماطلت شركات البترول ولم يفتح باب الأمم المتحدة حالاً فيمكن إصدار بلاغ يهدد بنسف منشآت البترول إذا لم يحدث ذلك.

تاسعاً: إن منصب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة في دولة كوردستان الجنوبي في حال تأسيسها، يجب ان يكون منصباً واحداً (أي حكم رئاسي) ويكون كل ذلك في يد جنابكم ويكون في يدكم طبعاً قيادة القوات الكوردية: ان هذا التركيز ضروري ولاسيما في حالة حرب. أما اذا قبل قاسم او أية حكومة عراقية أخرى بالحكم الذاتي لكوردستان العراق خلال فترة ثلاثة أشهر، فيمكن اعتبار رئيس الجمهورية العراقية (أو مجلس السيادة) كرئيس لجمهورية كوردستان العراق ذات الحكم الذاتي، وتكون رئاسة الوزارة في يد جنابكم (أقصد رئاسة الوزارة الكوردية ذات الحكم الذاتي).
عاشراً: من الضروري في كل من الحالتين (حكم ذاتي او إعلان الاستقلال)

احترام الأقليات ولاسيما التركمان وفتح مدارس لهم بلغتهم لكيلا تتخذ تركيا من ذلك حجة لمهاجمة كردستان الجنوبي.

الخلافاات الداخلية للحزب الديمقراطي الكوردستاني

حول الأوضاع السياسية الداخلية للحركة الكوردية في كردستان العراق: كنت قد سمعت¹⁴⁹ عن وجود بعض الفوضى وبعض الاهمالات في خدمة الثورة من قبل عدد من الاخوان العاملين في المكتب السياسي البارتي ديموكراتي كردستان - عراق) ولاسيما خلال فصل الشتاء الفائت، ولعل ذلك كان ناتجاً عن الاستعداد غير الكافي للثورة أو عن قلة تجارب أولئك الإخوان في مسائل التنظيم الثوري والقيادات العسكرية. وكنت تكلمت عن هذه المسألة في رسالة إلى جنابكم وفي رسالة اخرى موجهة للمكتب السياسي لبارتي - عراق وقد أبديت فيها بعض الملاحظات الانشائية وبعض الانتقادات الأخوية الإنشائية تجاه المكتب السياسي (عراق). وقد اطلع كل من المكتب السياسي (لبارتي سوريا) وعضو الهيئة السكرتارية (لحزبي ديموكراتي كردستان) - إيران، كاك أحمد توفيق، على تلك الرسالة ووافقوا على محتوياتها وأيدوها.

ولا ادري الآن تماماً ما هو الموقف من هذه الناحية، بعد حملة الربيع الظافرة التي قامت بها الثورة فيما اذا كان أولئك الإخوان المسؤولين في المكتب السياسي لبارتي-عراق قد تداركوا الموقف المذكور واشتركوا بشكل كاف في توسيع الثورة؟

149 لانشكل ان (أحمد توفيق) هو الذي ذكر لعصمت موضوع الخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي، وقد ردّ جلال الطالباني والمكتب السياسي على رسالة عصمت بالنفي التام لمثل هذه الشائعات، واتهم جلال الطالباني (أحمد) بإثارة الخلافات عمداً. كما يدحض تهمة «تخاذل» المكتب السياسي في القيام بدوره في الثورة خلافاً لما أشاعه (أحمد توفيق) ويصفه بـ «العنصر المخرب» في رسالته المؤرخة في 1963/7/9 والموجهة الى عصمت. وبشأن الخلافات مع ملا مصطفى، يكتب جلال الطالباني: «لاريب ان في رسالة البطل البارزاني اليكم الجواب الشافي الكافي على هذه المزاعم التي يروجها الأعداء ويحلمون بتحقيقها بل وسعوا لإيجاده وتوسيعه وخلقته. ولكن ياترى ما موقفنا قادة الحزب من ذلك؟! خلاصة موقفنا: لاصحة لمزاعم الأعداء ابداً.

اننا لانسمح بوجود خلاف بيننا وبين البارزاني مهما كلف من ثمن.
اننا مستعدون لترك القيادة لعدم اعطاء المجال لاي خلاف مع البارزاني.
اننا لاندافع عن أنفسنا وأشخاصنا ابداً بل عن الحزب واهدافه ومبادئه.
اننا نسعى لتوحيد الاجتهادات المتعددة التي تحدث عادة في الاحزاب الديمقراطية سواء كان مع البارزاني أو مع الآخرين من اللجنة المركزية والمكتب السياسي نفسه.

ان العدد الأخير من (خه بات) عدد جيد في إتجاهه وصموده وصراحته ويدل على ان أولئك الاخوان قد تداركوا الموقف:

أ _ فاذا كان الامر كذلك فهذا هو المطلوب، وان وحدة الصفوف تحت قيادة واحدة هي قيادتكم الحكيمة شئ لازم ولاسيما في ظروف الثورة والنضال ضد العدو، وفي هذه الحالة فإن لجنة الدفاع، التي ينص دستورها على العمل لتوحيد الصفوف والجهود لصالح الحركة التحررية الكوردية، تعرب عن ارتياحها الشديد لذلك.

ب - أما إذا كان الوضع ليس كذلك وكان التزام أولئك الاخوان في الثورة ضعيفاً وكفائتهم قليلة وكانت الإهمالات مستمرة ولاسيما تجاه قيادة الثورة العليا الموجودة بين يديكم، فهناك ثلاثة حلول ممكنة لهذا الوضع:

الحل الأول: عقد مؤتمر أو على الأقل كونفرانس للپارتي العراقي بحضور جنابكم في احدى المناطق التي تسيطر عليها الثورة واجراء انتخابات جديدة للمكتب السياسي ومحاسبة الاخوان الذين اهلوا أو أخطأوا بالعدل وبقدر إهمالاتهم.

الحل الثاني: بدلاً من الحل الأول: حل الپارتي لنفسه في مؤتمر او كونفرانس واستبداله بـ "جبهة تحرير كوردستان العراق" (مثل جبهة تحرير الجزائر) وتكون هذه الجبهة فعلاً جبهة متكونة من كافة العناصر الكوردستانية المخلصة سواء كانوا أعضاء في الپارتي المحلول أم مستقلين مخلصين عاملين في خدمة الثورة. إن هذا الحل الثاني يستوجب ايضاً تغيير أهداف الثورة رسمياً من الحكم الذاتي إلى المطالبة علناً بممارسة حق تقرير المصير بما فيه الاستقلال وجعل المسألة الكوردية دولية، كما ورد سرد ذلك في اعلى هذه الرسالة، وذلك لأن جبهة التحرير لايمكن ان تعني الحكم الذاتي بل حقاً تحرير كوردستان العراقي. ولكن حل الپارتي لنفسه أمر غير صحيح أو مناسب في الظروف الحالية.

الحل الثالث: ان هذا الحل هو حل وسط ويجمع بين الحلين السابقين، أي اولاً: عقد مؤتمر او كونفرانس للپارتي وانتخاب مكتب سياسي جديد له! ثانياً: المحافظة على الپارتي ذي القيادة الجديدة وفي الوقت نفسه تأسيس (جبهة تحرير كوردستان العراقي)، ودخول الپارتي في الجبهة كحزب بالاضافة إلى دخول العناصر المستقلة الكوردستانية الوطنية فيها.

جناب بارزاني: نرجو ان يكون معلوماً لدى جنابكم ولدى الاخوان الثوار الابطال بان الاكثرية الساحقة من ابناء الشعب الكوردي في كل كوردستان وان (حزبي ايران) و (پارتي سوريا) والهيئات الكوردستانية في كوردستان تركيا ولجنة الدفاع وقاعدة الپارتي العراقي هي كلها معكم والى جانبكم وتضع ثقته في شخص جنابكم كقائد عام للثورة ورئيس الحركة التحررية الكوردية بشكل عام. ولذلك، اذا كان الوضع لم يتغير، فاننا نعتقد بأنه ليس لكم الحق في ان تترددوا في تنفيذ الحل الذي يبدو لكم صحيحاً وقابلاً للتنفيذ بسرعة بدون ان يحدث انقسامات داخل الحركة الكوردية. إن مصلحة الثورة هي فوق كل اعتبار ويجب تطهير الاحزاب والمنظمات الكوردية من كافة العناصر الضعيفة أو غير الكفوءة أو المتذبذبة اذا كان حقاً موجودة وجنابكم ادري بالاوضاع وبمصلحة شعبنا وحركته الثورية.

أما أموال الثورة التي غنمتها من الحكومة (ثلاثين ألف دينار) بمساهمة البطل الثائر كاك محمود كاواني والتي اخذت إلى السليمانية وبقيت الثورة في لواء الموصل محرومة منها طوال فصل الشتاء القاسي، فمن الضروري ان تأمروا بارجاعها إلى صندوق الثورة لدى جنابكم وان يحدث صرفها بعلمكم وحسب حاجيات الثورة والثوار وبالعدل بين كافة المناطق الثورية. (وقد أخبرني كاك أحمد توفيق بهذه المسألة) كما أشار عصمت إلى الخلافات داخل المنظمات الكوردية في كوردستان - سوريا.

ان الأوساط الكوردية في سوريا تريد مساعدة الثورة وقد أمنوا مصاريفنا هنا في بيروت، ولكن الذي يؤسف له توجد خلافات متعددة بينهم وهذا من شأنه عرقلة مساعداتهم للثورة وتنظيم الاتصال بين جنابكم وبين لجنة الدفاع في الخارج. وقد حاول الأخ أحمد توفيق أثناء مروره في سوريا إصلاح الخلافات ولم ينجح في المرة الأولى. وقد استفتت من وجودي في بيروت وكتبت عدة رسائل فيها مقترحات لجمع الصفوف إلى كل من الإخوان دكتور نورالدين وقدرى بك وحسن آغا وعثمان صبري، وعندما سيرجع الأخ أحمد عن طريق سوريا سيحاول من جديد مصالحتهم على أساس تلك المقترحات وإذا لم ينجح فسوف يدرس ويؤمن الاتصال بالشكل المناسب.

تنسيق العلاقات الكوردستانية

(11) حول انشاء (مجلس أعلى لقيادة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية):

أعلمني كاك أحمد توفيق عن محادثات سابقة جرت بعلمكم لانشاء قيادة مشتركة سياسية للاحزاب الكوردستانية وعن جهود الأخ أحمد لإقناعكم بترأس هذه القيادة،

وعن اتفاقات جرت بصورة خاصة حول هذه النقطة بين (حزبي .. - إيران) و (پارتي سوريا) وعن عدم إجابة الپارتي العراقي على هذا المشروع. إن عدم إجابة المكتب السياسي للپارتي العراقي على هذه المسألة الحيوية شئ مؤسف وخطأ .
وقد تباحثت في المسألة مع كاك أحمد وتوصلنا إلى هذه النتيجة:
اولاً: ضرورة انشاء "مجلس أعلى لقيادة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية"
ثانياً: يكون هذا المجلس تحت رئاسة جنابكم
ثالثاً: بالاضافة إلى جنابكم يتألف المجلس من ممثلين اثنين أو ثلاثة لكل من المنظمات والاحزاب التالية:

- الحزب والمنظمة الكوردستانية في كوردستان - تركيا .
- حزبي ديموكراتي كوردستان ي- إيران .
- الحزب الديمقراطي الكوردستاني- عراق .
- پارتي ديموكراتي كوردستان -سوريا .
- لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي .

رابعاً: ان المجلس الأعلى المذكور هو أعلى هيئة تنظيمية في الحركة التحررية الكوردية لكل أجزاء كوردستان، وهو الذي يدرس ويقرر السياسة الكوردية العامة وستراتيجيتها ولايحدث أي شئ هام من شأنه التأثير على الحركة الكوردية ومصير شعبنا في أي جزء من أجزاء كوردستان إلا بعلم المجلس وقرار منه . وبذلك تتوحد الحركة الكوردية تنظيمياً بالإضافة إلى وحدتها العاطفية الحالية . وهذا طبعاً لايعني ان السياسة الكوردية يجب ان تكون واحدة بالنسبة لكل جزء من أجزاء كوردستان، فلكل جزء ظروفه، ولكن القرارات تحدث بعلم المجلس مهما كانت الاوضاع في أي جزء من أجزاء كوردستان .
إن تأسيس هذا المجلس ضرورة تاريخية .

خامساً: بالإضافة إلى رئاستكم للمجلس الاعلى المذكور أرى من الضروري أن تتفضلوا بقبول رئاسة (على الأقل الرئاسة الشرفية) لكافة الاحزاب والمنظمات الكوردية المشتركة في المجلس الاعلى المذكور ولا ان تقتصر رئاستكم فقط على الپارتي في كوردستان عراق، فأنتم لكل الشعب الكوردي ولكل كوردستان وليس فقط لكوردستان العراقي .

(12) - لقد تكلمت في رسالتي السابقة لجنابكم عن (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) واهدافها بشكل عام. أقدم لجنابكم في هذه الرسالة (الدستور المؤقت) للجنة الدفاع، وكانت سكرتارية اللجنة وضعت مشروع هذا الدستور في سويسرا قبل مجيئي لها، وبعد مجيئي لبيروت ناقشته مع كاك أحمد توفيق باعتباره ممثل (حزبي ديموقراطي كوردستان) ايران، وأجرينا عليه بعض التعديلات بالاتفاق واعتبرناه دستوراً مؤقتاً، وسيصبح دستوراً دائماً بعد موافقة جنابكم عليه وبموافقة أكثرية الاحزاب الكوردستانية.

رجاءً أن تتلطفوا بالاطلاع على هذا الدستور المؤقت ونأمل من جنابكم ان توافقوا عليه، واذا كان لجنابكم ملاحظات تعديلية عليه فالرجاء ابداءها لكي نستفيد منها ونحسن الدستور بالتالي في مؤتمر لجنة الدفاع. وباعتباري سكرتير لجنة الدفاع وباسم سكرتاريتها، وكما ينص على ذلك الدستور المؤقت، أتشرف أن أعرض على جنابكم الرئاسة الشرفية للجنة الدفاع، راجياً من جنابكم التفضل بقبول ذلك. ان قبول جنابكم لرئاسة الشرف هذه لن يكون له فقط تأثير معنوي على أعمالنا بل سيكون أيضاً من شأنه زيادة وزن وأهمية لجنة الدفاع في اتصالاتها السياسية والدولية لخدمة المسألة الكوردية، وفي هذا فائدة لشعبنا وحركته التحررية، فنرجو لذلك بأن ننال هذا القبول من طرفكم.

الإعلام الخارجي

حول نداء جنابكم إلى الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية: كان الأخ كاك أحمد طبعه بناءً على تعليماتكم باللغة العربية في عدة صفحات وكان الطبع جيداً والأسلوب ممتاز، وقد وزعه الأخ أحمد حالاً في بيروت على الهيئات الصحفية وأرسل لنا في أوروبا نسخاً منه. واستناداً إلى تعليمات جنابكم وثقتكم بنا نحن الثلاثة، ونظراً لوجود (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي)، وبناءً على إقتراح كاك أحمد توفيق، فقد قمت في سويسرا بصفتي سكرتيراً للجنة الدفاع بإرسال نداءكم إلى كافة الجهات الدولية التي يتوجه إليها النداء مع رسائل إيضاحية من قبل لجنة الدفاع. وكل هذه الرسائل مسجلة وقد أرسلت الوصولات قبل مجيئي لها لكاك أحمد مع نسخ من الرسائل الإيضاحية يحدث إطلاعكم على ذلك. وقد أرسلت رسالة إيضاحية إلى السيد U Thant سكرتير عام الامم المتحدة بتاريخ 3 حزيران من لوزان، وبتاريخ 4

حزيران أرسلت النداء مع رسالة إيضاحية من قبل لجنة الدفاع إلى (الصليب الأحمر الدولي) في جنيف، وبتاريخ 5 حزيران أرسلت النداء مع رسالة إيضاحية أيضاً باسم لجنة الدفاع إلى (لجنة حقوق الإنسان)، وفي نفس التاريخ أرسلت النداء أيضاً مع رسالة إيضاحية إلى (السكرتارية الدائمة لمؤتمر الشعوب الإفريقية الآسيوية)، وفي نفس التاريخ أرسلت نفس الشئ إلى (جمعية الحقوقيين الديمقراطيين العالمية). وطبعاً لم نرسل النداء بالنص العربي إلى الجهات الدولية بل طبعناه بالفرنسية للجهات الدولية. وان كافة اتصالاتنا الخارجية من أوروبا تجري بالفرنسية وحياناً بالانكليزية. وإن لجنة الدفاع بالإضافة إلى طبع النداء وتوزيعه بالفرنسية حالاً، تقوم الآن بطبعه بالالمانية والانكليزية واعادة طبعه بالعربية أيضاً. وأعتقد إن الطبع قد انتهى او سوف ينتهي قريباً بهذه اللغات الأخرى.

وقبل مجيئي لبيروت كان التعاون مستمراً ووثيقاً بين لجنة الدفاع في أوروبا وبين الأخ أحمد في بيروت بحيث كنا نتبادل اخبار اعمالنا وننشرها في الصحف عن طريق وكالات الأنباء، سواء في أوروبا أو في بيروت (وبواسطة أوروبا وبيروت إلى مصر والبلاد العربية) فان نداء جنابكم قد أحدث دويماً كبيراً في العالم واهتمت به محطات الاذاعة العالمية ونشرته وكالات الأنباء المختلفة في مختلف بلاد العالم. مثلاً أن الراديو السويسري خلال ليلتين متتاليتين كان يخصص ركناً هاماً في تعليقه السياسي عن الوضع الدولي إلى الثورة الكوردية وندائكم ومحاولات المنظمات الكوردية الناطقة باسمكم في الاتصالات الدولية. وقد أرسلت وكذلك الاخ وريا بعض المقالات التي ظهرت عن الثورة في الجرائد الأوروبية، وأكثرية هذه المقالات سواء في فرنسا ام سويسرا ام انكلترا ام نمسا وحياناً أميركا تعطف على الثورة وتؤيد حقوق الشعب الكوردي وتهاجم قاسم وتستهزئ به ولا تصدق أكاذيبه. أما الجرائد المصرية واللبنانية فتكتب كثيراً وفي الصفحات الاولى عن الثورة. حقاً ان الثورة معروفة ومشهورة في العالم أجمع وان نداءكم كان له صدى بعيداً في مختلف الأوساط. أما في البلاد الاشتراكية فاعتقد انها مازالت معتصمة بالسكوت التام حول هذه المسألة مع الأسف، بل ان الصحيفة الشبه رسمية الناطقة باسم حكومة المانيا الشرقية نشرت مع الاسف الشديد ادعاءات قاسم الأخيرة بأن الثورة قد حركتها المانيا الغربية (!!!) وانها ضد الديمقراطية وان الحركة الكوردية رجعية !!! ألا قبحاً لهذا المنطق المفلوج! ولكننا سنستمر في ارسال المذكرات للرفيق خروتشوف لإظهار الحقيقة.

حول شروط واشكال الحكم الذاتي:

قبل التكلم عن أشكال الحكم الذاتي سأبدأ بالشروط التي يجب توفرها في بدء أي اتفاق يتعلق بالحكم الذاتي، وبدون توفر هذه الشروط وتأمينها فإن الحكم الذاتي إذا اعترف به قاسم أو أية حكومة عراقية أخرى يكون مهدداً في كل لحظة بعد ذلك. ان هذه الشروط هي كما يلي:

أولاً طالما بقي الجيش العراقي قوياً (نسبياً) ومجهزاً تجهيزاً حسناً فإنه يشكل خطراً على الحكم الذاتي اذ يمكن لأية حكومة عراقية في المستقبل أن تتراجع عن إقرارها بالحكم الذاتي أو تجعل تحقيقه مستحيلاً أو صعباً جداً، وبذلك يضطر شعبنا إلى إعادة النضال مرة جديدة. لهذا السبب أرى من الضروري قبل الوصول إلى أية اتفاقية مع الحكومة العراقية حول الحكم الذاتي أن تطبق قيادة الثورة الكوردية العليا سياسة عسكرية ترمي إلى تحطيم أكثر ما يمكن من قطعات وكتائب الجيش والشرطة العراقية الموجودة في كوردستان. وهذه فرصة يمكن الاستفادة منها الآن ويجب ذلك. ان تحطيم هذه القطعات يقضي برسم الخطط اللازمة لمحاصرتها - كما يجري الآن ذلك - وقتل أكبر عدد ممكن من الجنود والضباط القاسمين خلال المعركة ثم الاحتفاظ بالأسرى حسب الخطة الواردة في مقدمة هذه الرسالة أو الإستيلاء على أسلحتها.

وأرى انه انسانياً وسياسياً يصح تهديد قاسم بالكف عن غاراته الجوية وقتل السكان والنساء والأطفال وحرق المزروعات بتهديده بتحطيم قواته وقتل عدد من الأسرى لقاء كل غارة جوية تؤدي لقتل السكان الأمنيين الاكراد وحرق المزروعات ووضع مسؤولية هذا العمل على قاسم إذا لم يعدل قاسم عن غاراته الجوية. أي سياسة السن بالسن والعين بالعين، واذا وافقتم على هذه الخطة يمكن للجنة الدفاع الاتصال من جديد بالصليب الاحمرالدولي وان نقول لهم بأن قيادة الثورة الكوردية ستصبح مضطرة لتطبيق هذه السياسة تجاه الأسرى اعتباراً من التاريخ الفلاني إذا لم يعدل قاسم عن غاراته الجوية ضد السكان الاكراد والمزروعات والمواشي. فاذا عدل قاسم عن غاراته الجوية (وبذلك يفقد أهم سلاح لديه) اعتقد من الأصح الاحتفاظ بسيارات ومصفحات الجيش والشرطة العراقية وعدم حرقها عندما تقع في يد القوات الكوردية لكي تستفيد منها قواتنا.

ثانياً بعد اضعاف الجيش والشرطة العراقية لأكبر حد ممكن ينبغي ان تشتترط اتفاقية الحكم الذاتي على انسحاب الجيش العراقي وكل الشرطة العراقية من كردستان، وربما ابقاء فقط حامية جيش عراقي صغيرة وضعيفة في كركوك.

ثالثاً ينبغي انسحاب كافة قوات الشرطة العراقية من كردستان، على أساس ان الشرطة التي مهمتها حفظ الأمن ستكون كردية فقط وخاضعة لحكومة كردستان ذات الحكم الذاتي. هذا شرط لايجب التساهل فيه والأ فلا معنى للحكم الذاتي.

رابعاً (هام) المحافظة وإبقاء فصائل الأنصار الكوردية وكافة القوات الثورية الكوردية في عهد الحكم الذاتي وتحويلها رسمياً من قوة ثورية إلى قوة شرطة رسمية كردية مهمتها حفظ النظام في كردستان وتكون خاضعة فقط لاوامر الحكومة الكوردية الذاتية. بحجة المحافظة على الأمن في كردستان يجب ليس فقط المحافظة على فصائل الانصار بل يجب تقويتها وتسليحها رسمياً بأحدث الاسلحة وإعطائها ألبسة عسكرية خاصة بها بحيث تكون في الواقع جيشاً وطنياً لكوردستان ولكن يطلق عليه اسم قوات الأمن الداخلي او الشرطة الكوردية. ان هذا الشرط أساسي لابد منه لان القوة الكوردية هي الضمان الوحيد لاحترام اية اتفاقية حول الحكم الذاتي. ودستورياً وقانونياً هذا صحيح لأن حفظ الأمن الداخلي في منطقة حكومة كردستان العراقي الذاتية يجب ان يرجع قانونياً لهذه الحكومة فقط.

خامساً ان كافة قوات (الشته) و (الجحش) الكوردية الخائنة ينبغي استسلامها لقوات فصائل الانصار وتعطى اسلحتها لفصائل الانصار على اساس ان هذه قوات شرطة كوردية.

سادساً: من الضروري أيضا أن تطلبوا او تشتترطوا في اتفاقية الحكم الذاتي تحويل الضباط الاكراد في الجيش العراقي (او على الاقل قسماً منهم) وكذلك قسم من الجنود الاكراد في الجيش العراقي (اذ لايمكن كلهم) وتحويلهم إلى قوات الشرطة الكوردية (فصائل الانصار الحالية)، فيما يتعلق بالضباط بحجة تدريب الشرطة الكوردية واعطائها الكادر العسكري اللازم لحفظ الأمن، وفيما يتعلق بالجنود لكي تكون الشرطة او قوات الامن الكوردية قوية بدرجة كافية لحفظ الأمن.

سابقاً: يجب عدم القبول بأي حال من الأحوال بتشتيت وتفريق فصائل الأنصار الكوردية الخاضعة لجنابكم، وينبغي الحذر من "الملاعيب القاسمية" وعملائه، اذ ربما يحاول قاسم بالمماثلة والاعتراف النظري بالحكم الذاتي تفريق فصائل الانصار الكوردية التي ليست هي جيش دولة نظامي في الوقت الذي يعيد فيه تنظيم جيشه وتقويته لضرب الحركة من جديد. ان فصائل الأنصار هي الضمان الوحيد.

ثامناً: بشكل عام في المفاوضات حول الحكم الذاتي وشروط الصلح ينبغي عدم الإطمئنان لأي وزير كوردي يرسله قاسم لإعطاء الوعود الكاذبة لكسب الوقت، كما حدث في عهد نوري السعيد عام 1943 مع ماجد مصطفى.

أما فيما يتعلق بأشكال الحكم الذاتي:

فليس هناك شكل معين ثابت ويرجع تعيين وتحديد نوع الحكم الذاتي لمصالح الطرفين ودرجة قوتها. بالنسبة لكوردستان العراق والوضع ينبغي ان يكون هذا الحكم الذاتي حسب الخطوط التالية:

أولاً: ان الاعتراف بالحكم الذاتي لكوردستان العراق يستوجب بصورة اوتوماتيكية الاعتراف بتأسيس حكومة كوردية ذاتية لادارة شؤون مناطق كوردستان العراقي المختلفة. فالحكومة الكوردية أمر لا بد منه ولا معنى للحكم الذاتي بدونها.

ثانياً: ينبغي تحديد الارض من مقاطعات واقضية ونواحي التي سيسري عليها نظام الحكم الذاتي، ان هذه الارض يجب ان تكون كل كوردستان العراقي بما فيها مناطق بادينان وسوران وخانقين ومندلي وبدرة وكركوك طبعاً، والحد الفاصل الطبيعي هو سلسلة حميرين، ويستثنى من هذه الارض قضاء الموصل والاقضية العربية في لواء الموصل الحالي. أي إن هذا يستوجب فصل بادينان ادارياً عن مدينة الموصل العربية.

ثالثاً: ان الحكومة الكوردية الذاتية ستكون حرة في اعادة النظر في تقسيمات كوردستان العراق إلى ألوية وأقضية جديدة اذا ارادت لأن ادارة الاقليم الكوردي ترجع لها.

رابعاً: ان جهاز الاقليم الكوردي الاداري سيكون مؤلفاً من اكراد فقط فكل الموظفين فيه يكونون اكراد من المتصرف إلى الجندرمه، وجهاز الأمن سيكون كوردياً وخاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية التي ستشكل شرطتها الخاصة.

خامساً: ان اللغة الرسمية لاقليم كوردستان العراق ستكون اللغة الكوردية سواء في الشؤون الحكومية او التدريس في المدارس او المحاكم.

سادساً: كل مايتعلق بشؤون المعارف والدراسة يكون خاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية، التي ستكون حرة في فتح مدارس جديدة وجامعة كوردية وستكون حرة في وضع منهاج التدريس الابتدائي والثانوي والعالي وتدریس الادب واللغة الكوردية وتاريخ وجغرافية كوردستان.

سابعاً: القضاء سيكون كوردياً في الاقليم الكوردي وخاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية.

ثامناً: المالية والضرائب، سيكون للحكومة الكوردية الذاتية موازنتها ومالياتها الخاصة بها، والضرائب في الاقليم الكوردي تكون على نوعين: النوع الاول ويشمل معظم الضرائب سيكون ضرائب كوردية تجبى من قبل وزارة المالية في الحكومة الكوردية الذاتية وتصرف من قبل هذه الحكومة على شؤون الاقليم الكوردي المختلفة. اما النوع الثاني فيكون "عراقياً" ويذهب مورده لوزارة المالية في بغداد لكي يصرف من قبل الحكومة العراقية على كل العراق بما فيه كوردستان العراقي. اما تحديد هذين النوعين فيجب ان يحدث من قبل لجنة فنية خاصة، أما النقد في الاقليم الكوردي فيمكن ان يبقى بالدينار العراقي (على ان تضاف اللغة الكوردية إلى العربية عليه).

تاسعاً: النفط: يجب ان يحدث اتفاق سلفاً ضمن اتفاقية الحكم الذاتي يبين كيفية صرف موارد النفط. ان موارد النفط الآتية من النفط المستخرج من أراضي الاقليم الكوردي يجب ان تصرف على الاقل بنسبة النصف في هذا الاقليم. تقبضها حكومة بغداد المركزية من الشركات وتعطى 50 % منها للحكومة الكوردية الذاتية لكي تصرف على الاقليم.

عاشراً: الاشغال العامة: تكون تابعة للحكومة الكوردية الذاتية في الاقليم الكوردي،
تفتح طرق وجسور واقنية....الخ

أحد عشر: الصناعة: معظم الصناعات يجب ان تكون تابعة للحكومة الكوردية
الذاتية التي لها الحق في فتح مصانع جديدة واستثمار ثروة كوردستان لصالح
كوردستان، ويمكن ترك بعض القطاعات الصناعية لحكومة بغداد في اتفاق خاص
بعد دراسة من قبل لجنة اقتصادية مشتركة.

اثني عشر: الزراعة: وكل الأمور الزراعية في إقليم كوردستان تكون راجعة للحكومة
الكوردية الذاتية، ويوضع نظام إصلاح زراعي خاص لكوردستان تشرف عليه الحكومة
الكوردية.

أما التبغ فيجب ان يكون تابعاً لادارة كوردية خاصة ملحقة بالحكومة الكوردية
الذاتية بشكل يضمن مصالح المزارعين والفلاحين الاكراد ويؤمن استهلاك التبغ في
كل العراق من جهة ثانية، حسب اتفاق خاص مع حكومة بغداد.

ثلاثة عشر: مسائل اقتصادية اخرى: ايجاد مجلس اقتصادي مشترك لبحث وحل
كافة المسائل الاقتصادية الاخرى على ضوء المصلحة المتبادلة.

اربعة عشر: شكل الحكم في اقليم كوردستان العراق: يكون ديمقراطياً ومؤلفاً
من سلطة تنفيذية هي الحكومة الكوردية الذاتية، ومن سلطة تشريعية هي برلمان
كوردستان العراقي لسن القوانين المتعلقة بالاقليم، ومن سلطة قضائية كوردية خاصة
تشرف على القضاء والمحاكم (هذه النقطة الأساسية يستحسن وضعها رأساً بعد
النقطة الاولى).

خمسة عشر: أما المسائل المتعلقة بالدفاع الوطنى، والتمثيل الدبلوماسي
الخارجي والسياسة الاقتصادية العليا، تكون تابعة لحكومة بغداد المركزية. بشرط ان
تراعي هذه الحكومة في هذه النواحي الثلاثة الهامة مصالح الاقليم الكوردي.

تلك هي القواعد الاساسية لاتفاقية تتعلق بالحكم الذاتي لكوردستان العراق (كتبها بسرعة وبدون دراسة سابقة وافية للمسألة) ولكنها قواعد عامة لازمة اذا أردنا ان يكون الحكم الذاتي حقيقياً .
واكرر ماذكرته آنفاً لا اعتقد ان قاسم سيقبل بمثل هذا الحكم الذاتي أو حتى بأقل منه، ولذلك أكرر ماذكرته في النقطة (8) من صفحة 6 حتى آخر صفحة 11 حول "خطة الثورة ومنهاجها السياسي".

أقدم السلام والاحترام لجناب الشيخ أحمد، والسلام لكافة ذويكم وأولادكم حفظهم الله، وتحيات عاطرة مليئة بالنضال لجميع الثوار الابطال قواداً وجنوداً، أخص منهم بالذكر كاك أسعد خوشه في وكاك حسو ميرخان وكاك حارس خانو وملا شني وملا حسن وكاك على عسكري وكاك جورج وكريمته الثائرة الأنسة ماركرت وكاك عمر آغا وكاك عباس مامند آغا وملا عبدالله وشيخ حسين بوسكيني وكاك عارف قه ره جه تاني وكل من يناضل لحرية الكورد و كوردستان، وكاك عبد الواحد وكاك صدقي.

سأغادر بيروت في 5 تموز واكون في سويسرا في 13 منه، حفظكم الله لقيادة الثورة الكوردية إلى الظفر النهائي وشعبنا إلى الحرية وكوردستان إلى الوحدة والاستقلال.
مع تكرار السلام والاحترام، المخلص أبداً:
عصمت شريف وانلى، سكرتير (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي)

ملاحظة: ان كاك دكتور وريا رواندوزي كتب لي مؤيداً الاقتراح بتشكيل، الحكومة الموقته لجمهورية كوردستان العراقي ذات الحكم الذاتي حالياً.¹⁵⁰
فيما يخص حلّ الحزب يرد جلال الطالباني:
"وهنا أود ان الفت نظرك يا أخ عصمت إلى نقطتين هامتين:

اولاهما ان فكرة حل الحزب ليست إلى تدميراً للثورة وحركتها وللحركة التحريرية الكوردية. وان فكرة جبهة تحرير كوردستان ليست صحيحاً ولا واقعية، وانه ليس في كوردستان هيئات او جماعات سياسية متعددة يمكن دمجها في هيئة كهذه فضلاً عن أن الاحزاب الطبيعية العقائدية لاتقبل الحل ابداً.

150 مذكرة من لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي بتوقيع سكرتيرها عصمت شريف فانلى لملا مصطفى مؤرخة في 27 حزيران 1962

فالقوى الموجودة في الثورة، (بما فيها غالبية جنود البارزاني في بهدينان) ليست إلى البارتيين ومؤازريهم، اما في سوران فالقوى الثورية هي پارتيية صرفة. اما بعض العشائر المشتركة (على نطاق محدود) في الثورة فهي ليست إلا قلة وقلة قليلة جداً، فضلاً عن ضعفها التاريخي والكيفي والسياسي. وفضلاً عن ضرورة اعطاء محتوى اجتماعي وديمقراطي للثورة كما تقول انت في رسالتك إلى البارزاني والينا ايضاً، وهذا مالا يمكن تحقيقه إلى عن طريق الحزب وجعله طليعة وقائداً عاماً للثورة (هذا رغم ضرورة وجود مجلس قيادة الثورة، ورغم وجود قيام الحزب بدوره السياسي جيداً".

ثانيهما: ان خلق الخلاف بين البارتي وقيادته من جهة وبين البارزاني من جهة ثانية هو حلم وامنية الاعداء وهو من أخطر الاخطار على حركة شعبنا التحرريه وثورته. لذلك فكل مخلص للشعب الكوردي وكوردستان يجب ان يناضل ضد أي خلاف واذا وجد لاسامح الله فعلى كل كوردي شريف العمل بجد واخلاص ومثابرة للقضاء عليه.¹⁵¹

وفي ردّه على رسالة مؤرخة في 19 نيسان 1962 لعصمت شريف يؤكد المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني على عدم صحة الأخبار حول وجود خلاف بينه وبين ملا مصطفى: " وبهذه المناسبة يسرنا ان نؤكد لكم مرة أخرى عدم صحة ماسمعتموه من اخبار حول وجود خلاف وعدم انسجام بيننا وبين سيادة رئيس حزبنا البطل مصطفى البارزاني.¹⁵² ثم تهاجم الرسالة بشدة على أولئك الأشخاص والجهات التي تنشر مثل هذه الشائعات.

وتم تشير المذكرة: "لقد اطلعنا بسرور بالغ على بعض نتاج الجهود التي تبذلها لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي في الأوساط الدولية ويسرنا أكثر لو أرسلتم الينا باستمرار صوراً من كل ماتنشرونه حول قضية شعبنا العادلة وثورته التحررية المباركة لكي نقوم بنشرها في كوردستان بعد ترجمتها وذلك لما له من أثر طيب فعال في تشجيع ورفع معنويات ابناء شعبنا المناضلين. وكذلك نرجو تزويدنا بما تنشره الصحف والمجلات الاجنبية حول الموضوع ذاته ونكون شاكرين لو تفضلتم بارسال

151 قيادة فضائل الانصار الوطنية في كوردستان - لواء السليمانية - جلال الطالباني. كوردستان الجنوبية باله ك 1962/7/9. مذكرة مطولة موجهة الى عصمت شريف من جلال الطالباني.

152 پارتي ديموکراتي کوردستان. المكتب السياسي (العراق) العدد 194 ز التاريخ 1962/7/10

الترجمة العربية له مع النص. وقد كتبنا بدورنا إلى الاخ المناضل كمال فؤاد ان يطلعكم على كل ما نرسل اليه من بيانات ونشرات عن سير الثورة في كردستان كما نحاول ان نرسل اليكم بنسخ منشوراتنا رأساً في المستقبل.....".
وتم تمضي الرسالة إلى القول:

"أما بصدد ما طلبتموه منا من ايضاح لاهداف ثورتنا فالظاهر ان نشراتنا لم تصلكم إلى الآن اذ اننا قد اوضحنا بصورة لالبس فيها ولا ابهام مطالب شعبنا واهدافه في ثورته الدامية هذه ولاهمية الموضوع سنستمر في اعلان وتوضيح هذه الاهداف بين حين وآخر بالوسائل المتوفرة لدينا وينحصر مطالبينا بصورة موجزة في المطالبة بحكم ذاتي (اوتونومي) لكوردستان ضمن الدولة العراقية، وبنظام ديمقراطي برلماني جمهوري لهذه الدولة ولا يخفاكم ما يتضمن هذين المطالبين من حقوق قومية ديمقراطية، وبهذه المناسبة نقترح عليكم كتابة رسالة عن نظام الحكم في الدول الديمقراطية ذات القوميات المتعددة وعن الحكم الذاتي بصورة خاصة وذلك باعتباركم قاطناً في اول بلد من هذا النوع من جهة واحد المدافعين عن حقوق شعبنا الكوردي الامر الذي يعطي لرسالتكم اهمية خاصة بالاضافة إلى ما لابد وان تتضمنه من معلومات قيمة وملاحظات حول هذا الموضوع الذي يعتبر موضوع الساعة بالنسبة لشعبنا والذي يطالب بالحكم الذاتي كمرحلة من مراحل نضاله في سبيل تحرره التام العام".

وبخصوص مقترحات عصمت في تشكيل هيئة عليا لقيادة الثورة، تقول رسالة المكتب السياسي مايلي:

"لقد اطلعنا على ملاحظاتكم الانشائية الثمينة حول الثورة ومستقبلها وسوف نأخذ بنظر الاعتبار مافاتنا منها إلى الآن حسب تطور الظروف والأحوال. فقضية القيادة الموحدة مثلاً او مجلس أعلى للثورة كما عبرتم عنها هي موضوع بحثنا منذ زمن بعيد غير اننا نلاحظ ان الظروف لم تنضج بعد لتنفيذ هذه الفكرة خاصة لدى من لا يمكن تنفيذها بدون موافقتهم علاوة على ان وجود بعض الثغرات في جبهة القتال وعدم وجود الاتصالات المنتظمة في جميع المناطق وبقاء عناصر اقطاعية متذبذبة قرب القيادة إلى الآن واحترامنا لرأي الرئيس وملاحظتنا عدم اثاره أي موضوع من شأنه خلق خلاف شديد في الرأي كل ذلك من مبررات قبولنا بتأجيل تنفيذ هذه الفكرة الصائبة الحيوية في الوقت الحاضر ونرجوكم بهذه المناسبة أن تؤكدوا دوماً على ضرورة تكوين مثل هذا المجلس للثورة وغيره من تنظيم موحد للقيادة الحربية للثورة

وذلك في الرسائل التي توجهونها إلى سيادة الرئيس والى غيره ممن يهتمهم الأمر. ولايختلف الأمر عن ذلك فيما يتعلق بتصفية جميع العناصر الإنتهازية الاقطاعية في الثورة فبالرغم في كون ذلك هدفاً اساسياً من أهداف حزبنا والذي يجب ان نسارع إلى تنفيذه خلال الثورة فإن هناك معارضة قوية تجاهنا في هذه المسألة واننا لانرغب في الدخول والنزاع بسبب هذه المشكلة في الوقت الحاضر خاصة وان الحزب يقوم بواجبه على الوجه الأتم من جميع القطاعات الخاصة به واننا معتقدون بأن هؤلاء الاقطاعيين سيفضحون انفسهم عملياً في القطاعات الأخرى التي هي خارجة عن سيطرة الحزب للسبب المذكور اعلاه. وهنا أيضاً نحتاج إلى تأييدكم وتأكيدكم في الرسائل التي تكتبونها إلى سيادة الرئيس فغسى ان يساعد ذلك في تسهيل مهمتنا فيما يتعلق بتصفية جميع العناصر الإنتهازية الاقطاعية في الثورة ولاسيما في قيادتها. وبخصوص اللجان المقترحة من قبلكم فإن بعضها قد شكلت فعلاً منذ مدة وسنباشر بتشكيل البعض الآخر منه عند سنوح الفرصة وملائمة الظروف.

"وأما بخصوص مساهمة البرجوازية الكوردية الديمقراطية في الثورة عملياً فإنه واجب شاق تماماً وذلك لضعف هذه البرجوازية الشديد غير اننا نرجو ان تؤدي سياسة المعادة للشعب الكوردي ولكل ماهو كوردي تلك السياسة المتبعة من قبل حكومة قاسم نقول نرجو ان تؤدي هذه السياسة إلى إيقاظ البرجوازية الوطنية الكوردية ودفعها إلى المساهمة في الثورة أكثر مما عليه الآن. وبخصوص عدم اشتراك الضباط والمهندسين والاطباء والصيادلة والكيميائيين وغيرهم في الثورة إلى الآن فمرده هؤلاء من جهة وتردد هذه الفئة وتذبذبها من جهى أخرى وكما تعلمون انه ليس بالإمكان ارغام هؤلاء على الاشتراك في الثورة بالإكراه ومن المؤسف ان تكون مساعينا معهم لم تعط ثمارها المرجوة إلى الآن غير اننا نأمل في ان تؤدي استمرارية الثورة والانتصارات التي نحرزها يومياً وزيادة السيطرة والتنظيم الحزبيين إلى جلب هذه الفئة الاجتماعية إلى الثورة ايضاً.

أما ما ذكرتموه من ضرورة اعطاء الثورة مفهوماً وقاعدة اجتماعية اساسها جذب الفلاحين الاكراذ للثورة ضد الاغوات الاقطاعيين فإن حزبنا كما تعرفون يمثل مصالح الفلاحين ضمن من يمثل مصالحهم بصورة اساسية وهذا يفسر عدم اشتراكنا بصورة عملية في الحركة التي حدثت قبل منتصف ايلول الماضي حيث كانت لها قيادة

معظمها اقطاعية صرفة وكانت لها بعض الاهداف الرجعية الصريحة ايضاً، ومما يؤسف له ان عدم اشتراكنا في هذه الحركة وعدم تبيننا لها بل محاولتنا جذب الفلاحين وعزل الاقطاعيين عنهم ومحاولتنا اعطاء الحركة مفهوماً ثورياً اجتماعياً وطنياً ومحتوىً تحريراً ديمقراطياً نقول من المؤسف ان محاولتنا هذه قد فسرت من قبل بعض المغرضين والاقطاعيين ومن قبل بعض البسطاء المخلصين ممن ليس لهم علم بحقائق الامور على اننا نتخذ موقفاً انتظاريّاً انتهائياً في حين اننا كنا نناضل ضد اعادة الفلاحين إلى سيطرة الاقطاعيين ونقاوم انعاش النظام الاقطاعي المتهري البغيض ولكن الحركة المذكورة قد لاقت الفشل المحتوم ككل حركة لاتبنى على اساس موضوعي وقوة حقيقية نامية مما سهل على حزبنا واثبت صدق آرائنا فتوجهت الجماهير الباحثة إلى راية حزبنا الامر الذي كان عاملاً اساسياً في تمكيننا من النهوض وقيادة الحركة والسير بها قدماً لتحقيق اهدافها الوطنية الديمقراطية التحررية. ومع كل ذلك فاننا لم نتخلص بعد من العناصر الاقطاعية كلها بل وما نزال نجابه مقاومة عنيفة من لدنهم حتى داخل الثورة ايضاً غير اننا ماضون في نضالنا لاستئصال شأفة الاقطاعية ومؤمنون بالنصر الأكيد.¹⁵³

أما ملا مصطفى فيرد على رسالتي عصمت المؤرخة في 16/ايلول/1962 وفي 5/تشرين اول/ 1962 فيقول:

"إننا نود ان يعمل الجميع كل حسب امكانياته لان الخدمة من اجل الشعب فريضة مقدسة على الكل وليست ملكاً خاصاً لفئة او جماعة، فحركتنا حركة شعب بأجمعه كما انها حركة تشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية و..... الخ"

ثم يتناول اقتراحات عصمت فيقول:

"لقد درسنا آرائكم بشأن تشكيل جبهة تحرير كوردستان او مجلس ثورة، واننا في الوقت الذي نثمن فيه هذه الآراء نود ان نخبركم بان لكل عمل أوانه الخاص وسيأتي الوقت الذي نعمل فيه من اجل ايجاد نوع من التنظيمات الادارية والعسكرية، الأ أن ذلك يتطلب المزيد من الحكمة والروية. ان اعمالنا تسير بصورة حسنة من النواحي الادارية والعسكرية ولا بد لهذه الاعمال ان تتطور وتنظم وتأخذ شكلها النهائي وطابعها الخاص. يجب ان تأخذ الامور سيرها الواقعي ومن المستحيل ان تتضح

153 رسالة من پارتي ديموکراتي کوردستان. المکنب السياسي (العراق) العدد - 194. التاريخ - 1962/7/10

الثمرة مالم تمر بادوارها المعينة ونموها الطبيعي، قصتنا مع الواقع هي نفس قصة الثمرة ولا اعنى ان تترك الثمرة وشأنها بل من الواجب ان نبحث عن احسن الوسائل والشروط الملائمة لانضاجها جيداً، وسنستعين بأرائكم في هذا الشأن".
وفيما يتعلق بالعلاقات الكوردستانية تشير الرسالة:

".....إن الطريق الصحيح الواقعي هو ان تتعاون جميع الأحزاب والمنظمات واللجان الكوردستانية في الداخل والخارج، لابل ان يتعاون جميع الاكراد في جميع الاجزاء على انجاح حركة الجزء الملتهب من كوردستان العراق وعلى الجميع ان يوحدوا نضالهم من اجل انجاح هذه الحركة. علينا ان نرفع هذا الشعار [توحيد جهود الشعب الكوردي بكافة طبقاته وأحزابه ومنظماته من أجل إنجاح حركة الشعب الكوردي في كوردستان العراق]

وتم يطلب ملا مصطفى من عصمت شريف:

"ادعوك ايها الأخ إلى ترسيخ هذه الفكرة في اذهان الجميع ونحن من جانبنا سنعمل على ذلك. على الشعب الكوردي في تركيه وايران وسوريا ان يعمل فقط لأجل نجاح حركة شعبنا في العراق ويترك الامور الاخرى إلى وقت آخر".¹⁵⁴ كان لهذه السياسة سلبياتها المدمرة على العلاقات الكوردستانية كما سنرى فيما بعد.

في واقع الأمر لم تلقى مقترحات عصمت القبول رغم الترحيب الحار برسائله من قبل المكتب السياسي ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لقد سعى عصمت دوماً - كما ذكر لي¹⁵⁵ - أن تكون الحركة الكوردية أكثر إصراراً على أهدافها القومية وأكثر شجاعة وطموحاً في المطالبة بتحقيق أهداف أوسع من الحكم الذاتي. إذ ردّ ملا مصطفى على ماحدده عصمت من أهداف بما يلي:

"اطلعنا على رأيكم بشأن هدف ثورتنا وجعله [ممارسة حق تقرير المصير من قبل شعب كوردستان العراقى تحت اشراف الامم المتحدة] كما اطلعنا على الأسباب التي استندتم اليها في تكوين هذا الرأي، واطلعنا أيضاً على الحل الوسط بين هدف الحكم الذاتي وهدف ممارسة حق تقرير المصير بتأسيس جمهورية كوردستان موقتة وامهال عبدالكريم قاسم ثلاثة أشهر وانذاره بالاعتراف بهذه الجمهورية الموقتة ذات الحكم الذاتي خلال هذه المدة وإلا فممارسة حق تقرير المصير.

154 رسالة من پارتي ديموکراتي کوردستان. المكتب السياسي (العراق) العدد - 194 . التاريخ - 1962/7/10

155 لقاء مع عصمت في لوزان 13 تموز 2010

أرجو منك أيها الأخ ان ترجع معي قليلاً إلى الوراء حين اضطررنا إلى حمل السلاح بوجه قاسم دفاعاً عن حقوقنا . لقد كانت مطالبينا حينذاك بسيطة جداً، كنا نطالب بإعادة الجيش من مناطقنا وتسريح الجاش وتطبيق القوانين بصورة عادلة وسوق الموظفين الاداريين والعسكريين ورؤساء العشائر الذين تسببوا في خلق المشاكل إلى المحاكم ومنحنا حق التعليم في مدارسنا بلغتنا الخاصة وغير ذلك .

الا اننا تجاوزنا هذه المطالب البسيطة الاولى حينما تمادى قاسم في غيّه وجبروته وحينما سالت دماء شهدائنا الابرار، وحينما اندفعت حركتنا إلى الامام بفضل هذه الدماء الطاهرة وجعلنا هدفنا الحكم الذاتي الذي لايمكننا بدونه الاعتماد على قاسم ونواياه الشريرة لان الحكم الذاتي يضمن لنا الحفاظ على حقوقنا تجاه ما يضره لنا عبدالكريم من سوء . واليوم بعد ان احرزنا انتصارات اكثر جعلنا هدف الحكم الذاتي الحد الأدنى بحيث لايمكن التنازل عنه مطلقاً، وغداً حينما نحرز انتصارات أكثر وأروع وحينما تنتظم اعمالنا ويمد اليها العالم ايديه لمساعدتنا وحينما يتدهور عبدالكريم إلى هاوية السقوط اكثر حين ذاك يمكننا اعادة النظر في هدفنا .

ان السياسة هي امكانية كما قلت في احدي رسائلكم واني اضيف بأن القوة مصدر الحق وعلى هذا الاساس يمكننا تعيين اهدافنا وتطويرها بالشكل الذي يتفق ومصالحة شعبنا العليا . كل شئ جاز في عرف السياسة اذا توفرت الامكانيات.¹⁵⁶ ثم يطلب من عصمت ارسال صحفيين ومندوبي وفرق التلفزيون لتصوير واقع الشعب الكوردي ومايلاقية من آلام.....الخ.¹⁵⁷

وفي رسالة جوابية لعصمت لكل من ملا مصطفى والمكتب السياسي، مؤرخة في 5 تشرين أول 1962 يتطرق إلى مايلي:
كما ذكرت في رسالة 1509 فإنني أشكر المكتب السياسي الموقر على رسالته

156 من مقر مصطفى البارزاني في 1963/1/19. رسالة الى عصمت بتوقيع ملا مصطفى مكتوبة بخط اليد .

157 لقد استغلت قيادة الحركة الكوردية -عراق - تعاون الأجزاء الاخرى معها الى حد ان لعبت دور شرطي مرور أمام نشاط الأحزاب الكوردستانية في الأجزاء الأخرى من كوردستان، فقد أرسلت قواتها - البيشمركه- الى داخل كوردستان -إيران - لملاحقة قوات الأنصار لپارتي-إيران وبالتعاون والتنسيق مع القوات الإيرانية. وكلما زادت المساعدات الإيرانية لقيادة الحركة الكوردية تضاعفت الضغوط على پارتي ديموكرات-إيران، الى حد قتل وتسليم جثة عضو المكتب السياسي سليمان معيني الى السلطات الإيرانية، والتضييق على أحمد توفيق حتى هرب وإستسلم الى السلطات العراقية وقتل على يد نظام البعث عام 1972. (التعليق من المؤلف).

القيمة رقم 194 وتاريخ 1962/7/10، واود مرة أخرى أن أعبر عن كبير ارتياحنا وسرورنا لعدم صحة وجود أية خلافات داخل الثورة ولحرص المكتب السياسي على وحدتها بقيادة الرئيس المناضل جنرال بارزاني الحكيم. وأشكر الاخوان الأعزاء المحترمين اعضاء المكتب السياسي المناضل لعدم زعلهم من الملاحظات التي كانت وردت في رسائلي المؤرخة في شهر نيسان الفائت، وكنت متأكداً من رحابة صدرهم وتفهمهم الواسع نظراً لمعرفتنا السابقة ولثقة التي لايمكن ان تنفصم بيننا. كما وانني قد اطلعت بكل رحابة صدر على عتابهم الاخوي لي بسبب شكوكي السابقة في بعض النقاط - والتي زالت الآن تماماً - شكوك وملاحظات تولدت بسبب القلق الناشئ عن عدم ورود أخبار خلال بضعة أشهر أو عن وصول بعض الإشاعات غير الصحيحة التي وضعت أمامها آنذاك إشارة استفهام. وانني اعتبر بأن كل مايمكن قد حدث من سوء تفاهم في هذا المضمار قد تلاشى..... إننا نفخر بنضالكم ولن تحلونا الحياة بعدكم أو بدونكم-لاسامح الله - اننا معكم والى جانبكم ونشكل جميعاً أسرة واحدة والدها مصطفى بارزاني وهدفها النضال حتى تحرير كوردستان وانقاذ شعبنا البطل من براثن أعدائه.

فيما يتعلق بصورة خاصة بالنقطة الواردة في رسالتي المؤرخة في شهر نيسان لجناب الجنرال بارزاني حول "مسألة حل الپارتي واستبداله بجهة تحرير كوردستان العراقي" فأرجو ان يكون لديكم واضحاً مايلي:

أولاً: انني كتبت تلك الرسالة في وقت كانت وصلتني فيه الاشاعات عن انحصار الثورة في منطقة لواء الموصل وهدوئها في الألوية الاخرى بحيث كنت قلقاً جداً على مصير الثورة وأخشى إنعزالها وأتساءل عن أسباب ذلك ومدى اشتراك المكتب السياسي في الثورة وقيادتها. ومن جهة أخرى فانني لم أطلع على رسالتكم السابقة الموجهة لي وللأخين كمال ووريا، وانني لم أرى هذه الرسالة لغاية الآن وكان الأخ كمال قد تكلم عن وصولها في احدي رسائله وكتب موجزاً عنها و أتذكر جيداً ان رسالة الأخ كمال المذكورة قد وصلتني بعد كتابتي لرسالة شهر نيسان.

ثانياً: انني قدمت ذلك الاقتراح لجناب بارزاني بشكل شرطي قائلاً: إذا صح ذلك أقترح كذا وكذا.

ثالثاً: إنني كنت قد غيرت رأي من تلقاء نفسي وبعد بحث المسألة مع المكتب السياسي الموقر للپارتي في سوريا، وذلك على الصعيد النظري ومباشرة بعد كتابتي لرسالة نيسان وكتبت للپارتي السوري موافقاً على وجهة نظرهم في خطأ فكرة

حل البارتي العراقي حتى في حالة عدم اشتراك مكتبه السياسي عملياً في الثورة وقيادتها. وبالتالي تولدت لدي القناعة باشتراككم ايها الاخوة الاعزاء في الثورة وقيادتها ولاسيما بعد اطلاعي على عدد (خه بات) السري رقم 465 الذي سررت منه كأبي كوردي شريف، ونتيجة لهذا الاقتناع بنضالكم فإنني كتبت لجناب بارزاني رسالة ثانية - من بيروت - في شهر حزيران - تموز وذكرت فيها بضرورة عدم حل البارتي العراقي، وكان ذلك قيل وصول رسائلكم الأخيرة بعد أشهر.

رابعاً: والآن بعد ورود رسائلكم ورسالة كاك جلال وسردها التاريخي للحوادث فإن المسائل أصبحت أيضاً أكثر وضوحاً بالنسبة لي والقناعة مطلقة، وكما ذكرنا أعلاه فإنني أعتبر هذه المسألة منتهية وإنني متأكد بان هذا هو شعوركم ايضاً. ومن جهة أخرى فإننا نقدر ونفهم الصعوبات الكبيرة التي اعترضت طريقة تنظيم الثورة ولاسيما في الأشهر الاولى بالنسبة لألوية سليمانى وكركوك واربيل ومنطقة خانقين. فيما يتعلق بفكرة إنشاء "جبهة تحرير كوردستان الجنوبي (أو العراقي) برأسه الجنرال بارزاني، تكون الجبهة مؤلفة من الحزب الديمقراطي الكوردستاني والى جانبه ممثلين عن الأوساط الكوردية الأخرى غير البارتيية والمشاركة في الثورة، وهي الفكرة التي عرضتها على جناب بارزاني في رسالتي من بيروت وتطرقت اليها ايضاً في رسالة رقم K/1509، فإن الأسباب الداعية لهذه الفكرة أوضحها كما يلي:

أولاً: ان الثورة هي ثورة الشعب الكوردي بكامله (عدى الخونة طبعاً) وليست فقط ثورة البارتي.

ثانياً: لذلك من المستحسن تمثيل كافة الأوساط المشتركة في الثورة في هيئاتها القيادية من سياسية او عسكرية بنسبة اشتراكها تقريباً، على ان يترك المكان الاول والأكبر والممثل للأكثرية في هذه الهيئات القيادية إلى البارتي وعلى رأسه جناب جنرال بارزاني بصورة تعكس اشتراك البارتي الواسع في الثورة وقيادتها وبشكل يضمن المحافظة على صحة اتجاه الثورة السياسي.

ثالثاً: في حالة انشاء هذه الجبهة (سياسي) او مجلس الثورة (عسكري) وعدم تمثيل الاوساط غير البارتييه في هذه الهيئات يخشى حدوث ثغرات في الثورة وانقسامات داخلية.

رابعاً: ليس من الصحيح معاملة العشائر ورؤسائها المشتركين بشكل فعال في الثورة كما يعامل الخونة من الإقطاعيين الأكراد فهذا ليس في صالح الثورة ولا من باب الانصاف.

خامساً: إن الاحزاب الشيوعية نفسها في ساعات الضيق والايام الشديدة تقوم بعقد محادثات مع هيئات سياسية أقل تقدمية وحتى مع الاحزاب البرجوازية ومع كل عنصر مستقل شريف فلماذا لا يكون صحيحاً قبول الپارتي بعقد مثل هذه الجبهة الكوردية مع الاوساط الكوردية الاخرى المشتركة في الثورة والعاملة لإنجاحها؟

سادساً: ان اشراك الاوساط الكوردية الاخرى غير الپارتية والمشاركة في الثورة أقول إن اشراكها إلى جانب الحزب الديمقراطي الكوردستاني في هيئات الثورة من سياسية أو عسكرية، بالإضافة إلى الأسباب المذكورة اعلاه، يتماشى مع المبادئ الديمقراطية للپارتي نفسه.

سابعاً: ان أهم أسباب فشل الثورات الكوردية السابقة كان عدم وحدة الشعب الكوردي وبما أن الثورة الآن شعبية وشعبنا مجمع على النضال فينبغي عدم عمل أي شئ من شأنه إضعاف هذه الوحدة. وهذا هو رأيكم أيضاً أيها الإخوان الأعزاء كما كتبتموه في الرسالة.

أيها الإخوة الأعزاء، إن هذه الأسطر ليست الآ آراء أقدمها للدراسة لجناب القائد العام بارزاني وإليكم، وأنتم أدري بالوضع ولاشك انكم ستخذون ماترونه مناسباً من مقررات بعد إستشارة رئاسة الحزب وقيادة الثورة العامة. واذا كانت قيادة الثورة ترى ان إنشاء مثل هذه الهيئات التنظيمية للثورة ستسبب بعض المشاكل فيمكن أيضاً تأجيل ذلك.

أدرك عصمت مخاطر تحزيب كل شيء، لذا أراد إبعاد الشعب الكوردي من دكتاتورية الحزب الواحد، فكان يصرّ على الإبقاء على لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي مستقلة" لجنة الدفاع (التي هي وليدة الثورة في الخارج من أجل الإتصالات والخدمات الخارجية) هي لجنة مستقلة غير حزبية في حد ذاتها بالرغم من أنها تحوي ويجب

ان تحوي على ممثلين للاحزاب الكوردستانية الديمقراطية أو أن تكون على الأقل على اتصال وثيق مستمر مع المكاتب السياسية للاحزاب الديمقراطية الكوردستانية والهيئات الوطنية الشريفة لكي تكون سياستها صحيحة ومنسجمة مع سياسة هذه الاحزاب في الوطن. إن لجنة الدفاع لايمكن ان تكون تابعة لحزب كوردستاني واحد بل انها تتعامل مع جميع الاحزاب الكوردستانية في الأجزاء المختلفة من كوردستان وتسعى دوماً إلى أخذ وجهات نظر كافة هذه الأحزاب بعين الإعتبار والى تقريب وجهات النظر هذه إذا اختلفت. وإن وجود لجنة الدفاع في الظروف الحالية هو ضرورة تاريخية تدركونها ولا حاجة للرجوع لذلك.¹⁵⁸

158 رسالة في نسختين من سكرتير لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي عصمت شريف فانلى لجناب الجنرال بارزاني والى المكتب السياسي الموقر للحزب الديمقراطي الكوردستاني مؤرخة في 5 تشرين الأول 1962

التطور الطبيعي للحركة الكوردية (مرحلة أولوية الكفاءات)

بدأت الحركة الكوردية في عهد عبد الكريم قاسم بتنظيم بالتدرج وبانفصال الطرفين، المكتب السياسي في مناطق سوران، وملا مصطفى في مناطق بادينان، ويعود الفضل إلى الدعم الريفي والمدني الهائل للحركة الكوردية التي أثارت آمالاً كبيرة في تحقيق بعض الحقوق القومية للشعب الكوردي. فتمكن الطرفان من تحقيق بعض الانتصارات العسكرية كل على حدة. ويظهر أن العمل وفق زعامتين وفي منطقتين منفصلتين، كان يتقدم بشكل جيد. ولم يحصل الانهيار إلى بعد محاولات التسلط لدمج الزعامتين وتوخي كل طرف فرض وجهة نظره في إدارة الحركة وقيادتها.

لا بد من متابعة تطور النضال الكوردي المسلح لكي نرى كيف تدهورت العلاقة بين ملا مصطفى والمكتب السياسي. فبعد هجوم الطائرات العراقية على مواقع القوى العشائرية، تفرق شملها بسرعة بعد شهر أيلول من عام 1961 وبقي فقط في الجبال الأعضاء الحزبيون. وبعد تفاهم قاسم مع شيخ بارزان وقبول الطرفين الدخول في هدنة، خرج ملا مصطفى بصحبة حوالي 600 مسلح من منطقة بارزان، ومن هذه القوة تشكلت (الحامية العسكرية المتحركة) وبتقدمها في اوساط عشائر بادينان، باتجاه الحدود السورية، انضم إليها أفراد من شتى القبائل الكوردية، وعدل ملا مصطفى عن فكرة الالتجاء إلى سوريا، فقد نهض الشعب الكوردي يؤيد الحركة وترك الجنود الكورد سلك الجيش والشرطة وانضموا إلى الحركة. وحققت قوات الحركة في بادينان وسوران انتصارات عسكرية مشجعة.

المناخ السياسي الدولي والشرق اوسطى المحيط بالشعب الكوردي كان شديد الصعوبة، والحركة يحاصرها الأعداء من كل جانب. فالقوات المسلحة العراقية، المشاة والقوات الجوية والشرطة وأعداد كبيرة من المرتزقة الكورد تهاجم أرياف كوردستان. تركيا معادية وحدودها مغلقة. سوريا وإيران كذلك. يرى الغرب أن الحركة الكوردية محرضة من قبل السوفييت، والدعم السوفيتي كان محدداً وسرياً. فالاتحاد السوفيتي كان المجهز الأول لنظام قاسم بالأسلحة والذخيرة والطائرات، بينما موقف

القوى القومية العربية كان شوفينياً وعدوانياً. ففى نشرة بعثية تعبر عن عدم رضاها من تهاون قاسم في محاربة الشعب الكوردي، فتدعو علناً تبني أسلوب الطورانيين في محو الشعب الكوردي عن طريق صهره بالقوة وتهجيرها من وطنه.

«عندما تمرد الاكراد في عهد عبدالكريم قاسم واعلنوا العصيان وأرادوا أن يكون لهم وطنهم الخاص بهم يريدون اقتطاعه من ارض عراقنا العربية» ونشر البيان «ان الاكراد في ذلك الوقت لم يكن هدفهم التخلص من قاسم بل ان هدفهم كان سياسياً ضد العروبة بأجمعها، ان مشكلة الأكراد هي مشكلة الأمة العربية بأكملها، فواجب الشباب العربي ان يعي هذه المشكلة لأنها لاتخص السلطات الحاكمة في العراق لوحدها او حزب البعث لوحده بل هي مشكلة الوطن العربي بكامله وعلى الشعب بجمع قواه ان يسهم في حلها وان يقف منها الموقف الصلب الإيجابي للقضاء على هذه العصابات التي تريد ان تخلق من وطننا العربي اسرائيل ثانية، وإننا نؤمن إيماناً لايداخله الشك بأنه يجب إذابة وصهر جميع الأقليات المختلفة التي تعيش على أرضنا العربية في اطار القومية العربية ومن لايعجبه ذلك فعليه ان يرحل عن وطننا ويختار له وطناً آخر.»

إن جماهيرنا العربية تطالب بعد القضاء على العصيان ان تتم عملية الاسكان وذلك بتوزيع الأراضي في المناطق الكوردية على مواطنين عرب وبهذا نقضي على أهم المسببات التي من اجلها نادوا بوطن لهم وهو كونهم يسكنون هذه المنطقة لوحدهم وفي المستقبل يعمل على ترحيل الأكراد إلى جميع أجزاء الوطن العربي حتى لا يكون لهم أي تجمع قد يسبب خطراً على الدولة العربية...»¹⁵⁹

هؤلاء تولوا السلطة بعد إزاحة قاسم ونفذوا مخططهم المتمثل في سياسة التصفية العرقية في كوردستان خلال العمليات العسكرية. كذلك في سوريا، حيث كتب طالب هلال كراسه العنصري في كيفية القضاء على الشعب الكوردي خلال «الحزام العربي».

159 الفجر الجديد بغداد 1961/9/19. ص 194. الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946. تأليف البروفيسور د. كاوس قفطان. تموز 2004 سليمانة

كما وصفت نشرة الجبهة القومية في بيانها والثورة الكردية في بداياتها في شهر أيلول 1961: «ان الجبهة القومية تدين قاسم بجرمة جرّ العراق إلى هذه الأحداث وتهيب بالجماهير إلى أن حكم قاسم والمثلث الذي يدعمه ممثلاً في الرجعية والاستعمار والشعبوية إنما تشكل العدو الرئيسي والمباشر لحركة التحرر القومي وأن استمرار هذا الحكم من شأنه تجدد المأساة وتكرار الأحداث ولذلك وجب انهاءه بأقرب وقت أي تصفية قاسم وقمع الحركة الكردية.»¹⁶⁰

واتهمت جريدة العهد الجديد¹⁶¹ الاستعمار والشيوعية معا في خلق الثورة الكردية. أما جريدة الفجر الجديد فقد إتهمت الدول الاشتراكية في خلق أحداث كردستان، كذلك رابطة القوميين العرب وقفت ضد الحركة الكردية، وفي سوريا ومصر ولبنان هاجم القوميون العرب في نشراتهم وصحفهم قاسم والثورة الكردية ونعتوا الأخيرة بالاسرائيلية والصهيونية. وذكرت الانوار البيروتية: «ان الحركة الانفصالية الكردية قد بينت بجلء تصميم الطامعين بالعرب على مقاومة الوحدة ومحاربتها بجميع الوسائل، ومن هنا وقف العرب جميعاً ضد الحركة الكردية الأخيرة ومن هنا أيضاً سيقفون ضد أية حركة مماثلة»¹⁶²

كان الموقف الرسمي العربي معادياً لطموحات الشعب الكردي، رغم أن مصر كانت أكثر مرونة في لهجتها فقد نشرت جريدة الاهرام الرسمية « ان القلاقل في شمال العراق تحمل طابع اشتراك الشيوعيين فيها مستغلين البارزاني كما ان هناك معلومات تؤكد بان شركة البترول العراقية ليست بعيدة عما يجري في المنطقة.»¹⁶³ كما ذكرت روز اليوسف المصرية: « ان الاكراذ والشيوعيين هم بالذات يتطلعون إلى اقامة دولة كردية مستقلة.... ويمكن لهذه الاضطرابات ان تحقق فوائد كبيرة لبريطانيا

160 الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946. تأليف البروفيسور د. كاوس قفطان. تموز 2004 سليمانة عن. ص: 190. الرقيب النشرة السرية لرابطة القوميين العرب في العراق. (1961/10/15)

161 الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946. تأليف البروفيسور د. كاوس قفطان. تموز 2004 سليمانة. ص: 195

162 ن م س. ص: 196

163 ن م س. ص: 198

ايضاً¹⁶⁴ وذكرت مجلة آخر ساعة «ان قاسم هو الذي غدى النعرات الانفصالية واعاد إلى اذهان الاكراد اطياف الحلم القديم - كوردستان العظمى....»¹⁶⁵

كان الشعب الكوردي وحيداً في نضاله، ولم يكن له في الواقع العملي أصدقاء، فالحزب الشيوعي العراقي وهو أقربهم للشعب الكوردي، يندد بحرب نظام قاسم في كوردستان ويتمسك بموقفه من أن نظام قاسم وطني وصديق للاتحاد السوفيتي و ضد الامبريالية وليس صحيحاً رفع السلاح ضده. لقد بقيت الشعوب العربية خاضعة للدعاية الرسمية المضللة طيلة عقود وصدقها. ولايزال عموم الشعب العربي غير متفهم لواقع الشعب الكوردي وحقه في تقرير مصيره على أرضه. هناك عدد قليل جداً من المثقفين العرب أظهروا تفهماً وأيدوا حق الشعب الكوردي في بناء دولته المستقلة على أرضه التاريخية، لكنهم استثناء عن القاعدة. ولاتزال هذه النزعة الهدامة عائق أمام الإستقرار في الشرق الأوسط.

لقد قدمنا لمحة قصيرة عن حالة العداء التي تحيط بالشعب الكوردي وخطورة تعرضه لمجازر واسعة، إضافة أنه ليس لفصائل الأنصار مصدر للسلاح والمؤونة والعتاد. شعب فقير في حالة حصار إقتصادي محكم ومحاصر من كل الجهات يقاتل دون دعم خارجي ويعتمد على قواه الذاتية فقط. وهذا حسب المنطق العقلاني يقتضي تناسي جميع الخلافات الشخصية وصيانة وحدة القيادة الكوردية لمواجهة المخاطر الفورية التي تهدد مجتمعهم. لكن من الملفت للنظر ان القيادة الكوردية لم تعر أي اهتمام بهذه المخاطر، إذ انغمست في قتال داخلي دموي، كلف الشعب الكوردي الكثير من التضحيات والمعاناة، وبقي هذا المنحى ملازماً لخطط النخبة القيادية طيلة خمس عقود.

بقيت العلاقة بين رئيس الحزب والمكتب السياسي طوال حكم عبدالكريم قاسم تتسم بنوع من الايجابية والسلبية معاً، فقد تولى الطرفان ادارة منطقة نفوذه كل على حدة، وفي مواجهة حملات شديدة من الجيش والمرتزقة. كان الدعم الجماهيري قوياً للمقاومة الكوردية طوال حكم عبدالكريم قاسم. وتمكن رئيس الحزب والمكتب السياسي ترسيخ قواعد المقاومة وتوسيعها في مناطق دهوك والسليمانية وأربيل.

164 ن م س. ص: 198

165 ن م س. ص: 199

في واقع الأمر كان حكم قاسم يقترب من نهايته، وقد تسارعت وتيرة هذه النهاية بحربه في كوردستان، وفي الوقت ذاته تقوت الحركة الكوردية بفضل تأييد الجماهير لها وبالأخص في ريف كوردستان. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تتوقع سقوط نظام قاسم، ويذكر أرشيف أمريكي مؤرخ في 1962/5/3 بهذا الصدد:

«كان هدف المعارضة العراقية لرئيس الوزراء عبدالكريم قاسم هو الإطاحة بحكمه، لكن هذه المحاولات احبطت بسبب الخوف من سلطاته الواسعة على جميع أجهزة الحكومة، تواجد وتشابك شبكة مخابراته وسيطرته على الجيش.....»

قاسم منشغل بحملة عسكرية، يستخدم فيها القوات والمدفعية والطائرات ضد التمرد القبلي الكوردي (المدعوم من قبل الحزب الديمقراطي اليساري الكوردستاني ومن قبل سكان المدن) في الشمال وفي شمال شرقي العراق بمحاذاة الحدود التركية الإيرانية. إن هذه الحملة العسكرية مضرّة سياسياً ذلك لأن قاسم أصرّ على ان العراق بلد التآخي بين العرب والأكراد والأقليات الأخرى، كما إن المقاومة الكوردية تظهر نفور جميع العراقيين من قاسم. ان قوات الأنصار الكوردية مشهورة بالصرامة والتملص، كما إن الجهد المفروض على الجيش خلق الامتعاض ضمن القوات العراقية.»

ثم يمضي نفس الأرشيف إلى القول: «هنالك الآن تقارير عن محاولة جديدة بعثية للإطاحة به في شهر نيسان أو مايس:

«قد يكون النظام الذي سيخلف قاسم من القوميين العرب أو محايدين أو من أطراف سياسية أخرى. الحكومة المقبلة ربما تكون أقل عداء للغرب في خططها ومظهرها. لكن في كل الأحوال فإن سياسة الولايات المتحدة هي عدم التدخل بأي شكل كان مع المعارضة ضد قاسم، حتى مع العراقيين الذين يظهرون روابط الصداقة مع الولايات المتحدة.»

وينصح الأرشيف حكومة الولايات المتحدة في حالة زوال نظام قاسم، وفي كل الأحوال وجوب التشاور عن قرب مع المملكة المتحدة وتركيا وإيران قبل الإقدام على أية خطوات.¹⁶⁶

- وفيما يتعلق بموقف الولايات المتحدة أزاء التغيير، يقول الأرشيف السري:
1. «إن كانت المجموعة التي ستأخذ زمام الحكم تمثل العراقيين عموماً وقوميين وبدا انهم يسيطرون تماماً على الوضع، على الولايات المتحدة في هذه الحالة الاعتراف الفوري وأن تتجاوب فوراً بعرض المساعدة. وعلينا عدم تشجيع التدخل من جانب أي من الدول الجارة للعراق إن كان هناك ميل للقيام بذلك.
 2. في حالة كون المجموعة التي ستطرح بحكم قاسم، ممثلة لحزب البعث (حزب البعث العربي الاشتراكي وهي منظمة ممزقة بنزاعات داخلية جدية) على الولايات المتحدة تاخير الاعتراف حتى التأكد من أن المجموعة تسيطر تماماً على الحكم. في هذه الحالة أيضاً علينا عدم تشجيع التدخل من قبل الدول المجاورة للعراق.
 3. وعند امتناع الأكراد دعم الحكومة الجديدة في حالة استمرار الحيرة بعد الإطاحة بقاسم، ويطالبون بالحكم الذاتي ضمن مناطق معينة من العراق، على الولايات المتحدة الاعتراف بالحكومة الجديدة على أساس نفس المقياس الذي تستخدمه في أماكن لا تتواجد فيها تعقيدات كوردية، وبهذا نناي بأنفسنا عن الإظهار بدعم المطالب الكوردية.
 4. وفي حالة استمرار الصراع بين الشيوعيين وغير الشيوعيين، علينا التشاور مع الدول المجاورة للعراق ومع المملكة المتحدة، والبحث عن كيفية مساعدة العناصر غير الشيوعية ونصرتها دون تدخل سافر من قبل الولايات المتحدة أو من قبل أية دولة غربية ضمنها تركيا وإيران. ومن المصلحة أن يبقى الصراع عربياً كل ما أمكن.
 5. ونفس الشيء، وهذا مستبعد، في حالة نجاح مفاجئ للعناصر الشيوعية المسك بزمام الحكم في العراق، علينا ان نتوصل إلى أفضل وسيلة لتوجيه أو تشجيع ردّ الفعل العميق والخطر لجارات العراق. علينا أن نكون مستعدين لعرض الموضوع أمام مجلس الأمن للأمم المتحدة حسب المتعارف عليه، بهدف منع السوفييت وربما آخرين عن التدخل في الشأن الداخلي وماينجم عنه من ردود فعل تجاه السيطرة الشيوعية.¹⁶⁷

في الفصول السابقة شاهدنا عفوية تطور الحركة الكوردية والتفاف الجماهير حولها وتقديمها للتضحيات في سبيل تقويتها. وفيما بدا للعالم الخارجي ان الحركة في مسارها الصحيح وتنازل من أجل حقوق مشروعة، كانت قيادة الحزب الديمقراطي

الكوردستاني في أزمة داخلية عميقة. شعر بها جميع الصحفيين الأجانب الذين زاروا كوردستان بين أعوام 1961 إلى 1964 وكتبوا عنها.

كيف حصل هذا التدهور في العلاقة بين الرئيس وأعضاء المكتب السياسي؟ وفي وضع يواجهه الشعب الكوردي خطر الحرب الظالمة من قبل حكومات بغداد؟ لا بد من التذكير أنه لم تكن العلاقة طبيعية بين الاثنين في أي وقت من الأوقات.

أين تكمن بذور الأزمة؟ هل كان يمكن تفاديها؟ أم إنها كانت حتمية؟ هل لها عوامل خارجية أم إن أسبابها تكمن في رحم المجتمع الكوردي وفي تباين طبقاته واختلاف توجهاتها السياسية والمصالح الاقتصادية المتناقضة؟ أي بالاحرى المواجهة بين البرجوازية الكوردية الصغيرة النامية والاقطاع الكوردي الذي يأبى الخضوع للبرجوازية الكوردية النامية؟

ما يعنينا هنا، هو فهم ما حصل قدر ما تسعفنا الوقائع التي نستند عليها في تحليلنا لهذا الإنشقاق الداخلي والذي أضعف نضال الشعب الكوردي وكان سبباً في نكسة عام 1975.

ولنبء بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

ملا مصطفى، رئيس الحزب، ربما ولد عام 1901 أو عام 1902 لكننا نجهل في الحقيقة يوم أو شهر مولده ولذا ماقلناه لايعدو أن يكون تقريباً. شاهد بين أعوام 1900 - 1932 انحسار النفوذ العثماني ووصول محتلين جدد، بريطانيا بالدرجة الأولى وثم فرض سيطرة حكومات بغداد على كوردستان بالقوة. اشترك في حمل السلاح ومحاربة المحتلين. لم يتمكن من متابعة حياة هادئة فقد كانت المنطقة عرضة للحروب سواء مع الحكومات أو في حروب قبلية مزمنة. لقد تعلم تجربته من واقع الحياة القبلية وفهم سيكولوجية الريف الكوردي وأهمية القوة في التعامل مع الصديق والعدو.

أما أعضاء المكتب السياسي، فقد كانوا أصغر منه سنناً وأبناء مدن ينتمون إلى البرجوازية الصغيرة النامية، فقد ولد ابراهيم احمد عام 1913، جلال عام 1933، عمر مصطفى 1921، نوري شاويس 1918، على عبد الله 1922. فارق العمر كبير بين

الرئيس وأعضاء المكتب السياسي. فجلال الطالباني يصغر رئيس الحزب بـ 31 عاماً، والأقرب إليه هو إبراهيم أحمد ويصغره بـ 11 عاماً. الخلفيات الاجتماعية والثقافية مختلفة تماماً، فملا مصطفى نشأ في الريف المنعزل وبقي في كنف خاله أحمد آغا شيرواني، تزوج من إبنته، وهي أولى زوجاته. وكما يظهر أنه لم يأخذ تعاليم الطريقة مأخذاً جدياً بقدر ما كان يستغلها لتقوية نفوذه في الوسط البارزاني. فقتله لمرشد الطريقة في 1 أيلول عام 1927 وهو ابن عم له مع اثنين من شخصيات الطريقة. كانت بداية تسلقه السياسي وبداية استخدام أسلوب الابتزاز الناجح لتطويع السكان. وشديد الحرص على تحسين حالته المادية مع خطاب التزهّد والترفع عن المال. كانت له حساسية سياسية مرهفة، فقد توصل إلى قناعة أن البريطانيين، الأسياد الجدد في كردستان والعراق، هم الذين يملكون مستقبلاً زمام المبادرة في كل الأمور، فحاول التقرب منهم بشتى الوسائل، منها وسائل غريبة جداً. ومن هنا اهتدأه إلى فكرة إشاعة دعاية التحول من الإسلام إلى المسيحية وتحليل تناول لحم الخنزير. وقد أشار إلى ذلك عدد من الصحفيين الأجانب كذلك تقارير وزارة المستعمرات البريطانية، لكنها كانت تعزوها إلى «الأطوار الغربية لشيخ بارزان» زوراً. وعندما قصد عدد من البارزانيين شيخ بارزان واستفسروا عن هذا المنحى الغريب، نهاهم بشدة، وكان في هذا الوقت منعزلاً وممتعضاً جراء إغتيال مرشد الطريقة ملاي ملا محمود. وقد لعب ملا مصطفى دوراً في المعارك التي دارت لاحتلال مناطق بارزان في أعوام 1930، 1931 وعام 1932. كان يضخم دوره ويبالغ فيه، لكن دعاياته، كانت مؤثرة في وسط مجتمع لا يفرق بين الحقائق وأغراض الدعاية، يشذ عن هذا عدد من الذين بقوا مرتبطين بشيخ بارزان مباشرةً.

لم تتجح مساعيه في الماضي التقرب من البريطانيين ولا في المنفى العراقي، وعندما حل في السليمانية مع البقية من العائلة البارزانية كمنفيين، وجد المدينة في غليان قومي والجميع يتوقون إلى التغيير، فهي المركز الثقافي والنضالي للنشاط الكوردي. عانى ملا مصطفى كبقية أفراد العائلة البارزانية من ضنك العيش، وكان شديد الامتعاض من وضعه، فكثف صلاته مع النشطاء الكورد وتبنى موقفهم القومي، وزوده ذلك بنقطة انطلاق نحو لعب دور الزعيم القومي. الشخصيات النشطة في المدينة كانوا يتوقون إلى القيام بعمل من أجل نيل الحقوق الكوردية من خلال استغلال فوضى الحرب العالمية الثانية وهذه كانت تنذر بإحداث تغييرات كبيرة في العالم. لكن البرجوازية الكوردية الهزيلة والفاقة الثقة بذاتها، وجدت أن بالامكان

إستخدام قابليات البارزانيين العسكرية وذلك من خلال التحالف مع ملا مصطفى في عمل مشترك. فالبارزانيون يؤلفون كياناً عسكرياً بالفطرة ووزنهم مؤثر في ممارسة ضغط عسكري على بغداد وسلطات الاحتلال البريطانية. كان هناك شعور عميق بالغبن والظلم على يد حكومات بغداد وسلطات الاحتلال البريطانية.

كانت الحاجة متبادلة بين الاثنين، فملا مصطفى من خلال هؤلاء المثقفين يخرج من قوقعته الضيقة ويسبغ على عمله منحى قومي ويقوم هؤلاء بالدعاية له كما يزودونه بالمال والمعلومات والدعم المعنوي وتعريف القضية الكردية ومظلومية الشعب الكردي داخلياً وخارجياً ويبرز هو كزعيم وطني محاط بالآغاني والمديح وهذا ما استهواه. فمن شدة فقدان الثقة بقدرتها، دأبت هذه البرجوازية الكردية الصغيرة، الهزيلة والانتهازية إلى البحث عن بطل، لاضير حتى وإن ساهم في صنعه الإعلام الفائض بالمدح والاساطير والاشعار والآغاني، ومن هنا فإن ملا مصطفى هو إلى حدٍ كبير هدية هذه الرجوازية الهزيلة إلى الشعب الكردي.

وجهة نظر الاثنين للحزب كانت متناقضة تماماً. فقد ظهر فيما بعد أي نوع من الحزب يجب ان يكون عليه (حدك) لكي يرتاح له ملا مصطفى، فهو يريد حزباً ينصاع لرغباته الشخصية، خاضعاً وخنوعاً ينفذ أوامره دون تردد، وقد فهم جوهر البرجوازية الكردية الهزيلة وردود فعلها المتهورة ونجاح سلاح الابتزاز أو المال لتطويعها. فهو لا ينتمي إلى الحزب إنما على الحزب ان ينتمي اليه. وهو لا ينتمي إلى بارزان إنما على بارزان ان تنتمي اليه. وإن تعذر ذلك يجب صوغهما من جديد لكي تلائم رغباته. ويريد أعضاء المكتب السياسي كحاشية وليسوا رفاق نضال لهم حقوق في إتخاذ القرارات المصيرية. لقد عمل على صياغة حزب ينخر في جسده الفساد والمحسوبية كما سلط عليه نفوذ المرتزقة فيما بعد وأصبح (حدك) بتأثيره وبالأخص في عهد وريثه (ابنه مسعود) مطية للأغوات وحام لشبكات مصالح عائلية واقطاعية واسعة وأقام نظاماً قمعياً بوليسيا في أربيل ودهوك، وذو نزعة قوية لسرقة الأموال العامة Kleptomania ودون أدنى اعتبار لحكم التاريخ.

أما أعضاء المكتب السياسي فخلفياتهم تختلف كثيراً عن خلفيات ملا مصطفى. فهؤلاء يعتبرون أنفسهم يساريين واشتراكيين وينتمون إلى البرجوازية الصغيرة

أو المتوسطة المدنية. كلهم درسوا في الجامعات¹⁶⁸ وعلى قدر جيد من الثقافة بالنسبة لتلك الحقبة الزمنية، لكنهم كانوا إلى حد كبير نظريين ولم يدركوا أو ربما تجاهلوا عمق الهوة الفكرية التي تفصلهم عن رئيس الحزب كما لم يعوا مدى قوة ورسوخ العقلية القبلية في المجتمع الكوردي ومدى بعد ملا مصطفى (رئيسهم) عن (التقدمية) التي يبشرون بها. فحسب ما كتبه جلال الطالباني عن نظريته إلى الاقطاعيين حيث يعتبرهم ملا مصطفى عماد قوته يقول: «ان الموقف الرسمي للحزب تجاه هذه التجمعات - يعني التجمعات العشائرية - كان كما يلي: الاشتراك فيها بغية توجيهها وجهة شعبية وسلمية أي ابعادها عن التصادم المسلح مع الحكومة، ومن ثم بث الدعاية الحزبية بين جماهيرها، لأنه لا يجوز مبدئياً اعطاء المجال للعناصر الاقطاعية باحتلال مركز الصدارة في الحركة التحررية لان الحزب يؤمن بحقيقة تطور الحركة التحررية الكوردية وصيرورتها حركة جماهيرية ثورية ذات طليعة (حزب) منبثقة من صميم الشعب لتنظيم قوى جماهيره وقيادة نضاله، فضلاً عن الماضي الاسود للاقطاعية الكوردية ودورها المشين في النضال التحرري الكوردي منذ القديم»¹⁶⁹.

هؤلاء يريدون حزباً ثورياً عصرياً، قراراته تخضع لقيادة جماعية باكثرية الاصوات، يجري في الاجتماعات نقاش ديمقراطي حرّ وعلى أساس المساواة التامة بين الاعضاء والتقيّد ببنود الدستور الحزبي، والترقي في المناصب الحزبية مرهون بقابليات الاعضاء وليس لرابطة القرابة صلة بذلك. كان هذا الخلاف هو السائد بين أعوام 1961 - 1964 بين رئيس الحزب وجميع أعضاء المكتب السياسي. وكان المكتب السياسي من أنصار تشكيل جيش ثوري منظم خاضع للانضباط والقوانين التي تتحكم في الفصائل الثورية التي تقود نضال التحرر الوطني كما كان الحال في العديد من البلدان المستعمرة والتي شنت حروب تحرير وطنية من الهيمنة الاستعمارية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. في حين كان ملا مصطفى يريد قوات خاضعة له مباشرة وليس مهماً عملية التنظيم على أسس جيش ثوري وعصري، وزيّ موحد، منضبط و متمسك بالقوانين التي تنظم واجبات وحقوق أعضاء هذا الجيش. وتبني تكتيك حرب عصابات منظمة. كان خوف ملا مصطفى أن هذا النمط من القوات

Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Ismet Cheriff Vanly. Edition de la Braco - 168
nière. Neuchatel 1970. P:117

169 رسالة من جلال الطالباني الى عصمت شريف فانلي مؤرخة في 1963/7/9 كردستان الجنوبية. باله ك.

منفلت من سيطرته ولا يتمكن التحكم بها كما يشاء، لذا وقف ضد التنظيم الحزبي للقوات الثورية، وعمل على انماء الولاء لشخصه وحارب الولاء الحزبي.

ماضي ملا مصطفى كان يكشف حقيقة صعوبة التعامل معه، فنزعة الانفراد بالزعامة من أهم ميّزات شخصيته. فقد تدمر الضباط الكورد عزت عبدالعزيز، مصطفى خوشناو، خيرالله عبدالكريم، محمد محمود قودسي ونوري أحمد طه، من سوء تعامله معهم أثناء التجائهم إلى إيران حيث اسهموا في خدمة جمهورية مهاباد 1946. واختلف مع العديد من رفاقه القياديين أثناء تواجدهم في الاتحاد السوفيتي كلاجئين بين أعوام 1947 - 1958 منهم ميرحاج أحمد وشيخ سليمان وآخرين. وطرد عام 1959 حمزة عبدالله، صالح الحيدري و نجاة أحمد عزيز وهم من بناء الحزب الحقيقيين (الثلاثة هم أعضاء المكتب السياسي)، وعدد من رفاقهم في الحزب، منهم حميد عثمان وخسرو توفيق عضوي اللجنة المركزية، إلى جانب بعض الكوادر المتقدمة ضمنهم الدكتور محمود عثمان رئيس اتحاد طلبة كوردستان، وهؤلاء كانت لهم نظرتهم السياسية ولم يكونوا مجرد تابعين له آنذاك.

رغم عملية طردهم بالقوة - حمزة عبدالله ورفاقه - واحلال فريق - إبراهيم احمد - محلهم، كان الفريقان قد عملا في ظروف الخطر الداهم وأثبتا جدارة في العمل الوطني وقابليات الصمود وفن العمل السري. وبالاحرى لم يتبوؤا القيادة عن طريق المحسوبة والمنسوبة حيث أصبح الحزب فيما بعد فريسة لذلك بشكل مفضوح، إنما تسلقوا المناصب الحزبية في مرحلة معينة، بنضالهم وشجاعتهم وكفاءاتهم الشخصية .

وكان المكتب السياسي يراعي دستور الحزب والأعضاء يتولون مهامهم الحزبية وفق قوانين التصويت الحزبي، وبعد عودة ملا مصطفى من الاتحاد السوفيتي إنتهى احترام الدستور الحزبي، فأصبح التعيين او الطرد أمورا عادية بالنسبة للرئيس، وفقد الحزب أصالته والتزاماته بنصوص دستور الحزب، الا من الناحية الشكلية.

لم يقف طويلاً أعضاء المكتب السياسي الجدد- إبراهيم أحمد ورفاقه - موقفاً متروياً من ماضي ملا مصطفى، ولم يعطوا لوصية الضباط الأربع أية قيمة، حيث كتبوا قبل شنتهم عام 1947، إنحصرت طريقة تعاملهم مع رئيس الحزب في ثلاث مسارات:

- العمل معه وفق منهاج الحزب، لكن رئيس الحزب لم يكن يؤمن بالحزب ولم يهمله نصوص الدستور. فالتنظيم الوحيد الذي يعرفه هو تنظيم القبيلة وكل شيء في القبيلة خاضع لرئيسها، أموال وأرواح وصلاحيات. فالحزب الذي يحل محل القبيلة مرحب به، حيث لامساءلة ولا محاسبة لزعيم القبيلة ولا يرد له طلب. لكن مبدأ القرارات الجماعية واشراك آخرين في الصلاحيات والمال، أمر غير مقبول البتة. وهذا ما لم يرغب أعضاء المكتب السياسي فهمه أو أخذه بعين الإعتبار، لقد فضلوا الاوهام على الحقائق، وصدقوا دعاياتهم المضللة التي نشرها حول رئيس الحزب وتعظيمه على أوسع نطاق بين جماهير كوردستان غير الواعية لواقع الحال، وعندما اصطدم المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني بالحقيقة المرّة قاموا بردود افعال متهورة زادت من العناد وشخصنة الصراع، وقرر ملا مصطفى عدم التنازل عن الرئاسة أياً كان الثمن، وليكن ما يكون.

- الخضوع له كموظفين يسرون الأمور وفق مشيئته. وهذا ما حصل بعد طرد أعضاء المكتب السياسي القديم، وتعيين أعضاء جدد مكان القدماء، ومن هنا أصبح الحزب موضع ترحيب وتقدير أي بعد أن حلّ الحزب محل القبيلة وبكل ما يعني ذلك من طاعة وخضوع.

- أو المعادة التامة، إذ بانضمام المكتب السياسي القديم إلى حكومات بغداد وشن حملات مع الجيش العراقي ضد زعيمهم القديم، انتزعوا عن أنفسهم كل شرعية ثورية، وهذا ما عزز الزعامة الفردية لملا مصطفى في الوسط الشعبي الكوردي. ومن أهم ملامح المرحلة التي أعقبت عام 1966 هو طغيان دور الفرد - ملا مصطفى - في مقابل تراجع فاعلية المؤسسات - الحزب ومختلف أنشطته - وفي كل الحالات فقد الحزب أصالته وديناميكيته الثورية، وتقوقعت الحركة الكوردية في إطار الفكر القبلي ولم تخرج منه إلى يومنا هذا.

وفي واقع الامر كان واضحاً خلال عام 1962 ان رئيس الحزب يميل إلى القوى الاقطاعية ويعمل على تسيدها في المجتمع وفي قيادة الحركة والحزب. وقام بضرب القوى التقدمية والقيم الثورية وتشويه مفهوم العدالة في المجتمع الكوردي.

برزت الخلافات إلى العلن بعد الاعلان عن الاتفاقية بين المشير عبدالسلام عارف وملا مصطفى في 10 شباط 1964، فقد تجاوز ملا مصطفى الحزب ولم يعر في اتفاهه أية أهمية للمكتب السياسي، ووقف الأخير ضد الاتفاقية. وأرسل ملا مصطفى برقية تهديد مباشرة إلى المكتب السياسي يطلب إعادة المناطق المحررة من كوردستان إلى القوات الحكومية: «برقية رقم 87 بتاريخ 1964/3/2» يأمر فيها المكتب السياسي: «1. إذا أرادت القوات الحكومية العودة إلى المواقع التي أنتم فيها أطلب منكم السماح لها بذلك. 2. عندما تأتي القوات الحكومية إلى مناطقكم أطلب منكم تخليتها والانسحاب إلى الورااء. 3. إن كانت مواقعكم ضيقة إنسحبوا إلى حيث أنا. 4. إن حصل قتال بينكم وبين الحكومة سيكون سبباً في حصول القتال بيني وبينكم. أخبروني على عجل استلام البرقية. لم يهضم المكتب السياسي هذا الموقف الفردي في قضية مصيرية. واعتبر الاتفاق بين عارف وملا مصطفى لايلبي الحد الأدنى من المطالب الكوردية، ويعلق على سنجاري على الاتفاقية: «الا ان المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني وقف ضد تلك الاتفاقية بشدة لانها في حقيقة الأمر لم تتضمن أية مبادئ تتسجم والحقوق القومية للشعب الكوردي والتضحيات التي قدمها من اجل نيل تلك الحقوق المشروعة، وغدت الخلافات بين البارزاني والمكتب السياسي تزداد تطوراً وتدهور باستمرار».¹⁷⁰

حصل تعاون بين جناح ملا مصطفى والحكومة العراقية في عدد من المجالات ضد جناح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني والشيوعيين بحسب ما ورد في برقية حكومية مؤرخة في 1964/3/28: «برقيتكم 44 في 1964/3/21 راقبنا تنفيذ ايعاز الملا مصطفى إلى ممثليه في قاطعنا، طلبنا اليه الاتصال بنا عند زيارتنا لقاطع شيخان فوافق وتمت المقابلة يوم 1964/3/27 وتم وضع حل المشاكل التالية: منع التجول المسلح. مراقبة البارتيين والشيوعيين. منع أوراق عدم التعرض الممنوحة من قبل البارتي. تسهيل إعادة المواطنين إلى مناطق سكناهم وتصفية العلاقات العشائرية. التعاون على مكافحة المناشير والدعاية الشيوعية والبارتية وادامة التماس بين ممثلي الملا مصطفى والموظفين الاداريين في المراكز والاقضية والنواحي لتسوية المشاكل المحلية واعادة الاجراءات من قبل السلطات الحكومية لقطع دابر الانتهازيين والمتصيدين في الماء العكر. منع جميع التبرعات والتهديدات

170 الحركة التحررية الكوردية مواقف وآراء. على سنجاري. أيلول 1996. ص: 47

لدفع الاتاوات والقضاء القبض على من يقوم بذلك. التعاون على إلقاء القبض على المجرمين المعادين المطلوبين أمام العدالة. أظهر ممثل الملا مصطفى المواطن حسو البارزاني إخلاصاً وتحمساً لتنفيذ ذلك وبهذه المناسبة لايسعنا إلى ان نشكر الملا مصطفى البارزاني وممثليه على عزمهم وتعاونهم المطلق مع السلطة في إعادة الاستقرار والحياة الطبيعية في شمال الوطن»¹⁷¹

كانت غالبية فروع ومؤسسات الحزب الديمقراطي الكردستاني من مؤيدي موقف المكتب السياسي في هذه المرحلة، فقد كانت أربعة من فروع الحزب من أصل خمسة فروع تؤيد المكتب السياسي¹⁷²، لكن الاكثرية ليس لها وزن في هذه الحالة، فالقوة وحدها تقرر، وهي سيدة الموقف.

ملا مصطفى كان يؤمن بالقوة والمال، وتمكن من مهاجمة مكتبه السياسي وملاحقتهم إلى إيران. وعين أعضاء آخرين مكانهم، وأصبح أعضاء المكتب السياسي الجديد أشبه بموظفين يؤدون أدوارهم وفق أوامر ملا مصطفى وتحت سيطرته التامة، وانتهى دور القرارات الجماعية واحترام الدستور الحزبي. اضافة إلى كونه رئيس الحزب والقائد العام لقوات الانصار وممثل الشعب الكوردي احتفظ ملا مصطفى بجميع أموال الحركة الكوردية داخل الاسرة. وبهذا أصبحت هيمنته مطلقة على جميع مناحي الحياة في المناطق الواقعة تحت سيطرته، وأزداد نفوذه بفعل الاخطاء الفاضحة التي قام بها أعضاء المكتب السياسي في مجال الصراع على الزعامة وفي النهاية انضمامهم إلى نظام عبدالسلام عارف في شباط 1966. من المدهش حقاً هؤلاء القادة الفخوريين بالنضال إلى حد الغرور، إنضم 13 عضواً¹⁷³ من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية إلى نظام البعث بعد أن قرر رئيس الحزب نفسه تصفية الحركة الكوردية عام 1975 واتخاذ قرار اللجوء إلى إيران.

171 ملف جامع للوثائق والبيانات التي أصدرها جناح المكتب السياسي وملا مصطفى. جمعه شازين هيرش ونزار محمد ويشمل أعوام 1964 - 1970. نص برقية، إلى قائمقام العقرة وشيخان وزاخو، الى فق 2 مكرر (ر. ا. ح) مكرر حركات. مكرر الاستخبارات. مكرر متصرفية السليمانية.... من فن رئيس الموصل.... في 1964/3/28. ص: 68.

172 الحركة التحررية الكوردية مواقف وآراء. على سنجاري. أيلول 1996. ص: 53

173 الحركة التحررية الكوردية مواقف وآراء. على سنجاري. أيلول 1996. ص: 63

هناك شيء من عنصر العناد الكثيف المصحوب بالضغينة يسبغ مواقف قادة الحزب، وهو من نفايات الغرور القبلي، فبفعل تحكم العناد الشخصي، يلجأ القائد إلى التهديد بالقضاء على الحركة الكوردية برمتها لكنه لن يقبل التنازل إلى الطرف المعارض من بني قومه. ومن هنا المهادنات مع بغداد لتصفية حسابات الزعامة. وليس لكل هذا أدنى صلة بالحقوق القومية للشعب الكوردي وازالة الظلم عن كاهله، وفي وقت كان نضال الشعب الكوردي في أمس الحاجة إلى قيادة موحدة متفانية، والتفرغ إلى مقاومة الحملات العسكرية الشرسة التي تشنها الحكومات العراقية. كانوا زعماء بلا مبادئ أو ثوابت وبلا أدنى شك لم يكونوا في مستوى المسؤولية التاريخية لقيادة حركة تحررية ثورية لشعب يعاني من الظلم والاضطهاد القومي. فعندما تطفئ الكراهيات الشخصية في قضايا الشعوب المصيرية على أولويات مقاومة العدو الخارجي، تدفع القضية القومية برمتها الثمن الباهض ويفقد الشعب الذي يخوض غمار حرب التحرير الثقة بتضحياته بينما يستغلها العدو المترص لصالح ديمومة تسلطه.

ياترى، هل أن خطر حكومات بغداد المباشر على الشعب الكوردي وضغوطاتها العسكرية ووحشية أجهزتها القمعية في العامين الأولين للحركة، جعل كل تفكير القادة والشعب الكوردي منصباً على الصراع الرئيسي الدايم والغير متكافئ مع حكومات بغداد. أي أن الخطر الآتي من بغداد أصبح هاجساً رئيسياً أدى إلى إهمال وحدة وكفاءة القيادة الكوردية، فهيمن التفاوضي عن خطورة السلوك القيادي الكوردي وتوسع الشرخ بين القيادة الجماعية لحدك ورئيسه، لحساب العدو الخارجي. فتعقيدات نضال الشعب الكوردي الجيوستراتيجية هي من الخطورة بحيث استحوذت كلية على تفكير الساسة الكورد في مرحلة أولوية مواجهة العدو الخارجي - بدايات الحركة الكوردية - لكن في مجرى تفاقم الخلافات الكوردية الداخلية تم التحول من مرحلة (أولوية مواجهة العدو الخارجي) إلى مرحلة (أولوية تصفية الحسابات القيادية الداخلية). ومن هنا جاءت (مهادنة العدو الخارجي) والتفرغ لتصفية حسابات الزعامة). هذا التحول الخطير برز إلى العلن بعد إنقلاب عبدالسلام عارف على رفاقه من البعثيين في 18 تشرين الثاني 1963 وكان مؤشراً واضحاً على تدهور القيم الوطنية ضمن القيادة الكوردية.

وبعد لجوء المكتب السياسي إلى إيران إثر معارك مخزية بين جناحي ملا مصطفى والمكتب السياسي، دعا ملا مصطفى في «بيان إلى المواطنين الأعزاء» ورد فيه تهديد مباشر لمن يتعاون مع المكتب السياسي:

«.....»

«وفي هذا الوضع الدقيق الذي تقوت فيه ثورتنا المباركة وزادت امكانياتها ووقف القتال مع الحكومة لأجل التفاوض للحصول على أهدافنا القومية (الحكم الذاتي الكوردستاني) بشكل سلمي نرى ان جماعة من عديمي المبادئ والفضوليين يرومون محاربة الثورة والبارت الديمقراطي الكوردستاني حسب المخطط الموضوع لهم من قبل الأجنبى لإضعاف الثورة والبارتي.

«.....»

«أيها الأخوات ايها الإخوة المناضلون نحن على علم بأنكم المخلصون للثورة وتدركون مدى المخاوف من جماعة ابراهيم أحمد وتعلمون بان هؤلاء هم ضد الثورة والشعب الكوردي وبلا شك انكم لاتتعاونون مع حركتهم هذه ونحن نكر علىكم ثانية بعدم التعاون مع هؤلاء اعداء الثورة وان لاتؤووهم لان في ذلك ضررا كبيرا للحزب البارتي والثورة والكورد وسوف نضطر إلى انزال اشد العقوبات ضد أي شخص او سكان اية قرية عند عدم الاخذ بهذه التعليمات الاخوية. ومد يد المساعدة إلى اعداء الثورة.

«.....»

اخوكم بارزاني مصطفى. رئيس الحزب البارتي الديمقراطي الكوردستاني والقائد العام للجيش الثوري الكوردستاني. 1964/7/21.¹⁷⁴

بقيت هذه القيادة رغم عدم أهليتها تقود الشعب الكوردي إلى يوم تخليها عن الحركة الكوردية عام 1975. في حين انضم جناح المكتب السياسي القديم إلى حكومات بغداد يقاتل مع الجيش العراقي قوات رئيسهم السابق من عام 1966 إلى عام 1970.

174 ملف جامع للوثائق والبيانات التي أصدرها جناحي المكتب السياسي وملا مصطفى. جمعه شازين هيرش ونزار محمد وتشمل أعوام 1964 - 1970. ص: 205

لكي نفهم مجريات الأحداث الواقعة بين عامي 1963 و 1964 من الضروري قراءة مقالات الصحفي الفرنسي (ارك رولو Eric Rouleau) عن بدايات الحركة الكوردية وزياراته الشخصية لقاداتها وهم في معقلهم ، كمصدر يمكن الاعتماد عليه . أصبح Eric Rouleau فيما بعد سفيراً لفرنسا في تونس من عام 1985 - 1986 وهو من الناطقين باللغة العربية، ثم عين سفيراً لبلاده في تركيا 1988 - 1992 وهو الذي هيا مروحية فرنسية لتسهيل سفر عصمت شريف وانلى ومرافقيه إلى كردستان اثناء النزوح الجماعي لشعب كردستان ربيع عام 1991، وهو صحفي معروف دولياً وواحد من المختصين في علاقات اوروبا بالشرق الاوسط، كما عمل كمراسل خاص لـ Le Monde Diplomatique .. التقى رولو شخصياً بقيادة الثورة الكوردية، وكان قد دخل سراً الى معقل الانصار في جبال كردستان. ووصف وصفاً دقيقاً الجو العام الذي شاهده اثناء وجوده بين الثوار. وكان قد زار كردستان بعد الاطاحة بحكم قاسم اثر انقلاب شباط الدموي عام 1963 ثم في تموز عام 1964 بدعوة من الحكومة الجديدة بعد ان ازاح عبدالسلام عارف نظام حزب البعث العربي الاشتراكي عن السلطة. ونقتطف بعض ما رأيناه هاماً من مقالات (رولو) في اليومية الفرنسية لوموند¹⁷⁵:

175 على قضي المهريين. جريدة لوموند 10/4/1963

أثناء سيرنا في الطريق أراني مبعوث الجنرال بارزاني قرى تعرضت للقصف والحرق من قبل القوات العراقية. فمن مجموع 10000 قرية كوردية في كردستان، تم هدم 1500 منها، ولاقى 2000 شخص مصرعهم، وأضاف "ان الجنرال قاسم هو أفضل صديق للحركة القومية الكوردية، إذ ساهم بظلمه الوحش وسياسة الابادة التي اتبعها في تحويل انتفاضة محدودة إلى ثورة شعبية كبيرة" في كل مراحل سفرنا باتجاه مقرّ الثوار شاهدت سخاء الفلاحين الفقراء الرائع، إذ زودوني باللحف والمأوى رغم فقرهم المدقع، فكانوا يبللون قطع الخبز الجاف في الشاي لياكلوا، لكنهم كانوا يطعمونني وجبات من الدجاج المشوي ولحم الضأن مع الرز والبيض واللبن واينما نزلت، كان مضيبي يقول: «رغم السفر المتعب جئت الينا وهذا دليل على صداقتك لنا.»

(.....)

وبشكل عام لم يلجأ ثوار كردستان العراق إلى تعميم ثورة فلاحية، في الحقيقة أبقى الجنرال بارزاني حركته ذات طابع «قومي» وأقصى كلياً صراع الطبقات الذي يضعف المقاومة ضد الحكومة المركزية في بغداد.....» .

والتقى الصحفي الفرنسي بـ على عسكري في مقره فيذكر:

الأخبار

كركوك. يسود نشاط محمود في دائرة (كاكه على عسكري) القائد العسكري لمنطقة ماوه ت، فقبل عدة أشهر كانت هذه الدائرة مركزاً لأمر الشرطة العراقي في هذه المنطقة، إنها الآن موقع هام في الأراضي التي يسيطر عليها البيشمركة.

في احدى الزوايا يتشاور عدد من الضباط القوميين حول مائدة وعلى ضوء مصباح زيتي كانوا يتفحصون وثائق وينظرون إلى خارطة عسكرية كبيرة ملصقة على الجدار. لتوه دخل شاب من الثوار ليسلم رسائل بعد حلّ شفرتها والتي التقطت أثناء تبادل الاتصالات بين بغداد والقيادة العسكرية العليا العراقية المرابطة في شمال البلاد. «لم تواجهنا مشكلة طوال الاشهر الثمانية عشر المنصرمة في حلّ كل ما يخص الشفرات الحكومية، لا يستعصى شيء على أخصائينا» قالها مبتسماً احد هؤلاء الضباط.

إن «الأخصائيين» هم عموماً من موظفي اللاسلكي كانوا سابقاً يعملون لدى حكومة بغداد التحقوا بالانتفاضة. وهؤلاء لديهم رفاق في الحكومة المركزية وبهذا يكون الجنرال بارزانى مطلعاً بشكل يومي على تحركات القوات العراقية ومشاريعها الهجومية ومشاكلها اللوجستية...

أما الثوار من جانبهم فهم حريصون على السرية التامة ولايستخدمون الا نادراً أجهزة التلغراف ويستخدمون نظام بريدي قديم اذ تكتب الرسائل على ورق ثم يطوى عدة مرات إلى ان يتقلص حجمه ويصل إلى حجم قطعة سكر صغيرة يحملها الساعة إما سيراً على الاقدام أو على ظهر حصان.

”الحكومة الاقليمية“ لماوه ت

ولعدة مرات في اليوم يأتي هذا «الساعي» الغريب مغطى بالوحد إلى مكتب على عسكري، وبعد ان يقرأ الأخير محتوى الرسائل يدعو معاونيه ويعطيهم تعليمات مختصرة. يبلغ على عسكري 27 عاماً فقط، وهو عضو في اللجنة المركزية في (حدك)، انضم للحزب وعمره 17 عاماً. كان يريد ان يتخصص في عمل هاديء عندما طلب منه الحزب التخلي عن الدراسة والتفرغ إلى النشاط السري - مناضل وهداف مرموق اشتهر ببسالته في القتال - أوامره تطلع دون نقاش من قبل رجاله المعجبين به إلى حد كبير.

ومع هذا، على عسكري ليس «الريان» الوحيد. انما يلتف حوله خمسة آخرون، يشكلون «لجنة المنطقة» لماوه ت حيث مبدأ العمل الاساسي هو «القيادة الجماعية» وهذا المبدأ يطبق بصورة دقيقة. واحد منهم يدعى كمال غريب وهو موظف مدني سابق في مقاطعة فرعية من قضاء بنجوين، أقنع في شهر مايس/ماي المنصرم 180 جندياً في الحامية المرابطة في المدينة - كلهم كانوا من أصول كوردية - كي يتبعوه ويلتحق الجميع بالثورة، وحمل معه كمال غريب الميزانية التي كانت في عهده وفيها 12,000 دينار أي حوالي (17 مليون من الفرنك القديم) سلم هذا المبلغ للبارزانى.

أما الملازم أحمد فهو مسؤول الشؤون اللوجستية في لجنة المنطقة، عمره لا يزيد عن 22 عاماً. هرب من وحدته المرابطة في البصرة وانضم إلى الثوار بعد أسابيع من السير... ابراهيم المسؤول الإداري هو موظف سابق في بنك السليمانية وبعد أن خدم فيها لعدة سنوات محاسباً وجد له الآن مهنة الشاعر، انه صغير الجسم مدور كالكرة ويعلو رأسه الأصلع عمامة، يستغل سهر أصدقائه في الليالي الطويلة لقراءة أبيات من شعره ونثره. أما «الضابط السياسي» فهو حزبي «جدي»... ومسؤول التموين هو أحد العمال السابقين في شركة النفط العراقية والأخير يتذوق بشكل خاص أشعار ابراهيم الثورية.

هؤلاء الرجال الذين جاؤوا من خلفيات مختلفة يشكلون عملياً حكومة اقليمية مسبقاً. ولاتقتصر مهامهم على الجانب العسكري انما يمثلون بديل حكومة بغداد، فهم يديرون شؤون 50000 من المواطنين، وأكدوا لى ان هناك لجان مشابهة يربوا عددها على 15 لجنة محلية شبيهه بلجنة ماوه ت، وهؤلاء مجتمعين يتولون إدارة شؤون مليون مواطن.

إنجازات رائعة

مدهش حقاً ما أنجزه الثوار خلال 18 شهراً، فقد قام قاسم بقصف مكثف لكوردستان في شهر سبتمبر 1961 لتخويف الناس وللحيلولة دون توسيع رقعة المقاومة التي اندلعت في ربيع العام نفسه. وكانت عدة مجموعات فلاحية تشن حرب عصابات لكنها تعاني من نقص في العتاد والسلاح والقادة وكانت المؤشرات توحى بأنه سيقضى عليها بسرعة...وأكد لنا سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني (ابراهيم أحمد) انه في ذلك الوقت كان لا يؤمن بجذوى ابداء مقاومة جديّة أمام قوة الجيش العراقي.. وعلى عكس الجزائر، كوردستان محاطة بدول معادية لاينتظر منها أى دعم للثوار...«نوعاً ما، فرض علينا الفلاحون حرباً كنا نعتقد مسبقاً أنها خاسرة». وأضاف ابراهيم أحمد» عندما حلّ شهر ديسمبر من عام 1961، بالضبط آنذاك اتخذ الحزب رسمياً قرار تولى مسؤولية العمليات.» وذكر لنا الجنرال بارزاني من جانبه انه كان بحوزته في ذلك الوقت 660 مسلحاً.

لكن مقابل هذه القوة الصغيرة كان قاسم يملك عدداً من وحدات المشاة والدبابات والمدفعية الثقيلة وطائرات الميغ السوفيتية. فهوجمت القرى « قصفت و ازيلت » بمجرد ورود معلومات عن تواجد الثوار فيها...وعند القصف المكثف أعلن راديو بغداد في ذلك الوقت عن «نصر كبير» وان النهاية وشيكة.

لكن على عكس هذه التوقعات توسعت الثورة كما تتوسع النار في الهشيم، وانضم الفلاحون من الريف والمتقنون من المدن والجنود من الاصل الكوردى في الجيش العراقي (بلغ عدد الجنود الملتحقين 3000) وانضموا إلى الثورة التي يقودها الجنرال بارزاني وفي المدن قام الانصار والمؤازرون بجمع الاموال وهرب الموظفون الكورد أموال الحكومة وقدموها إلى الثورة، ونظموا عمليات مباغته للاستيلاء على الاموال ومنحها للثوار.

اصيب جيش قاسم في ربيع عام 1962 بهزائم كبيرة. فالثوار المنتظمون في مجموعات مختلفة: 10 مسلح يسمّى (ده سته) و 50 مسلح (به ل) 150 مسلح (سه ر به ل) 359 مسلح (لق) هذه القوات

استطاعت هزيمة قوات أكثر عدداً، متخليّة عن أسلحتها ومعداتها على الأرض.

مقاومة نموذجية

كان القادة العسكريون العراقيون يشكون من حقيقة ان بغداد لم تزودهم بقوات كافية لتقليص حجم المقاومة. فأرسل قاسم المزيد من القوات والاعتدة العسكرية الأكثر تطوراً، هذه الجهود بائت بالفشل.. وفي لحظة الانقلاب العسكري في 8 شباط كان مايقارب الثلثين من الجيش العراقي - أي 30000 جندي متواجداً في شمال البلاد دون أن ينهي الانتفاضة الكوردية - وقتل خلال الاشتباكات مايقارب 2000 من الجنود العراقيين والمرتزة (جحوش) بينما بلغت خسائر قوات المقاومة الكوردية حوالي 172 قتيلاً.

استذكراً لأحداث الماضي يتضح انه لاغرابة في هزيمة جيش الجنرال قاسم، فقد كان جيشه مدرباً لمواجهة حرب كلاسيكية وليس حرب عصابات من الطراز الثوري تدور في جبال وعرة. في حين كان الاكراد يقاتلون على أرضهم، ويتقلون بسرعة ونجحوا في هزيمة الجيش العراقي كونه جيشاً يتحرك بأعداد كبيرة مما يضعف أدائه.

أما قوات المقاومة فقد كانت متفوقة نوعياً على قوات الخصم. فالقبول في سلك الـ «بيشمه ركه» الجيش الثوري الكوردستاني، على المرشح ان يكون نظيف السمعة ويزكيه اثنين من الحزب الديمقراطي الكوردستاني كشاهدين على صفاته الجيدة وماضيه السياسي، فقبل قبوله رسمياً يجب التأكد من ولائه للقضية الوطنية والتزامه التام بشروط الانضباط وتحمله الجسدي وشجاعته كل ذلك ضروري لقبوله.

كويسنجق ليلاً

وحتى على الصعيد السيكلوجي لم تكن الموازين متعادلة، فرجال البارزاني يقاتلون من أجل مُثل: من أجل كوردستان تتمتع بالحكم الذاتي حيث يحصلون على مكاسب اقتصادية واجتماعية وثقافية كانت بغداد ترفضها، بينما كان الجيش العراقي يشن حرباً تندد بها معظم الاحزاب السياسية العراقية كحرب «ظالمة»، في الواقع كانت المعارضة تستغل هزائم قاسم في كوردستان للاسراع في اسقاط نظامه.

كان الثوار يشعرون بأن لديهم القوة الكافية للسيطرة على جميع المدن الكبيرة في كوردستان بالاصح كركوك والسليمانيه واربيل، كما ان دعم سكان تلك المدن يسهل السيطرة عليها. لكنهم لم يقدموا على هذه الخطوة الهامة لتفادي قصف هذه المدن التي لا تملك وسائل الدفاع عن نفسها، إضافة ان مراكز هذه المدن كانت تزود الثوار بالمواد الغذائية والمال والعتاد.

«عملياً» في ما يخص هذا الجانب قال لي جلال الطالباني وهو واحد من القادة الرئيسيين للثوار: «الطريق مفتوح أمامنا إلى معظم المدن الكبيرة» ولكي يؤكد صحة ما يقول أخذني معه إلى مدينته الاصلية كويسنجق حيث ترابط فيها حامية عسكرية من الجيش العراقي. دخوله كان مفاجئاً، اتسمت بالانتصار.

فضى خلال دقائق خرج نصف سكان المدينة البالغ عددها 15000 نسمة إلى الطرقات للترحيب به. نساء واطفال وشيوخ وكل الشباب التفوا حول سيارة الجيب التي تقلنا إلى ان وصلنا إلى مقرّ الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وبدأ خط متواصل مثير من الشخصيات المحلية يتوافدون للترحيب وتقبييل زعيمهم. لم نشهد جندياً عراقياً واحداً.. ولدهشتي همس رئيس البلدية في أذني «بحلول الليل، نمنع القوات النظامية من الخروج من معسكرهم... وهذا من مصلحتهم...»

البطريق الثوري. جريدة لموند 13/4/1963

وكتب الصحفى الفرنسى اريك رولو بصدد لقائه بملا مصطفى:

"على بعد 20 كيلومتراً من سرسيان، شمال شرقي كركوك، التقيت لأول مرة بالجنرال بارزاني. لم يشك أي انسان بوجوده في الأماكن المجاورة، لكن عند اقترابنا من سرسيان شعرنا باننا ندخل في العالم المغلق للزعيم القومي.

مئات من الرجال المدججين بالسلاح على حافة نهرساخب وكان علينا عبوره فيما بعد لكي نصل الى "قديس القديسين". البعض منهم منهمك في افراغ حمولة ثقيلة من سيارات جيب مصطفة واحدة تلو الاخرى على حافة النهر. والبعض الآخر المؤلف من عدة مجموعات يتحدثون بصوت منخفض وهم يوجهون نظراتهم الفضولية او المريبة نحو الغريب الذي وصل لتوه. اقترب أحدهم مني مفصحا عن هويته كموظف في سلك الأمن الكوردي، وسجل اسمي وعنواني في دفتر جيب قبل الترحيب بي. وبصحبة نوري شاويس المهندس المعماري السابق في بغداد وعضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، عبرنا النهرسوية بواسطة معدية وصعدنا جناح الهضبة وصولاً الى حيث تقع ضاحية سرسيان.

(.....)

وليس ببعيد عنا، تجري عملية غريبة. حوالى مائة من الرجال تعلق أكتافهم الأسلحة الاوتوماتيكية، كل خمسة منهم يسيرون ببطء وبخطوات متزنة. في المقدمة بحوالي عشرة خطوات رجل - وحيد - يبدو صغيراً نسبة الى العكازة التي يتكئ عليها يمشي باستقامة وبلامبالاة، اجتازنا دون ان يلتفت نحونا. مرافقي همس في اذني " انه ملا مصطفى " وبعد تردد اضاف: أعتقد انه من الافضل ان لانزعجه أثناء مشيته اليومية" وكان اول لقاء لي مع القائد الكوردي أثناء العشاء في تلك الامسية.

ما ان يدخل أحدهم الى غرفة ملا مصطفى، حتى ينهض من فرشته المبسوط على الارض لاستقبال الزائر على الطريقة التقليدية. انه قصير وبدين لكنه يعطى انطباعاً بالقوة رغم سنه البالغ ستين عاماً. وحفرت وجهه الجبلي الخشن نديبتان عميقتان مثل الاخاديد، ينضب بالصحة، وحاجبيه الكثيفان يعرزان من نظراته القاتمة. شارب أسود قصير يغطي شفته العليا (جميع الانصار الذين صادفتهم يربون نفس النوع من الشوارب) وذقنه الصارم حليق تماماً.

مدّ الجنرال بارزاني يده الخشنة ذي الاصابع القصيرة والمليئة التي ودعاني الى الجلوس على مقربة منه جلسة متربعة، بينما الخدم يصبون الشاي. راقبني بشكل مطول وبهدوء، وانا أستغل الفرصة لالقي نظرة دائريه على الغرفة....."

وبعد ان يصف بشكل مفصل عما شاهده في الغرفة والجو العام المحيط بملا مصطفى من حراسة مشددة لسلامته وقراءة البرقيات الواردة ولفه للسيكاره على الطريقة الكوردية المعروفة. يتناول

الصحفي الفرنسي شبيئاً عن ماضي ملا مصطفى يبدو انه سمعها من الآخرين وهم قدموا له معلومات غير دقيقة، ثم يقول:

«ان الشيء الذي يصدم لأول وهلة بخصوص "ملا مصطفى" هو سلوكه المترفع عن جميع اولئك الذين يقتربون منه. فهو "رئيس القوم" بالمعنى العشائري للكلمة وحيث لاتناقش سلطته النابعة من التجمعات الشعبية.

فهو لا يختلط الا نادراً برجاله وأندر ان يواجه اليهم الكلام. ويقضي معظم وقته داخل غرفته حيث يلتقي بعدد محدود من مختلف المساعدين وعلى عجل. ولأسباب أمنية ينقل مقره العام من موقع الى آخر كل يومين او ثلاثة. فهو يرحل بشكل عام قبل الفجر على ظهر حصان مصحوباً بحرسه الخاص. كتبية من مقاتليه مع حوالي خمسين سيارة جيب ولاندروفر تتابع السير في طريق مختلف لتلتقي به في موقع آخر. حركاته تصان بأقصى درجة من السرية، وعند مروره بقرية ليس هناك من ينتظر لتحيته او التصفيق له.

«بلا شك من اصعب الامور جعله يتكلم عن حياته الصاخبة، اذ بقيت ثغرات في حياته لايزال الظل يكتنفها. لقد اقتضى الامر العودة عدة مرات حتى يستذكر في احدى الامسيات صباه ومعاركه ومفاوضاته المتعددة وهروبه إلى الاتحاد السوفيتي والخصومة مع الجنرال قاسم بعد عودته في خريف عام 1958 إلى العراق.

الجنرال بارزاني كتوم فيما يخص اقامته في الاتحاد السوفيتي... المقربون منه يؤكدون انه اصيب بخيبة أمل كبيرة من رفض ستالين تزويده حتى بالقليل من الدعم لمشاريعه في استعادة كوردستان. وعندما واجه السؤال بهذا الشأن، ابتسم الزعيم القومي ابتسامة غامضة وقال: لم يعدنا الروس بشيء ونحن لم نطلب منهم شيئاً....»

ملا مصطفى وفيّ لقيم العشائر الجبلية مثل الشرف والسخاء، قال: «أعود وأؤكد مرة اخرى سوف لن انسئ ابداً الموقف الانساني الذي ابداه الاتحاد السوفيتي بمنحنا اللجوء السياسي...»
واصرّ البارزاني على ان الكورد حريصون على صداقة جميع الدول واتخاذ موقف الحياد وليس لدينا الرغبة او الامكانيه للدخول في حلبة الصراع بين الشرق والغرب....

وبعدها وجه نقداً عنيفاً للإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية: «انهم لم يرفعوا اصبعاً واحداً لنجدة الشعب الكوردي او الدفاع عنه ضد سياسة الابادة التي اتبعها الجنرال قاسم، عندما يفترس الذئب الحمل ولا تتدخل، فهذا يعني المساهمة عملياً في قتل الحمل».

ثم تابع حديثه: لقد زود الروس الجيش العراقي بالاسلحة الفتاكة وزادوا في الاشهر الاخيرة تزويد نظام قاسم بالاسلحة. الامريكان والامم المتحدة مثل السوفيت اظهروا انهم لا يهتمون بالمبادئ العظيمة كالحرية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها.

ان الموضوع الذي يجب التحدث فيه بكثير من المداراة هو موضوع الحزب الديمقراطي الكوردستاني والذي شكله الجنرال بارزاني في عام 1946. لكنه اليوم ينكر حتى وجوده. في الواقع ان الزائر الاجنبي المارّ بكوردستان يصاب بذهول اذ يكتشف بسرعة ان ازمة جدية تسود العلاقة بين الحزب ورئيسه إلى درجة يعترى الاخير الغضب كلما ذكر امامه اسم P.D.K.

إنّ القيم التقليدية متأصلة فيه، وقد دخل الجنرال بارزاني في مواجهة مع «القيادة الجماعية» العصرية والراديكالية للحزب الديمقراطي الكوردستاني. في الواقع انه قطع كل صلة بالحزب. «لم اكن ولن اكون رئيساً لهذا الحزب المزعوم والذي كان سبباً في الحاق الاذى بالقضية الثورية اكثر مما خدمها» قال ذلك بشكل اتسم بالغیظ والاشمئزاز الصبباني إلى حد ما... في نهاية النزاع، قال، سوف أعود إلى قريتي لرعى الغنم، انا لست غير خادم الشعب الكوردی ولا أبحث عن السلطة او الشهرة..»

وعندما حاولت معرفة آرائه حول المسائل الاقتصادية والاجتماعية، يجيب ملا مصطفى والذي لم يحصل سوى على ثقافة بدائية، أجاب بسخرية فيها من المرارة. «يقال عنى اننى لست مثقفاً بما فيه الكفاية لفهم هذه المسائل المستعصية: لذا استفسر من هؤلاء العارفين سياسى الكهوف الذين تعرفهم....»

وكان الصحفي الفرنسي قد التقى بإبراهيم أحمد قبل الالتقاء بملا مصطفى في كهف اتخذه ابراهيم احمد مقراً له.

سياسي الكهوف

«ان كان الجنرال مصطفى البارزاني رأس الانتفاضة، فإن الحزب الديمقراطي الكوردستاني يشكل روحها. فمن مجموع المقاتلين 75 ٪ منهم هم اعضاء في الحزب وما تبقى من المقاتلين هم انصار الحزب. فالوظائف القيادية للجيش الثوري كلها في أيدي «أخصائيين» من أعضاء حدك، فشبكاته وخطاياه تشمل البلاد مثل شبكة متماسكة الخيوط.

«البارتي» كما يلفظه أعضائه بنبرة عاطفية، يشكل المركز الاساس للتمرد، فهو يحشد الجماهير بالمعنى الكامل للكلمة بغية تكثيف جهود الحرب، يطبع ويوزع الصحيفة خه بات في «الأراضي المحررة» و في جنوب العراق سراً، ويضمن المؤونة للسكان الذين يعيشون تحت الحصار الاقتصادي لحكومة بغداد، ويملك جهاز مخابرات ويدير منظمة اراهابية في المدن واجبها القضاء على «الخونة» ومهام التخريب، الخ.

تشرف مجموعة مؤلفة من خمسة أشخاص، هم من أعضاء المكتب السياسي، على جميع الأنشطة. يتولى اربعة منهم وظائف اخرى متنوعة، عسكرية وادارية، بينما الخامس منهم يركز على الشؤون الحزبية. ونعني به السيد «ابراهيم أحمد» السكرتير العام ل حدك.

«.....» مثقف رشيق" السيد ابراهيم أحمد محاط بالكتب.....يبلغ من العمر 55 عاماً.....يتكلم بفصاحة وبصوت متناغم واضح لا يخلو من العاطفة التي تنعكس في عينين ذكيتين وهادى جداً، وكأنه يلقي بموهبة عالية محاضرات لانتضب داخل خيمة قائد في معسكر روماني قديم". ويتناول الصحفي الفرنسي في مقالته عن منجزات السكرتير العام ل (حدك) كما ذكره الأخير، ويشير الى ماكتبه حول العلاقات العربية الكوردية حيث قدم بسببها الى المحاكمة، وكان يطبع الدورية «Gelawej» حتى عام 1949، وهو العام الذي سجن بتهمة انتمائه للشيوعية — مع ان

الشيوعيون كانوا يعتبرونه "يمينياً". ورغم عقوبة ثلاث سنوات قضاها في السجن، إلا أن ذلك لم يمنعه من النشاط السري في حدك، وقد أصبح سكرتيراً له عام 1952. وعن موقف إبراهيم أحمد من انقلاب قاسم عام 1958 يذكر ما يلي:

"كان واضحاً لنا - أضاف إبراهيم أحمد - من أن الانقلابيين سوف لن يتأخروا من اخراج العراق من حلف بغداد، بالنسبة لنا كان تحطيم هذا الحلف المعادي للكورد أمراً جوهرياً، وكان يجمع آنذاك بغداد وانقرة وطهران".

ومقابل التأييد الثمين من القوميون الكورد، لبي قاسم مطالب حدك، فأطلق سراح المئات من السجناء الذين اعتقلوا في عهد نوري السعيد وأجاز عودة ملا مصطفى واللجائين الآخرين من الاتحاد السوفيتي إلى العراق، وقبل ادخال مادة في الدستور يعترف بمساواة الشعبين الكوردي والعربي في الحقوق، كانت هذه المادة قد صيغت سراً من قبل جميع الأطراف من شيوعيين وحتى من القوميون المحافظين".

لم يستمر شهر العسل طويلاً بين (حدك) والجنرال قاسم، فالدكتاتور السابق لم يعترف بوضوح بوجود الأمة الكوردية. فبعد استخدام الشيوعيين والكورد للقضاء على تمرد الكولونيل شواف في الموصل، هاجم اليسار المتطرف وقام بإجراءات ضد أعضاء (حدك) ووضع الجنرال بارزاني تحت الرقابة وأثار نزاعات مسلحة بين القبائل الكوردية وأمر باعتقال إبراهيم أحمد بتهمة كان هو بريئاً منها وثم، في النهاية، منع (حدك) من النشاط.

وبعد عدة أسابيع من التردد، في شهر ديسمبر عام 1961 قرر رسمياً تولي قيادة الانتصار من الفلاحين الذين شكلوا المقاومة في شمال العراق لمقاومة ظلم الجنرال قاسم. وذكر السيد أحمد: "أن هذا القرار شكل نقطة انعطاف أساسية لحدك، إذ استطاع خلال 18 شهراً من النضال العسكري تجاوز الحزب الشيوعي في جميع أنحاء كوردستان - عدا - في عدد من المدن الكوردية الكبيرة حيث احتفظ اليسار المتطرف بمجموعة من الانتصار في أوساط المثقفين والعمال.

افتح ياسمسم

السيد إبراهيم أحمد فخور بحصيلة منجزاته خلال خمسة عشر سنة من الجهد المتواصل للقضاء على نفوذ الحزب الشيوعي في الوسط الكوردي. خلال السنوات الست الأولى من تأسيسه، أردف يقول: "أعتبر (حدك) كـ "مشتل" لأعداد كوادر الحزب الشيوعي، فمعظم رفاقنا الذين أصيبوا بالخيبة بسبب غياب أيديولوجية منسجمة، كانوا يتركوننا وينضموا إلى الحزب الشيوعي. وأضاف إبراهيم أحمد: "أنه وضع حداً لهذا النزيف مباشرة بعد انتخابه سكرتيراً للحزب. "كانت خطتي بسيطة كإسالة ماعمله كريستوف كولمبس ليثبت بيضة. فقد أعلنت أن حزينا يهتدي بالماركسية اللينينية. كان لهذه الكلمات فعل السحر مثل "أفتح ياسمسم" لـ علي بابا، فأُنفِثت لنا أبواب عالم الشباب الكوردي، والذين كانوا في ذلك الوقت مفتونين بالشيوعية. اتهمنا الرجعيون في كوننا عملاء الكرملين. لكن الشيوعيين لم ينخدعوا فقد وصفونا بـ "عملاء استفزازيين" وطلبوا منا في شهر

سبتمبر 1959 حذف الاشارة الى الماركسية اللينينية من برنامجنا، وان هذا الشعار "وقف" على الطبقة العاملة. ومنذ عام 1952 لم يلتحق أي من أعضائنا بالحزب الشيوعي العراقي، انما على العكس خسر (ح.ش.ع) بانضمام مؤيديه الى حزينا .

وأصر ابراهيم احمد على انه: "لم يكن في نيتنا ابدأ العمل ضد الشيوعية" وانما الخلافات السياسية والتكتيكية فقط هي التي تفصلهم عن الحزب الشيوعي. في الواقع، كان الحزب الشيوعي قد أيد منذ وقت طويل المطالب القومية الكردية. فابتداءً من شهر شباط/فبراير من عام 1945 أعلنت الصحيفة الكردية - لسان حال الحزب الشيوعي - نازادي - تأييدها لحق تقرير المصير للأمة الكردية.

كون الامة الكردية مقسمة بين العراق وايران وتركيا، فكان تصور الحزب الشيوعي ان للحركة القومية الكردية منحيين: احدهما تمثل البروليتاريا وحزبها الشيوعي والثاني يتمثل في البرجوازية الوطنية الكردية متمثلة في حدك. وفي نشرات مختلفة انتقد ح.ش. (حدك) لـ "نظرتة القومية الضيقة"، و"أساليبه الطائفية الخاطئة"، و"منحاه الشوفيني" أحياناً .

ظهر الخلاف بين التشكيلين بصدد التمرد الحالي في كردستان وهل هو صحيح إذ عارضه أقصى اليسار. فالحزب الشيوعي يدعم المطالب الكردية في الحكم الذاتي في اطار الجمهورية العراقية، لكنه يعارض استخدام (حدك) للسلاح لتحقيق أهدافه. فالى جانب نضال الحركة الديمقراطية العراقية ضد السلطة الفردية للجنرال قاسم، يقترح الحزب الشيوعي، كبديل للتمرد المسلح، تشكيل "تجمع شعبي سلمي واسع مبني علي النضال المشترك بين الشعبين العربي والكوردي".

في الواقع يتجاوز الخلاف الإطار التكتيكي، فبالنسبة للقوميين الكورد، نظام بغداد غير مقبول البتة عندهم ويجب القضاء عليه بكل الوسائل. أما الشيوعيون فهم على العكس، فمع تنديدهم بدكتاتورية الجنرال قاسم، كانوا يعتقدون انه "ينفذ سياسة معادية للامبريالية". ولعدم توفر القدرة على توفير ضمان بديل للحكم والخوف من استلام الحكم من قبل الاعداء الالاء "البعثيين" فقد خشي الشيوعيون من ان يساهم التمرد الكوردي في اسقاط النظام قبل ايجاد البديل المرغوب مثل "تشكيل جبهة شعبية".

في كل الاحوال يرفض (حدك) أي تحالف ثنائي مع أقصى اليسار لو منحتنا بغداد الحكم الذاتي الذي نطلبه، أضاف ابراهيم احمد، فسوف لن نسمح للحزب الشيوعي استخدام كردستان كقاعدة تخريب ضد النظام العراقي الجديد".

لكن برنامجكم يتضمن اعلاناً تؤكدون فيه انكم مع حرية العمل لجميع التشكيلات، بما فيه الحزب الشيوعي

هل عرفت حزياً سياسياً واحداً وصل الى الحكم نتيجة صراع مسلح، سمح بنشاط حزب منافس له؟ " . سألني السكرتير العام لـ (حدك) بابتسامة ساخرة، مضيفاً: " في الواقع، نحن من انصار إيجاد الديمقراطية الموجهة، بالتأكيد لن تكون أقل شعبية من تلك التي تمارس في البلدان الشيوعية....."

بعد نيل الحكم الذاتي، سيكون من اولى مهام الحزب، قال ابراهيم احمد: "حل مشكلة الارض. ومن اجل تفادي كل النزاعات الطبقية أثناء الانتفاضة، ورغم كراهية (حدك) للاقطاع ورغبته في القيام باصلاح زراعي راديكالي". قرر الحفاظ على الحالة الراهنة الى ان يجري استفتاء على هذا الموضوع. "لا أخفي شيئاً، أضاف الزعيم الكوردي: "نحن نخشى من حماس الفلاحين. بالتأكيد نحن لم نعدمهم بشيء واضح المعالم، لكن كان لأثر كلمة الاوتونومي عندهم أن تخيلوا جنة على الأرض، ونحن لسنا في وضع يمكننا تحقيق مايتوقعونه منا حتى بعد عدة أعوام".

ان مستقبل العلاقة مع الجنرال البارزاني يشكل قلقاً رئيسياً لعدد من قادة حدك، إذ تراوهم الشكوك في ميله نحو "الأغوات والملاكين الإقطاعيين الكبار" وينتقدونه لكونه يعتبر نفسه الممثل الوحيد للشعب الكوردي".

اولئك الذين تسنى لهم محاوراة الاثنين، الجنرال البارزاني والسيد ابراهيم احمد أحسوا بنفور عميق يفصل بين الرجلين، فالانتماء الاجتماعي والثقافي والاخلاقي يجعل أحدهما نقيض الآخر. الاثنان دون شك سيتجنبون اللجوء الى القوة مادامت الانتفاضة مستمرة. لكن هناك مخاوف من ان عودة السلام الى كردستان قد يكون بداية لنزاع سياسي آخر في قلب الحركة القومية بالذات لايعرف عواقبها، فالجنرال بارزاني له احترام هائل في البلاد ونفس الشيء بالنسبة لحدك، اذ له تأثير هائل على الجماهير، وأي طلاق بين الحزب ورئيسه ينذر بحلول مرحلة عدم استقرار خطيرة".

بدعوة من الحكومة العراقية الجديدة وصل الى العاصمة بغداد الصحفي الفرنسي أريك رولومراسل اليومية (لوموند) وهيأت له السلطات وسائل السفر الى كردستان ليشاهد بأم عينيه عودة الامور الى مجاريها الطبيعية! لكن الواقع الذي يشاهده الصحفي مغاير للتمنيات الرسمية.

وكتب المراسل الخاص في اليومية الفرنسية (لوموند) في 7 تموز 1964:

استراحة قصيرة في كردستان العراق

الثقة على المحك

رائيه. تموز. نحف ملا مصطفى البارزاني. قسماات وجهه تتم عن التعب وتحيط بعينيه هالة زرقاء، إنه فريسة لغضب بارد: "سأغادر العراق نهائياً، لم أعد أتحمل" كثر ذلك بصوت خشن وبنبرة هادئة لكن بتصميم. وكعادته نطق بوضوح كل كلمة تفوه بها. رؤساء العشائر، الأغوات (ملاكي الأراضي) البيشمركة (الأنصار) جالسون حوله يصغون الى كلامه بصمت عميق وأعينهم مطرقة نحوالأرض احتراماً لزعيمهم.

(.....)

ليس للحكومة العراقية حظ، فقد وجهت دعوة الى مراسل لوموند الخاص للمجيء الى كوردستان لكي يقف شاهداً على ان كل شيء قد عاد الى مجراه الطبيعي - سيارة وطائرة ذات مروحتين Dove ومروحية وضعت في الخدمة لسفره الى منطقة لاتزال "بدائية" ومجردة من وسائل الاتصال المناسبة. أعلن له الوزير العراقي للشؤون الخارجية السيد صبحي عبد الحميد: سوف يقول لكم ملا مصطفى مثلاً قلنا نحن، انه تم تسوية المسألة الكوردية". محافظ السليمانية الجنرال محمود عبد الرزاق - الذي فاوض اتفاقية وقف إطلاق النار، وضع امامه مجموعة كبيرة من الوثائق تثبت في الواقع ان الجنرال بارزاني انضم كلية الى الحكومة المركزية. وهاهو لدى اول اتصال بالصحفي (الملا) يشن حملة عنيفة ضد السلطة وان لديها نوايا خبيثة ويؤكد " لم يؤد إتفاق وقف إطلاق النار الى أي تسوية".

صحيح ان الحظ ساهم في إثارة انفجار هذا المزاج السيء. إذ قبل هبوط مروحتنا في رانية بدقائق، كانت إمراة قد أتت من قرية مجاورة رامية نفسها على قدمي البارزاني منتحبة ملوحة بقطعة قماش مبلله بالدم، إنها الوحيد قتل خنقاً لتوه من قبل "جاش" من الهركية الكورد. لم تكن هنالك حاجة لأكثر من هذا كي يثور غضب الزعيم الكوردي والذي كان ينتقد الحكومة في كونها خرقت التزاماتها خلافاً لما اتفق عليه شفهيّاً، كما ذكره لنا. فيغداد لم تحل الوحدات الاضافية ولم تسحب قواتها من مواقع القتال، آلاف الكورد يقبعون في المعتقلات والموظفون الملتحقون بالثورة والمتعاطفون مع الحركة الثورية لم يعودوا الى وظائفهم.

وعلى رغم بعض الإيماءات السخية الساذجة والتي هي ثمرة أخلاقه القبلية، فالجنرال بارزاني لا يثق في العمق، اذ لم يعرف خلال نصف القرن الأخير غير الإخفاقات وخيبات الأمل. فجميع محاولات الحصول على وضع خاص لشعبه انتهت الى الإخفاق إما عن طريق القوة او الحيلة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة، سواء في العهد الملكي او الجمهوري. فالجنرال قاسم خرق كل الوعود بصلافة عندما شن حرباً ضد اولئك الذين يطالبون باحترام الدستور، الأساس "لشراكة" فعلية بين الشعبين العربي والكوردي في العراق. البعثيين الذين جاؤوا بعد الدكتاتور المخلوع اعترفوا بشكل رزين في 9 مارس 1963 بـ "الحقوق القومية للشعب الكوردي على أساس اللامركزية" وذلك قبل شنه العمليات العسكرية بثلاث أشهر ضد "عصابات البارزانيين".

(.)
ما أن ندخل كوردستان حتى يأخذ بلبنا آثار الخراب الواضح. فجميع القرى المحاذية للطريق الرئيسي المؤدي الى السليمانية ، قصفتها الطائرات وأحرقتها قنابل النابالم وتحولت الى رماد، لكن سرعان ماتعود الحياة رغم الدمار وتظهر من جديد المنازل على سواد الارض التي احرقتها النيران، تجدها متناثرة هنا وهناك "أكواخ" أقامها الناجون، خشنة ومسندة بأعمدة من جذوع الشجروسقوفها مغطاه بالأغصان .

أرادت الحكومة البعثية السابقة أن تكون أكثر "كفاءة" من الجنرال قاسم في تحقيق "الحل النهائي" للمشكلة الكوردية. فهدمت حوالي 3000 قرية كوردية في ظرف خمسة أشهر- وتم ترحيل سكان مئات القرى الكوردية نحو مناطق تسكنها غالبية عربية.

ومارسوا قسوة أشد في المدن الكوردية. ففي ليلتي 9 - 10 حزيران 1963 بعد ساعات من بدء شن

عدوان حكومة بغداد، قتل من أهالي السليمانية - وهي مدينة هامة في ميدان المقاومة الوطنية الكوردية - مئة وست وسبعون من رجال ونساء وأطفال برصاصه في الرقبة . وقبلها كانوا قد أرغموهم على حفر مقبرة جماعية قبروا فيها فيما بعد . وأُغتيل في اليوم التالي مئة شخص آخر من أهالي نفس المدينة من قبل مليشيات البعث. وفي نفس اليوم، في مدينة كركوك واربيل وأماكن أخرى أزيلت أحياء كاملة بذريعة "إختفاء المشاغبيين" فيها كما هدمت آلاف المنازل باستخدام البلدوزرات الضخمة....

وفي مدينة كويسنجق، مسقط رأس جلال الطالباني، وهو واحد من ألمع القادة في الثورة الكوردية، عبت بها الجنود والقوات غير النظامية. أحرقوا وهدموا منزل والده، وهو عبارة عن منزل ريفي رائع على الطراز القديم، وكنت قد التقيت به العام الماضي في مناسبة، والرجل العجوز لم يتدخل في السياسة أبداً. انه رجل متعلم ومسلم ملتزم، حدثنا بشكل مطول عن ضرورة التآخي بين البشر، لقد فقد كل ما كان يملكه وهو الآن مشرد مع أقربائه في قرية على مقربة من رانية.

لقد أبقوا الشعب العراقي يعيش في جهل لا يعرف شيئاً عن هذه المذابح. ومن المحتمل انه كان يرفضها. سألنا العديد من العرب ذوي الانتماءات والأحزاب المختلفة في البلاد، لا احد منهم عبّر عن ضرورة هذه الحرب ضد الأكراد، الجميع نددوا بالحرب التي دارت رحاها في الشمال. لكن بوضوح كانت نزعة الشوفينية المتشددة ميزة مؤسفة لعدد من القادة الرسميين.

ما أن إستلمت الحكومة الجديدة السلطة في شهر ديسمبر الماضي، حتى وضعت نصب عينيتها هدف إنهاء الحرب التي لايسنها الشعب اطلاقاً. فالحرب وصلت الى طريق مسدود، وارتفع ثمن العمليات العسكرية الى حجم كبير - والتي أبقت في الشمال أكثر من خمسين ألفاً من الجنود بلا حراك - ومانجم عنها من تقليص في الخدمات العامة والخاصة أدت الى شلل في إقتصاد البلاد. كما ان مستوى معيشة السكان كان يتدهور باستمرار وقد انعكس كل ذلك بأشكال مختلفة في الرغبة في عودة السلام.

يبدو ان تعباً مماثلاً يسود جانب الثوار الأكراد، هذا هو على الأقل رأي الجنرال بارزاني، ففي معرض تبريره لإتفاق وقف اطلاق النار الذي تفاوض بشأنه، ذكر لنا: اننا نواجه القاصفات والدبابات ومدرعات الجيش العراقي، ولايجوز نسيان اننا وبعكس جبهة التحرير الجزائرية على سبيل المثال .. اننا نخوض صراعاً غير مسند من الخارج. ويقف ضدنا ليس فقط جيش حكومة بغداد انما أيضاً القوات التركية والایرانية. يعتقد الاميركان والانكليز انهم يدافعون عن مصالحهم النفطية والاستراتيجية بدعمهم للسلطات العراقية. والجنرال ديفول لم يصغ لمناشداتنا. والروس تخلوا عنا لنواجه مصيرنا، والصداقة التي يعبر عنها عموماً في الصحافة العالمية تجاهنا ليس لها فائدة اطلاقاً. "

وحسب مآذره البارزاني أن الوضع الغذائي في المناطق التي يتواجد فيها الانصار أصبح صعباً. وأضاف يؤكد: "لقد أحرق البعثيون محاصيلنا بالنابالم.

" ويتوجب علينا إضافةً، اطعام الآلاف من اللاجئيين الهاربين من عمليات الاضطهاد . بالتأكيد كنا قد قررنا خوض الصراع حتى النهاية، لكن عندما عبر المارشال عارف عن التزامه بالاعتراف بالحقوق القومية للأكراد، وعندما عبر الرئيس عبدالناصر عن تعاطفه التام معنا قررنا وضع نوايا خصومنا من جديد على المحك."

يبدو ان قرار الجنرال بارزاني - الذي اتخذه على مسؤوليته وحده - أثار فوراً أزمة خطيرة في قلب الحركة القومية الكوردية. فقيادة الحزب الديمقراطي - والتي تتمتع بنفوذ جماهيري قوي - رفضت بادئ ذي بدء تصديق هذا "الاستسلام" . وقامت بتوزيع نشرات، تعلن فيها ان وقف اطلاق النار لايمكن الا ان يكون ثمرة اتفاق سياسي يحتوي على ضمانات قوية. فبعد كل التضحيات خلال النضال، أضاف الاعلان، أن الشعب الكوردي ليس أبداً على استعداد لالقاء السلاح بناءً على وعود شفوية. وندد قادة الحزب الديمقراطي بالنزعة الانهزامية لـ " المستسلمين اليمينيين " والذين كانوا يشكّون في تطور الحركة الشعبية، وفضلوا التوصل الى مساومة مع "الرجعية".

الجنرال بارزاني، ذي العقلية البطريركية Patriarcale متعود على الطاعة المطلقة له، قام - حسب قول قادة الحزب الديمقراطي - بنوع من "الانقلاب " فاستولى بمساعدة الضباط المواليين له، على مراكز القيادات العسكرية والذين كانوا يريدون متابعة الصراع المسلح، وذهب الى حد توقيف عشرين شخصاً من الحزبيين ضمنهم اثنان من أعضاء اللجنة المركزية للحزب وهدفه كان تقليص نفوذ الحزب على الجماهير. وثم - ربما عن قناعة شخصية - قام بحل "لجان الفلاحين" المنتخبة في القرى وألغى اجراءات الاصلاح الزراعي في عدد من المناطق "المحررة".

الحزب الديمقراطي الكوردستاني فضل عدم الدخول في استخدام القوة مع رئيسه . " كنا نعلم، قالها أحد أعضاء المكتب السياسي، إن المستقبل سيكشف أننا على حق، ولهذا لاداعي لتحمل مسؤولية كبيرة لحرب أهلية؟ "

في يوم وصولنا الى مدينة رانية في بداية شهر حزيران بدا الجنرال بارزاني عميق الخيبة للثمار الذي اقتطفها من مساومته مع الحكومة. وحصل لديه انطباع بأن الأخيرة حاولت استغلال المصاعب الداخلية للحركة القومية الكوردية لصالحها، وفي الوقت نفسه ينتظر زيارة رئيس المجلس العراقي الجنرال طاهر يحيى للبدء معه بالمفاوضات منذ وقف اطلاق النار. قال الزعيم الكوردي سوف يكون موقف المسؤولين الحكوميين بمثابة "اختبار" حاسم يقرر اما الحرب او السلام في البلاد .

المقالة الثانية: استراحة قصيرة في كوردستان

وكتب المراسل الخاص اريك رولو في اليومية الفرنسية (لوموند) في 8 تموز 1964:

سلام غير مؤكد

رانية... تموز - عشرون سيارة لاندروفر تتقدم واحدة اثر اخرى على طريق محصى مثيرة غيوماً من الغبار الكثيف. الأنصار الكورد محشورون داخل السيارات وهم يمسكون بصعوبة ببنادقهم واسلحتهم الاوتوماتيكية نتيجة القفزات العديدة المفاجئة لسياراتهم. لا يبدو عليهم أي اهتمام بروعة الطبيعة المائلة أمام أعينهم من حقول ومروج واسعة وجنان مفروشة بالأزهار البرية ذات الألوان الزاهية، وتتراى خلفها المنحدرات الحادة من الجبال وقممها المتوجة بالثلوج. القافلة تتقدم من رانية، حيث المقرالعالم للثوار الأكراد متجهة نحو خلكان (على طريق السليمانية) حيث من المفروض إجراء الاتصالات الأولية مع وفد عراقي هام يرأسه رئيس المجلس الجنرال طاهر يحيى. ملا مصطفى البارزاني كعادته صامت، يبدو قلقاً. بالأمس كانت تصريحات الزعيم الكوردي توحى بعدم التفاؤل حول امكانية الوصول الى اتفاق. أما اليوم فهو يقول لنا: "ان الجنرال طاهر يحيى رجل منطقي، لكن هل يدرك الحاجة الملحة في كوردستان للتوصل الى حل؟"

أراد الجنرال بارزاني ان يكون الوفد الكوردي ممثلاً بشكل واسع. فبرفقته مساعده الميداني الكولونيل عزيز عزاوي، انه ضابط قديم في الجيش العراقي ملتحق الآن بالثوار، وبرفقته أيضاً عدد من المستشارين السياسيين، رؤساء ووجهاء العشائر، أغوات وقادة في الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لقد أراد حضورهم رغم انه أفسد معهم العلاقات، الجميع ضمن حاشيته.

الشيخ لطيف، ابن الشيخ محمود المشهور، والذي كان على رأس الانتفاضة في أعوام العشرينات، محاط بحراسه وأنصاره، يبدو على ملامح وجهه ألماً شديداً متواصلاً في أسنانه، فالرجل العجوز منذ أشهر لم يراجع طبيب أسنان للمعالجة، اذ يعتقد ان وجوده في الانتفاضة امر لا يستغنى عنه، والى جانبه، السيد صالح اليوسفي، ممثل القوميين الكورد في بغداد، طويل ونحيف شاحب وكأنه جثة، نظراته تعكس حزناً عميقاً، كان قد اعتقل في شهر حزيران الماضي أثناء قيادته للوفد الكوردي في المفاوضات مع الحكومة البعثية، وتعرض الى صنوف من التعذيب لاتزال واضحة عليه. يؤكد بعض الشهود ان الجلادين أنفسهم لم يضبطوا دموعهم أمام معاناته من التعذيب والتي تحملها بشجاعة.

حوار وسط العشب

الحزب الديمقراطي الكوردستاني ممثل من قبل ثلاثة من أعضاء المكتب السياسي: القانوني ابراهيم احمد والمهندس علي عبدالله والمحامي جلال الطالباني. الجنرال بارزاني يوجه كلامه فقط للأخير، وبنبرة فظة، متعمداً تجاهل حضور الاثنين الآخرين.

تشكلت وحدة الصف الكوردي في مواجهة الخصم. وما ان وصلت طلائع الموتوسيكلات التي تسبق السيارة الرئاسية اصطف الزعماء الكورد على حافة الطريق مجتمعين لاستقبال الجنرال طاهر يحيى ومساعديه. وبعد انقضاء ساعة على الحوار العادي حول أكواب الشاي، أعلن الجنرال بارزاني

بصورة ظاهرة دعمه لقادة الحزب الديمقراطي، مشيراً إليهم باليد قائلاً لنظرائه العرب "الآن ايها السادة، حان وقت البدء بالحوار مع ممثلي الشعب." وثم غادر المكان بينما الطرفان المتفاوضان افترشا العشب على حافة المرح بصورة عادية.

بشكل عام بدأ الحوار بمزاج مرح على العشب، لكنه لم يدم اذ تحول الى نقاش ساخن وتعالق النبرة. أولئك الذين وجدوا انفسهم على مقربة - بالاحص مراسل لوموند الخاص - لاحظ ان النقاش تحول الى حوار طرشان. فممثلوا الحكومة كلهم عسكريون عدا الدكتور اقبال فلوجي، مدير الصحافة في وزارة الخارجية. كان قلقهم الرئيسي بلا شك هو محو الآثار التي خلفتها الحرب، وكانوا على اعتقاد ان المشكلة السياسية الأساسية قد حلت بصورة نهائية.

هاجس الانفصال

يسعى أعضاء الوفد الكوردي دفع النقاش باتجاه الواقع الأساسي والحصول على تعريف دقيق لمفهوم "الإدارة الذاتية" والتي تضمن لهم صلاحيات التحكم في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في "كوردستان".

ما ان نطقت الكلمة حتى غضب الجنرال طاهر يحيى "شمال العراق" لايمكن تسميته تحت اسم "كوردستان" دون فتح الطريق نحو الانفصال. أشار السيد ابراهيم أحمد ان نفس الاسم مستعمل رسمياً في ايران ولم يؤد الى تمزيق المملكة البهلوية، وأضاف ان المعركة ليست معركة تسميات بل خلاف جوهرى حول مستقبل الاكراد في العراق، والذين يتوقون الى نظام ديمقراطي يسمح لهم بإيجاد مجلس تشريعي منتخب خلال الاقتراع السري وسلطة تنفيذية مختلفة عن الموجودة في بغداد.

قال الدكتور فلوجي بصدد نفس الموضوع: "بوضوح يريد الكورد الحصول على وضع يكفل لهم جميع امتيازات الاستقلال دون ان يلزموا انفسهم بما لايناسب". رئيس الوزراء كان أكثر تسامحاً، أعلن عن تأجيل المشكلة لحين انتخاب البرلمان العراقي والذي يفترض ان يجري انتخابه خلال 3 سنوات - أثار هذا شكوك الوفد الكوردي - استمر تبادل الآراء حتى الغروب دون التوصل الى تفاهم حول مبدأ "إدارة ذاتية"، كما لم يتفقوا على حل التشكيلات الحزبية والتي تريدها الحكومة: "حتى لو أردنا ذلك، قال جلال الطالباني، سوف لن يوافق الأنصار بحل الحزب الديمقراطي الكوردستاني". الجنرال هادي خماس مسؤول شعبة القيادة الثانية طلب تسليم الضباط الشيوعيين والتقدميين الذين التجأوا الى المتمردين أثناء عمليات القمع البعثية. أيضاً رفض القادة الكورد الطلب وأشاروا الى التزامهم "بتقاليد الضيافة لديهم" واقترحوا بالمقابل اعلان عفو عام في العراق واطلاق سراح جميع السجناء السياسيين. وثم جاء دور المتفاوضين العرب فرفضوا هذا الطلب قائلين ان اجراءً كهذا سيشتجع "العمليات التحريضية" للشيوعيين والبعثيين.

اتفاقات جزئية

لم تنته المفاوضات بشكل حاسم، فأعلن الجنرال طاهر يحيى معبراً عن امتنانه ومساعدته للجنرال بارزاني لحسن الضيافة، واستمر تبادل الآراء في رانية بعد انقضاء جزء هام من الليل. وفي صباح اليوم التالي انفصل الوفدان بعد الاتفاق على نقاط ثانوية نسبياً: حلّ المليشيات الكردية الحكومية (الجاش) والاسراع في ذلك. انسحاب الجيش العراقي من بعض المواقع الحساسة. تطوير الدراسة باللغة الكردية في المدارس المتوسطة، وحصل قادة الحزب الديمقراطي على قناعة جزئية بخصوص الدستور المؤقت، وهذا من غير ان يشير الى مطلب الاوتونومي، وسيضمن الاعتراف بوجود "الشعب" الكردي وضمان "ازدهاره جنباً الى جنب مع الشعب العربي" في العراق. الصيغة الاخيرة لاشك تهدف الى تهدئة المخاوف التي تثيرها الوحدة العربية التي لاتأخذ في الحسبان التطلعات القومية للأكراد.

هل المشكلة حلّت؟ المراسل الذي تحاور مع العديد من المسؤولين العرب والكورد مضطر الى الإجابة بالنفي. في الواقع يسود عدم تفاهم عميق بين الطرفين. ففي الجانب العراقي هناك معارضة للمطالب الكردية، سواء عن قناعة مخلصه أو متصنعة مفادها ان الاوتونومي الكردي سيقود لامحال الى انفصال شمال العراق.

ليس سهلاً لقومي عراقي - أياً كانت قناعاته الديمقراطية - القبول بفكرة ان دولته هي دولة مصنعة محكوم عليها بالتمزق في وقت قريب. عدد من الموظفين يعتقدون ان المصلحة الوطنية تقتضي الحفاظ على الوضع الراهن مع ادخال تحسينات عليه ان كان ضرورياً كسب تحالف الجنرال بارزاني وأصدقائه. وآخرون شوفينييون بما فيه الكفاية، يعرفون ان الأكراد ليس لديهم الارادة ولا الامكانات للانفصال عن الدولة العراقية. لكنهم مع ذلك يلوحون بالشعار للتخفيف وثم المناداة بـ "استخدام القوة". هؤلاء يصنفون الكورد الى صنفين ويسعون الى خلق الفرقة بينهم. بالنسبة لهم هناك "الجيدون" وهي العناصر القبلية التي يأملون التفاهم معها - وهناك "السيؤون" في الواقع ممن يعتبرونهم من "المحرضين" في الحزب الديمقراطي ويرغبون في القضاء عليهم.

الحرب لاتأتي بحلّ

في كل الأحوال، كلاهما لم يدرك حجم الثورة التي اندلعت في كوردستان. فالحزب الديمقراطي هو الأكثر تنظيمياً من الناحية السياسية والعسكرية، الأقوى في الشرق الأوسط. فقد نجح في تشكيل الكادر الجدي وفي تعبئة جماهير الفلاحين الذين يتطلعون الى أشياء أخرى غير الإصلاحات الطفيفة على المؤسسات. فالسكان في الأعوام الأخيرة عانوا الكثير من حرب لارحمة فيها وسوف لن يتخلوا عن مطالبهم التي يعتبرونها حيوية. ان النتائج الهزيلة التي نتجت عن مفاوضات رانية، قد تؤدي الى إستئناف القتال. في الواقع لا أحد من هذا الطرف أو ذلك يريد الدخول في خصام من جديد. فالحكومة تعاني من عدة مصاعب داخلية ذات طابع سياسي واقتصادي وتريد استقرار الوضع. أما الجنرال بارزاني وانصاره فهم يعتقدون سواء كانوا على صواب أو خطأ، ان عامل الوقت

هو في صالحهم.

الواقع الأكثر احتمالاً هو، ان المشكلة لن تحلّ بالحرب. فليس بمستطاع القوميون الكورد فرض ارادتهم على بغداد بقوة السلاح، كذلك ليس بمستطاع الحكومة العراقية اقلع الثوار من جبالهم. التفاهم وحده بين الممثلين الحقيقيين للشعبين قمين بتحقيق تسوية راسخة تضمن الحقوق الشرعية للأكراد ضمن الكيان العراقي. علاوة يقتضي أن تترسخ ديمقراطية حقيقية في البلاد . من الآن وحتى ذلك الوقت فإن السلام المسلح الحالي هو في الواقع مهزوز بقوة.

Eric Rouleau. Le Monde. 8 Juillet 1964.

الحرب البعثية الأولى على كوردستان 1963

لم يستسغ الغرب عموماً سياسات عبد الكريم قاسم وقضائه على النظام الملكي التابع لبريطانيا وبنائه علاقات صداقة مع الاتحاد السوفيتي، لكن العامل الأهم في قلق واشنطن كان بسبب تعاضم نفوذ الحزب الشيوعي العراقي وجماهيريته الواسعة. وعلى الرغم من تغيير موقف قاسم من الحزب الشيوعي العراقي ومن الأكراد، نهاية عام 1960، حيث أودع الشيوعيين في السجون والمعتقلات وبعدها شقّ حرباً دموية على كوردستان، إلا ان موقف لندن وواشنطن بقي معادياً لنظام قاسم.

كان صدام حسين شاباً عندما اشترك في محاولة اغتيال قاسم، وذكر Miles Copland وهو من موظفي الـ (C.I.A) انه بعد تبوأ قاسم الحكم احتفظت وكالة المخابرات المركزية بـ "صلات وثيقة جداً" مع حزب البعث.¹⁷⁶ وكان صدام حسين يستخدم شقة في شارع الرشيد ببغداد غير بعيدة عن وزارة الدفاع العراقية. ويقول عادل درويش مؤلف كتاب (Unholy Babylon: The Secret History of Saddam's War) ان وكالة الـ CIA كانت تتلقى المعلومات كاملة عن كل مايتعلق بعملية الاغتيال، وان حلقة الاتصال بين صدام و الـ CIA كان طبيب أسنان عراقي، يعمل لصالح المخابرات المصرية أيضاً. وبعد فشل محاولة اغتيال قاسم، تمكن صدام حسين من الهرب بمساعدة الـ CIA والأمن المصري.

وفي شباط من عام 1963، ساعدت وكالة الـ CIA على تخطيط انقلاب ضد قاسم و بغطاء من سفارة الولايات المتحدة، أعدم قاسم وأخذ الكولونيل عبدالسلام عارف مكانه. بدأ حكم البعث بحملة دموية شرسة ضد أعضاء الحزب الشيوعي، وقامت الـ CIA بتزويد نظام البعث بقوائم أسماء الشيوعيين وعناوينهم فلاقى الآلاف منهم ومن مؤيديهم مصرعهم.¹⁷⁷ وتدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفيتي إلى نقطة الصفر.

Russia & the Arabs. Yevgeny Primakov. A Member of the Perseus Books Group, 176
New York. P: 68

Russia & the Arabs. Yevgeny Primakov. A Member of the Perseus Books Group, 177
New York. P: 69

وبعد حملة الإبادة ضد الحزب الشيوعي العراقي وفرار الآلاف من أعضائه إلى كردستان، جاء دور الهجوم على شعب كردستان بتعاون الجيشين، العراقي والسوري، يقول عصمت شريف وانلي: "تم إقرار المساهمة العسكرية السورية دون شك اثناء الاجتماع الذي عقد في بغداد قبل شن الحرب بقليل بين قادة البعث السوري والعراقي. ويبدو ان هذا التدخل كان مقتضراً على السلاح الجوي السوري، وكانوا ينفون هذا التدخل، لكنها كانت حقيقة معروفة لقاطني كردستان-عراق. فالطائرات السورية كانت تتطلق يومياً ليس فحسب من قواعدها السورية وإنما أيضاً من المطارات العراقية التي وضعت تحت تصرفها لتقذف حممها وقنابل النابالم على المناطق الكوردية. أما قوات المشاة للجيش السوري فقد دخلت كردستان من منطقة الجزيرة الكوردية عقب التدخل الجوي. ذكرت لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي في بيان نشر في مدينة لوزان في 1963/6/28 وتناولته الصحف، ندد البيان بهذا التدخل، ونوه بأن هذا التدخل يخلق بعداً دولياً للحرب، وناشد البيان "الحكومات الديمقراطية بالأخص في أفريقيا وآسيا العمل في مجلس الأمن لإثارة هذا النزاع، وبهذه المناسبة وجه مذكرة تنديد بهذا الصدد إلى الأمين العام للأمم المتحدة ولمنظمات عالمية أخرى. وفي 1963/7/4 أشارت اليومية السويسرية Tribune de Lausanne إلى التدخل العسكري السوري في الحرب على الكورد.¹⁷⁸

وجاء في مذكرة سلمت للسفير السوري في موسكو في 1963/7/9 اتهمت الحكومة السوفيتية سوريا بتدخلها العسكري في أحداث شمال العراق. وكان ردّ فعل الحكومة السورية في مجلس الأمن في 1963 /7/12 في اتجاهين، فقد أكدت ان أية دولة عظمى لاتملك حق التدخل في الشؤون الداخلية للعراق وليس هناك أي تدخل من قبل القوات السورية في هذا النزاع:

2. ترغب الحكومة السورية التأكيد على انها تعتبر حركة البارزاني عصياناً وتمرداً عسكرياً، يهدد الأمن والاستقرار و من ضمن مهام وصلاحيات الحكومة العراقية أن تعالجها محلياً. وعلى الدول العظمى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق.

علاوة فإن أي تدخل أجنبي لا ينسجم أبداً مع الفقرة 2 من المادة 7 لميثاق الأمم المتحدة (.....)

2. وتعلن الحكومة السورية أنها لم ترسل أية وحدات من الجيش السوري إلى العراق للقضاء على هذه الحركة، حيث تواجهها قوات الحكومة العراقية لوحدها.

4. سوريا والعراق بلدان مستقلان وملتزمان بسياسة عدم الانحياز وعلى أساس هذه السياسة والمبادئ المنبثقة عنها، فإنهما لايتعاونان مع بلدان تابعة لأحلاف في خدمة الامبريالية.

وتؤكد الحكومة السورية العربية عزمها والتزامها بصداقة الاتحاد السوفيتي ومع كافة الدول الاشتراكية.

وفي 1963/9/30 نشر بلاغ في دمشق مؤكداً على الوحدة السورية العراقية والتي ستكون "دولة جماهيرية، اشتراكية وديمقراطية" وفي 1963/10/8 تم تعيين الجنرال عمّاش، وزير الدفاع العراقي، كقائد للجيشين الموحدين السوري والعراقي.

حتى ذلك الوقت كانت الحكومة السورية تنفي تدخلها العسكري في الحرب على كردستان. لكن في 1963/10/21 اعلن رسمياً في العراق ان المارشال عبدالسلام عارف، رئيس الجمهورية، أنهى لتوه زيارة للقوات السورية التي كانت تقوم بالعمليات العسكرية في منطقة زاخو في كردستان وهي غير بعيدة عن الحدود السورية.

وفي 10/28/ أعلن الكولونيل فؤاد الشاعر في الموصل، وهو قائد اللواء السوري الذي أرسل إلى كردستان، "ان قواتنا التي تعاونت مع القوات العراقية تمكنت من تطهير منطقة خابور حتى خيري من المتمردين الكورد". وبعد ان عبر عن رغبته في رؤية "الوحدة العسكرية السورية العراقية وقد شملت جميع الجيوش العربية: أبدى الشاعر أسفه من "ان بعض الدول العربية المستقلة تهاجم هذه الوحدة مما يخدم أهداف الامبريالية". هذا العسكري العضو في مجلس القيادة القومية السورية، كان قائداً للقوات السورية (اليرموك) بالقرب من الحدود الاسرائيلية.¹⁷⁹

إعترفت بغداد ودمشق بوجود لوائين سوريين فقط في كردستان، يقارب عددهم ستة آلاف عسكري، لكن حسب مصادر أخرى بلغ مجموع هذه القوات حوالي سبعة عشر ألف من أفراد الجيش. جاء الاعتراف السوري بتدخله العسكري ودعمه لجهود الحرب العراقية بعد خمسة أشهر من ابتداء الحرب، التي وصفها العسكريون البعثيون العراقيون بـ "نزهة عسكرية" هذه النزهة تطلبت مساعدة القوات السورية لكنها لم تؤثر في تغيير مسار الحرب. وأشارت الصحافة اللبنانية إلى مرور قطارات عسكرية من حلب نحو كردستان محمولة بالجنود والأسلحة، وفي العودة تأتي بالجرحي والقتلى من جنود الجيش السوري. وتساءلت صحيفة النداء "فيما إذا كانت قوات اليرموك التابعة للجيش السوري هي قوات معتدية أم قوات تحرير؟" فهل بالنسبة للبعث تحرير فلسطين يبدأ بالهجوم على الشعب الكردي؟ وفيما يتعلق بعوائل الجنود والرأي العام السوري فإن الجنود السوريون يموتون بلا فائدة في متاهات جبال كردستان ولأمد طويل ستبقى هذه الذكريات معلقة في أذهانهم. لقد كانت الانتصارات الكردية معروفة في سوريا تتحدث بها الأوساط الشعبية المناهضة للبعث.¹⁸⁰

بعد فشل الحملة، انسحب الجيش السوري من كردستان دون تحقيق أي نصر، بل العكس عانى من الخسائر في الأرواح والذخيرة، واستولت القوات الكردية على كميات من الأسلحة ووقع في أسرها مجموعة من جنود الجيش السوري. ومع ذلك فقد جرى استعراض عسكري صاخب في دمشق في 10/1/1964 بمناسبة عودة القوات السورية، بحضور الجنرال أمين الحافظ رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الدولة إلى جانب الشخصيات الرئيسية للنظام، وأشارت الصحيفة الرسمية "الجندى" لسان حال الجيش السوري في مقالة مصورة، إلى ان الكولونيل الشاعر وجنوده استقبلوا استقبال الأبطال، محاطين بمظاهر الأبهة والعظمة. ووصفت الصحيفة هذه المناسبة بـ "الأكثر عظمة من كل ما عاشه الشعب العربي السوري". وتتابعته الخطب الرسمية. وفي ردّه على أمين الحافظ، قال الشاعر مؤكداً أن قواته "طهّرت مناطق واسعة من هذا الجزء العربي الخالد والذي هو شمال العراق من العصابات الانفصالية العائدة للبارزاني"، وأن الأكراد في الوطن العربي يتمتعون بكامل حقوق

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baco - 180
nière, Neuchatel 1970. P: 209

المواطنة، لكن من غير الممكن ان يطالبوا بحقوق خاصة".¹⁸¹

ردّ الفعل السوفيتي والدول الاشتراكية

حتى قبل الحرب البعثية، كانت الدول الاشتراكية تنتقد نظام قاسم لحربه في كردستان، وكانت تطالب بايجاد حلّ سلمي للنزاع والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكوردي، وكثير من هذه الآراء كانت من كتابات زعماء الحزب الشيوعي العراقي في الصحافة الدولية الشيوعية.

وبعد الانقلاب البعثي وتصفية الشيوعيين والتقدميين في العراق، بدأت الصحافة السوفيتية المعروفة مثل برافدا، ازفيستيا، تنوه ومعها صحافة البلدان الاشتراكية الأوروبية، بدعم المطالب الأساسية للثورة الكوردية، الحكم الذاتي لكوردستان، وتهاجم في ذات الوقت نظام بغداد. وبعد استئناف القتال تحولت الحملة الصحفية إلى حملة دبلوماسية لصالح شعب كردستان والديمقراطية للعراق.

وبعد عدة أيام من استئناف الحرب على كردستان، أظهرت الحكومة السوفيتية عن موقفها المحدد في نشرة بثتها وكالة تاس:

"ليس بوسع الاتحاد السوفيتي تجاهل ما يجري اليوم في العراق، إذ تساهم السياسة الحالية للحكومة العراقية تجاه الأكراد في تقويض دعائم السلم في منطقة الشرق الأدنى".

وبعد التنويه بأن الشعب الكوردي يشكل أكثر من ربع سكان العراق، الا انه لاينوي الانفصال عن العراق، بل يرغب في بناء نظام ديمقراطي مبني على التعاون بين العرب والكورد. "وإنه انتفض "ضد خضوع العراق للدوائر الامبريالية المعادية للشعب الكوردي". واتهم البيان السوفيتي نظام البعث "بالعمل وفق الطريقة الهتلرية" ضد الأكراد و"في كردستان تقوم الحكومة العراقية بحملة إبادة جماعية ضد السكان".

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baco - 181
nière, Neuchatel 1970. P: 210

وفي مقالة أشارت صحيفة برافدا إلى موضوع المساعدات السوفيتية الاقتصادية والعسكرية والتقنية للعراق، من المحتمل تعليقها، فهذه المساعدات ليست للبذخ، ومن جهة ثانية لا يرضى الشعب السوفيتي استخدام الدول الجديدة لهذه المساعدات بما يناقض مصالح شعوبها .

وفي 3 تموز 1963، طالبت جمهورية منغوليا الشعبية رسمياً إدراج موضوع "سياسة الإبادة التي تمارسها الحكومة العراقية ضد الشعب الكوردي" إدراجها في جدول أعمال الدورة الثامنة عشر للهيئة العامة للأمم المتحدة". وقامت الحكومة العراقية على الفور تعليق علاقاتها الدبلوماسية مع العاصمة اولانبطور .

وفي 9 تموز 1963، شهدت العاصمة السوفيتية نشاطاً دبلوماسياً مكثفاً، حيث استدعى وزير الخارجية أندري غروميكو سفراء العراق، إيران، تركيا وسوريا، إلى وزارته وسلّم تحذيراً شديداً، جاء فيه:

"تقوم الدول في الحلف العسكري الامبريالي CENTO باجراءات عسكرية، وهذا يشكل خطراً على صيانة السلم في الشرقين الأدنى والأوسط." ¹⁸²

"إن الاضطهاد الدموي ضد الشعب الكوردي، والذي يشكل أكثر من ربع السكان في العراق، سوف يضعف الدولة العراقية ويسيء إلى سمعتها على الصعيد الدولي، ويتيح أيضاً للقوى الكولونيالية استغلال هذه الأحداث للنيل من استقلال العراق وتقوية مراكزها في الشرق الأدنى والأوسط .

"إن سياسة الحكومة العراقية تتيح للقوى الامبريالية امكانية التدخل في شؤون الشرق الأدنى والأوسط، وستترتب عليها نتائج جدية وخطيرة للغاية .

"إن تدخل القوى الخارجية في الأحداث التي تجري في الأراضي العراقية ليست مبعث اهتمام العراق فحسب، فدخل قوى ودول اخرى في النزاع، علاوة على وضع

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baco - 182
nière, Neuchatel 1970. P: 210

قوات أجنبية مرتبطة بالأحلاف العسكرية العدوانية على مقربة من الحدود السوفيتية، يشكل تهديداً لأمن عدد من البلدان، بالأخص للاتحاد السوفيتي."

وجاء في بيان الحكومة السوفياتية الموجه لإيران وتركيا وسوريا، ان الحكومة السوفيتية تعبر عن "خالص أملها من أن الحكومات الثلاث ستعمل كل ما في وسعها لتحديد سياساتها فيما يتعلق بالأحداث في العراق". "حسب المعلومات المتوفرة لدى الحكومة السوفياتية، يضيف البيان، عدد من الدول بالأخص إيران، تركيا وسوريا، قد بدأوا بالتدخل في الأحداث الجارية في شمال العراق إلى حدّ اتخاذ إجراءات ذات طبيعة عسكرية." وبعد التذكير بحرب السويس ضد مصر عام 1956 ذكر البيان: "إن السياسة التي تبنتها بعض الدول العضوة في حلف السنسو تنذر بنتائج وخيمة، وان الحكومة السوفيتية انطلاقاً من مبدأ عدم التدخل، لاتسمح لاحد ان يقوم بالتدخل في الشؤون العراقية." ثم أشار بيان الحكومة السوفيتية إلى حالة "مذبحة دموية ضحيتها الأكراد"، قبل ان يختتم:

"لقد تحولت تراجيديا الأكراد إلى مشكلة دولية، وان ذلك مبعث سخط شرعي لدى قطاع واسع من الرأي العام العالمي." وفي نفس اليوم سلّم الممثل السوفيتي M. Nicholas Fedorenko مذكرة لرئيس مجلس الأمن تشير إلى ان حكومة الاتحاد السوفيتي تحتفظ بحق تقديم المشكلة الكوردية إلى المجلس:

"لقد خلق وضع خطير متمثل في الاحداث التي برزت في شمال العراق وتدخل عدد من الدول في العمليات العسكرية التي تشنها السلطات العراقية ضد الشعب الكوردي (.....)

"وحسب البيانات الصادرة من ممثلي الحكومات العسكرية والكولونيلية التابعة لحلف السنسو، فإن القمع الدموي ضد الاكراد كان موضع نقاش خاص أثناء كونفرانس الدول التابعة لهذا الحلف (.....)

"ان تدخل الدول الأجنبية في الأحداث الجارية على الحدود العراقية ليست فقط شأن عراقي، فواقع انخراط قوى ودول اخرى في هذا النزاع ووضعتها في خدمة قوى عدوانية في مواقع قريبة من الحدود السوفيتية، تضع أمن عدد من الدول ضمنها

الاتحاد السوفيتي في خطر (.....)

وفي حالة إطالة تدخل القوى الخارجية في أحداث شمال العراق، فقد تستدعي الضرورة عقد اجتماع لمجلس الأمن بهدف تبني الاجراءات الضرورية لوضع نهاية لهذا التدخل.

ونقرأ في المذكرة التي قدمها M. Nicholas Fedorenko إلى مجلس الأمن، مايلي:

"... ان المساعدة التي تقدمها الدول المجاورة إلى الحكومة العراقية في عملياتها ضد السكان الكورد قد تدفع دول اخرى إلى اتخاذ اجراءات لمواجهة هذا التدخل من أجل صيانة أمنها (.....)

"دول مجاورة ترسل إلى العراق وحدات عسكرية وتشارك بشكل مباشر في العمليات الهجومية. وحسب ما أوردته التقارير الصحفية، فإن فوجاً من القوات السورية وطائرات من السلاح الجوي السوري تشارك في العمليات العسكرية (...)

هذا التدخل يهدد بتوسيع رقعة النزاع ويقوض أسس السلام المهزوز سلفاً في الشرق الأدنى.

وفي 1963/7/10 وجهت الحكومة العراقية مذكرة احتجاج إلى رئيس مجلس الأمن "ضد التدخل غير المبرر للاتحاد السوفيتي في الشؤون الداخلية للعراق" مشدداً على ان "المزاعم المتعلقة بإيادة السكان في شمال العراق عار عن الصحة" وان "التأكيد على وجود وحدات عسكرية اجنبية في العراق هو مخالف للحقيقة" وفي تحذيرها للسوفييت لوح ممثل الحكومة العراقية عدنان الباججي، بسلاح التضامن العربي:

"ان التهديد العلني ضد استقلال ووحدة اراضي بلدي حيث تضمنتها رسالة الممثل السوفيتي الدائم، وتدخله المتواصل في الشؤون الداخلية للعراق، والذي أعلن على الدوام رغبته المخلصه في الحفاظ على علاقات صداقة مع الاتحاد السوفيتي، ولّد الكثير من الاضطراب والقلق في العالم العربي، يعتبر هذا مظهر من مظاهر العداء الصريح، كما ان هذا التصرف من قبل دولة عظمى عضوة دائمة في مجلس الأمن

سيكون لها انعكاسات خطيرة جداً على السلم والأمن الدوليين....."
وسوريا بدورها ردّت على الموقف السوفيتي بمذكرة مؤرخة في 1963/7/12
موجهة إلى مجلس الأمن.

لم يهتم الاتحاد السوفيتي بهذه الردود، وفي 11 تموز تابع حملته هذه المرة خلال
وفده حيث طلب من المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، المنعقد في
مدينة جنيف، أن يدرج في جدول أعماله قضية "سياسة الإبادة التي تمارسها حكومة
الجمهورية العراقية ضد الشعب الكوردي". رفض الطلب هذا بعد مناقشة طويلة.
(.....) ¹⁸³ في نفس اليوم (1963/7/11) رفضت فرنسا، الولايات المتحدة
الأمريكية، بريطانيا، الهند، الأردن ودول أخرى المقترح السوفيتي في جنيف.

وفي 1963/7/17 سحبت جمهورية منغوليا الشعبية مقترحها بذريعة "الحفاظ
على التضامن الأفرو-آسيوي آخذةً بنظر الاعتبار الآراء التي عبرت عنها وفود تابعة
إلى دول صديقة، فقد قرر الوفد عدم ممارسة الضغط لادراج هذا الموضوع في
جدول أعمال الدورة الثامنة عشر، في الوقت الذي يحتفظ فيه بحق إثارة الموضوع
مرة أخرى في المستقبل إذا استدعت التطورات ذلك". ¹⁸⁴

حتى قبل الإعلان عن بدء العمليات العسكرية صباح يوم 1963/6/10 من راديو
بغداد، ارتكب الجيش العراقي مجازر في مدينة السليمانية في 1963/6/9، حيث
سيطر على المدينة ومداخلها منذ الفجر، فأقتحم الجنود المنازل وأطلقوا النار،
فقتلوا 267 من المدنيين وثم دفنوا في مقبرة جماعية خارج المدينة، وأعتقل أثناء
الحملة ما يقارب 5000 مواطن، ضمنهم وجهاء المدينة، مثقفين وموظفين من أصل
كوردي. وفي كركوك وضواحيها تم طرد الآلاف من الكورد وقصفت القرى والقصبات
بقنابل النابالم، ثم أجهزت على ماتبقى منها الدبابات والبلدوزرات، لقد فاقت حملة
البعث هذه في قسوتها حرب قاسم في كردستان اضعافاً. كما قبض خلافاً لكل
الأعراف على الوفد الكردي المفاوض في بغداد وتعرض أعضائه للتعذيب طيلة

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baco - 183
208-217 nière, Neuchatel 1970. P:

184 حماية الأكراد. أطروحة دكتوراة لجامعة فيينا. عبدالمصور بارزاني ص: 68

أشهر، ضمنهم صالح اليوسفي ويداالله فيلي. إن نزعة التطرف في العنف والتوحش والقسوة ضد أعضاء الحزب الشيوعي العراقي وفيما بعد ضد الشعب الكوردي وثم ضد المجتمع، تعتبر من سمات الاخلاص لمبادئ حزب البعث وموضع تقدير من اقطابه، كما هي وسيلة للترقى في الوظائف، وقد انعكس هذا في النخبة القيادية في الجيش العراقي.

وكانت إذاعة وتلفزيون دمشق تبث برنامج يومية لتتقيف الجماهير العربية سياسياً بعنوان: "اعرف عدوك" طبيعي إنه الشعب الكوردي. ولم يتوقف تأييد الحكومة السورية عند حدّ الدعم العسكري والمالي - جمع التبرعات الشعبية - وارسال محاصيل القمح، بل قامت بحملة واسعة في الدول العربية لدعم موقف الحكومة العراقية. ففي بيان نشر في دمشق في 13/6/1963 بعد زيارة رئيس جمهورية اليمن المارشال عبدالله السلال، ذكر ان حكومتى البلدين تؤكدان على دعمهما الكلي للحكومة العراقية ضد الكورد ويناشدان العالم العربي "دعم العراق للقضاء على المتمردين الانفصاليين". وخلال زيارة صلاح البيطار للجزائر في 24/6/63 جاء في بيان سوري - جزائري مشترك: "يؤكد الطرفان دعمهما لشعب الجمهورية العراقية ولحكومتها الثورية ضد حركة التمرد التي يقودها حفنة من الانفصاليين الكورد من عملاء الامبريالية".¹⁸⁵ من الجدير بالملاحظة ان الشعب الكوردي وقف بصلافة أثناء حرب التحرير الجزائرية إلى جنب الشعب الجزائري واسهم في التبرعات المالية التي نظمتها الحكومة العراقية، كما ألقت القصائد والأغاني الكوردية تأييداً للشعب الجزائري. كانت علاقات ناصر سيئة بالبعثيين، والتزم بالحياد، وصرح لجريدة (لوموند) الفرنسية:

"سنقاوم اية حركة انفصالية. لكن بما أن الحكومة العراقية اعترفت بوجود الامة الكوردية وتوصل الطرفان، الجنرال بارزاني وحكام بغداد الحاليين إلى اتفاق سرّي، لذا أعتقد انه كان من الأنسب تبني الحلول السلمية قبل اللجوء إلى السلاح. وذكر لي جلال الطالباي، ممثل الجنرال بارزاني مؤكداً لي بشكل رسمي أن الكورد لن يكونوا البادئين بخرق الهدنة. لقد استغربت كثيراً عندما علمت من بيان أذيع من بغداد بأن

الحرب تجددت.....¹⁸⁶

وفي مقالة افتتاحية وردت في صحيفة "لسان الحال" البيروتية، كتب جبران هايك في 11/6/1963:

"لا نعرف كيف ستبهر الحكومة العراقية أمام الرأي العام العالمي اجراءاتها في القضاء على شعب بكامله يطالب بالحرية والحكم الذاتي، هذا الشعب عانى الكثير على يد النظام الرجعي السابق، وكان يأمل بأن آماله ستتحقق في عصر الاشتراكية والحريات. لكنه وجد نفسه أمام معاناة أشدّ. (...)

"لا نعرف كيف ستجد الحكومة العراقية المبررات الفلسفية والمعنوية والمبدئية لحرب إبادة جماعية حيث يتدلى طيفها منذ 14 رمضان كحل لمشكلة الشعب الكوردي.

"ان القومية العربية بمفهومها الحديث والتي من المفروض انها لاعنصرية ولادموية، بل انسانية، اشتراكية، تقدمية وتحررية.

"ومن هذا المنطلق كيف يسمح "العرب" حكام العراق لأنفسهم إبادة "الأكراد" في العراق؟

"وإن كان الجواب هو أن الأكراد يرفضون الاندماج بالقومية العربية والسير وراءها، فذلك حق من حقوقهم، فهم ليسوا عرباً وإن كانوا مسلمين.

"وإن كان الجواب كما يشير البلاغ الحكومي، هو أنهم متمردون وبشكلون خطراً على استقرار البلاد، في هذه الحالة تنسى حكومة بغداد ان للأكراد حق التمرد ضد العرب لأن الأخيرين فعلوا كما فعل الترك، فلجميع الشعوب الحق في تحرير أنفسهم من عبودية الآخرين (...)

"سيخسر العرب الكثير من الناحية المعنوية قبل خسارتهم لسمعتهم إن رضوا بإذلال شعب شقيق في وقت ملئوا الدنيا ضجيجاً بأغاني الحرية والعدالة.

"مطلوب من العرب أن يتطوعوا في محاولة إقناع الحكومة العربية في بغداد، بأنها اختارت الطريق الأسوأ.

وفي افتتاحية ثانية تحت عنوان "الحقيقة حول الأزمة الكوردية" بتاريخ 1963/6/12 وفي نفس الصحيفة، كتب جبران:

"(.....) تهمة القضية الكوردية نحن اللبنانيين من زاوية إنسانية وأيضاً لأننا نريد أن لايساء لسمعة اخواننا العرب، ولذا نرى من صميم واجبنا جلب اهتمام مسؤولي الدول العربية بشأن حقيقة أنه ليس مبعثاً على الفخر أن تقوم دولة بحشد قواتها للقضاء على قطاع واسع من شعبها لانه لايريد التخلي عن قوميته (.....)

"إن العرب مذنبون في القضاء على المقاومة الكوردية بالحديد والنار والمال، فهم يريدون قتل زعيمهم حيث وضعت جائزة بمبلغ مائة ألف دينار لمن يأتي برأسه. لكن الانتصار في هذه الحالة سيكون انتصار القوي على الضعيف، انتصار الكبير على الصغير وانتصار الغني على الفقير، نصر مثل هذا ليس مبعث شرف".¹⁸⁷

كما ندد كمال مروه بالحرب على الشعب الكوردي ودعا إلى حلها بالحوار، كما حدّر العرب من مغبة تكرار أخطاء الحكومة التركية القاتلة تجاه العرب في جريدة الحياة الصادرة في 1963/6/11.¹⁸⁸ وفي مقالة أخرى في الحياة في 1963/6/16 كتب يقول: "نحن لانرغب في إيجاد حالة صراع مماثلة بين الأكراد والعرب. نوجه اقتراحنا للعرب وللكورد بشكل عام، لكن بالأخص للمسؤولين عن تجدد الحرب. نقول لهم ان الدم الذي يسيل إن كان عربياً أو كوردياً سيمتد أثره من الكراهية طوال قرون مما يقوض مستقبلاً إمكانيات التعايش بين الشعبين، حيث جمعهم الاسلام منذ 1400 عاماً، خلالها حققا مجتمعين معجزة صلاح الدين. نطلب منهم أن يفكروا ويحسبوا للغد. ندعوهم العودة للمفاوضات وحقن الدماء لقضية أنيل".

وفي جولة تفقدية في شهر تموز 1963 لقواته المرابطة في كردستان، خطب فيهم المارشال رئيس الجمهورية عارف فاضحاً "المناورات الامبريالية وهجمات

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:203-204 187

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:204 188

السيد نيكيتا خروتشوف" أن تشكيل كتلة عربية واحدة موحدة في القريب "تمتد من الخليج العربي (الفارسي) إلى المحيط الأطلنطي، بالضبط تشكيل هذه الكتلة هي التي تدخل الرعب في نفوس أعدائنا الغربيين والشرقيين" ثم توجه بخطابه إلى الجنود المرابطين في كردستان معترفاً بالدافع الحقيقي لاحتلال كردستان، ألا وهو الاحتفاظ بثروات أرض كردستان. أوردت جريدة لوموند الفرنسية في 14/7/1963 ما قاله للجنود:

" إنكم تشهدون بانفسكم ان المنطقة التي تحاربون فيها، أكثر غنى من المناطق الجنوبية للعراق والتي تعرفونها، ولهذا يريدون انتزاعها منا، لكننا سننتصر على أعدائنا".¹⁸⁹

كتب عصمت شريف فانلي:

"وفيما كان الأمير كامران بدرخان يندد بتزويد العراق من قبل بريطانيا بالأسلحة، علمنا في 28/8/1963 بالتوصل إلى اتفاق في بغداد، وان الولايات المتحدة الأمريكية ستزود العراق بقرض يبلغ 6 000 658 دولار....."

وفي 11/9/1963 وجه الحزب الديمقراطي الكوردستاني نداءً إلى الأمم المتحدة، رؤساء الدول والحكومات، الصليب الأحمر، المنظمات الدولية والى وكالات الأنباء والرأي العام العالمي، يطلب من الحكومات عدم ارسال السلاح للحكومة العراقية حتى نهاية حربها القذرة، ودعا النداء المنظمات الدولية ارسال المساعدات الانسانية إلى الشعب الكوردي.

لقد خاب ظن البعث في النصر، فرغم التحالف مع دمشق وتوافد السلاح من بريطانيا وتأييد الصين الشعبية له، إنهار البعث تحت وطأة جرائمه البشعة ضد أبناء الشعب العراقي وفشله العسكري في كردستان.

لنعود الآن إلى الأحداث التي رافقت هجوم الجيش العراقي على مناطق بارزان، كما عشتها، لم تتغير كثيراً خطط الاحتلال العسكري على مناطق بارزان منذ بداية

القرن العشرين. فجيوش الدولة العثمانية حشدت قوى العشائر الكوردية و ثم شنت حملتها العسكرية الواسعة ضد شيخ بارزان (عبدالسلام) في أعوام 1908-1909 ، تقدمت من المحاور التالية: من الغرب محور عقرة- بيرس- بارزان. ومن الشمال محور آميدى - بالندا- بارزان. ومن الجنوب محورين: خليفان - شاندر - بارزان، و محور راوندوز- ديانا - هقديان - ميركه سور- شيروان. وفي بعض الأحيان كان يضاف اليها المحور الشرقي. وسار البريطانيون على نفس هذا المخطط، كذلك الجيش العراقي في حملاته المتكررة تابع نفس محاور الهجوم السالفة. اتسمت الحملة البعثية والتي بدأت في 10/6/1963 بتسيق مع طهران وأنقره ودمشق، باستخدام كثيف لنيران المدفعية والطائرات، وبرفقة آلاف المرتزقة من العشائر الكوردية بقيادة أغواتهم. شاهدت كردستان صيف عام 1963 أشرس هجوم في تاريخها حتى ذلك الوقت. كان هناك تركيز على احتلال بارزان بأسرع ما يمكن، إضافة إلى الهجمات الواسعة في مناطق أخرى من كردستان شملت (هيبت سلطان) حيث يتواجد عمر دبابة مع قواته، (مضيق كورى) شمال اربيل وجبل متين في بادينان بمشاركة الجيش السوري، إضافة إلى عشرات الجبهات المبعثرة في أنحاء مناطق كردستان الجبلية.

العامل السلبي العسكري كان يتمثل في ندرة السلاح حتى القديم لدى قوات الأنصار الكوردية في مواجهة جيش عصري يملك أسلحة متطورة. كان شيخ بارزان قد اعطى أوامره بان تشتري العوائل المتمكنة السلاح للدفاع عن النفس، وتعرفت على العديد من البارزانيين كانوا قد اشتروا سلاحهم عن طريق بيع عدد من رؤوس قطعانهم.

وهنا أركز على التغيير الذي جرى في بارزان عند بدأ الحملة العسكرية لاحتلال أراضيها صيف عام 1963. كان الفلاح الكوردي في مناطق بارزان يحرق حقله بمختلف المحاصيل: القمح، الشعير، العدس، الرز، ومختلف الفواكه. وقل أن تجد عائلة لاتملك مواشي أو قطعاً من الغنم أو الماعز. إلى حد ما كان هناك اكتفاء ذاتي والسكان متعودون على التقشف، ويبدو ان الحكومة البعثية اختارت شهر حزيران لبدء عملياتها العسكرية، في ظل الحصار الاقتصادي الشديد على كردستان، ولحرمان آلاف القرى من الحصاد كانت الطائرات العراقية تحرق الحقول في طول وعرض كردستان من أجل فرض سياسة التجويع ودحر المقاومة.

وعندما تبدأ الحرب، يضطر العديد من الرجال ترك الحقول والقطعان للقيام بواجباتهم في الجبهات، تاركين الأعمال اليومية للنساء والشيوخ والأطفال. وهذا يعني ان الفعاليات الاقتصادية الضرورية للبقاء تصاب بالشلل نوعاً ما بسبب غياب الرجال القادرين على حمل السلاح. ومن القواعد الهامة في الحياة القبلية العسكرية هو ان رجال أية قبيلة يقاومون بجدارة، عندما تكون عوائلهم في مأمن، فهم يتصدون للعدو عندما يكون بعيداً عن قراهم، لأن تقدم العدو لاحتلال أراضيهم وقراهم يعني حرمانهم من موارد الحياة. لذا ما أن تقترب قوات العدو من القرى، ينتاب المقاتل القلق لمصير عائلته، لأنها مرغمة على الرحيل بعيداً عن مصدر العيش، فيحصل خلل في عملية المقاومة في الجبهات.

دارت أعنف المعارك بهدف احتلال بارزان، وسبق تقدم الجيش على الأرض، قصف مكثف ولعدة أسابيع من الجو، ولأول مرة في التاريخ قصف جيش البعث مسجد بارزان العريق وهدم، هذا المسجد، لم يمس بسوء خلال جميع الغزوات التي شهدتها المنطقة، فقد كان هناك حرمة له، والمتحاربون كانوا أكثر حضارة من عصابات البعث. هدم هذا المسجد الأثري سبب حزناً عميقاً لدى جميع السكان، لقد دارت معارك جبهوية شديدة خلال شهر حزيران إلى نهاية أيلول من عام 1963. وكان رأي كبار العسكريين في الجيش العراقي ان احتلال بارزان يعني نهاية الحركة الكوردية. رافق الهجوم أعداد كبيرة من المرتزقة الزيباريين والريكانيين وعشائر أخرى. لكن عشيرة السورجي، وبسبب إختطاف قوة بارزانية لأحد شيوخها البارزين (شيخ توفيق وولديه) والمجئ بهم إلى بارزان، وقد عوملوا معاملة محترمة، وبقوا في مناطق بارزان حتى توقف العمليات العسكرية العراقية، ثم أعيدها سالمين إلى مسقط رؤوسهم، لهذا السبب لم تبدى عشائر السورجي أي حماس للاشتراك في العمليات المعادية لبارزان.

نفذ البطل (هرمز ملك جكو) مع قوة الأنصار تحت امرته العديد من عمليات (حرب العصايات) الظاهرة، كان انساناً نبيلاً مناضلاً ومقاتلاً قديراً ذو أخلاق عالية، وقد نال احترام الشعب وذاع صيته، التقى بشيخ بارزان وأصبح موضع احترام خاص من الأخير.. وكان هو مع قوته قد توجهها إلى طريق دهوك - نينوى واقترب من قرية (Zewe) وهو موقع بعيد عن الجبل ومكشوف، وحصلت في 30 . 11 . 1973 معارك

مع القوات المدرعة والدبابات السورية القادمة من معسكر (آلوكا) حيث مقر لواء اليرموك السوري. ويذكر (حبيب تومي) وهو رفيق سلاح لـ (هرمز ملك جكو) وقد توجه مع قوة بعد عملية الهجوم على مخفر (ألقوش) إلى قاعدتهم في قرين (سنان) : "وصل اثنان من البيشمركة المرافقين لهرمز وأبلغونا بالكارثة وقد كان هناك خمس شهداء ما عدا هرمز، وأسير واحد اعدم بعد مدة في نفس المنطقة. توجهنا جميعاً مع (توما توماس)، لنقل شهدائنا، دفن هرمز فيما بعد في قريته (Giregavana) وبقية الشهداء في (دير الربان هرمز)".¹⁹⁰ عمّ حزن عميق في قلوب كل من عرف (هرمز ملك جكو) أو سمع عنه. وقد حزن بشكل خاص شيخ بارزان وكان يذكره بالتقدير والإعجاب.



الثلاثة من اليسار صبحي من عنكاوه، هرمز ملك جكو ثم حبيب تومي مع مجموعة من قوات الأنصار(البيشمركة)

اتسم الهجوم المؤلف من الجيش والمرتزة على عدة محاور، لاحتلال أراضي بارزان، بالنكسات العسكرية على عدة جبهات امام صمود المقاتلين في بارزان، لكن بعد كل اخفاق كانت القوات الحكومية تعيد تنظيم وحداتها وتهاجم من جديد على مواقع الكورد. فتمكنت من اختراق صفوف القوات الكوردية والتقدم نحو قلب مناطق بارزان، لكن بتضحيات وجهود مضنية. ومن جزاء القصف المتواصل في جبل (سه ري آكرى) و(بيرس) لاقى البطل المعروف (ملاشيني) مصرعه مع عدد من رفاقه،

190 رسالة شخصية من (حبيب تومي) الى المؤلف مؤرخة في 25 . 7 . 2007 .

وأ تذكر جيداً مراسيم دفنه في (كركي جه وي) وهو تل صغير عند ملتقى نهري (روكوجك و رومه زن) ويحيط بالمقبرة جدار صخري على شكل دائرة، كان لقمان ملا مصطفى موجوداً وعدد من الرجال يناهز عددهم عشرين شخصاً يتولون مراسم الدفن، في هذا الجو الكئيب الحزين، كان طه زيتي جالساً على طرف جدار المقبرة، وفجأة بدأ يترنم بلحن حزين يحاكي التراب الذي سيلف جسد ملا شيني ورفاقه الأربعة، وقد أخذت كلماته المعبرة بلبنا جميعاً.

كانت جميع مناطق بارزان تحت القصف جواً وبراً، وعندما تقدمت القوات الحكومية مع طلائع المرتزقة نحو (بلى) في نهاية شهر تموز من عام 1963، حصل نزوح هائل من سكنة قرى هرنى، صه فتى، إيسومرا، بيرا كه برا، زوره كفا، شرى، ده روتكى، ألكا، ئيروان، بيكريس وكولكا. أخلت منطقة نزار برمتها في وقت كانت لاتزال مياه نهر رومه زن مرتفعة ولامجال للعبور عن طريق موقع ضحل المياه، آلاف من الرجال والنساء والأطفال مع القطعان والدواب وبصعوبات بالغة عبروا إلى الساحل الشرقي من النهر بعد تنصيب قوارب خاصة للطوارئ متجهين نحو هضاب (Seremezna) أو بإتجاه (Beroj) ووادي (Sul) ثم الدوران حول جبل شيرين بإتجاه الوديان المشجرة والتضاريس الوعرة وراء الجبل. لم تكن هنالك سلطة تشرف على عملية النزوح هذه، إنما كان القرويون ينظمون أنفسهم، فقد كانوا يعلمون ان عليهم الرحيل وترك كل شيء وراءهم، لكن كانت قوات حكومية أخرى مؤلفة من الجيش بطابور دبابات ومدركات تتقدم في طريق (ميركه سور - جه مى) بإتجاه (شيروانا مه زن) وقد أحرقت قرى عشيرة (دولمري) ومن بعيد تراءت نقاط سوداء، تلك النقاط كانت تشير إلى موقع القرى العديدة التي تحولت إلى رماد، وكانت تلك من المآثر البطولية لجيش البعث والمرتزقة الكورد!. طوابير طويلة مؤلفة من النساء والشيوخ والأطفال من الدولمريين يتقدمون نحو وادي زارا بقطعانهم ومواشيهم، فأكتظ معبر زارا بالآلاف النازحين مع حيواناتهم. قوافل النازحين كانت تزداد وتكتظ في وادي (زارا) كلما تقدمت الدبابات المسندة بالمرتزقة الكورد.

وفي هذا الوادي الشديد القیظ، تجمع النازحون من قبائل دولمري، نزارى وشيروانيي (Seremezna) مع ماشيتهم. وبالطبع لم يكن البقاء ممكناً على ساحل النهر إلا لعدة أيام بسبب خطورة القصف اليومي للطائرات، ولم يكن العبور سهلاً

بسبب إرتفاع المياه، لذا إقتضى نصب سلك طويل مشدود من طرفي ساحل النهر، في موقع تنحصر مياه النهر في مضيق من الصخور المتقاربة على طرفي النهر، وشده على نتوءات صخرية صلبة، ثم أضيفت حلقة حديدية شددت من الطرفين بحبال للسحب، فتزلق الحلقة بسهولة إلى كلا طرفي النهر حسب الرغبة.

كان مؤلماً رؤية شدة المعائز من النساء والشيوخ والأطفال الخائفين، ثم سحبهم إلى الطرف الآخر من النهر، فقد خاف الكثيرون من الوقوع في المياه من علو يبلغ عشرة أمتار، إذ ان الوقوع من هذا العلو في مياه شديدة التدفق كان يعني النهاية بالنسبة لمن يسقط من النازحين.

لقد إستغرق عدة أيام عبور معظم النساء والشيوخ والأطفال إلى الطرف الغربي من النهر، وثم أصبح أسهل بعد ان إنخفض مستوى مياه النهر، فاستخدم النازحون نقاط العبور المعروفة مشياً.

في إحدى الليالي الحالكة، كنت أنزل من منحدرات (ليبيرير) نحو قرية (زرارا) المهجورة، مع رفيق هو (آغا زاراي)¹⁹¹ لكننا تهنا في الطريق، إذ كانت الاخبار تفيد ان الدبابات العراقية قد وصلت مشارف قرية زرارا. وعندما وصلنا أسفل الوادي قرب القرية، بعد منتصف الليل، وهو مجرى لمياه الأمطار خلال فصل هطول الأمطار، وكان جافاً في هذا الوقت من شهر تموز، إذا بصوت غريب يصل أسماعنا، أخذنا الحذر، وثم حاولنا الاقتراب شيئاً فشيئاً من مصدر الصوت، وكلما زاد اقترابنا، توضح الصوت، كانت امرأة هرمة من قرية (Kuran) وقد تركها حفيدها بين أخاديد الصخور، وعاد هو إلى مشارف القرية حيث يريد أن يأخذ حبوب الحنطة والشعير التي أخفاها، هذا في حالة تمكنه من تفادي قوات الاحتلال العراقية الموجودة على مشارف القرية، وكان قد رافق جدته إلى هذا الموقع لانقاذها من السقوط في أيدي جيش البعث والمرتزة، وقالت لنا السيدة، سيعود حفيدي حال الحصول على المحاصيل التي أخفاها بالقرب من القرية، وأضافت إنها تردد ذكر المريدين النقشبنديين، للحماية الالهية وأيضاً سيهتدي حفيدها إلى موقعها حيث يصعب العثور

191 لاقى حتفه مع آلاف البارزانيين في (قوشته) إثر مدهامة قوات صدام حسين للمعسكر في صيف عام 1983 .

عليها في ظلام دامس كهذا. وعندما عرضنا عليها الماء والخبز، ذكرت أن لديها الخبز والماء، وإن حفيدها سيعود قبل شروق الشمس، وسيتوجهون إلى بيخشاش القرية الواقعة في الطرف الآخر من النهر.

كانت الجبهات بحاجة إلى الطعام الذي ندر إلى حدود خطيرة، فقد اقتضى ارسال عدد من الأنصار لحصاد حقول مهجورة على مشارف القرى المحتلة، مع حراسة شديدة، وكان ذلك الحل الوحيد في تلك الظروف لتوفير أرغفة خبز للجبهات. لكن اتضح بعد المجيء بسنابل القمح والشعير، إننا نحتاج إلى ايجاد طاحونة، وفي معبر زرار الذي غادرته العوائل والقطعان منذ حوالي اسبوع، وجدنا ضرورة لإعادة بناء طاحونة مائية مهجورة لعقود، فتجمع عدد من الرجال معظمهم من قرية زرار، ضمنهم ميرخان نه بى زراري، حاجي نبي زراري شقيقه، ونزلوا في النهر، ثم شكلو في موقع ضحل المياه، جدار من الصخور الكبيرة يمتد من وسط النهر إلى الحافة اليمنى من النهر، ثم نصبوا بين هذه الصخور العائمة جدار كثيف من فروع الأشجار حتى حافة النهر، وبهذا زادت كميات المياه المتدفقة نحو الساقية التي تقود إلى الطاحونة، فتتسبب المياه بقوة كافية لدوران الطاحونة. إن هذا يكشف مدى معاناة الشعب وصعوبة تزويد الجبهة بأرغفة خبز والذي كان يشكل الطعام الوحيد تقريباً للمقاتلين في ظل الأوضاع السائدة آنذاك. وتجمع على الفور عدد من النساء كمتطوعات للعمل ليل نهار لسد حاجات الجبهة من الطعام. كان الشعب لوحده يقاوم ويوفر كل متطلبات الجبهة حسب ما كان متوفراً آنذاك من امكانات، إنها بطولة شعب وليست بطولة قيادة أو حزب، هذا ما وقفت شاهداً عليه.

قدم الدكتور محمود خدمات مشكورة للجرحى والمرضى لاتقدر بثمن، وهو الطبيب الوحيد في المنطقة. وأظن كان يكتب مذكراته، وحبذا لو قام بنشرها كما هي، إذ تلقي الضوء على جوانب هامة من الحياة اليومية للناس البسطاء وكيف عاشوا زمن الحرب والحصار الاقتصادي والرحيل عن القرى التي التهمت النيران.

لقد اتضح بما لا يقبل الشك دفاع البارزانيين المستميت عن ارضهم، وبوسائل تعتبر بدائية أمام الأسلحة الحديثة للجيش العراقي. فالدبابات تتقدم دون خوف من المضادات، والطائرات تقصف دون خوف من سلاح مضاد، كانت كردستان ساحة

مباحة لتجارب الجيش العراقي في فن القتل والحرق جواً وبراً دون أدنى رادع أخلاقي أو احترام قوانين الحرب المتعلقة بعدم قصف المدنيين. كانت حرب لا تشرف جنرالات الجيش العراقي المؤتمرين بأوامر عصابات في بغداد متعطشة للدم والثأر.

وفي إحدى الأيام وصل عمر دبابة وأحمد توفيق إلى وادي زراراً مع عدد من الرفاق، وكانا يريدان لقاء ملا مصطفى، الذي كان في (سه ري ليربير) غير بعيد عن (وادي زراراً) كانت علامات الاعياء بادية عليهم، وقد أتوا بسلاح مضاد للدبابات، لكن القذائف محدودة، لذا لا ينبغي ان تخطأ الهدف. لكنني لا أعتقد أنها لعبت دوراً كبيراً في إيقاف تقدم الدبابات العراقية نحو عمق أراضي بارزان. فالسلاح الجديد ينبغي التدريب عليه ومعرفة تفاصيل أدائه في الجبهة، وتجربة عدة قذائف للتأكد من مفعولها، ولم يكن هذا متوفراً. بقيت المقاومة الحقيقية من المقاتلين البارزانيين أنفسهم ومدى تصميمهم على الدفاع المستميت، وفعلاً فقد شعر الجيش العراقي بصعوبة الاحتلال، وحتى إن نجح في عملية الاحتلال فإن أصعب شيء هو البقاء في هذه الأراضي خلال فصل الشتاء.

علمت أوساط مخبراتية بمجئ هذا السلاح، لذا بدأت الطائرات العراقية بقصف مكثف للوادي، لكن أحداً منا لم يصب بأذى.

كان المعاون شوكت - خبير شؤون اللاسلكي والشيفرات - قريباً حيث مقره في نفس الوادي، يرسل لي جميع الشفر التي التقطها من محطات اللاسلكي عن أوضاع العدو وتحركاته، وثم أكلف (بابير آكره ي) وهو شاب شجاع أثبت جدارة و إخلاصاً في أداء المهام المناطة به، مما أصبح موضع تقدير و إعجاب الكثيرين، وكان يأخذ البرقيات ليسلمها إلى مقرّ ملا مصطفى. وعن طريق المعاون شوكت كنا على علم بما يجري في جبهات كوردستان العديدة. ورايو الترانزستور الوسيلة الوحيدة لمعرفة ما يجري في العالم.

في واقع الأمر، لم تتمكن القوات العراقية من تحقيق نصر حاسم في أي من المعارك، إذ لم تستسلم القوات الكوردية رغم التفهقر، وكان ممكناً إعادة الهجوم على المواقع الجديدة التي احتلتها القوات العراقية في أي وقت تختاره الفصائل الكوردية،

وقد تدنت معنويات القوات المحتلة إثر الخسائر التي تكبدتها أثناء تقدمها. كما كان من الممكن مهاجمة المواقع الخلفية للجيش ليلاً مما خلق الرعب بين صفوف الجنود. لقد ثبت ان إحتلال المنطقة لايعنى النصر، وان القتال سيستمر إلى ما لانهاية، رغم كل المعاناة التي يتحملها الشعب الكوردي.

وفي بداية شهر أيلول وصلت القوات العراقية مع المرتزقة إلى جبل (هه لبت) المطل على وادي زارا، لذا أمكن قصف مناطق أبعد بالمدفعية، لكن المقاومة استمرت وتكبد الجيش العراقي خسائر أكبر كلما توغل في المنطقة البارزانية. وفي 1963/9/17 وبإشراف اللواء فيصل الأنصاري شنت حملة كبيرة بلوائين مع عدد كبير من المرتزقة، وكعادتهم كانوا يتقدمون الجيش العراقي، الهدف من الحملة هو احتلال (جه مي) والعبور إلى (شيروانا مه زن) وبعد التمهيد للحملة بتمشيط كثيف للمنطقة بالمدفعية والقصف الجوي، ظن الجيش والمرتزقة أنهم سيتقدمون بلا مقاومة، لكن ما أن اقتربوا من مواقع القوات الكوردية، حتى فتح النار عليهم، فوجئوا وذهلوا، ووجد المرتزقة أنفسهم أمام مقاتلين مصممين على دحرهم، وكان الهجوم من كل الجهات، فحصلت معارك بالأيدي، وأبلى البارزاني المعروف (أحمدى مصطفى) بلاءً حسناً في المعركة. هاجمه عدد من المرتزقة، وكان من الممكن القبض عليه، لكنه تمكن من قتل المهاجم المباشر، ولأذ الآخرون بالفرار، فتعقبهم، لقد إنهار الجيش العراقي في هذه المعركة التي عرفت بمعركة (جه مي) وعلى أثرها تغيرت نظرة (إبراهيم الأنصاري) من خيار الاستمرار في القتال فكتب برقية بتاريخ 1963/9/20 إلى طاهر يحيى رئيس أركان الجيش العراقي، يذكر فيها، "أن الفرقة الثانية البطلة تمكنت من تطهير معظم منطقة بارزان (ميركه سور - شيروان من الخونة بعد تضحيات جسام ... ودافع البارزانيون عن منطقتهم دفاعاً مستميتاً ولم يتركوا شبراً واحداً دون دماء... "وأقترح الأنصاري "عقد اجتماع بحضور وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وجميع قادة الفرق لدراسة الموقف "، ثم يقترح: "البحث عن حلّ سلمي لأنني أتوقع أن يستعيد العصاة تنظيم قواتهم ومواصلة القتال.....ولا يجوز ان نزع بقطعاتنا في القتال في فصل الشتاء،"¹⁹² وافق طاهر يحيى على الاقتراح.

192 193 البارزاني وحركة التحرر الكردية. مسعود البارزاني. ص: 114



أحمد مصطفى في المنفى الإيراني 1993

وبعد عدة أيام من (معركة جه مي) أي في 1963/9/22 راسل الأنصاري شيخ بارزان يعبر فيها عن رغبته في السلام، وردّ شيخ بارزان في 1963/9/23 على الرسالة بإلقاء اللوم على الحكومة العراقية:
«الى السيد قائد الفرقة الثانية¹⁹³
بعد تقديم السلام والاحترام.

وصلنا كتابكم. إننا نشكركم على فكرتكم هذه. وأنتم تعلمون اننا بالأصل لم نكن البادئين بالقتال. بل أنتم الذين هاجمتم قرانا وأحرقتم بيوتنا وقتلتم نساءنا وأطفالنا. وقذائف مدفعيتكم وقنابل طائراتكم تنهال علينا ليل نهار فكان علينا أن ندافع عن أنفسنا. إننا سنوقف القتال شريطة أن توقفوا القتال من جانبكم، وتسحبوا قواتكم كافة من اراضينا. وقد أرسلت لهذا الغرض مع كتابي هذا كلاً من ابن أخي الشيخ سليمان وولديّ محمد خالد ونذير إليكم. أطلب من الله أن يرينا الطريق المستقيم وان يبعد عن العراقيين جميع المصائب والبلايا.
الشيخ أحمد البارزاني. 1963/9/23

وعندما انسحب الجيش العراقي من أراضى بارزان، كان الحرق والهدم قد شمل معظم قرى المنطقة، وكنا على أبواب الشتاء، فلاذ الآلاف بالكهوف والوديان مع قطعانهم، إذ كان من المستحيل إعادة بناء القرى قبل حلول الشتاء.

193 نفس المصدر السابق . ص: 117

كان (مه لي خشكه لي)، شاعراً شعبياً محبوباً، من قبيلة دولمري، وقد شمل الحرق قريته كاملة، وعند عودته بعد الدمار، وقف على أطلال منزله، وألف قصيدة شعبية شيقة، فيها الكثير من الحنين والتعلق الشديد بالحقول والمروج التي تحيط بالقرية والحياة فيها، كان يغنيها في المجالس، وهي تروي مأساة النازحين زمن الحرب، حيث احتلال جحافل الغزاة البرابرة لموطنهم، واضطراهم على الرحيل من أرض الآباء والأجداد، ويعبر عن مشاعر القرويين الحزينة الممزوجة بالشوق وهم يعودون إلى قراهم القديمة وقد تحولت إلى خراب ورماد، أما إعادة البناء فليس من يساعد غير الاعتماد على سواعدهم..

وقعت قنبلة مباشرة على منزل (خزالي كاني بوتلي)، وربما كان أفقر شخص في القرية، وكان الفقر يجذب القنابل، فتناثر المنزل وهدم كلية، كما أحدثت القنبلة غوراً عميقاً في أرضية المنزل، وكانت زوجة خزالي قد توفيت منذ زمن، تاركة طفلاً واحداً اسمه (طاهر)، ربما كان في العاشرة من عمره) وكانا وحيدين. في المساء عاد الوالد وابنه إلى المنزل حيث كانا يختفيان نهاراً اتقاء من الغارات الجوية، وهنا أترك لخزالي العجوز، ليروي القصة: «عند اقتراب الغروب أخذنا سيرنا باتجاه القرية وثم إلى منزلنا، لكن صعب التعرف على الموقع، وأن هناك في الصباح كان منزلاً، اندهش ابني وأخذ يلتصق بي منتحياً، لم أتحمل بكائه، قلت له وببرة تحدى وأنا أتصنع الابتسامة، لايهم أبداً أتدري إن منزلنا كان قديماً، لاثتم، سأبني منزلاً أفضل، يحسدنا عليه كافة القرويين، وسيكون أفضل من الذي كان موجوداً بمرات عديدة، وسترى ذلك قريباً، في كل الأحوال كان علينا هدمه، أترى أن القنبلة سهلت مهمتنا.» ثم نظر خزالي اليّ بحزن وأردف مكملاً: «في الحقيقة كان قلبي في تلك اللحظة ينزف دماً، لكنني لم أرغب أن يشعر ابني الوحيد بهول ما حصل، قلت له ذلك لكي أخفف آلامه.»

الولاء المزدوج لرئيس (حدك)

مات عبدالسلام عارف في 13 نيسان/ابريل 1966 وفي 16 نيسان/ابريل 1966 تم تعيين الفريق عبدالرحمن عارف - خلفاً لشقيقه عبدالسلام عارف - رئيساً للجمهورية من قبل مجموعة العسكريين المتنفذين في الجيش العراقي. وأصبح الدكتور عبدالرحمن البزاز وهو مدني رئيساً للوزراء والولاء الركن شاكر محمود شكري وزيراً للدفاع.

لم يكن لعبدالرحمن عارف دور في القضاء على قوى اليسار، ونظراً لأهمية دور العراق في المنطقة فقد سعى الاتحاد السوفيتي إعادة العلاقات مع بغداد بداية عام 1966، وكان مفتاح هذا الاتجاه يتمثل في مسعى تحسين العلاقات بين بغداد والحركة الكوردية، وقد تمتع الاتحاد السوفيتي بعلاقات صداقة مع قائد الحركة الكوردية ملا مصطفى بارزاني لأمد طويل، وكان من مصلحة موسكو ايجاد حلّ سلمي لهذا الخلاف.¹⁹⁴

بقليل بعد الإعلان عن بيان حزيران 1966، وحيث يسود سلام هش، طلبت جريدة برافدا عن طريق مكتبها في القاهرة من مراسلها يفجينسي بريماكوف الذهاب في مهمة إلى شمال العراق. يكتب بريماكوف: «لم يكن البارزاني معزولاً: كان يلتقي بالناس بينهم صحفيون، لكن كلهم كانوا يسافرون إلى شمال العراق عن طريق إيران، لم أرغب في تجاهل السلطات العراقية، خاصة فيما يتعلق بمساعينا في بناء الجسور بين الحكومة العراقية والبارزاني، كان من الممكن ان تكون نتائجها عكسية إن لم أراع ذلك. لذا ذهبت مباشرة نحو القمة. التقيت في 16 شهر كانون الأول/ديسمبر 1966 مع الرئيس عارف، وكنت قد تلقيت أجوبته المكتوبة على أسئلتني لنشرها في البرافدا، ففي جوابه على سؤال حول الكورد، ذكر ان تحقيق الاستقرار في شمال العراق هو ضمن واحد من أهم الأولويات بالنسبة له. وذكرته بقوله هذا عند لقائي به وقلت انني أنوي مقابلة البارزاني، وقلت بما أننا في موسكو نعتبر المنطقة الكوردية جزءاً من العراق، لذا ليس لائقاً بمراسل سوفيتي السفر إلى كوردستان العراق خلال

Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the 194
Perseus Books Group. New York.2009. P: 325.

إيران. يبدو ان حجتى عملت الأثر المرغوب، فوافق عارف مبدئياً، وأرسلني إلى وزير الدفاع لترتيب سفري و«تسليمي» للأكراد.¹⁹⁵ ثم يصف بريماكوف عند مروره لأول مرة في أرض كردستان: «بأنها أرض ساحره بجمال أخذ يقطنها منذ ألفين وخمسمائة عام شعب فخور يعيش الحرية هم الكورد، أو كما يطلق عليهم أحياناً بـ «فرسان الشرق».....¹⁹⁶ استقبله سامي (محمد محمود عبدالرحمن) عند وصوله مناطق الحركة الكوردية، ومعه ولدا ملا مصطفى إدريس ومسعود. يكتب بريماكوف: «كنت قد أتيت بساعتين يد من صنع سوفيتي نوع Poljot كهدايا لهما، لكن شعرت بنوع من الحرج حيث وجدت أنهم يحملون ساعات رولكس».¹⁹⁷ ثم يصف بريماكوف حياة الحرمان والفقر في كردستان واهمال الحكومة العراقية القيام بتقديم الخدمات. بقيت سياسة موسكو مركزة على ايجاد تفاهم بين بغداد والحركة الكوردية ومن خلال الحلول السلمية.

عاد جلال الطالباني ورفاقه من إيران إلى صفوف الحركة في أغسطس 1965 وأشتركوا في المعارك التي جرت ضد القوات العراقية. لكنه غادر إثر تعثر التفاهم بين الجانبين، ملا مصطفى وجلال، وغادر الأخير خلسة إلى بغداد في 28 كانون الثاني 1966. وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1966، عاد ابراهيم أحمد من طهران إلى بغداد.

هنا إنقسم الطرف الكوردي إلى أربعة أقسام: بارزان وقد بقيت في منأى عن التدخلات كل ما أمكن. أما الفرسان وهم رؤوساء العشائر المواليين للحكومات العراقية والحزب الديمقراطي الكوردستاني المتمثل في المكتب السياسي القديم والمعروف بجماعة ابراهيم أحمد وجلال الطالباني، فقد تعاونوا مع الحكومة العراقية لضرب الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة ملا مصطفى. تدنت القيم الوطنية إلى الدرك الأسفل، ودفع الشعب الكوردي ثمناً باهضاً لأطماع القادة الشخصية. واستغل نظام عارف وفيما بعد البعث خلال حكمه الثاني من الانشقاق الكوردي، لبرمجة "تكريد الحرب" فكانوا يغذون هذا النزاع بالمال والسلاح، ويتصلون من

Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 327

Ibid. P: 329 196

Ibid. P: 329 197

الوصول إلى أي اتفاق لاحتلال السلام في كوردستان. وللعلم كانت المعارك تجري على أرض كوردستان، والهدم والخراب لا يصل المدن العربية، كان الشعب الكوردي هو الضحية والوسيلة لادامة حرب ظالمة تبعده عن قيم النضال التحررية ونيل الحقوق القومية. كان هناك نوع من الاستهتار بمستقبل الشعب الكوردي ولامبالاة بمعاناته وبتضحياته.

وفيما كانت المباحثات نشطة بين الجانب الكوردي وحكومة عبدالرحمن عارف، برز حادث ذو دلالة كبيرة يعكس ماهية شخصية رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وينم عن "ازدواجيه" في التعامل بين نقيضين، البيشمركة (قوات الأنصار الكوردية) و(الفرسان) قوات المرتزقة الكوردية المتعاونة مع الحكومة العراقية. ولكن هذا الجانب في شخصيته، وهو حقيقي، يُمنع الكلام عنه ومن الـ (محرمات) ولن تجده في أدبيات الحزب الديمقراطي الكوردستاني، ولكن لأبد من العودة إلى بعض التمهيد للموضوع.

لقد نشط الحزب الديمقراطي الكوردستاني بجميع اجهزته في ميدان الدعاية للثورة الكوردية وتعظيم القائد - ملا مصطفى - وذلك لحث الشعب الكوردي على الانضمام للثورة والدفاع عنها. لقد كانت هذه الدعاية مؤثرة، فتركت اعداد كبيرة من الأكراد المدن والقرى وتخلوا عن أعمالهم ووظائفهم من فلاحين وكسبة وحرفيين وضباط وجنود وشرطة ومعلمين، وبينهم من خلف وراءه الزوجة والاطفال والوالدين وانضموا إلى الحركة الكوردية للذود عنها والتضحية في سبيلها. وكانوا على اعتقاد ان هناك قيادة مخلصه جديرة بالطاعة وذو مبادئ راسخة، والحق يقال فقد كان الشعب الكوردي سخياً في العطاء والبذل دفاعاً عن أرضه وحقوقه.

ولأول مرة يشمل حكم ملا مصطفى مناطق خارج أراضي بارزان ويتمتع بمطلق الصلاحيات. اذن من المهم ان نعرف كيف مارس الحكم واي مجتمع اوجده في كوردستان؟

جغرافياً كانت هناك منطقتان منفصلتان تتغيران حسب نتائج الحرب الدائرة ومافيها من انتصار وهزائم لهذا الطرف او ذاك، تلك التي تسيطر عليها قوات فصائل

الأُنصار الكوردية، وهي المناطق الجبلية الوعرة والمتاخمة للحدود التركية والايروانية، والمناطق التي يسيطر عليها الجيش العراقي والمرتزة الكورد. وفي العديد من القرى والقصبات والمدن الواقعة تحت السيطرة الحكومية، كانت عوائل كثيرة للبيشمركة الكورد تعيش فيها تتربح الاحداث وتتطلع إلى العودة الطافرة لذويها.

كانت الدعاية الحزبية تلصق بالمرتزة الأكراد كل النعوت السيئة والمنحطة، وكان جدّ مسعود وخاله من بين طلائع المرتزة المعروفين على نطاق كوردستان. في هذه الفترة العصبية من عمر الحركة الكوردية، كان ملا مصطفى بحاجة إلى ثقة البيشمركة بشخصه وبالحركة الكوردية لكي يدافعوا ويضحوا في سبيلها وهي تواجه خطراً حقيقياً بالهزيمة أمام أعدائها. في تلك الفترة غالى ملا مصطفى في كيل المديح للبيشمركة، فهم «أعزّ من أبنائه» على قلبه. وأنه سوف ينتقم من الجحوش المرتزة وان كانوا «أخوال مسعود» وكان من عادته ان يشدد على اقواله بأغظ الايمان، مكرراً قسمه بعصبية ظاهرة وبصوت جهوري ليسبغ عليها المصادقية والجديّة. ففي بيان لمجلس قيادة الثورة في كوردستان العراق (المكتب التنفيذي) مؤرخ في 1965/4/16 يلهم الحزب حماس الشعب ويحثهم على القتال وتكرر كلمة « شرف » :

« يا أبناء الشعب الكوردي البطل

ليس الدفاع عن ارضنا وحقوقنا واهدافنا وامانينا من واجب الجيش الثوري الكوردستاني فحسب بل انه واجب مقدس على كل كوردي شريف، وان ضرب العدو الظالم من اولى واجباتكم دفاعاً عن شرفكم وكرامتكم واستناداً إلى ماتقدم فقد تقرر مايلي:-

ان كل كوردي شريف سواء اكان من افراد الجيش الثوري الكوردستاني او غيره يتصدى للعدو (جيشاً كان ام جاشاً) فان جميع غنائمه تبقى ملكاً له سوى الاسلحة الثقيلة واجهزة اللاسلكي فانها تعود إلى الجيش الثوري الكوردستاني لحاجته الماسة اليها فضلاً ان عمله هذا داعياً للاعتزاز والافتخار.

تصادر الثورة جميع الاموال والاملاك المنقولة وغير المنقولة والتي تعود إلى الذين باعوا شرفهم وضميرهم إلى الحكومة الظالمة ضد ابناء شعبهم وتوزع اراضيهم على الفلاحين القاطنين فيها .
والى الامام نحو ثورة عارمة للقضاء على العدو الغادر لتحقيق اهداف وامانى ثورتنا المجيدة بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه البطل مصطفى»¹⁹⁸

في ظرف تحييط بالثورة المخاطر من جميع الجهات، كان كل الامل في حماية الثورة مركزاً على المتطوعين الثوار، كان قائد الثورة قد تجاوز الستين من العمر وثقيل الحركة وإستقرّ على الحدود الإيرانية (حاج عمران)، وولداه ادريس ومسعود لم يكونا عسكريين ولم تكن لديهم خبرة فى القتال . وعاشوا حياتهم كلها خلف الجبهات، كانت المعارك تدار من قبل قادة اما اكتسبوا الخبرة القتالية من التجارب المباشرة فى ساحات القتال او عسكريين تركوا الجيش العراقي والتحقوا بالحركة الكوردية .

ولننظر إلى واقع الحال حيث يتبين على ضوءه الفرق الهائل بين "أقوال القيادة وأفعالها" وسط تطييل وتزوير الدعاية الحزبية المضللة .

كما ذكرنا مات المشير عبدالسلام عارف إثر سقوط طائرته في 13 نيسان عام 1966 وخلفه شقيقه عبدالرحمن عارف، مال الأخير نحو التفاوض مع ملا مصطفى، فقد كان الجيش العراقي يعاني من الانهماك في حرب كوردستان . في تلك الفترة كانت مجموعات من مرتزقة أغوات الزيبار تعيش في مدينة عقرة، في الحقيقة كانوا حكام عقرة الفعليين، إذ كانت الحكومة العراقية قد منحتهم صلاحيات واسعة ولا يعاقبون لجرائم ارتكبوها بحق الاهالي . وبما ان العديد من ابناء عقرة كانوا مع بارزان تاريخياً ومشاركين في الثورة الكوردية، فقد كانوا موضع نقمة المرتزقة والحكومة العراقية . وكانت المضايقات المتعمدة تحصل بالأخص ضد ذوي الملتحقين بالثورة الكوردية، أو العوائل العريقة الولاء لبارزان .

198 مجلس قيادة الثورة في كوردستان العراق . المكتب التنفيذي 1965 /4/16 وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية . الدكتور عبدالفتاح علي يحيى البوتاني ص: 352 - 353 مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر 2001 .

كان شوكت عقراوي المهندس والذي مثل الحركة الكوردية في القاهرة وعلى صلات بمحمد حسنين هيكل وعن طريقه مع جمال عبدالناصر، ينتمي إلى محلة (زيوكى) ومعادى لقوى الإرتزاق بالأخص من فرسان الزيباريين الذين ساموا أهالي عقرة صنوف المظالم، وقريب جداً من قيم بارزان ولم يكن هذا في صالحه، إذ كان ملا مصطفى يقيم الأشخاص في منطقة عقرة بمدى تقبلهم لأغوات المرتزقة من الزيباريين، ولذا كان شوكت عقراوي لا يملك الحظوة لدى قائد الحركة الكوردية. وقد تعرض ذويه في محلة (زيوكى) في عقرة إلى مجزرة وحرقت منازل محلة زيوكى، يقول بهذا الصدد المحامي شكيب عقراوي:

"وفي شهر شباط/فبراير 1967 حدثت مجزرة في بلدة عقرة بسبب خصام بين بعض أهالي البلدة والفرسان الزيباريين. (وان معلماً في) إحدى المدارس الابتدائية واسمه محمد شريف زيوكى أثناء ذلك قتل احد رؤساء الفرسان الزيباريون فأنتمم الفرسان الزيباريين بالهجوم على محلة (زيوكى) في البلدة وقتلوا أكثر من عشرين شخصاً من بينهم نساء واطفال. ووقفت السلطات الحكومية موقف المتفرج ولم تتدخل لوقف المجزرة او فض النزاع ولم تتخذ اجراءات للتحقيق في القضية بحق الجناة الذين ارتكبوا المجزرة. ولم تتخذ السلطات الحكومية أية اجراءات للتحقيق في القضية ولم تقدم الجناة إلى العدالة والمحاكم....."¹⁹⁹

لم تكن الحكومة العراقية مهتمة اطلاقاً بحماية المواطن المدني من عصابات المرتزقة الذين أطلقت لهم العنان في أعمال إجرامية، وبما أن المقتولين كانوا أكراداً وبأيدي أكراد فهذا أمر مستحب ولا مانع لديها.

وبما أن ذوي الضحايا من عقرة كانوا على قناعة بإنحياز ملا مصطفى غير المشروط إلى المرتزقة الزيباريين، فإنهم جميعاً لجأوا إلى شيخ بارزان الذي كان لا يزال على قيد الحياة، وسكنوا في أراضي بارزان وقد رحّب بهم أهالي المنطقة ورغم فقرهم فقد آوهم في بلى وبارزان وحظوا بإحترام الجميع.

199 سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 221 - 222

وفي نفس عام مجزرة (زيوكي) حصل حادث ذا مغزى عميق يتعلق بجوهر القيادة الكوردية و يدل على مدى غياب الإلتزام الوطنى بقيم الثورة وإزدواجية ولاء القائد نفسه بين نقيضين. إن ذكر الحادث هو من كبائر الذنوب ومن المحرمات، وبكلمة أدق الحادث يبرز الظلم الحكومي وظلم الزعامة الكوردية للمواطن الكوردي العادي.

فمن بين المرتزقة الزيباريين، استغل سليم خان وهو خال زوجة ملا مصطفى الاخيرة، استغل فرصة غياب زوج احدى نساء البيشمركه في بلدة عقرة، اذ كان الزوج قد التحق بالثورة عن عقيدة وايمان، ويقا تل نفس هؤلاء المرتزقة الزيباريين تحت قيادة أخوال مسعود. — لانريد ذكر اسم البيشمركه، اذ لايزال حياً يرزق — استغل سليم خان حرمان الزوجة من العيش مع زوجها، وأخذ يتردد عليها إلى ان أقنعها بتلبية مطلبه بالزواج منه، وذكر لها ان ملا مصطفى سوف يتدخل لصالح طلاقها من زوجها البيشمركه وتزوجها به، أي بسليم خان. لم تصدق المرأة اول الامر باقوال سليم خان، لكنها اقتنعت بعد ان قال لها انه سيهربها إلى ملا مصطفى وليس (لقائد الفرقة العراقي) او (لمحافظ الموصل). اذ لم تستوعب المرأة هذا التناقض المذهل فى الاوضاع. اذ كيف يتمكن مرتزق ينتمي إلى جبهة الحكومة العراقية من تهريب (زوجة بيشمركه) ويلوذ (بقائد الثورة الكوردية) في المعسكر المعادي للحكومة! كان هذا امرأ غير منطقي ويجافي العقل. لكن المرتزق أفهمها ان ماتقوله هي، هو ظاهر الأمر اما الواقع فهو مختلف تماماً. فأقتنعت بالهروب معه.

لقد كانت ثقة المرتزق سليم خان بملا مصطفى (القائد العام للثورة الكوردية) مبنية على معرفته الصميمية بحقيقة ملا مصطفى، وكان على علم بمدى التعلق العاطفي لـ (رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني) بوالد زوجته (محمود آغا الزيباري - وكان من المرتزقه) ومدى حرصه على إرضائه مهما كلف الثمن الوطنى. بينما كانت معرفة البيشمركه «زوج المرأة المهربة» بملا مصطفى مبنية على الدعاية الحزبية المضللة.

ففي أحد الأيام هرع بعض الحراس في مقرّ قائد الثورة إلى تهيئة مكان خاص للخاطف والمخطوفة من عقرة، مع رعاية خاصة من حراسة وخدمات لراحتيهما. كان في الدائرة المغلقة للعائلة الحاكمة ثلة من الخدم والخدامات يقمن «بخدمات

خاصة»، ومن الذين اتصفوا بالخبت والنفاق، في الحقيقة هذه الصفات هي التي أهلتهم لهذا الدور المقيت، هؤلاء كانوا يعرفون خفايا «الدائرة المغلقة» وما يحاك في الخفاء من مؤامرات وفتن، كانت هذه «الحاشية المختصة» على دراية تامة بما هو مطلوب منها وتقوم بأداء دورها وفق المطلوب، ولايسألون عما فعلوا، كانوا يتمتعون بحصانة خاصة. هؤلاء كانوا في خدمة المرتزق خاطف زوجة البيشمركة. وبما ان البارزانيين في مقر ملا مصطفى كانوا لايزالون ملتزمين لحدود معينة بأداب الطريقة، فانهم كانوا غير مؤهلين في معرفة مايجري في «الدائرة المغلقة» وانحصر واجبهم في حراسة قائد الثورة وحاشيته الخاصة والقتال في الجبهات فقط.

أمر رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات البيشمركة باستدعاء الزوج «البيشمركة» من جبهة القتال، فتم الاتصال بالجبهة التي يقاتل فيها، وحضر إلى مقر قائد الثورة وهو لايعرف ما حصل لزوجته، اذ كانت الاتصالات صعبة مع المدن التي تسيطر عليها قوات الحكومة العراقية، لكن احد اصدقاء «البيشمركة» هرع ليلتقي به ويخبره ما حصل وأعطاه بعض التعليمات قبل ان يأتي قائد الثورة ويأمره يطلق زوجته للمرتزق. وهذا ما أخبرني به نفس الشخص الذي حضر جلسات «الفضيحة»، هو الآخر لايزال حياً حتى هذا العام 2011.

نرى في هذا المثال الحيّ، أن رئيس الحزب لا يستتف من النزول إلى مستوى لا يليق بالمنصب الوطني الذي يحتله، فقد كان من الأفضل له على الأقل ان يتولى هذا الأمر شخص ما من الحاشية ويبقى هو في الظل لكي لا يسيئ إلى سمعته الشخصية أمام الناس والتاريخ. فقد كان هذا الأمر مبعث خجل ومجرد من كل نخوة (إعطاء زوجة بيشمركة إلى جاش) لم يهتم بالسمعة ولا بمشاعر (البيشمركة) هذا مثال حيّ ينم عن إزدواجية خطيرة في شخصيته.

هذا العمل كان يليق بمحافظ الموصل أو بمدير الأمن أو بقائد الفرقة العسكرية المرابطة في الموصل، فقد كان المرتزقة الكورد يأترون بأوامرهم ومنهم يتلقون المال والسلاح. أما أن يقوم رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات البيشمركة بهذا العمل، فقد كان خارج كل التوقعات وطنياً، أخلاقياً، دينياً، حزبياً وقومياً.

من أجل حماية (الجاهش) من غضب (البيشمركة)، أمر ملا مصطفى «سليم خان» ان لا يحضر الاجتماع ولايتدخل حتى لا يحصل اي رد فعل عنيف من قبل زوج المرأة «البيشمركة» فقد كان مدركاً انها مسألة شرف. فأمر سليم خان ان يترك كل شيء له، أي لملا مصطفى، فهو يعرف كيف يعالج وينهي المشكلة لصالحه. كان لملا مصطفى عادة لازمته حتى النهاية، فهو عندما يريد الحصول على شيء، يخطط لثلاث مراحل، ان فشلت الاولى فان الثانية قد تتجح، وان لم تتجح هذه فربما الثالثة.

المجاملات:

دخل ملا مصطفى على البيشمركة مبتسماً وبشوشاً وبعد برهة قال:

«ليس من شك - وهذا ماقلته مراراً والجميع يعرفون- ان ابنائي الحقيقيين هم البيشمركة، وليس هناك أب يريد لأبنائه غير الخير. قولوا لي أنتم هل يعقل لأب أن يريد الشر لابنه العزيز، هذا مخالف للمنطق، والجميع، حتى الأطفال يعرفون ذلك، وقد يحصل ان لا يعرف الابن خيره من شره، فيعتبر الشر خيراً، أو قد يعتبر الخير شراً. لكن الاب يعرف خير أبنائه. والولد العاقل الذي يحسن الظن بوالده يكسب الدنيا والآخرة، والذي يسيء الظن يخسر الدنيا والآخرة. وطاعة الوالدين من رضا الله، ومعصيتهم هي معصية الله. وبعد ان فكرت بهذه المشكلة من كل جوانبها، ارى من الافضل ان تتخلص من شيء قدر، فهذه المرأة لاتليق بك.

كلا، لن أطلق زوجتي مهما كلفني هذا. قالها البيشمركة باصرار وكرر ذلك بعصية مما دفع بقائد الثورة إلى صمت، وبعد برهة نهض ورجع إلى البيت لإنتشال السهم الثاني ليصوبه نحو البيشمركة «ابنه العاق»

الأغراء:

عاد ملا مصطفى إلى البيت وامر قبل ان يلتقي من جديد بالبيشمركة باهداء ملابس جديدة مع ظرف فيه نقود، حمل واحد من افراد «الحاشية الخاصة» الهدية

لكن ما أن وضعت الهدية أمام البيشمركة، امتلكه السخط والغضب وأظهر اشمئزاً من هذا التصرف ورفض قبولها قائلاً: «لن أقبل الرشوة.»

الخدّام الذي يحمل الهدية من الحاشية الخاصة ومكلف بالواجب، قال: هل جنت؟ كيف ترفض هدية الوالد؟ نظر اليه البيشمركة وهو حائق: قلت لن أقبل الرشوة، عد من حيث أتيت مع هديتك. وقفل الخدّام الخاص ليخبر القائد والمحيطين به ما حصل.

لقد بدت مهمة قائد الثورة صعبة، لكنه لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يتخلون عن مهمتهم أمام الصعاب. ما ان أخبر «الخدّام» رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني بما جرى، حتى نهض الرئيس وهو متمنطق بخنجره وبندفقته واتجه إلى حيث البيشمركة، جلس مكفهاً لتهيبه وانتقل رئيس الحزب إلى المرحلة الثالثة:

التهديد:

هنا أخذ رئيس الحزب حجة اخرى ملزمة للجميع حسب رأيه: يجب ان اقول لك بوضوح، ان الفيصل في هذه الامور لست أنا ولا أنت، انما القرآن الكريم وهو كلام الله تبارك وتعالى.

واخذ يقرأ آيات من الذكر الحكيم على مسمع البيشمركة الذي اعتراه الذهول والخيبة من موقف قائد الثورة والذي كان يعتبره في السابق أباً وثورياً يناضل من اجل كرامة وحقوق الشعب الكوردي، فإذا به أمام واقع مذهل، لا يصدق ما يراه ويسمع. استمرّ قائد الثورة في تكرار الآيات، يشدد على بعض الكلمات ويخفف على اخرى، وثم يعود ليشرح هذه الآيات شرح المتبحر في علم التفسير، وانتهى إلى الإستنتاج: «ما أقوله لك ليس من عندي، انها إرادة الله جلّ وعلا ولا يمكن العمل الا وفق مشيئة». وخلاصة القول انه لامنجى من طلاق زوجته لكي يتزوجها مرتزق.

البيشمركة: بامكانك ان تقتلني الآن لكنني لن اطلق زوجتي. هاهي البندقية.. اقتلني.. لان ما تطلبه اسوء من القتل.

رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني: دعني أقول لك، انك لاتعرف خيرك من شرك. والحقيقة ان زوجتك مطلقة حسب الشرع الاسلامي، وحتى لاجحة لطلاقها.

كنت اظن انك ستفهم الامور وتختار طريق الخير وما هو مطابق للحق والعدل والشرع، لكنك انسان جاهل، ولاينبغي الاستماع إلى الجهلة.

بقي الپيشمرکه غير مهتم بما يقوله رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقائد الحركة الكوردية، بينما في داخله يغلي غضباً، وذكر له بوضوح: « بامكانك ان تقتلني الآن، لكنني لن اطلق زوجتي» و «كنت اعتقد انك بمثابة أب لي ولزوجتي، هل تقبل ان يُفعل ذلك بابنتك؟»

كان الپيشمرکه قد اكتشف ماهية القائد وعرف مصدر موقفه ودوافعه الحقيقية وكلها لاصلة لها بالكرامة والوطنية والشرع الاسلامي، ولم يسأله وهل بإمكانك ذكر أحاديث وآيات عن جزاء من يهرب امرأة متزوجة؟ ولم يقل له وماذا عن كرامتي كپيشمرکه أدافع عن وطني وكرامتي لسنوات ضد هؤلاء المرتزقة؟ وحيث نواجه يوماً في الجبهات هؤلاء الأعداء يتقدمون الجيش العراقي وانت تطلب طلاق زوجتي لهذا المرتزق، لم يسأله: «مع من تقف في حقيقتك؟» لكن ليس من شك ان ثقة الپيشمرکه وآخرين ممن علموا بالحادث، بقائد الثورة أصيبت في الصميم. لقد تناقل الجميع همساً أبناء الفضيحة. ولم يتدخل أحد من أبناء قائد الثورة ليثبت جدارة ثورية أو وطنية في قضية واضحة المعالم.

كانوا يرون.... ويتظاهرون بأنهم لم يروا.

وكانوا يسمعون.... ويتظاهرون بأنهم لم يسمعوا.

وكانوا يعرفون..... ويتظاهرون بأنهم لم يعرفوا.

لقد كانت آفة الفساد موجودة أصلاً، تنتظر فرصتها لكي تنمو بسرعة مذهلة من القمة نحو القاعدة السليمة والبريئة كسرطان سريع الانتشار.

في حين رفع مرتزقة الاعلام الشفهي في الحاشية صوتها مدحاً وتعظيماً للقائد الفذ والمنقذ في كونه الأب الروحي للشعب الكوردي ولولاه لما كان لنا وجود يذكر وكلنا له فداء.....

أما قائد الثورة فقد ظل فخوراً لم يبدُ عليه أي ندم، ففي محيط اجتماعي تم إفساده وتطويعه وهدرت كرامته يبقى هو بطلاً بلا منازع مهما فعل. !

بالنسبة للبيشمركة لم يكن امامه غير البقاء مع «الحركة التحررية الكوردية» رغم الاهانة والظعن في شرفه وموت الثقة بـ «رئيس الحزب»، اذ كانت باخرة الثورة الكوردية قد ابحرت بعيداً عن الشاطئ، والنزول منها كان يعني الانضمام إلى نفس معسكر المرتزق الذي هرب زوجته، لم يكن هناك خيار اخر غير البقاء مع «الحركة» مكرهاً. لقد استغل قائد قوات البيشمركة ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، حالة «حصار الشعب الكوردي» أبشع استغلال لضرب كل من لم يرق له، وهو يعلم ان ليس أمامهم سوي اللوذ بالصمت وقبول الإهانة، أو ان يصبحوا مرتزقة، وهكذا نرى ان مظالم بغداد أثرت في زيادة الرضوخ لحكم ملا مصطفى، فبين النارين، فضل الكثيرون البقاء في كوردستان رغم وجود حكم متخلف وظالم.

كان رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني غير ملتزم بالقيم والمبادئ الوطنية، والعواطف الشخصية تهيمن على مواقفه بقوة غير عادية، ولم يكن هناك مكتب سياسي جرىء وملتزم بالقيم الثورية يردع «رئيس الحزب» من مثل هذه المواقف المناقضة لروح الثورة. كما كان الوعي السياسي لدى الشعب الكوردي هزيباً وغير مبال بالانحرافات مهما كانت خطيرة. كانت الحركة الكوردية في واقع الامر بعيدة من ان تصبح «ثورة عصرية» ، وتفتقر إلى عوامل النجاح من وعي سياسي والتزام أخلاقي من قبل النخبة القيادية، وغاب التنظيم الداخلى العصري لتتحكم «قيم الآغا وعواطفه» في إدارة حركة وطنية تقدمية تطالب بالحقوق القومية للشعب الكوردي. كان اللب شيء والظاهر شيئاً آخر. ولعبت الدعاية الحزبية دوراً مؤثراً في عملية تخدير العقل الكوردي وتضليله، وظلت مكينة الحزب الدعائية تضخ بالالقباب الضخمة وتعظم القائد وتبجله ليل نهار دون مبالاة بالنتائج على الامد البعيد. هذه الظاهرة تكررت بشكل أقوى في ظل نظام صدام حسين الذي سحّر حزب البعث العربي الاشتراكي وكافة اجهزته الدعائية وموارد النفط لتجميل طغيانه وجبروته. منتهياً بدفع الملايين من البشر نحو الذل والدمار والموت.

كان ملا مصطفى في أعماقه وحيقته عواطفه أقرب إلى المرتزقة من أخوال مسعود من قربه من البارزانيين وقيمهم أو من الوطنيين الكورد المخلصين. كان يبتعد عن المجموعتين الأخيرتين باطراد ويقترّب بسرعة مذهلة من المرتزقة وبصورة يعادى كل من يذكره بوعوده وبقيم «الثورة» وبشخصيته القديمة. وكان قد تمرس في

إخفاء نواياه الحقيقية عن الشعب وتغليظها بشعارات الحقوق القومية والحكم الذاتي وقيم التصوف والتزهّد في المال والرئاسة.

إيضاح لتأثير القرابة على مجمل الحركة الكوردية وبارزان



كان الخطاب الرسمي للحركة الكوردية قومياً وحداثياً وتحريماً بينما تنتهك في الممارسة بشكل واضح.

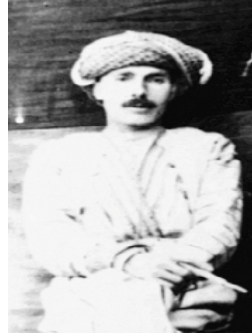
ففي الحالة الكوردية، تم توحيد مركزي السلطة والثروة في يد رجل واحد، وتوظيف الاثنين لمصالح عائلية. وهنا لامنحى من ان يصبح العنف والفساد الشكليين اللذين يكتفان توظيف واستعمال السلطة التنفيذية في انتاج الحكم التعسفي، مع التشديد والمبالغة في الخطاب الرسمي على الكرامة والشرف والعدالة والتحرر. هناك حالة فصام تامة بين الكلمات والواقع في الحياة الفعلية. فالخطاب الرسمي يشكل الديكور الخارجي والحفاظ على الشكليات الضرورية لتغليب صلافة العلاقة بين المجتمع والسلطة في غياب أي شكل من أشكال الضبط والرقابة والمحاسبة والاعتراض. اضافة كان نفوذ المرتزقة غير المرئي نشط وقد ترسخ بالتدرج في قمة الهرم القيادي.

فالمعيار الصحيح في الحكم على الثورة الكوردية، وعلى جميع الثورات هو مقدار ما أنجزته في مجال إقامة العدل وترسيخ الحق والالتزام بالمبادئ التي قامت من أجلها الثورة. وعندما تتفصل القوة عن العدالة يكون مألها الظلم والاستبداد.

أحمد (شيخ بارزان)

وقد يكون من المفيد هنا ايراد ملخص عن شخصيات بارزان وخلفياتهم لتسهيل فهم الأحداث التاريخية اللاحقة:

شيخ بارزان²⁰⁰، الرجل الذي قيل عنه الأقل في الإعلام والكتب، رغم إنه كان وراء الكثير من الأحداث التاريخية التي اجتاحت بارزان. هنالك منحى قوي بتسجيل السلبيات لشيخ بارزان وكل شىء ايجابي باسم ملا مصطفى وما عداه قليل الأهمية. وحتى في الفترة التي شهدت فيها كردستان انحسار حكم البعث بعد عام 1991 ونشاط الجامعات الكوردية في جو محدود من الحرية أرادوا الكتابة عن شيخ بارزان كموضوع لنيل شهادة ماجستير في جامعة صلاح الدين، لكنهم لم يجدوا أي تجاوب، هذا ماورد لى من طالب يدرس في جامعة صلاح الدين.



شيخ بارزان (أحمد) عام 1932 في المنفى التركي

ولا أدعى بأنني سأسرد هذه الثغرة الكبيرة في تاريخه المعقد في هذا الكتاب، خاصة الجانب الروحي منه. لكنني سأسعى بإختصار، إلى تناول دوره في تنظيم

200 الاستاذ فريد أسسرد تناول في كتابه الموسوم ب(اصول العقائد البارزانية) دراسة مقارنة العقائد البارزانية مع الطرق الصوفية الاخرى كالاسماعيلية والقرامطة وغيرها. وهو اول كتاب في هذا الحقل. من مطبوعات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية. السليمانية. الكتاب ترجم ايضاً الى اللغة الكوردية ..2008

المجتمع البارزاني، الذي أمتاز في فترات معينة بقدر كبير من الإنسجام والاتحاد والتمسك بقيم العدالة وإيجاد نظام المساواة وترسيخ عقيدة المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي.

من الصعب جداً تحديد يوم أو شهر أو حتى عام مولده، فلذا فإن مايرد سيكون تقريبياً وهذا يشمل جميع إخوانه في العائلة البارزانية. فأكثر الظن انه ولد عام 1894 وهو الولد الثاني بعد عبدالسلام - شيخ بارزان الرابع. وكان والده قد تعرض لعداء شديد من تحالف معظم الأغوات المحيطين ببارزان لكنهم اندحروا في النهاية إثر سلسلة من الحروب الظافرة خاضتها المشيخة البارزانية - يجد القارئ التفاصيل حول عهد الشيخ محمد في كتابي المعنون «بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي 1826 - 1914»، ويبدو ان الشيخ محمد كان منظماً جيداً فقد بلغ البارزانيون مستوى عالٍ من الانسجام والاتحاد الروحي والمساواة مما ساعدهم على المقاومة أمام قوى معادية تفوقهم عدداً وعدة. فقد اعتمد على قياديين متحلين بالإيمان والصبر على تحمل المشقات وفي عهده ذاع صيت بارزان نتيجة وقوفها ضد ظلم الأغوات. وبعد وفاة والده تكفله الشيخ عبدالسلام ويمكن اعتباره مربيه الأول، لكن إعدامه من قبل الترك عام 1914، جعله يلتصق بأتباع الطريقة المعروفين بإخلاصهم ونزاهتهم، والأكثر شهرة كان ملاي ملا محمود، والأخير كما أوضحنا في كتابنا السابق كان قد حظى على ثقة وثمانين شيخ بارزان الرابع لدوره الروحي البارز وشجاعته في التصدي للغزاة طيلة عقدين من الزمن.

إمتازت حياة شيخ بارزان الخامس بثلاث مراحل من الاحتلال ومقاومة بارزان لها. وهي على التوالي التركي - البريطاني - العربي. نظراً لصغر سنه ربما كان (أحمد) لايتذكر إلا بصورة غامضة والده الذي وافته المنية على ما أظن بداية عام 1902 لكنه كان يتذكر عهد الشيخ عبدالسلام الذي أصبح شيخ بارزان الرابع. وشاهد تحالف الأغوات مع الجيش العثماني وشنهما الحروب ضد بارزان على ثلاث جبهات: عقره - ديارته - بيرس ثم بارزان و (أميدى - بالندا - ثم بارزان) و (رواندوز - ميركه سور - شيروانا مه زن) وبهذا يتم احتلال وتطويق جميع مناطق بارزان وسد جميع مسالك الافلات على قواتها. تفاصيل عن عهد الشيخ عبدالسلام يجدها القارئ في نفس الكتاب الذي أشرنا اليه والمتعلق ببارزان في القرن التاسع عشر إلى اندلاع الحرب العالمية الاولى.

لعل أكثر ما يفيدنا هنا عن معرفة دوره في حياة البارزانيين هو تناول أعماله لأن الأعمال هي انعكاس شخصية الإنسان وحقيقته. فأول مايلفت النظر هو ترفعه عن الامتلاك. كان مايملكه لايتجاوز مايملكه آخرون في بارزان . وكان مقتنعاً بذلك.

وركّز على الثقافة الروحية الا ان اندمجت حياته بتعاليم الطريقة ويعمل على هديها. وقد اهتم بالشعب نزولاً عند الشؤون الصحية فقد سمعته يشجع البارزانيين الملتفين حوله وفي عدة مناسبات على عدم التدخين وتناول أقل مايمكن من مادة السكر. كما كان يوصي بأدوية طبيعية مستخرجة من النباتات البرية التي تنمو في جبال بارزان لمعالجة الروماتيزم، آلام المعدة والتخلص من الانفلونزا ومسحوق للمحافظة على صحة الاسنان وتقوية اللثة. وشديد الحرص على حماية الحيوانات والطيور والأسماك والأشجار في جبال بارزان.

يمكن تقسيم مراحل حياته إلى عدة أسفار:

- أعوام طفولته والاختفاء والاشخاص الذين أثروا في تكوينه الروحي، وبدء سلسلة من عمليات الاحتلال المتعددة لبارزان 1894 - 1921.
- استيعاب مبادئ الطريقة وتنظيم المجتمع 1921 - 1927
- العزلة 1927 - 1929
- مقاومة الهجوم الأنكلو-عراقي لاحتلال بارزان 1930 - 1932
- المنفى التركي والعراقي 1932 - 1944
- مقاومة الهجمات العراقية والإيرانية 1945 - 1947
- المنفى العراقي من جديد 1947 - 1958
- العودة والمقاومة و"الحياد" 1958 - 1967
- تنظيم مجتمع المساواة. 1967 - 1969

من غير الممكن فهم شخصيته من دون فهم عقيدته النقشبندية، فهو أولاً وأخيراً رجل عقيدة وإيمان. وسنرى كيف انه سعى الي إيجاد المجتمع السليم في محيط فقير يحيط به الأعداء من كل جانب ومهدد على الدوام بإجتياح القوات الحكومية لأراضي بارزان. كما سنرى كيف ان تعاليمه المستمدة من تعاليم الطريقة خلقت انسجماً في

حياة الناس مع المحيط الطبيعي من مناخ قاسٍ وتضاريس جغرافية شديدة الوعورة وشحة في الانتاج الاقتصادي حيث نمط الانتاج هو مزيج من (زراعي - رعوي) وسائل الانتاج بدائية لتوفير المحاصيل كالقمح والشعير والعدس و- الرّز في مناطق محددة صغيرة - وأنواع الكروم الديمة، والفاكهة التي تقتصر على القرى التي تتوفر فيها المياه، ورعي المعز والضأن والأبقار. وتربية النحل في قرى قليلة محدودة.

بادئ ذي بدء، كان يرى ان تنظيم المجتمع ينقسم إلى ثلاث خلايا:
أصغر الخلايا هو الانسان الفرد وهو الأساس وكل شيء يبدأ منه.
ثم تأتي العائلة التي ينتمي اليها الفرد.
وتم القرية.
بعدها القبيلة وهكذا إلى نطاق الأمة.

لقد انصب اهتمامه على الفرد، فالبحث عن الذات وفهمه هو طريق الحكماء، بينما من يغفل نفسه ويبحث عما في غيره فهو طريق الضلال، وكان يوصي بالاعتدال والتواضع والاحلاص في الفكر والقول والعمل، وأن يكون الفرد بشوشاً محباً للخير لا يحقر من هم أقل منه شأنًا وبهذا يبعث الاحترام فيمن حوله، لا يغضب بل يفكر في هدوء وسط العواصف، وما ان ينسجم الجميع، الزوج مع زوجته، والأبناء مع الوالدين حتى يسود المجتمع السعادة ويعم الخير والعدل. ولا بد من ان يكون المرشد وأعوانه قدوة يقتدى بهم قولاً وعملاً، وفق الحديث الشريف -الناس على دين ملوكهم- وعليهم ان يؤدوا واجباتهم بوقار وعطف ويقدموا الخيريين نحو مهام المسؤولية ويركزوا على تثقيف المعوجين إلى ان يستقيموا. وأن الثروة ان وجدت يجب ان لا يحرم منها أحد، وان تراكم الثروة وحياة الترف عند البعض يؤدي إلى الانغماس في الفساد و تشتت وحدة الشعب وبروز التباين الاجتماعي ونزعة العداة والحسد في المجتمع، لذا ينبغي ازالة الفروق الاقتصادية. والكل: المسنون والكهول والأرامل والعميان والمرضى واليتامى وجدوا عناية بهم وصون كرامتهم، كانت زيارة المرضى ومواساتهم أمراً في غاية الأهمية، فأطلق الناس على كل هذا ب (حكم بارزان) ورغبوا العيش في ظله.

وكان شديد الحرص في عملية "إنتقاء" الأشخاص، فهو لا يختار نائباً إلا بعد التأكد من توفر الشروط الأساسية فيما يخص الحياة الروحية والاجتماعية واستيعاب

الشخص لبرنامجهِ الروحي استيعاباً حقيقياً وليس ظاهراً فقط. كان يعير للتربية الاخلاقية جل إهتمامه. ومن هنا، أي من شدة حرصه لم يختار أياً من إخوته أو أبنائه لتبوء مركز "المرشد" لأنهم لم يكونوا كفؤين حسب المتطلبات الروحية. إنما اختار من أبناء الشعب المؤهلين. وعندما بدأ بنهضته الروحية الأخيرة في نهاية الستينات وأرسل رسله إلى القرى، لم يكن بينهم ولا واحد من العائلة البارزانية، كلهم كانوا من أبناء الشعب دون امتياز اجتماعي ولكونهم مؤهلين لخدمة المجتمع باخلاص.

لقد بقيت ذكرى إغتيال مرشد الطريقة (ملای ملا محمود) لاتفارقه ولذا نشط إلى حد ما في السّرّ لسنوات وبهدوء بعد عودته عام 1958 من المنفى العراقي، بدافع المحافظة على حياة الجيل الطليعي من المريدين والمرشدين الجدد لتفادي تكرار عملية الاغتيال التي جرت عام 1927 في بارزان. والأمر الظاهر كان هناك عدد من الأشخاص يعيشون في مجموعات "واحات" مبعثرة في كل القرى البارزانية وشديدي التآلف والتعااض بحيث كانوا يحسدون على نمط حياتهم الاجتماعية والتي سادها التآلف والإنسجام.

ولابد من الإشارة إلى نظام العمل داخل "المجتمع النموذجي" روحياً، ونختار نموذجين لغرض المقارنة: نموذج (ملا مصطفى، مقراته عكست نمط حكمه كما كان الحال في قرية ريزان) والحياة في قرية (شرى، نموذج شيخ بارزان) على هضبة مطلة على نهر (Rumezin)، وتدار بنظامين مختلفين تماماً. فعلى سبيل المثال كان نموذج (ريزان) يسكن فيها أبناء ملا مصطفى، قائد الحركة الكوردية ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وحيث من المفروض انه يناضل من أجل حقوق الشعب الكوردي ويحرص على توفير العدالة للمجتمع. كانت المجموعة مكونة من حوالي 60 عائلة أي ما يناهز 430 نسمة، ويمر فيها طريق سيارات ولها أهمية سياسية نظراً لوجود أبناء ملا مصطفى فيها. ويتردد عليها الزوار من أماكن عديدة ولها صلات مباشرة مع ملا مصطفى نفسه. وما ينطبق على (ريزان) ينطبق على مقرّ ملا مصطفى. (ريزان) تمثل الإدارة التي أوجدها ملا مصطفى في كوردستان.

وفي مقابل (ريزان) في الضفة الغربية من النهر الفاصل بين القريتين، تقع قرية (شرى) النموذج الثاني المتمثل في سيادة تعاليم الطريقة النقشية، وهي النموذج

الذى صاغ نظامه شيخ بارزان. كان عدد العوائل في القرية يقارب السبعين عائلة، أي مايقارب 490 نسمة. ومن ضمن الاسر عدد من الأراامل مع أيتامهم. القرية تقع جنوب نقطة التقاء نهري (Rukucik) و(Rushin) بحوالي 2500 متر، وتقع فوق مرتفع منبسط يفصلها عن النهر سهل واسع منخفض يوازي مياه النهر ولا يرتفع السهل عن مستوى النهر إلا قليلاً.

هذه القرية النموذجية كانت من الناحية الديمغرافية مزيجاً من أفراد ينتمون إلى كافة قبائل بارزان ومن مختلف قراها، كانت بوتقة ينصهر فيها الناس ويتحدون في الفكر. ففيها تجد الشيرواني والمزوري والدولمري وال Beroji. رابطة الانتماء إلى الطريقة واستيعاب تعاليم شيخ بارزان بعمق هي التي دفعتهم إلى اختيار العيش معاً كعائلة واحدة، تاركين قراهم الأصلية وقبائلهم وحتى أقاربهم. فالقراية الحقيقية هي "قراية المبدأ" وليس من شك ان الفضل الأول يعود إلى تعاليم الطريقة التي أكسبت البارزانيين قوة أمكنتهم من النهوض من جديد بعد الكبوات التي منوا بها ومناعة ضد اليأس واسترداد طاقاتها إثر النكبات التاريخية المتلاحقة التي عصفت بهم خلال قرن كامل. تعاليم شيخ بارزان زودتهم بثقافة مستقرة، هادئة عميقة ومبعث طمأنينة لغالبية أبناء بارزان.

نزعة شيخ بارزان اللامادية سببت له الكثير من المشاكل حتى مع أولاده، فقد كان له نائبين روحيين، ملاي ملا محمود وخورشيد، وكلاهما لاقا حتفهما، الأول في بارزان على يد ملا مصطفى ومحمد صديق عام 1927 والثاني على يد صدام حسين عام 1983. لم يعتمد شيخ بارزان على أبنائه في المهام الروحية لبعدهم عن فهم مضمونها.

الجدول التالي يوضح الفروق التي طبعت تركيبة الحياة الاجتماعية لمجموعتين "نموذجين في الحكم" ادعت نفس الانتماء لكن التطبيق اختلف كثيراً (نموذج شرى) و (نموذج ملا مصطفى) أو بكلمة أدق نمط شيخ بارزان و نمط ملا مصطفى:

<p>نموذج شيخ بارزان جماعة (شري)</p>	<p>نموذج ملا مصطفى وأولاده (مقراته وأينما ساد حكمه)</p>
<p>تفادى توريث أولاده لخلافته، وحذر البارزانيين من الانقياد الأعمى وراء من يدعى من العائلة تمثيل بارزان وقيمها الروحية زوراً. ولم يكن لديه امتيازات اقتصادية، وعند وفاته عام 1969 لم يخلف أموالاً</p>	<p>رکز كل طاقاته لتوريث ولده بدافع عاطفي محض، دون إستشارة أحد، وتمتع بامتيازات اقتصادية كبيرة وبأسلوب احتكاري، وعند وفاته عام 1979 كان في حوزته عشرات الملايين من الدولارات</p>
<p>انعدام التمييز الطبقي والاستغلال الاقتصادي وعمل جماعي لشق التربة وإرواء الأراضي وتوزيعها بالتساوي</p>	<p>استغلال إقتصادي وأعمال السخرة وخطوط طبقية واضحة غني وفقير، ملاكون ومعدمون</p>
<p>انسجام وتناغم اجتماعي لا مجال للكراهية والحسد</p>	<p>ضرب الفلاحين وممارسة الظلم وتخويف الأهالي، بلغ مجموع القتلى سبعة من رجال ونساء من أبناء وبنات كوردستان على يد أبناء رئيس الحزب. وترك الجناة أحراراً</p>
<p>عند أداء الواجب الوطني رفض استلام رواتب من قائد الحركة ملا مصطفى</p>	<p>الببشمرکه يتقاضون رواتب من قائد الحركة وتعتبر سخاء ومنحة من القائد</p>

<p>المرشد يتخذ القرار على هدى مبادئ الطريقة ويستشير هيئة الحكماء، اهتمام فائق بالاتحاد والتعاون والانسجام الاجتماعي وزرع الفضيلة والأخلاق العالية في المجتمع</p>	<p>القرارات تتخذ وفق المصلحة العائلية والحكم من خلال افساد المجتمع، سياسة فرّق تسد متبعة على جميع الأصعدة، ويعير اهتماماً خاصاً للتجسس على المجتمع وعين ولده رئيساً لهذا الجهاز</p>
<p>الزواج مبني على الرضا المتبادل وضمن المجموعة</p>	<p>نظرياً الزواج مبني على الرضا المتبادل لكن حصلت عملياً حالات العكس</p>
<p>رابطة جماعية وضمان معيشة الأرامل والأيتام والمعالجة الصحية، الجماعة هي التي تتكفل من خلال ضمان اجتماعي</p>	<p>رابطة فردية الأرامل والأيتام يستجدون عطف الحاكم المطلق الصلاحيات</p>
<p>الالتزام بالزّي البارزاني الأصيل ورفض ماعداه</p>	<p>القبول بالزّي الحديث وعدم الالتزام بالزّي التقليدي</p>
<p>ليس في القرية سوق إنما يتفادون كل ما أمكن الاحتكاك بالسوق وينتجون كل ما أمكن ما يحتاجونه ذاتياً</p>	<p>سوق القرية بلا ضوابط والاسعار غالية نسبة إلى القوة الشرائية</p>
<p>لم ينجُ منهم خلال عملية الابادة في قوشتبه إلى ماندر بسبب (الرابطة الجماعية) وتفضيلهم الحياة أو الموت معاً فلم يختفوا أو يهربوا كأفراد</p>	<p>الابادة في قوشتبه عام 1983 نجى العديد منهم بسبب اختفائهم، إذ كانت رابطة الجماعة بينهم أقل رسوخاً من جماعة شري</p>

ملتزم بمبادئ الطريقة النقشبية ويعمل وفق تعاليمها بنزاهة واخلاص مشهود له	عدم الالتزام لابمنهاج الحزب ولا بقيم بارزان ولا بالقيم الوطنية إنما استغلها لتقوية نفوذه ومصالحه العائلية
كان كثير الاحترام للجميع دون تمييز	تسليط صعلوك على شخص نبيل لاهانته وتخويفه وتطويعه لسلطته

كان شيخ بارزان متحرراً من عقدة التملك المادية كما أسلفنا، فقد كان مقتنعاً بما لديه ولا يصبو إلى المزيد، في حين كان ملا مصطفى متضيقاً أشدّ التضايق من حالته المادية ويعمل على الخروج منها بكافة الوسائل المتاحة له وتحت شعارات مختلفة ويخفي نواياه الحقيقية بمهارة فأحتفظ بسمعته كمتزهّد في المال في الوسط البارزاني.

كانت المبادئ التي يرتكز عليها شيخ بارزان واضحة وشفافة فالعدل أساس كل شيء. فهو يعمل بشكل رئيسي على تثقيف الشعب لممارسة العدالة. فبين أعوام 1958 - عام اطلاق سراحه من سجن بغداد وحتى عام رحيله 1969 - شهدت بارزان أحداثاً تاريخية هامة، فقد تعرضت أراضيها إلى أول هجوم واسع برّاً وجواً في العهد الجمهوري - هجوم مشترك مؤلف من الأغوات المرتزقة الكورد والجيش العراقي في صيف 1961 - فأحرقت جميع منازل بارزان وأراد المرتزقة الزبياريون وهم في غمرة احتلال بارزان - كانوا من أحوال وأقرباء مسعود - رئيس الحزب الديمقراطي الحالي - هموا بنبش مقبرة بارزان، الا ان العميد حسن عبود عندما علم بنوايا المرتزقة، ذهب اليهم شخصياً وهددهم فخافوا من تنفيذ فعلتهم، وبقي البارزانيون يحتفظون لهذا العسكري العراقي - الاستثنائي إلى حد كبير في الجيش العراقي - بالتقدير والودّ.

كانت المواد الغذائية شحيحة، فمنطقة بارزان رغم تمتعها بنوع من الحياذ الرسمي بين أعوام 1964 - 1969 الا انها كانت تتعرض إلى القصف من قبل السلاح الجوي العراقي ولم تتزود المنطقة بالمواد الغذائية الضرورية من أسواق الحكومة العراقية.

ففي إحدى المرات والاستعدادات على وشك الانتهاء لخوض ما عرف فيما بعد بمعركة (هندرين 12 مايو/أيار 1966) سافر عدد من التجار البارزانيين في 17/4/1966 وهم يقصدون أربيل، منهم يوسف مصطفى جوله، سعيد محمد سينم، سليمان ملا شيخ، عمر سليمان، مصطفى ملا زاده، حسين شه رو وأحمد هرنى، اقلوا السيارات للتوجه إلى أربيل لشراء السكر والشاي والصابون ومواد أخرى كان السكان في أمس الحاجة لها، وبوصولهم بين كيله كين وسيلكى وهم في طريقهم إلى أربيل كانت أفواج من المرتزقة الكورد تحت إمرة أغوات الزبيار قد نقلت لشحن هجوم للإستيلاء على جبل (هندرين) وعندما علم هؤلاء المرتزقة بوجود التجار البارزانيين في موقع مرورهم - لم يكن البارزانيون مسلحين - وانهم يتوجهون إلى أربيل، نزلوا من سياراتهم وأحاط المرتزقة الزبياريون بالبارزانيين بالمآت، كل مرتزق يريد الإسهام في الضرب، ثم وجهوا فوهات بنادقهم إلى صدورهم وبدأوا بالشتم والضرب المبرح بأخامص بنادقهم وهم ينوون قتلهم جميعاً ويقولون: «الجهة تبدء من هنا.» فكل مجموعة مؤلفة من حوالي عشرة مرتزق انفردت ببارزاني واحد، بهدف قتله بأخامص البنادق. والأغوات يضحكون ويتمتعون بهذا المشهد. وبعد مضي فترة من الضرب الوحشي والحاقد، تمكن جماعة من الهركية تحت إمرة فتاح آغا هركي، تخليص البارزانيين من قبضتهم، وتدخل ضابط من الجيش العراقي: «كفاية ضرب» بعد ان أغمي على العديد منهم وهم مطروحون على الأرض كالأموات. وقد استولوا على ماكانوا يحملون معهم من أموال. بقي البعض في حالة شلل وعجز إلى آخر حياته - التقيت شخصياً بأحدهم في «بلى» وهو صديق لي - يوسف جوله - كان فاقد النطق ومشلول - بعدها تابع المرتزقه الأغوات سيرهم إلى مواقع في راوندوز لاحتلال جبل هندرين.

سبب الحادث صدمة كبيرة لدى كل التجمعات البارزانية ولشيخ بارزان، ومن جانبه، كان ملا مصطفى في هذا الوقت، قائداً بلا منازع للحركة الكوردية، ومن أجل امتصاص النقمة الشعبية التي تولدت من هذا الحادث، كان يقول ويردف قوله بأغلظ الإيمان من انه: «سيلقن المرتزقة درساً لن ينسوه حتى وان كانوا أحوال مسعود.» الكثيرون صدقوه ورفضوا قدره عالياً.

لقد أدى الحادث المأساوي المذكور إلى خلق شعور بالاعتماد على الذات أكثر من السابق وأن حالة العداء تجاه بارزان متأصلة في أوساط المرتزقة الكورد والحكومة

العراقية وانهم لا يلتزمون بأية أخلاق، فهؤلاء التجار لم يكونوا مسلحين وانما مواطنون يكسبون حياتهم من عملهم. ان مجرد رؤية العمامة الحمراء وكونهم جاؤوا من منطقة بارزان، كانت كافية لاثارة النعرة العصبية العمياء ودفع المرتزقة إلى الاعتداء عليهم بصورة وحشية.

فيما بعد قصد الكثير من التجار البارزانيين قسبة «كلاله» شمال راوندوز، حيث تتوفر فيها المواد المستوردة من إيران، وشراء ما يحتاجونه هناك ثم نقله على ظهر الحيوانات إلى مناطق بارزان. إذ كانت قيادة الحركة الكوردية قد طورت علاقاتها بإيران الشاه.

وجد ساكنو قرية (شري) ان هناك نقصاً في الزراعة المروية وشحة في الفاكهة والخضروات، فالأراضي التي يزرعونها ديمية، فوجدوا ان بالإمكان حفر ساقية بما يعادل تقريباً 2500 متر طويلاً، وهذه الساقية سوف تأتي بمياه النهر إلى موقع مرتفع يساعد على إرواء أراضي واسعة تلبى حاجات جميع ساكني القرية من الرز والخضروات والفاكهة. هذه كانت أراضي بور غير مستغلة تغطيها الأحراش والأشواك. وهنا نفع على طريقة عمل هذه الجماعة التي تطبق حرفياً تعاليم شيخ بارزان. فقام البعض من ساكني (شري) بمسح عام للأرض وقياس إرتفاع مستوى النهر الذي يجري بمحاذاة هذا الموقع. فأقتنعوا بالبداية بالعمل معتمدين على عضلاتهم والأدوات البدائية للحفروشق التربة بعد اختيار نقطة بداية الساقية. لكن قبل البدء تمت الموافقة على برنامج «عمل جماعي» دقيق:

حوالي كل خمسة أمتار يحفرها خمسة أشخاص. المقياس لتحديد المسافة كان عبارة عن حبل مصنوع محلياً.

لايسمح بتجمع خمسة أشخاص أقوىاء في مهمة عمل واحدة. إنما يتم تقاسم حفر الساقية من رجلين قويين وثلاثة أقل قوة حسب توفر الأشخاص والظروف.

الخمسة أمتار هو عمل يوم واحد.

يحصل تعاون جماعي عندما يتعرض الحفر إلى صعوبات غير معهودة من جراء وجود صخور مستقرة في باطن الأرض.

وعندما تم بنجاح حفر الساقية وانسابت المياه فيها بدأت عملية تنظيف الأرض

وتقسيمه إلى قطع حسب العوائل وعدد الأشخاص في كل عائلة.
بدؤوا بكتابة أسماء جميع العوائل على ورق صغير ووضعت في كيس.
تجولت «لجنة التوزيع» من أول الحقول إلى آخر حقل حاملة معها «كيس القرعة».
وعند سحب القرعة يناط الحقل لمن ظهر اسمه.
وهكذا تم توزيع الأراضي عن طريق القرعة ونالت العوائل التي فقدت معيها حصتها كالبقية.
تولت الجماعة حرث وزرع وارواء وحصاد الحقول التي تعود إلى العوائل التي فقدت معيها.
كان الجميع فرحين بالنتائج ولم يحصل أي نقد أو لوم.

لقد مثل هذا اول نموذج ناجح للاستفادة من مياه النهر للري في أراضي بارزان حيث كانت هذه المياه المتدفقة تجري بلا فائدة، كما إن هذه الجماعة استطاعت ان تعيد الحياة الانتاجية لأرض ظلت بواراً لقرون.

ومن ناحية أخرى طبق هؤلاء الإصلاح الزراعي على طريقتهم الخاصة دون دعم حكومي أو من قبل الأحزاب «الديمقراطية، الثورية، الطبيعية» والتي تنادت وتفنتت برفع شعارات الاصلاح الزراعي في العراق وكوردستان ولم تطبق وانما كانت مجرد شعارات، خدعت الفلاحين وعززت- في كثير من الحالات- ظلم الأغوات على الكادحين في الأرياف.²⁰¹

كان شيخ بارزان سعيداً بهذا الإنجاز.
ولابد من ذكر تعاليم شيخ بارزان المتعلقة بالبيئة والحفاظ عليها، فبين أعوام 1958 إلى 1969 كانت نتائجها ملموسة في مناطق بارزان. فكثرت قطعان العنز البري في جبال بارزان وذهب عنها الخوف. كذلك الحجلى وأجناس أخرى من الطيور. وتمشياً مع التطورات فقد منع استخدام الديناميت التي تقتل صغار الأسماك بأعداد هائلة، فكثرت الأسماك في الأنهر. وشقت عدة طرق في الجبال لتسهيل

201 الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1964-1958 . البروفيسور د . كاوس قفطان . تموز 2004 . حكومة اقليم كردستان . وزارة الثقافة . المديرية العامة للطباعة والنشر . تسلسل (266) . ص: 59

مرور الناس والدواب فيها. كما كثر النحل، وأشجار الثمار البرية. يعود هذا إلى أن للأرض والأشجار والكائنات الحية التي تعيش في الجبال وفي المياه لها حق العيش والمراعاة. هذه التعاليم لم تراعى في مناطق تحت نفوذ قيادة الحركة الكوردية ولا تحت نفوذ أغوات المرتزقة الكورد. لقد كانت الحيوانات البرية والطيور في هاتين المنطقتين الأخيرتين مذعورة من مشاهدة الإنسان، فكانت تختفي أو تهرب على عجل خوفاً من الطلقات التي تلاحقها.

راقب شيخ بارزان المجرى السياسي على الساحة الكوردستانية والعراقية بحذر شديد. فقد كان يرى أن الاستقرار النسبي في بارزان مرتبط بقوة الحركة الكوردية وأن هزيمتها هي هزيمة لبارزان. ولهذا فقد عمل، كلما أمكن، على تعزيز مواقع الحركة الكوردية بارسال قوات من بارزان، عند تهديد جدى من الجيش العراقي والمرتزقة الكورد أو عندما تفتح ثغرات في جبهة من جبهات الحركة الكوردية مثل جبهة عقرة، شيخان، آميدي، راوندوز، وفي إحدى المرات أرسل التعزيزات حتى رانية. كانت القوات البارزانية تلك تحت إمرة مقاتلين من أمثال صالح كانيانجي، محمد شكر بارزاني، مصطفى محو، نعمان بارزاني، زياب درى، فرامرز موكي، وكان ملا مصطفى يطالب ارسال مثل هذه التعزيزات.

كان شيخ بارزان قد شخّص بدقة ملا مصطفى، لايثق بأقواله ومتخوف من كارثة يجلبها للشعب. ونفس الشيء ينطبق على الحكومة العراقية التي لايثق بمسؤوليها. ومن ضمن جميع الحكام الذين تولوا سدة الحكم في بغداد، كان يكن احتراماً خاصاً لعبدالكريم قاسم فقط.

راقب شيخ بارزان الحركة الكوردية وما تجلبه من خير أو شر للمجتمع، ومتألم للانشقاق الذي حصل بين ملا مصطفى والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكان ذلك بمثابة نذير شؤم. لقد وجد تصاعداً في وتيرة الفساد والجريمة، وكان عدد من البارزانيين الموجودين مع ملا مصطفى من حراس ومقاتلين يأتون بالأخبار إلى شيخ بارزان. لقد ظهر أن ملا مصطفى كان ورائها أو في أحسن الأحوال لا يحرك ساكناً. فعلى سبيل المثال تم قتل عدد من الفتيات من قبل أولاد ملا مصطفى ولم يتحرك الأخير. كانت هذه أول مرة يحصل فيها

حالات تعدد وقتل نساء في منطقة بارزان من قبل أبناء قائد الحركة الكوردية ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، اقتصر هذا فقط على أبناء ملا مصطفى. وما زاد من المأساة ان عملية القتل نفذت بيد «البيشمركة». في حين كان من ضمن واجباتهم الدفاع عن الكرامة الكوردية وحماية الشرائح الضعيفة من السكان. وفي واقع الأمر ان قتل النساء الذي استشرى فيما بعد عام 1991 كانت بداياته قد تكونت في الستينات من القرن الماضي.

في احدى الليالي جاء إلى المنزل عند والدي «.....» وكان شديد التألم ويريد أن يفصح عما يقلقه بشدة. كان والدي قد فرغ من صلاة العشاء، بعدها دخل «.....» الغرفة وجلس قبالة والدي الذي رحّب به ، كانت علامات الصدمة من الحدث بادية على ملامحه الحزينة، سأله والدي عن سبب مجيئه. بدأ يحكي تفاصيل القصة وأكتب هنا باختصار ماقاله لوالدي: « لقد أمروني بقتل (.....) ولكنني لم أنفذ الأمر، تمردت على الأمر. إذ كيف يمكن الادعاء بالدفاع عن حقوق شعب مضطهد ويكلفني (.....) بقتل (.....) لم أنفذ الأمر ولن أبقى في سلك البيشمركة. إن المهمة التي كلفت بها هي مهمة قذرة ولن أعود لحمل السلاح. لكن بيشمركة آخرين نفذوا الأمر، وشاهدت كيف يقودون الضحية إلى نهايتها وهي تستغيث وتتشبث بالحياة، إنني أحلم كل ليلة بهول ما شاهدته عيناى». هناك والدي على قراره في عدم الامتثال للأمر الظالم وظل يكن للرجل حرمة خاصة. وكنت شاهداً أستمع إلى مايقوله لوالدي. كان شيخ بارزان على علم بما جرى. لقد أنهارت كل آمالي بالحركة الكوردية لكن من المستحيل افهام الناس. ولم يعد من مفرّ سوى الانتظار لتضطدم باخرة الحركة الكوردية بأول صخرة لتتحطم في حين يختلس القطبان طريقهم إلى النجاة بقارب صغير يقودهم إلى حافة الأمان متخليين عن الشعب في داخل الباخرة الغارقة، وحين يستفيق الناس من حالة التخليل، يكون الأوان قد فات..

وهنا أروى ماكنت شاهداً عليه، والحدث يدل على نمط الحكم الذي أقامه ملا مصطفى في كوردستان. فبعد الاعلان عن بيان آذار وماصحب ذلك من أفراح بالنصر، أصبح واضحاً أن ملا مصطفى يريد اخضاع بارزان لكامل سيطرته لتنفيذ خطط الوراثة فيما بعد، حل في احدى القرى البارزانية، وكنت هناك، وكان من عادته أن ينام في وقت متأخر من الليل، فما أن إنفض الحضور، وبقي وحده في الغرفة،

إفتحمت امرأة الباب ودخلت الغرفة، وهي تبكي، أشار إليها ملا مصطفى على عجل بأن تخفض صوتها وتجلس، ففعلت ذلك، ثم بدأت تروي ما حصل لإبنتها من تعدد وانها حامل من قبل رجل من صلبه. تابعت مراحل الحدث لكي أعرف موقفه وكيف يحل هذه المشكلة. لدهشتي، عيّن والد الفتاة المعتدى عليها، مسؤولاً عسكرياً وادارياً في منطقة بعيدة عن بارزان، فانتقلت العائلة إلى هناك حتى يغلق الموضوع، ولكن تلك المنطقة التي نقل اليها العائلة كانت تحت إمرة قائد قدير وله دوره المشهود في النضال، ولدهشة الأخير الذي لم يعرف الاسباب الحقيقية من وراء عزله المفاجئ بقرار رئيس الحزب والقائد العام للقوات الثورية. بهذه البساطة عالج مشكلة أخلاقية بانزال عقوبة بقائد ببشمركة قدير ليس له أي دخل بالموضوع، وكان قد دخل السجن وحارب لسنوات وجرح عدة مرات في المعارك التي خاضها ضد المرتزقة والقوات العراقية، عُزل هذا القائد، وانتشرت الشائعات بعدم أهليته للمسؤولية في تلك المنطقة! وعندما التقيت بالقائد المعزول أخبرته بحقيقة أهداف رئيس الحزب، ابتسم وقال لست مهتماً الآن بالتخلي عن الوظيفة بعد أن عرفت الدافع الحقيقي وراء عزلي، وأظن سيتم عزل آخرين لمعالجة مشاكل من هذا النوع! هذا الاستهتار بكرامة الناس كان سبباً رئيسياً في تدهور روح المقاومة في مواجهة قوات الحكومة العراقية عامي 1974-1975.

ثم كانت تأتي أخبار مؤكدة عن فساد الادارة والبذخ والترف في مقر ملا مصطفى وصلاته الخفية ومساعداته المالية للمرتزقة، كان ملا مصطفى يهاجمهم أمام المقاتلين خشية افتضاح أمره في وقت لايزال القتال جارياً بين الببشمركة والجاش الكوردي. لكن كان شيخ بارزان على علم بها. ولا بد من الإشارة إلى أنه في تلك المرحلة، كان يعتبر الاتصال بالمرتزقة خيانة كبرى، وكانت علاقات ملا مصطفى بالمرتزقة خفية، لكنها مكشوفة لعدد من البارزانيين، لو قام بها شخص آخر لإتهم بخيانه الحركة الكوردية وعلى الأكثر كان سيلقى حتفه. إن تراكم الثروة في بيت ملا مصطفى واستثنائه بها كشأن شخصي وعدم صرفها في أوجهها الصحيحة، زاد من شكوك شيخ بارزان في وجود حالة فساد ومظالم كفيلا بدفع المجتمع إلى كارثة محققة، وكل ما في الأمر هو عامل الوقت.

وهنا أراد حماية بارزان من الفساد الذي ينخر جسد الحركة الكوردية. وأيضاً كان يرى من واجبه الروحي زرع الفضيلة على نطاق أعمق في الوسط البارزاني وتعيين نائب له قبل المنية، وكان خورشيد بارزاني قد ثبت جدارته خلال تنظيم المجتمع النموذجي في شرى خلال السنوات الممتدة من عام 1959 - 1969 كما أسلفنا، وهو بطبعه شخصية مسالمة يكره العنف، ودود، بشوش ومتواضع في تعامله مع كافة الناس، فبدأ بالتحرك. يبدو أنه جرت عدة اجتماعات أو تبادل رسل بين شيخ بارزان ونائبه شيخ خورشيد. لكننا فوجئنا بصدور «أمر» من شيخ بارزان في 27 آذار من عام 1967، بالتوجه إلى «مسجد بارزان» حيث في انتظارهم نائبه «خورشيد» والاستماع إلى مايقوله. ولكن لم يكن هناك «أمر إجباري» على الذهاب، وذلك لتفادي بروز حالات النفاق، فترك للناس حرية الاختيار، لكن بالنسبة للعضو المخلص «الأمر» هو للتنفيذ.

كنت أعيش في قرية (ريزان) وشعرت ان هناك محاولة تمهيد روحي بدأت بالظهور التدريجي والمدروس بعناية وذلك خلال خلق (الجو الروحي المناسب) وكان هذا ضرورياً للبدء بشن الحركة الروحية للتغيير. فمن أجل خلق هذا الجو يستوجب السيطرة على الفكر والتركيز على منحى روحي محدد، فالفكر بإمكانه خلق (المحيط أو الجو) ويحدد نظرتنا إلى المكان، فإرتياد الأماكن المقدسة يخلق جواً من السلام والأمان العميقين، والسبب يعود إلى ان الانسان يذهب اليها بروحية ايجابية مسالمة. لقد أوجد اللقاء بالمرشد والاستماع اليه في بارزان أو (شرى) جواً جديداً من الأمان والسلم والتآخي الحقيقي وقضى على الخلافات الشخصية ونزعة الكبرياء والغرور مما أوجد انسجاماً كبيراً في المجتمع.

شخص شيخ بارزان الوضع العام ووجد بأن حالة «الكبرياء» يمنع البعض من الترحيب بدعوته، فلو أمر بالذهاب إلى «شرى» لربما اعتبر البعض من أبناء العائلة البارزانية أنها تنازل من جانبهم، أو ربما قبلوا دعوته على مضض، وهذا غير مناسب، فالتوجه يجب ان يكون صادقاً نابغاً من القلب، لذا أمر نائبه خورشيد أن يأخذ المبادرة بالتوجه إلى بارزان وثم طلب من الشعب التوجه إلى مسجد بارزان العريق. هنا نرى المرشد يأخذ في الحسبان الحالة السيكولوجية للمجتمع. بهذه الخطوة اجتاز بنجاح الحواجز النفسية ومهد الطريق إلى حركة أوسع تشمل كل الراغبين في الانضمام إلى الحركة الروحية. بعد هذا اللقاء عاد نائبه خورشيد إلى «شرى»

وتم إنهال المواطنين وحداناً ووزارات إلى شرى مستمعين إلى محاضرات نائب شيخ بارزان. بين عشية وضحاها تغير المجتمع البارزاني تغيراً جذرياً، لقد خلقت الحركة الروحية حالة فريدة من المساواة والتآلف والتواضع مما يعكس قدرة الطريقة النقشبية الهائلة في إنتاج رابطة الوحدة الفكرية والتماسك الاجتماعي المتين، لكن هذا ليس موضوع بحثنا، إذ يدخل ضمن المعرفة بالعلوم الصوفية النقشبندية، ولست من الملمين بها. وربما في المستقبل، عدت إلى المنحى الاجتماعي للحركة الصوفية بشكل أكثر تفصيلاً.

لم يرتح ملا مصطفى لهذه النهضة الروحية فقد كان على الدوام يعتبر أخلاق الطريقة مناقضة لأهدافه الخفية. فهو غير متمسك بأية مبادئ، إنما يعمل على ربط كل شيء بشخصه، أي بعبارة أدق، كان يريد من المواطن اعتبار «شخص» ملا مصطفى تجسيدا لـ«المبدء» وهذا يتناقض مع قيم بارزان تناقضاً واضحاً. ومن هنا التقلبات في مواقفه إلى نقيض ما كان يدعيه كما سنرى.... لم يظهر علناً ملا مصطفى معاداته للنهضة الروحية عام 1967 لكنه كثف علاقاته بعثمان ابن شيخ بارزان لاستخدامه. ومن ناحية أخرى حددت النهضة الروحية الصفات الأخلاقية التي ينبغي تبنيها في المجتمع السليم، من هنا أصبح أولئك الذين قاموا بأعمال منافية للمنظومة الأخلاقية البارزانية شبه معزولين ومفضوحين في المجتمع الجديد وتقلص الاحترام لهم. كما حامت شكوك حول محاولة إغتيال صالح كانياالنجي وهو من الأتباع المخلصين للطريقة، وأن ملا مصطفى وراء المحاولة الفاشلة.

كان خورشيد بارزاني وكوادر الطريقة -سابق وان نوهنا عنهم - يقدمون أفكارهم بلغة مفهومة من جميع مستويات المجتمع، نساءً ورجالاً. وسرعان ما اتحد الناس وراء وعاظ الطريقة وتغيرت بعمق نظرة الناس إلى الحياة وإلى العلاقات الانسانية المتبادلة.

في هذا الأثناء حيث موجة روحية عارمة تجتاح اراضي بارزان، قصد أفراد من مدينتي حرير وباتاس شيخ بارزان، وعندما اجتمعوا بولده عثمان، ذكروا له أنه كما هو العادة في كل عام، جاء قبل حوالي الشهر، اثنين من رجالنا بقصد شراء الحيوانات من أهالي المنطقة، و تم يتم جمع القطيع وينزلون إلى سهل حرير لبيعه من جديد إلى

تجار آخرين في المدن الكبيرة. وفي هذه المرة تأخر عودة ذوينا ولم تصل إلينا منهما أخبار منهما. فنرجو مساعدتنا لمعرفة مصيرهم.

أجري تحقيق في القضية بشكل دقيق، وتحققوا في القرى والمسالك التي مرّ بها الرجال ومن الرعاة الذين باعوا عدداً من حيواناتهم إلى شاري الغنم، ويسمى بالكوردية (Celebkir) فظهر من نتائج التحقيق أن الرجلين ساقا قطيعهما إلى أسفل من قرية «ريزان» ولكن لم تتوافر آثار على كونهما عبرا قرية «شاندر»، أي ان آثار الراعيين وقطيعهما ضاعت بين القريتين المذكورتين.

تألم شيخ بارزان شديد التألم لأن هذا يمس مصداقية بارزان في الصميم، سمعته كما سمع المات غيري وهو يشكو من انحطاط هذا العمل المناقض لقيم بارزان. وكان يردد:

«لقد اشتهرت أراضينا بالأمان حتى للحيوانات والطيور الهاربة من المناطق المحيطة بنا والبعيدة عنا، اراضينا هي ملجأ لمن يهرب من البطش والظلم، لكن هذا الحادث شوه سمعتنا.»

ثم اكتشف بما لايقبل الشك، أن أحد أولاد قائد الحركة الكوردية هو الذي لاحقهم في الليل مع حراسه المسلحين، كان الغنّامان يأخذان قسطاً من الراحة بعد مسيرة طويلة من النهار، وكانا ينويان التحرك باكراً مع القطيع في صباح اليوم التالي، نزولاً إلى الوادي الذي يتواصل حتى مشارف خليفان، الرجلان (الغنّامان) لم يحملوا سلاحاً أو يؤجرا مسلحين لمرافقتهم، كانا لايشعران بأي خوف على حياتهما وهما يجتازان أراضي بارزان الآمنة.

استغرب الغنّامان من المداهمة ليلاً وهما ينويان النوم على شاطئ النهر وسط القطيع، وتوسلا ان لايقبلا وانهما يهديان القطيع لابن رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، فقد عرفوه، لكن لم يجد التوسل نفعاً، فلكي تخفى آثار الجريمة، فضل المداهمون قتلهم، فشدوا أيدي الغنّامين وراء ظهورهما ثم تلاحقت الطلقات وقذفوا بجثتيهما إلى النهر، واستولوا على القطيع، موزعين إياه على عدد من الرعاة كي لايعثر على أثر له.

لم يجرأ أحد من البارزانيين الذين كلفهم إبن رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بالحفاظ على القطيع مؤقتاً، الاعتراف بحقيقة الأمر، خشية من انتقام ملا مصطفى أو الموالين له. لكن انكشف الأمر كله لشيخ بارزان. لم يكن من عادته تطبيق عقوبات بحق المخالفين، إنما كان يترك الأمر، كان يكتفي بالاعلان عن رفضه لأي عمل منافٍ للقيم الشرعية والانسانية. ومن هنا رفض طلب مجيء الجاني أمامه - وهو إبن ملا مصطفى. أما ملا مصطفى فقد تجاهل الحادث، وعين أحد الجناة من الحرس الذي نفذ الجريمة، ضمن مرافقيه الخاصين، وأصبح بيشمركه ذا راتب. لم يهتم ملا مصطفى ولم يندد حتى ولو شكلياً بالجريمة.

عدد من الأسئلة طرحت نفسها، هل فعلاً أن النضال الجاري كان يهدف لانقاذ الشعب الكوردي من الظلم؟ هل مقاتلة الحكومة العراقية والمرتزة الكورد كافٍ لتغطية كل الأعمال اللاشرعية واللاإنسانية المقترفة في الحركة الكوردية؟ هل الحركة الكوردية هي فعلاً من أجل الفقراء والمضحكين كما تزعم القيادة؟ هل من المنطق أن القيادة الكوردية تعمل من أجل قيم العدالة وإعادة الحقوق المسلوقة للشعب الكوردي في حين هي تمارس الظلم وإغتصاب الحقوق؟ ام الهدف كان المتاجرة بالقضية الكوردية.

كان من الواضح أن هوة عميقة تفصل شعارات الحزب عن الأعمال التي ترتكبها القيادة الكوردية.

هنا واجه كل بارزاني أزمة ضمير. هل يدعم الحركة الكوردية ويضحي في سبيلها؟ وهي منحرفة عن الأهداف المعلنة؟ وهل يتناسب ذلك مع عقيدته؟ لم يرد شيخ بارزان اضعاف الحركة الكوردية، ولكن أمانةً منه في إرشاد الناس إلى الخير، فقد ذكر للبارزانيين في مناسبات كثيرة، أنه يمكن لأي بارزاني أن ينضم إلى الحركة الكوردية لكن بمعرفة تامة ووعي كامل منه بنزعة القيادة «المادية» العارمة و«الشهوة العارمة للرئاسة» وليس للقيادة صلة بالمنحى «الروحي» أو خدمة «المظلومين». وعليهم تبني الحذر الشديد من أن ماتقوم به القيادة الكوردية من مخالفات كبيرة لايستمد من وحي تعاليم بارزان اطلاقاً رغم ادعاء ملا مصطفى بخدمة بارزان.

كان هنالك العديد من البارزانيين غير المنضمين إلى «جماعة شري» يصدقون إخلاص ملا مصطفى لشيخ بارزان، فظلوا في خدمته، وهؤلاء كانوا على اعتقاد أن التزامهم بملا مصطفى يعني في النهاية التزامهم بشيخ بارزان وأن ملا مصطفى في خدمة شيخ بارزان وليس له أية مصلحة أخرى خارج نطاق شيخ بارزان. في الواقع كان ملا مصطفى يقنع هذه المجموعة لكي يبقوا معه بتلك الحجج. ولا بد من أخذ مثال ما حصل له [ره شو خال هه مزه] وهو من المريدين المعروفين وكان يحظى باحترام كبير في الوسط البارزاني، شاهده مراراً وفي الحقيقة كنت ولا أزال أكن له احتراماً كبيراً. ما بين أعوام 1947 - 1958 لعب دوراً هاماً في حفاظ البارزانيين على رابطتهم الروحية وكان مناهضاً لظلم الأغوات وقد اعتبرته الحكومة العراقية خطراً فكانت تلاحقه وهو يختفي في متاهات الجبال. اثنين من أبنائه كانا لاجئين في الاتحاد السوفيتي. ميرزا آغا الإبن الأكبر، كان قد تزوج في المنفى السوفيتي، وبعد انقلاب 14 تموز عام 1958 عاد ميرزا آغا ره شو مع أسرته. ثم أصبح من الحرس الخاص لملا مصطفى عندما كان يسكن في بيت نوري سعيد في بغداد حتى عام 1961، ثم بقي معه بعد ترك بغداد إلى بارزان اثر تدهور العلاقات مع عبدالكريم قاسم. وعندما هاجمت العشائر المعادية بتشجيع من الحكومة العراقية مناطق بارزان، في صيف 1961 قتل ميرزا آغا ره شو في جبهة نزار، ولم يتمكن رفاقه من انقاذ جثته فشوهت من قبل المرتزقة التابعين لأغوات الزيبار. وبقي أيتامه الثلاثة في عهدة جدّهم [ره شو خال هه مزه]. اهتم بهم ملا مصطفى فيما يخص المساعدات المالية من حين لآخر.

كان شيخ بارزان يقدر [ره شو خال هه مزه] وكان يريد منه أن يكون واعياً للأسس ومبادئ الطريقة، فكان يذكر لهؤلاء أن لاضير من البقاء مع ملا مصطفى، لكن ليس بإسم قيم ومبادئ بارزان، لكن [ره شو خال هه مزه] لم يميّز هذا رغم التحذيرات والموقف الصريح لشيخ بارزان. فانضم إلى ملا مصطفى ونقل أيضاً عائلة ابنه ميرزا آغا إلى حيث يسكن ملا مصطفى. وكان اطفال ميرزا آغا - بنتان وولد - قد كبروا في بداية السبعينات. وقبل انهيار الحركة الكوردية عام 1975، اعتدى، واحد من أبناء ملا مصطفى المدللين على [ساريا] ويمثل هذا أول حادث في تاريخ مشيخة بارزان حيث يعتدي ابن البطل القومي على شرف شهيد - بنت الشهيد ميرزا آغا وذهبت مساعي الأم، وهي من اصل سوفيتي - كان ميرزا آغا قد تزوجها في روسيا - ذهبت

مساعدتها ادراج الرياح مع عائلة المعتدي لاقتاعهم لإيجاد حلّ، فقد كانت تريد إنقاذ ماء الوجه للعائلتين، لكن الأم تلقت تهديدات وطردت وأهينت، ثم جعلوا البنت تُقتلُ طفلها، وفيما بعد تُقتل (ساريا) بيد شقيقها، وتدفن في المنحدرات البعيدة التي تتراءى من مدينة [شنوى، كردستان - إيران] من جهة الغرب، في قبر حضرة شقيقها القاتل على عجل، لم يكن القبر بعيداً عن الممرات المؤدية إلى كردستان - عراق - نحو Gader . فعرف المارون بوجود جسد انسان لم يغط كاملاً بالتراب. وعندما أزيح عنه التراب، إذا بهم أمام جثمان ابنة [الشهيد ميرزا آغا] فنقل سراً عدد من البارزانيين المقربين من عائلة ميرزا آغا جثمانها ليلاً إلى مقبرة شنوى وحضر لها قبر جديد، ودفنت هناك. لم تنته المأساة عند هذا الحدّ، فقد نبش قبرها للمرة الثانية، وأخرجت من جديد، وذلك بسبب، اختفاء فتاة من مدينة [شنوى] في اليوم السابق، ولم يعرف والداها أين ذهبت، وعندما انتشر خبر وجود قبر جديد في مقبرة المدينة، ولم يكن أحد مطلعاً على موت أي مواطن في المدينة، ساورت الشكوك أبوي الفتاة المهرية من أن ابنتهما قتلت، فحضروا القبر من جديد وتأكد لهم أنها ليست ابنتهما، فووريت [ساريا] الثرى للمرة الثالثة.

أما ابن ملا مصطفى المدلل فقد بقي طليقاً يسرح ويمرح إلى يومنا هذا، وكان شيئاً لم يكن. وكانت البطانة المأجورة من الحاشية، تقوم بدورها المخطط لها في بث الدعاية لرفع شأن ملا مصطفى، وتحويل الفضيحة إلى فضيلة: «لوعرف ملا مصطفى بما حصل، فإنه سيقطع ابنه إرباً إرباً، لكنه ليس على علم بما جرى، انه متعب كثيراً، ينبغي مراعاة صحته، نحن لاشيء بدونه، ولايجوز التكلم امامه بهذا الشأن». والحق يقال، لعب ملا مصطفى دور المتجاهل بالجريمة على أحسن ما يكون.

حصل امتعاض شعبي شديد في الوسط البارزاني في منفى (كرج - عظيميه - إيران الشاه) ظهرت القيادة على حقيقتها، لكن كان الناس مقيدين بقيود السافاك الإيراني، وكان ملا مصطفى قد احتفظ بعد هزيمة آذار 1976 بجميع أموال الحركة الكوردية، واللاجئون معدومي الرزق. من هنا بقيت سيطرتهم على رقاب الناس الفقراء رغم التعدد المكشوف. لقد أصيب البارزانيون بخيبة أمل كبيرة، بالاختصاص أولئك الذين صدقوا ملا مصطفى ورافقوه إلى المنفى السوفيتي، كانوا في أشد حالة

من الاحباط لكن كان وقت اتخاذ موقف جديد قد فات وليس لديهم حول او طول.
كانوا في قفص محكم.

عندما بدأت الحركة النقشية بالنشاط والتوسع عام 1967، انضم ميرحاج أحمد عقراوي إلى شيخ بارزان كلية، وهو من الضباط ذوي خبرة طويلة في الحركة الكوردية منذ بداية الأربعينات ويعرف ملا مصطفى معرفة صميمية، مروراً بتأسيس جمهورية مهاباد والالتجاء إلى الاتحاد السوفيتي والعودة الطائفة إلى الوطن بعد إنقلاب 14 تموز 1958. كنا في منتجع (Sersulke) شاهدته مع عدد من اصدقائه البارزانيين الذين التجئوا إلى بلاد السوفيت، وهو يحمل عصاً، يمشي على مهل، صعوداً في الممرات الجبلية الطويلة قاصداً شيخ بارزان في منتجعه (هورى) .

شيخ أوامر شاندرى، هو الآخر كان قد التجأ إلى روسيا، ما أن عاد إلى الوطن، حتى أنهى صلته بملا مصطفى وانضم إلى شيخ بارزان، وقتل في احدى المعارك وهو يقاوم المرتزقة الكورد دفاعاً عن أراضي بارزان. كان مقاتلاً شجاعاً ويحظى باحترام كبير في الوسط البارزاني.

سعيد ملا عبدالله هو الآخر انضم إلى شيخ بارزان وترك رفقة ملا مصطفى، وكان قد رافق الاخير إلى الاتحاد السوفيتي. وهناك آخرون مثل (صالح كانيالنجى) فضلوا الابتعاد عن قائد الثورة، لأن نتائج كفاحهم لن تكون لصالح الطبقة الفقيرة في المجتمع الكوردي.

لم تكن في بارزان ثقافة مستوردة، كان تراثاً أصيلاً نشأ من واقع حياة الشعب وتواصل في حياته الروحية ومن الأحداث التاريخية المتميزة التي عاشتها المنطقة. وكانت تتواجد في كوردستان آنذاك عدة «مناطق ثقافية متميزة»²⁰²

Mercenary Culture Prevalent in Kurdistan. b+c=C. Hishyar Barzani. www.kurdishmedia. 202
also www.kcdme.com. 24/01/2007 com.

- بارزان،
- مناطق تحت سيطرة الحزب الديمقراطي الكوردستاني،
- مناطق يتواجد فيه نفوذ المرتزقة الكورد المرتبطين بحكومات بغداد ويحدد اعمالها العسكرية ضباط كبار في الجيش العراقي أو دوائر الأمن الحكومية.

هذه الانماط الثقافية المختلفة كانت لها خطوط فاصلة واضحة المعالم، تتناقض وتعادي بعضها البعض في مراحل معينة وفي النهاية تندمج كما سنرى. لكن كانت قيادة الحركة الكوردية تحمل في ذهنيها «قيم المرتزقة» ولها نفس الدوافع فيما يخص المال والرغبة الجامحة في الادخار.

كان شيخ بارزان يمثل التراث والقيم البارزانية وكان يحرص على حمايتها من التراث المادي والمقنع بشعارات الوطنية وخدمة المضطهدين. وكان يرى في الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى نزعة منحرفة متمحورة حول المصالح الذاتية. ووضّح هذا بشكل كامل للبارزانيين الحريصين على قيمهم كما حذرهم من مغبة تصديق تظاهر ملا مصطفى بالاحترام والالتزام بقيم بارزان الروحية.

كانت الحركة الصوفية قد هيأت بهدوء، الكادر المؤهل للقيام بالمهام التنظيمية للمجتمع النموذجي، وأصبح جميع الرسل الواردة أسمائهم أدناه ب- الأحرف اللاتينية- مصدراً لاشاعة التعاليم المتعلقة بتنظيم محيطهم الاجتماعي. هؤلاء كانوا منتمين إلى شتى القبائل، ولم يكن بينهم أفراد من العائلة البارزانية الحاكمة. والالتقاء بواحد من هذه الكوادر، كان كافياً، في فهم مضمون الرسالة الروحية، ولم تعد هنالك حاجة للذهاب إلى بارزان. وبمعنى آخر، لم يكن هنالك نظام مركزي صارم. فجميع هذه المراكز المتعددة، مخولة في بث التعاليم النقشية في محيطها مباشرة. وإن استعصت مشكلة على الحل فكانوا يراجعون بارزان أو شرى.

Saeed Omer Argoshi (Mizuri)... Sileman Ali Sefti (Nizar)

Hasan Babekir Babsefi (Welat Jeri)

Shex Isa Shemashe (Hupe, Gerdi)

Jemil Salim Kanibouti (Sherwani)

Feqareb Selki (Mizori)

Mela Ali Pendroyi (Mizori Jori)

Weli Mela Brahim Hesni (Beroji)

Mel Mehemed Bibani (Beroji)

Miqdad Ziyab, Barzan (Beroj)

Hayderi Khelani (Dolemeri)

Khaldo Zirari (Sherwani)

هؤلاء كانوا أناساً محترمين في محيطهم، مشهود لهم بحسن السلوك والتسامح ويحبون الخير للآخرين، وفق الحديث الشريف: «حب لغيرك ماتحب لنفسك وأكره لغيرك ماتكره لنفسك».

وبشكل عام كان محمد خالد راغباً في بناء علاقات مع الحكومة العراقية ولا يرغب في نزاع معها. في حين كان عثمان لا يرغب في التقرب من الحكومة ويميل إلى دعم الحركة الكوردية. وكان شيخ بارزان غريباً حتى لدى عائلته بسبب عزوفه عن التملك وكان يذكر في مناسبات بحضور المقربين له روحياً أن: «أولادى لايفهمونى ولايدركون مقاصدي» ومن هنا أنحاز شيخ بارزان نحو الجماهير لتنفيذ برنامجه الروحي. وكان التناقض واضحاً بين شيخ بارزان وبنيه.

ومن جانبه كان ملا مصطفى يعرف حق المعرفة الثوابت لدى شيخ بارزان وأنه لا يتمكن من التأثير عليه إطلاقاً فبدأ يبني علاقات مع أولاد شيخ بارزان وعلى أساس الإغراءات المالية. وهنا لابد من كلمة حول أولاد شيخ بارزان ونخص بالذكر محمد خالد وهو أكبر أولاده وعثمان وهو ثاني أولاده. في حين لم يكن لدى ولديه جمال ونذير واجبات في إدارة المنطقة. في حين كان الولد الأصغر سنناً (صانع) لا يزال صبياً. كان محمد خالد، قد سجن عام 1947 وقضى فيها حوالي 8 أعوام، بينما كان عثمان قد تعرض للنفي. وبعد إنقلاب تموز 1958 عادت الأسرة البارزانية إلى المنطقة، وأمر شيخ بارزان أن يستقر محمد خالد في ميركه سور، لتولى العلاقة مع الحكومة العراقية، في حين بقي عثمان في بارزان يعمل على تصريف الأمور المحلية الدنيوية للمنطقة، وشيخ خورشيد للأمور الروحية. وظلت هذه المعادلة تحافظ على التوازن والوحدة في المنطقة، طالما كان شيخ بارزان على قيد الحياة.

حلّ ملا مصطفى تحليلاً جيداً طريقة النفاذ إلى داخل بيت شيخ بارزان لفتح ثغرة فيها لتمزيقها. وبنى خطوته هذه على اعتبارات ديمومة التسلسل لما بعد وفاته، فحدد بداية تحركه بورقة تزويج أبنائه:

ثلاثة من أولاده لم يتزوجوا بعد، فاختر هو زوجاتهم حسب ما يراه من متطلبات كسب النفوذ وضمان سلطته على المجتمع.

إدريس وهو بارزاني واع تماماً، ولكي يحصل على نفوذ من السليمانية، زوجه والده من فتاة تنتمي إلى عائلة معروفة في مدينة السليمانية، والحق يقال كانت سيدة متفهمة للقضية الوطنية ولا تستسيغ الفساد الذي كان مستشرياً في بيت ملا مصطفى.

مسعود وهو حفيد محمود آغا الزبياري لا يحمل شيئاً من التراث البارزاني، رأى والده أن يدمج بالبارزانية عن طريق تزويجه من ابنة محمد خالد - حفيدة شيخ بارزان - وبذلك يسهل تقديمه لدرجات أرفع. وكان جده محمود آغا الزبياري وخاله زبير محمود آغا يراهنون عليه في حمايتهم وتوطيد نفوذهم وتأمين مصالحهم في المستقبل عن طريق التأثير على ملا مصطفى لتوريثه.

صابر، لم يتدخل في السياسة، تم تزويجه من فتاة من منطقة سوران وهو لم يراها.

كان ملا مصطفى قد خطط لوراثته على أسس عاطفية محضّة، فأبعد عن وراثته إدريس وصابر. زوج الأخيرين من خارج القبيلة البارزانية. لقد شملت نزعة الاستبداد الطاغية لديه فرض الزواج على أبنائه - الواقع تحالفات سياسية - وفق متطلبات منطق الوراثة التي كان يخطط لها منذ البداية لكنه كان يخبىء نواياه ولا يتكلم عنها، إنما يعمل من أجلها دون كلل.

كان الشقيقان (عبيدالله ولقمان) يتمتعان بشيء من الاستقلالية وروح التمرد فيما يخص الطاعة المطلقة لسلطة الأب، في حين كان (إدريس ومسعود وصابر) مطيعين كلية. وقد ازداد الاحتكاك بين الأب وولديه (عبيدالله ولقمان) بسبب الانحياز العاطفي السافر نحو ابنه مسعود وتهياة الظروف لخلافته. كان مأخذ [عبيدالله ولقمان] على والدهم هو صلته الخفية بالمرتزقة وعدم ابداء أي احترام لمشاعر الناس الذين

عانوا من جورهم. في حين كان الوالد يلوم ولديه لعزوفهم عن الطاعة المطلقة له. هذه الخلافات العائلية اخذت منحى سياسياً فيما بعد. وأدت إلى تمزق العائلة. فالصراع الشخصي بين الوالد وولديه كان يتغذى بالمبادئ والشعارات الوطنية.

كان إدريس ذكياً ويطيع والده في الحق والباطل، وهو الذي تولى المهام الصعبة مثل اللقاء الأخير بصدام حسين لتفادي المجابهة المسلحة عام 1974، وهو الذي سافر إلى واشنطن للالتقاء بـ (رتشارد هيلمز) مدير المخابرات المركزية، كما كان مسؤولاً عن العلاقات مع إيران. كان شعاره الذي رددته على مسامعي «ابق في ظل الأسد وان حطملك» ويعني بذلك طاعة الوالد مهما كانت طريقة تعامله معه. وكان يبني استراتيجيته في التقرب من والده على ذكائه وشطارته، معتقداً أنه في مرحلة معينة، أن ذلك كفيل بنيل دعم والده والتقدم على جميع إخوته، لكن ثبت له فيما بعد، أن والده لا يبني مواقفه من أولاده على أساس الذكاء والدهاء والجدارة، إنما على «العاطفة» وهنا كانت إحدى أهم عثراته، لكن كان لا يريد تصحيح هذا الانطباع الخاطيء، أو ربما لم تكن لديه الإرادة الكافية، ووالده في الحياة، وهياً والده حبال ربطه حتى بعد موته، بحيث لا يتمكن إدريس النجاة منها. بدا إدريس واضحاً في تفكيره وعرف والده حق المعرفة، فقد أطلق مقولته الشهيرة، وذلك عندما يحمي والده مسعود ويكلف إدريس بمهام غير لائقة: «إنني تلك المكنتسة التي تكنس جميع [.....] بيت ملا مصطفى». لقد سمعت منه ذلك مراراً. ونصه بالكوردية

«Ez ew geskim ye ku hemi [.....] mala mela Mustefay pe rraden»

كان إدريس يعبر عن مخاوفه لدى المقربين من أن عواطف والده ستؤدي بالجميع إلى كارثة محققة. كان واعياً جداً لما هو موجود في صميم والده من ميول وأفكار وخطط خفية لا تمت للمصالح الوطنية ولا للحركة التحررية الكوردية بصله ومعادية لقيم بارزان، رغم جريان كل شيء باسم تلك الشعارات، لكنه كان قد تعلم الطاعة المطلقة. لقد ظل ذكاًؤه سجيناً داخل إطار الطاعة ولم يخرج منها قط. فقد كان يفتقد إلى الجرأة بشكل كبير.

كانت المهام الثقيلة والخطيرة من واجب إدريس، والحق يقال كان شديد الحرص على ارضاء والده مهما كانت معاملة والده له. لقد كان يتحمل المهانة بهدوء من أخيه

المدلل مسعود أو من والده. لقد سعى ملا مصطفى إلى جعل ذكاء إدريس في خدمة مسعود، فلم يكن مطمئناً لمستوى ذكاء مسعود، ثم إنه كان يميل بشدة إلى أخواله من المرتزقة، وهذا لم يكن مقبولاً بعد لدى الأوساط الوطنية الكوردية في مرحلة القتال، ولذا كان إدريس ضرورياً لأظهار الجانب المعادي للمرتزقة حتى تتضح الظروف وتجري تغييرات واسعة لتنفيذ عملية الوراثة، وكان مسعود ينتظر من والده القيام بمهام التوريث وبالأخص القضاء على من يعتبرون من المعارضين لعملية توريثه سواء عن طريق التصفية الجسدية أو تشويه سمعتهم أو طردهم تحت ذرائع لاتمت بصلة إلى نواياه الخفية، هذه المهام كانت خارج امكانيات مسعود، إنها مهمة الوالد نيابة عن الابن، ويجب عليه أداءها قبل المنية.

وكان لكل من محمود آغا الزيباري وإبنة زيير دور كبير في التأثير على ملا مصطفى، بالاخص بعد رحيل شيخ بارزان عام 1969، في التعجيل باتخاذ اجراءات مشددة وملموسة لضمان عملية توريث مسعود. من الأهمية بمكان سرد ما قام به من أعمال تثير الدهشة من تغير جذري في شخصيته. كانت هذه النزعة موجودة فيه أصلاً لكنه كان يخفيها، وقد طال الانتظار. جاءت فرصة الافصاح عن الكبت في أعماقه بعد رحيل شيخ بارزان والاعلان عن بيان II آذار. انحاز كلية إلى عواطفه وظهر للجميع الخلل الواضح في وطنيته وبارزانيته ومدى استهتاره بالحزب والثورة وتحقيره للمناضلين القدامى الذين ساعدوه في تبوء قمة السلطة وبنوا التراث الذي استحوذ عليه. لكن مرتزقة الدعاية الحزبية والحاشية المأجورة ظلت تنفخ في بوق التعظيم وصنع صورة مضللة له في المخيلة الشعبية الساذجة. كانت نزعة الشيزوفرنيا في الدعاية الحزبية قوية فأعمال القائد مناقضة تماماً لما تصوره الدعاية الحزبية عنه.

عندما كانت السياسة تتعارض مع عواطفه، كان ملا مصطفى ينحاز إلى العواطف ويدمر السياسة، ففي مجرى الصراع بين العاطفة ومقتضيات الواجب الوطني بقي حتى مماته يرجح كفة عواطفه. لقد تنازل بشكل واضح عن شخصيته التاريخية لصالح شخصيته العاطفية بحيث انهارت الاولى تحت ثقل الثانية. ففي احدى المرّات تم اكتشاف شبكة تعمل في مجال العهر في منطقة (كلاله)، وظهر ان العاملين فيها هم من حاشية ملا مصطفى الغير بارزانيين، ومقربين من مسعود. مجموعة

من البارزانيين ذهبوا إلى ملا مصطفى وهم، لسذاجتهم، كانوا يعتقدون أنه لا يعرف بالموضوع، وانهم إنما يخدمون زعيمهم بكشف هذه الفضيحة التي تتعارض مع كافة قيم النضال التحرري، وسوف يقدر نزاهتهم وبنالون لديه الخطوة، وعندما عرضوا له ما يحصل من فساد في بلاطه في وقت يضحي البيشمركه في الجبهات دفاعاً عن الكرامة والشرف وما يجري خلف الجبهات من أعمال مخلة ومن رجال حاشيته بالذات، إذا به يمتعض كثيراً وقال لهم بتشنج واضح، مدافعاً عن رجال حاشيته:

إنني أعرفكم، كلما أحببت وقربت أحداً، فأنكم تعادونه. يجب الكف عن هذا الفساد. انصرف البارزانيون من عنده وهم يأخذون على أنفسهم عهداً بالأى يفشوا له بأى عمل مناف للقيم والأخلاق.

والحقيقة أن رجال الحاشية هؤلاء كانوا يتمتعون «بحصانة» تامة، وكانوا يترددون على مدن إيران، خاني و اورمى بانتظام، ولهم صلات بعملاء السافاك، والأخير كان يعمل على افساد المجتمع الكوردي وتغيير بنيته الاخلاقية، فحصل اتفاق بين الاثنين «رجال الحاشية» و«أعضاء فى سلك السافاك» لجلب العاهرات من إيران إلى كوردستان وتقاسم الأرباح واللذة.

ففى عام 1970 بدأ نشاط ملا مصطفى يقل ويانت عليه مظاهر الشيخوخة. كما إن تعرضه إلى عملية اغتيال في 1971/9/29 كان بمثابة ناقوس خطر لكتلة المرتزقة المناصرة لتعيين مسعود وريثاً، هنا كانت الضغوط عليه قوية من الدائرة المغلقة. إذ كان موضع الخطر هو انه، إن حصل شىء لملا مصطفى ولم يقض على أولئك الذين لايرضون بزعامه مسعود خليفة لوالده، فستكون بمثابة كارثة لعائله محمود آغا. خاصة اذا ما تولى الوراثة ولد من غير أحفاد محمود آغا الزيباري. ورغم أن أموال الثورة الكوردية كانت في متناول مسعود، الا أن ذلك لم يكن كافياً، لم تكن لمسعود شعبية وسط البارزانيين، فقد كان يحيط به عدد من الانتهازيين بفضل صلاحياته المالية. إضافة إلى وجود أبناء ملا مصطفى من زوجته الأولى والثانية، فقد يتدخلون في عملية التوريث، وعندها ستتشأ قيادة واتجاه آخر لا يأخذ في الحسبان مصالح المرتزقة الذين كانوا يراهنون على مسعود. ولهذا يمكن اعتبار سنوات السبعينات سنوات حاسمة مشحونه بالمؤامرات والفتن الداخلية لترجيح عملية التوريث لصالح المرتزقة، كما سنرى.

كان ملا مصطفى قد ضمن تأييد (محمد خالد بارزاني وهو صهر مسعود) لخطته ومن هنا كان يريد فرضه رئيساً لجميع البارزانيين، لضمان عملية التوريث المعقدة لمسعود، ويقضي على «العقبة» عثمان الذي كان يعارض خطط المرتزقة الخفية، وأخذت عملية التوريث مسارات عديدة وأوجه مختلفة. ولا بد من التطرق إليها ولو باختصار.

منذ البداية كان ملا مصطفى يريد تحويل الحزب إلى حزب وراثي، وأموال الحركة الكوردية هي أمواله الخاصة ويريد توريثها لأسرته، وظهرت هذه النزعة لديه بشكل أوضح عند تقدمه في العمر، ونتيجة لعدم ثقته وقلة الأهمية التي كان يقابل بها المكتب السياسي للحزب، أتى بولديه إدريس ومسعود ومنحهم صلاحيات هامة أكثر مما كان يتمتع بها أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. هذا رغم صغر سنهما وقلة تجربتهما في الحقل السياسي، ومنح لمسعود مهمة الاشراف على جهاز الباراستن (الأمن)، وأقيم لهما مقر خاص سمي بمقر بارزاني. وهكذا أصبح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني يأتي في المرتبة الثالثة في سلم قيادة الحركة الكوردية.

وعندما بدل مكتبه السياسي القديم بالجديد، وبقيت سلطته كما هي، لابل تعززت، حصل لديه انطباع ان بإمكانه تغيير مكاتبه السياسية متى ما يشاء، دون انهيار زعامته لذا بعد 1964 اخذ هو يختار أعضاء مكاتبه السياسية كما يريد ومتى يريد... وانتهت عملية الانتقاء والغربة الطبيعية. لقد قبلت المكاتب السياسية الجديد بكل مالم يقبل به المكتب السياسي القديم، فأصبحت سلطة رئيس الحزب مطلقة، لذا بقي لا يكتف لمكاتبه السياسية الكثير من الاعتبار في رسم مخططة الوراثة غير المععلن.

وليس هناك أدنى شك في كون المسألة الوراثة احتلت في ذهن ملا مصطفى الأولوية على جميع اهتماماته الأخرى، وظلت محور حياته حتى مماته عام 1979. وتسبق بذلك حقوق الشعب الكوردي ومصير الحركة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني وبارزان ومصير رفاق السلاح.

لم يأبه ملا مصطفى بعد بيان آذار عام 1970 بالانطباع الذي يحمله البارزانيون تجاهه، إذ كانت حاجته إلى مواهبهم القتالية قد تضاءلت إلى حد كبير، وقد أنخرط الآلاف من أبناء الشعب الكوردي ومن جميع المناطق في سلك البيشمركه وتم تدجين الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والشعب المخدوع بالشعارات الوطنية البراقة ينصاع لأوامر القيادة. وشخصياً يسيطر على نافذة حاج عمران حيث منها يستلم المال والسلاح. لقد أفرز عامل احتكار السلطة لفترات طويلة بلا محاسبة حقيقية إلى نشوء ظاهرة «حكم الرجل الأوحده» مع كل ما يصحبها من حالات الولاء الارتزاقى الانتفاعى والمحسوبية والوصولية والانتهازية المألوفة تماماً في مثل هذا النمط من الأنظمة في كل أنحاء العالم. وفي نهاية الأمر، كما شاهدنا سقط أسير أوهامه وجهله بالمتغيرات الدولية، وما عاد يوجد من حوله من يتمتع بالقدر اللازم من الوعي أو الجرأة للفت النظر أو الدعوة للإصغاء إلى تصور مختلف أو التنبه لنيات الأعداء المتربصين.

كان إدريس وهو صديق الطفولة، حيث قضينا معاً جميع سنوات المنافي في العراق، وفي المدارس من البصرة إلى الموصل وشم بغداد، كان تلميذاً لامعاً وذكياً. وقد اختاره والده للمهام الصعبة كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى.

ولابد من كلمة حول الاجراءات التي اتخذها ملا مصطفى لضمان عملية الوراثة على أسس عاطفية واضحة لما بعد موته، لامت لا من قريب أو بعيد للقيم الوطنية الكوردية او لقيم بارزان التاريخية. أرى من الضروري سرد الوقائع التالية.

وصل إدريس البارزاني إلى لندن نهاية عام 1980 بعد نجاح الثورة الإسلامية في الاطاحة بنظام الشاه. وكان الهدف الخروج من العزلة التي وجد فيها الحزب نفسه فيها، حيث كانت سمعة الحزب في تدنى بسبب نكبة عام 1975 والعلاقات مع السافاك الايراني والموساد الإسرائيلي والاحتلاسات المالية. استقبلته في مطار هيثرو الدولى، وفضل أن ينزل في فندق، وفي اليوم التالي من وصوله حصل اجتماع مع كل من السيد مهدي الحكيم - اغتيل في مطار السودان على يد عملاء نظام صدام حسين - وكان أيضاً بين المجتمعين سعد صالح جبر والسيد حسن النقيب، والسيد فاضل العساف، وألح على إدريس أن احضر هذه الاجتماعات وأن أرحباً دراسي

ليومين، جرى الاجتماع الأول في بيت سعد صالح جبر والأخير في بيت السيد فاضل العساف في لندن. وكان من الواضح أن الحكومة السورية على علم بهذا الاجتماع إذ كان من بين الحضور ممثل مرتبط بالمخابرات السورية وكان من أصل عراقي، اغتيل أيضاً فيما بعد في الكويت على يد عملاء نظام البعث.

وفي الامسيات كنا نلتقي في مطعم يوناني غير بعيد عن الفندق الذي نزل فيه. وكنا على الأكثر لوجدنا في الأمسيات، عدا احدى المرات استضافنا أمير الإيزدية (مير تحسين بگ)، كانت مناسبة جيدة للتحدث عما سيؤول اليه الوضع بعد وفاة والده. ولم أكن أخفي عنه نظرتي السلبية تجاه العديد من مواقف والده التي ألحقت بالشعب الكوردي الدمار والذل. وكان بلا أدنى شك واعياً لكل ذلك، وبالأخص عندما كان والده يقحم عواطفه في السياسة، وقد ذكر لي بصراحة ووضوح، أن احدى عوامل انهيار الحركة الكوردية كان ميل والده الشديد نحو المرتزقة من أخوال مسعود، وقد حاول اطمئنانني عندما شعر بأنني متأكد من تسلط نفس النزعة لدى مسعود، فقال، المهم سوف لن أسمح بأن يحصل المرتزقة من جديد على الصلاحيات الأساسية، إنما فقط بالمظهر وليس بالفعل، كن مطمئناً.

في الواقع كان هناك العديد من المخلصين الذين كانوا يرون أحقية إدريس بوراثة والده لما يتمتع به من ذكاء وقابليات سياسية، وعلى خلاف مسعود، لم تكن لدى إدريس جذور عاطفية تمتد في المحيط الاقطاعي المرتزق. فالبارزانيون باجمعهم كانوا يفضلون إدريس على مسعود.

وعندما عدت عام 1980 إلى إيران، زرته في بيته، وكان فتاح آغا حاضراً حاضراً وقد نال لتوه شهادة الماجستير من جامعة طهران — استشهد في معركة حاج عمران - ولم يقطع فتاح آغا حديثه عند وصولي، وربما أراد أن أكون شاهداً على مايقول، موجهاً كلامه إلى إدريس: «إنني أعتبرك أنت في مكان ملا مصطفى.» لم يرد إدريس بالنفي بل التزم الصمت. لكن مشكلة إدريس كانت في فقدان الشجاعة الشخصية وعجزه عن الانعتاق من القيود الثقيلة التي ربطها به والده وعملية التلقين التي طالت سنوات لتطويعه إلى مسعود.

وفي المرة الثانية عندما وصلت من لندن إلى إيران، وعلم ادريس بوصولي، أرسل أحد حراسه يطلب منى الحضور إلى منزله واللقاء به لأمر مهم جداً. كان الوقت مساءً، دخلت الغرفة التي كان يجلس فيها وكان لوحده، كئيباً وشديداً الجدّية، وهذا بعض ماورد من حديث بيننا:

إنني لم أدعك تستريح من السفر، لكنني أجاهه مشكلة هي الأكثر ألماً بعد وفاة والدي، وأريد منك مساندتي في محنتي الحالية.

ومالذي حصل، كي تكون في محنة هي الثانية بعد وفاة والدكم؟ وانتظرت منه الجواب.

وذكر لي ماهو مطلوب منه أن يعمل أو بكلمة أدق «مفروض عليه» - كانت مشكلة شخصية ولا أريد التطرق إليها الا بقدر تأثيرها على خطط ملا مصطفى وابنه مسعود في تحديد عملية الوراثة بالابتزاز.

وعندما فرغ من كلامه أدركت على الفور الضغوط الهائلة التي يواجهها لليتنازل عن كل شيء يخص الوراثة السياسية. كان واضحاً انه يعيش لحظة ضعف.

فقد كنت مدركاً لمقاصد التآمر هذا على مستقبل الحركة الكوردية برمتها وتأثيرها على مجري التاريخ، قلت له بوضوح وصراحة، يجب ان أكون صادقاً معك، حتى وإن سببت لك خيبة أمل في عدم مساعدتك في هذه المحنة، وسقت له حكمة كوردية معروفة، صديقك هو الذي يبكيك وعدوك هو الذي يضحكك، فمن ناحية المبادئ، وإحتراماً لما لا يحصى من المعاناة وتقديم القرابين على طول التاريخ وقد استغلتها فئة لاتنتمي إلى هذا التراث، لايسعني إلا أن أحاول كل ما لدي من جهد في ابعادك عن هذا الخضوع المذل، لن أخون قناعاتي، لن أساعدك في هذه الخطوة الخطرة، لأنني ضد هذه الفكرة من الجذور وأعتبرها تآمراً لصالح المرتزقة. بهذا العمل ستتخطم سياسياً وهذا هو هدفهم الأصلي.

ردّ، وقد فهم مقصدي كاملاً ولا أشك انه في أعماقه كان مدركاً صحة ماقلته ومقتنعاً بوجهة نظري:

والذي هو الذي أوصى بهذا . شخصياً لست متحمساً للاقدام على ذلك .
إذن ما دمت لست متحمساً، لماذا إذن تقوم بهذا العمل رغم ارادتك؟ ماهو الدافع الحقيقي؟

نظر إليّ وهو متردد فيما سيقدم على قوله . إنني على يقين من أنه كان في لحظة ضعف انسانية، لم يرد أن يخفي عني شئ، وعندما يكون المرء أمام محنة لاطاقة بها لوحده، ويريد أن يفصح ما في أعماقه من مشاعر صادقة إلى صديق يثق به ليخفف من معاناته، قال وهو يفصح لبّ الموضوع وبصدق لالبس فيه، وهو ينظر إليّ مباشرة:

«السبب هو المال.»

كان واضحاً أن مسعود سيطر على المال سيطرة كاملة .
وكان ردّي فوري وعلى عجل، لقد شعرت بقلق شديد وبكثافة الضغوط عليه لدخول بيت الطاعة، أيقنت خطورة الوضع وقلت: لقد خضع شعب بكامله لأوامر ملا مصطفى، أنظر أين أوصلنا، عانينا من الكوارث المتلاحقة بسبب قرارات والدكم وسنعاني من نتائجها المذلة، ومن المستفيد!

لم يناقشني في ذلك، فقد كان مقتنعاً في أعماقه، لكنه غير الموضوع وقال:
- لكن لا تعتقد إنني بهذه الخطوة، عندما أقترب منهم، سوف أمارس تأثيراً كبيراً عليهم وأقلل من مساوئهم .

وجدت انه لا بد من أقصى الصراحة ربما أكثر مما يتوقعها:
أبدأ لن تتمكن من عمل أي شيء، إنما ستصبح جزءاً منهم، ستكون آلة بأيديهم وستعزز من شرهم، لاتعزي نفسك بالأوهام، إن قبلت المقترح، سوف لن تتجو من أن تصبح جزءاً من الرهط المرتزق. لاتفعل ذلك أرجوك. ومن الناحية المالية لن تعاني من أي ضنك، انقل عائلتك إلى أي مكان آخر، واترك هذا الرهط، لاتفكر في نفسك وعائلتك فقط، هناك تاريخ، حاول ان تنحاز إلى جانب حركة التاريخ بدل مكاسب شخصية ومادية زائلة، وسوف تلتف شرائح واسعة من الشعب حولك، وستقود النضال الكوردي بشكل أكثر وطنية وقومية وصدق مما كانت عليه الأمور من قبل، لا تضعف أمام الاغراءات التي هي لكسرك. لقد رجوته كثيراً أن يرفض إتخاذ هذه الخطوة ويفشل المؤامرة.

لقد آثر الإنصياع فقد كان متعوداً على ذلك بحكم سنين طويلة من الطاعة المطلقة لاستبداد سلطة الأب والتي عطلت لديه الشعور بالكرامة وروح المقاومة أمام مسعود .

جهودي ذهبت أدراج الرياح. فقد ارتضى الإستسلام للمخطط الخفي، وكان ذلك آخر لقاء بيننا يتسم بالصدق والصراحة، إذ انهارت تحت الضغوط وانتاب مواقفه تغيير كلي، ولا شك أنه عانى معاناة شديدة من عملية تقمص شخصية أخرى لآتمت إلى شخصيته الحقيقية بصلة أرضاءً لمسعود، وزادت أعباؤه بشكل أضنته وأثرت على تدهور صحته إلى حد كبير.

وفي 1987/1/31، وبشكل غير متوقع، علمت بخبر وفاة إدريس وأنا في أوروبا، وبرحيله برز بشكل أكثر وضوحاً زعامة أولاد وأحفاد محمود آغا الزيباري، وكانوا حسب المخطط الخفي قد استولوا على المال وسيطروا على الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعلى البارزانيين. وبوفاة إدريس لم يبقى ولا واحد من أولاد ملا مصطفى من طرف زوجاته البارزانيات، إذ كان صدام حسين قد قضى على عبيدالله ولقمان وصابر مع أربعة من أولاد لقمان، وسبعة وثلاثين من أفراد العائلة البارزانية، وآلاف البارزانيين في عملية إبادة منظمة. وبفضل جهود ملا مصطفى وصدام حسين رغم اختلاف دوافعهما، فقد حسم الصراع الداخلي على المال والزعامة داخل بيت ملا مصطفى، لصالح أولاد وأحفاد محمود آغا الزيباري كما كان الأخير يتمناها ويحث ملا مصطفى على تحقيقها.

العلاقات مع العارفين

عبد السلام وعبد الرحمن 1963-1968

في شهر تشرين الأول/أكتوبر 1963، والحملة البعثية على كردستان متواصلة، برز إلى العلن انشقاق بين أقطاب حزب البعث الحاكم واستخدم السلاح في عدة مناسبات لتصفية الخلافات الداخلية. تمكن عبد السلام عارف بدعم من الضباط الناصريين وبعض البعثيين الإمساك بزمام السلطة. ومثل ذلك ثالث انقلاب له في 18/11/1963، هذه المرة ضد حلفائه من البعثيين. وأستبشر الشعب العراقي خيراً لازاحة كابوس مراهقي البعث. فقد كانوا في الكثير من تصرفاتهم أشبه بعصابة مستهتره ومتعطشة للدم. ومجيء حزب البعث إلى الحكم يمثل أول تجربة لحزب عراقي في العهد الجمهوري، يحكم بالحديد والنار ويبني علاقات مع طهران وأنقره ودمشق وتتعاون هذه الدول لسحق الحركة الكردية. لم يكمل البعثيون عاماً واحداً في الحكم عندما ازاحهم القوميون العرب من أنصار جمال عبدالناصر ضمن قادة الجيش العراقي، فعاد الجيش إلى الحكم من جديد، وأصبح عبدالسلام عارف رئيساً للبلاد.

سمة تغيير الحكم في بغداد يتمثل في الانقلاب العسكري الدموي، فقد شهدت الفترة بين 1958 - 1968 أربعة تغييرات في الانظمة العراقية، اضافة إلى تسعة محاولات انقلابية وعدد أكبر من محاولات انقلاب غير واضحة. والقوة هي التي استخدمت في الحالة الكردية ايضاً، فقد هاجم ملا مصطفى قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني التابعة للمكتب السياسي، مما أدى إلى هزيمتها ولجوتها إلى إيران.

كما هي العادة في تاريخ الحكومات العراقية التي جاءت عن طريق انقلاب عسكري، يعلن الانقلابيون هدنة مع قيادة الحركة الكردية وقد يعبرون عن حسن النية وواعد باجراء المناقشات لإيجاد حلّ للقضية الكردية، والهدف الرئيسي هو في الواقع تصفية الخصوم داخل الجيش والمعارضة المدنية لتثبيت حكمهم، وثم القيام بعمليات

عسكرية ضد معاقل الحركة الكوردية. وتقريباً في كل مرة وتحت ذريعة، ان البيشمركة يعاني من التعب والشعب الكوردي يحتاج إلى بعض الراحة، ترحب قيادة الحركة الكوردية بالمبادرة الحكومية وتوقف جميع العمليات العسكرية وتبدأ الاستعدادات للمفاوضات ويقوم أعضاء في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني بزيارة بغداد وتهيئة وثائق عن المطالب الكوردية من الحكومة المركزية.

الرئيس الجديد عبدالسلام عارف كان من المعجبين بجمال عبدالناصر، والأخير نصحه بضرورة تسوية سلمية للقضية الكوردية، كما أرسل قوات مصرية لحمايته من انتقام بعثي. وهذا ما أثار قلق شاه إيران وتولد لديه ميل لمساعدة الحركة الكوردية بشكل أوسع.

ويذكر القيادي شكيب عقراوي: "كان النشاط السري لأجهزة المخابرات الإيرانية في محافظتي كركوك والسليمانية قويا وظاهرا وكذلك في قضاء خانقين..... وفي محافظة أربيل استطاع جهاز (الساواك) تجنيد وكلاء ومعتمدين له في مقر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني وكذلك في مقر البارزاني²⁰³.

وجد نظام عارف انه بحاجة إلى بناء العلاقات الخارجية مع الاتحاد السوفيتي، ولم يكن ذلك سهلاً إذ أن سياسة التتكيل الوحشي بالحزب الشيوعي العراقي وسياسة الأرض المحروقة في كردستان، في ظل حكم البعث، كانت موضع نقد شديد من قبل الاتحاد السوفيتي. وأي تحسن معه كان يتطلب تحسين العلاقات على المسارين، مع الحزب الشيوعي العراقي ومع الحركة الكوردية. بالتدريج وبدخل من ناصر، تحسنت العلاقات بين بغداد وموسكو.

والجدير بالذكر أن حكومة البعث وخلافاً للاعراف والاخلاق، كانت قد اعتقلت أعضاء الوفد الكوردي المفاوض في 9 حزيران 1963 في بغداد وتعرض أعضاؤه للتعذيب الوحشي في السجن، ضمنهم القيادي صالح اليوسفي، كما قام العميد الركن صديق مصطفى أمر اللواء العشرين بجريمة بشعة بحق أهالي السليمانية ودفن العشرات من مواطنيها وهم أحياء في مقبرة جماعية صيف عام 1963. كما اعدم المقدم الركن طه الشكرجي أمر القطاع العسكري في كويسنجق مجموعة من مواطني

203 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 186-187

المدينة وعلق أجسادهم على أعمدة الكهرباء، وكان يدعو علناً إلى إبادة الأكراد.²⁰⁴

وعندما قرر حزب البعث في 10/6/1963 شن الحملة العسكرية على كردستان، عارض الرئيس جمال عبدالناصر واستتكر الحملة، فزادت من حدة الخلافات بين القاهرة وبغداد. وكان الضباط القوميون من مؤيدي ناصر داخل الجيش العراقي متربصين بالبعث، وأستغلوا فرصة نشوب مشاكل داخلية ضمن البعث، فتمكنوا من إزاحة حكم البعث في 18/11/1963.

وبعد نجاح الانقلاب، طلبت الحكومة الجديدة برئاسة عبدالسلام عارف، من ضباط الارتباط التركي والایراني مغادرة الأراضي العراقية حيث كانا في الموصل وكركوك لدعم جهود البعث العسكرية في القضاء على الحركة الكردية أثناء الحملة البعثية الأولى على كردستان في صيف عام 1963. كما طلبت الحكومة الجديدة مغادرة الجيش السوري للأراضي العراقية، والذي اشترك في حملة البعث العراقي من صيف نفس العام على مناطق بادينان، وعلى أثر هذا الطلب الرسمي، انسحب اللواء السوري في 28/11/1963 وعاد أدراجه إلى سوريا بعد ان تكبد خسائر لا يستهان بها.²⁰⁵

عبدالسلام عارف كان من أنصار الحلّ العسكري ولا يتقبل المطالبة بحقوق الشعب الكوردي. لكنه ربما كان يدرك، أن ما حصل للجيش العراقي من تصفيات منذ عام 1963 وإلى عام 1964، والتحاق معظم الضباط الكورد والشيوعيون بالحركة الكوردية، أضعف الجيش العراقي إلى حد كبير. مما لا يعطيه مجال مواصلة القتال على الأقل مباشرة بعد نجاح انقلابه ضد رفاقه البعثيين. وكان عليه مواجهة الحرس القومي البعثي، وهي قوة وجدت في ظل حكم البعث، كما ان معاداة السوفييت لحملات الإبادة البعثية ضد الحزب الشيوعي العراقي والحملة على كردستان، أدى إلى تقليص كبير في معدات الجيش العراقي من الاسلحة السوفيتية، إضافة إلى كل ذلك عانى الجيش العراقي من تدهور كبير في معنوياته نتيجة هزائمه في كردستان، ولذا مال عارف نحو تهدئة الجبهة الكوردستانية لكسب الوقت.

204 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 138 - 139

205 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 138 - 141

سعى عبدالسلام عارف إظهار حسن نيته عن طريق شيخ بارزان، وبابا علي ابن الشيخ محمود لحث ملا مصطفى على الوصول إلى تفاهم. كما طلب عبدالسلام عارف من العميد عبدالرزاق محمود محافظ السليمانية في شهر كانون الأول/ديسمبر 1963 الاتصال بملا مصطفى فالتقى الاثنان لبحث وقف إطلاق النار. وحصل توجه نحو الحل السلمي أثناء القمة العربية في القاهرة في كانون الثاني 1964 إذ حث جمال عبدالناصر و بن بلا وزعماء آخرون، المشير عبدالسلام للجنوح نحو الحل السلمي.²⁰⁶ تأثرت المفاوضات بالخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي لحدك ولم تكن هناك مطالب جدية. وكان ملا مصطفى يخشى من تزايد شعبية الحزب، فأراد لجمه. وتفاوض شخصياً مع الحكومة. وتوصل إلى حل مع عبدالسلام عارف بمعزل عن القيادة السياسية للحزب ومبدأ القرارات الجماعية، إلى اتفاق في 10 شباط 1964. وفي الواقع كان ملا مصطفى قد تجاوز صلاحياته حسب دستور الحزب. برر ملا مصطفى الاتفاق مع المشير عارف بحجة ان هناك ضغطاً أمريكياً عليه للتفاهم، وانه تلقى ثلاث طلبات من واشنطن بهذا الشأن²⁰⁷ - حاولت البحث عن أرشيف يثبت ذلك، لكن لم أعثر على شيء، بل العكس حاولت أمريكا عدم التورط مع الحركة الكوردية حتى عام 1972. وقدمت الحكومة العراقية إلى ملا مصطفى خلال الأشهر الثلاث شباط، آذار ونيسان معونة مالية تجاوزت ربع مليون دينار عراقي.²⁰⁸ كان الهدف الحكومي تعميق الخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي، ولم يتطلب ذلك جهداً من الحكومة العراقية، إنما كانت هدية مجانية من الزعامة الكوردية. فدعمت بغداد ملا مصطفى بالمال والأرزاق، وعزز هذا من مركزه على حساب اضعاف المكتب السياسي، وكان ذلك هدف عارف من اسناد ملا مصطفى وعزل المكتب السياسي لحدك.

وقف المكتب السياسي ضد هذه الاتفاقية التي اعتبرها استسلاماً ولا تتناسب مع ما قدمه الشعب الكوردي من تضحيات. في حين استخدمها ملا مصطفى لضرب نفوذ الحزب المتنامي وترسيخ القبضة العشائرية والشخصية، التي استفزت بفعل

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. 206
P: 156

الحرب الكوردية وإنشاقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح اللّه. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 67

سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 160

النشاط السياسي للحزب بين الجماهير الكوردستانية. ويقول سعد جواد عن موقف عارف الذي: «أشاد بملا مصطفى، واتهم» حذك بدعاة حرب» وانهم جواسيس وعملاء للامبريالية وانهم يضعون العلاقات العربية الكوردية في خطر. وذهب إلى أبعد من هذا ليهدد باستخدام القوة ضد أي مجموعة تعارض ملا مصطفى». ²⁰⁹

ولكي نفهم طبيعة الحوار الذي جرى بين الوفد الحكومي والقيادة الكوردية، لا بد من سرد ما حصل أثناء النقاش الذي جرى بين الاثنين، نحن أمام انحطاط مخيف للقيم الوطنية والاخلاق الثورية، ينزل إلى مستوى الاستهتار بنضال شعب يواجه حرباً ضرورياً تهدد كيانه. كان الحوار بين الهزل والجد، ولا يمكن اطلاق صفة مفاوضات، إنها أقرب إلى لعبة «أطفال وهم في حالة زعل».

ففي شهر أيار 1964 أعلن: «رئيس الوزراء (طاهر يحيى) دستور الدولة العراقية المؤقت ولم يكن فيه ذكر واضح لحقوق الشعب الكوردي ضمن الوحدة الوطنية العراقية. فأثار ذلك ثائرة المكتب السياسي إلى أقصى حدّ». ²¹⁰

«تظاهر الجانبان، ملا مصطفى والمكتب السياسي بنبذ خلافتهما نهاية شهر ايار عام 1964، وتم الاتفاق على لقاء بينهما في رانية. وبوصول إبراهيم أحمد وجلال الطالباني إلى مقرّ ملا مصطفى، وصل في الوقت ذاته وفد حكومي من بغداد برئاسة رئيس الوزراء طاهر يحيى، يحمل قرآناً هدية لملا مصطفى من أخيه عبدالسلام عارف». ²¹¹

«وكان برفقة طاهر يحيى، قائد الفرقة الثانية العميد الركن ابراهيم فيصل الانصاري والعقيد هادي خماس مدير الإستخبارات العسكرية ووزير الداخلية صبحي عبد الحميد ومتصرف السليمانية عبدالرزاق سيد محمود الارحيم وفؤاد عارف الوزير وآخرون».

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. 209
P:158

الحرب الكوردية وإنشاقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 50 210

الحرب الكوردية وإنشاقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 50 211

«حضر الاجتماع الأول ملا مصطفى نفسه وقال طاهر يحيى موجهاً كلامه لملا مصطفى:

أيمكن ان تعرفني بما تريده؟
ارجو من الوفد الرّسمي الایعاز إلى موظفي الحكومة المختصين بمنحي جواز سفر وسمّة خروج إلى ايران.
فراح الوفد يستفسر منه ويلجّ عليه بشرح الداعي لمطلبه هذا وقد اخذ على حين غرّة. فقال موجهاً الحديث لطاهر يحيى:

جئت تحمل لي قرآناً وطلبي هو تحقيق ما جاء في أحكامه . في اذا عتكم تتكلمون عن القومية العربية لكنكم نسيتم وجود قومية اخرى . ان حكومتكم لاتبدى أية مساعدة لي ولذلك وجدت من الأفضل أن أغادر البلاد إلى غير رجعة».

”راح أعضاء الوفد وقد صدقوا قوله يرجونه العدول عما اعتزمه و (البارزاني) يتظاهر بالإصرار..... وبالأخير وافق على البقاء! الا انه ابى المشاركة في المحادثات. وعبثاً حاول الوفد الحكومي اشراكه عن طريق توجيه الأسئلة اليه اذ كان يجيب:
هنا ممثلون للحزب الديمقراطي الكوردستاني والعشائر كموهم.

كان خلافاً لممثلي الحزب من زعماء القبائل الكوردية كلٌ من [عباس مامند آغا] و [شيخ حسين بوسكين] و [بايير آغا بشدري] و [كاك حمه زياد آغا كويسنجق] و [أنور بك بيتواته] واثان او ثلاثة آخرون لاتحضرني اسماؤهم.”
بالنسبة لوفد الحكومة العراقية الخلافات الكوردية ظاهرة واضحة للعيان.
ويمضي جرجيس فتح الله إلى القول:

”.... من أهم ماتطرقت اليه المحادثات التركيز على نقطة مباشرة من الخلاف ربما بدت جانبية وهي اللغة التي صيغ بها الدستور المؤقت الجديد واصرّ [ابراهيم وجلال] على وجوب التويّه بالشعب الكوردي تنويهاً واضحاً وقال [ابراهيم]:
لامناس من ان يرد ذكر الشعب الكوردي في الدستور المؤقت والاّ كان المنظور الينا كمجرد قبيلة من القبائل العديدة التي تسكن العراق . عندما تقرون بأننا شعب فعليكم ان تسلّموا لنا بحق القرار على ارضنا وان تمكّنونا منها .



طاهر يحيى وملا مصطفى 1964

وبعد جدال حول هذه النقطة وافق [طاهر يحيى] مبدئياً على إجراء تعديل في الدستور بحيث يتضمن ذكراً واضحاً للشعب الكوردي وحقوقه لكنه أصرّ على القول بأن القرار النهائي في أي شكل سيتم به تحديد وتعريف تلك الحقوق، سيكون من مهمات البرلمان العراقي.²¹² ويعلق جرجيس فتح الله:

"هذا المنطق الذي جاء به رئيس الوزراء أثار سؤالاً يستبطن جوابه: الدستور المؤقت لم يضعه برلمان كما انه لاوجود لبرلمان حالياً. فماذا سيكون وضع الكورد السياسي والقانوني خلال الفترة التي تسبق وجود مثل هذا البرلمان؟". في واقع الأمر كان الوفد الحكومي شديد العداء للحقوق القومية الكوردية، فعندما تكلم جلال الطالباني عن مناظر كوردستان الخلافة، ونطق باسم كوردستان، بلغ الانفعال بالعقيد هادي خماس غايته لسماحه اسم كوردستان وقال بعصبية ظاهرة وبالعبوية الدارجة:

"هم كول أنا مو انفصالي". ساد الجو انفعال شديد وراح جلال الطالباني يهدأ من روعه وان الكلمة لاتعني بالضرورة الدعوة إلى تأسيس دولة كوردية، لكن دون جدوى.

كان الجو السائد بين رئيس الحزب ومكتبه السياسي جواً مشحوناً بالشك والريبة والتآمر ولم يحتاطوا حذراً لوجود خصم يتطاير حتى من لفظ كوردستان. كانت الكراهية الشخصية أقوى من الحرص على حقوق شعبٍ مصيره في الميزان.

212 الحرب الكوردية وإنشاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 52

وأخيراً تقرر ان يبقى الوفد الحكومي ليلة اخرى وان يتولى الجانب الكوردي تهيئة صيغة مقترحات قد تحرز قبولاً من الحكومة العراقية.

ويقول جرجيس فتح الله: "يذكر قادة الحزب المشاركون ان الوفد الرسمي اجتمع ليلتها [بالبارزاني] وانه ابلغهم خلال الاجتماع بانه لايمك اية مطالب. لكنه في ليلتها ارسل [صالح اليوسفي] ليوصي عن لسانه كلاً من [ابراهيم وجلال] بالأّ يتساهلا في مقترحاتهما وان يتصلبا في مطالبهما قال لنا" اطلبوا ما تشاؤون" على حدّ تعبير [ابراهيم].²¹³

تولد شعور لدى عضوا المكتب السياسي من ان ملا مصطفى "ينصب لهم فخاً" لذا أظهرها مرونة ووافقا على التمتع ببعض الحقوق الادارية للمحافظات الكوردية إلى ان يتوصل البرلمان القادم إلى حلّ نهائي. كانت مطالب في غاية البساطة مثل ان يكون رجال الادارة في المناطق الكوردية من الكورد وبعض الحقوق الادارية للمحافظات الكوردية. هذه المقترحات حملها ابراهيم احمد وقرأها عليه - على ملا مصطفى - وبعد الإصغاء كان رده بعبارة مبهمة: "كلا اني مع الشعب"

ويمضي جرجيس فتح الله: "في اليوم التالي تُلي مجمل المقترحات على رئيس الوزراء وأعضاء الوفد فعلق غاضباً:
أخيراً والآن فقط تأكد لي بانكم (يقصد جماعة الحزب) اعداء السلام في شمال العراق.

أجابه [ابراهيم] قائلاً:
أنا لا أهتم كيف تنظر اليّ مادامت ثقة الشعب بي قائمة.
وتهياً رئيس الوزراء لمغادرة غرفة الاجتماع وهو يقول:
كل من يقبل بهذه الشروط فهو خائن.
عندها أنذره (ابراهيم وجلال) بقولهما ان المكتب السياسي على استعداد للقتال
فاجاب:

انتم لاتزيدون عن عشرة

213 الحرب الكوردية وإنشقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 53

أخطأت بهذا فالشعب معنا .
أنتم لاتتمتعون حتى بثقة (البارزاني) ومساندته . الا فلنساله الآن .
ابتسم [ملا مصطفى] وقال بلهجة ظاهرة السخرية:
أطلب من والدنا المحبوب [عبدالسلام محمد عارف] ان يصدر عفواً عنا نحن
المجرمين . هذا كل ما اطلبه ولا أكثر!
عاد الوفد الحكومي إلى بغداد دون ان يتوصل الطرفان إلى أي نتيجة.²¹⁴
في واقع الأمر كانت المشكلة الرئيسية هي بين رئيس الحزب والمكتب السياسي
للحزب . وهي تظهر المدى الذي إنحدرت اليه القيم القومية والنضالية .

في كل الأحوال، شهر العسل لم يدم طويلاً بين عارف وملا مصطفى، فقد
كان الصراع حاداً بين أجنحة الحكم، من عسكريين يريدون القضاء على الحركة
الكوردية بقوة السلاح وبين جناح مدني أكثر ميلاً نحو الحلّ السلمي . ونجحت كفة
الجناح العسكري، ففي تعديل وزاري في 5 آذار 1965 تم تعيين الفريق الطيار عارف
عبدالرزاق رئيساً للوزراء وهو من أنصار استئناف القتال في كردستان . خاصة كان
واضحاً أن خلافاً عميقاً يسود داخل قيادة الحركة الكوردية بين جناح يميل نحو
التنظيم العصري وجناح قبلي مصمم على فرض ارادته بقوة السلاح .

بدأت الحرب الثالثة وشن الجيش حملته في 3 نيسان/ابريل 1965 على نطاق
واسع ضد المواقع الكوردية، وكان الاتحاد السوفيتي قد حسّن علاقاته بحكومة
عارف، وزودت الجيش العراقي من جديد بالسلاح والعتاد . وأشترك المرتزقة الكورد
في العمليات العسكرية بصورة فعالة إلى جنب الجيش العراقي وعدهم يربوا على
30 ألفاً تحت قيادة الأغوات، لقد أصبحت مهنة الارتزاق، مهنة مربحة للأغوات،
فأصبحوا أثرياء بسرعة، وتمتعوا بصلاحيات واسعة . استمرت الحرب زهاء العام،
دون ان ينال أي طرف النصر الحاسم . دارت الحرب على النمط القديم، فالقوات
الحكومية تحتل المدن والقصبات الكبيرة والقرى، بينما ينسحب البيشمركة نحو
الجبال الوعرة ويقومون بهجمات على طريقة الكرّ والفرّ . لكن في هذه الحرب منعت
الحكومة تسرب المعلومات عن الحرب الدائرة . يرى البعض انه نتج من استئناف

214 الحرب الكوردية وإنشاقاق 1964 . ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله . دار الشمس للطباعة
والنشر . ص: 54

القتال توحيد الصف الكوردي، بعد التجاء فريق المكتب السياسي إلى إيران إثر إغارة ملا مصطفى على مواقعهم. فعادوا واشتركوا في المعارك ضد حملات الجيش العراقي.

خلال شهري ايار وحزيران من عام 1965 من القتال في جبل سفين المطل على مدينة شقلاوة تمكن لواء المشاة الرابع من الفرقة الاولى احتلال جزء من جبل سفين. وفي قاطع السليمانية، في منتصف شهر ايار هاجم جحفل لواء مشاة على مقر قوة (رزكاري) وتمكن الجيش العراقي احتلال مواقع في جبل (بيره مكرون)، لكن تمكنت القوات الكوردية بقيادة الملازم طارق احمد استعادة السيطرة على الجبل واضطر الجيش العراقي إلى الانسحاب إلى (دوكان). وحصلت معارك في منطقة (قرداغ) حيث واجهت صمود القوات الكوردية بقيادة حميد برواري. وفي 25 حزيران احتلت فوج مشاة جبل (أزمر) ثم تابعت إلى ان وصلت بلدة (چورتا). وفي نهاية شهر حزيران احتلت قوة من الفرقة الخامسة بلدة (بنجوين) الحدودية. كما حصل قتال شديد في جبهة (راوندوز). وعززت القوات الحكومية من تحصيناتها في معسكرات راوندوز، خليفان، هاوديان، وجبل كورك وبإسناد قوات هامة من المرتزقة الكورد.²¹⁵

أثناء هذه المعارك، كانت هناك جهود مع السافاك الإيراني للسماح بمرور المساعدات، فسمح في شهر ايار 1965 بمرور سبعة مدافع هاون إلى كوردستان، وجرى تدريب طاقم كوردي، وكان لهذا أثر في تحسن الحالة العسكرية في جبهة (بالك). رغم خسارة بعض المواقع في صيف عام 1965، حافظت الحركة الكوردية على روح المقاومة ولم تتمكن بغداد من تحقيق أي نصر حاسم.

في 14/9/1965 قام الفريق الطيار عارف عبدالرزاق القيام بانقلاب عسكري للإطاحة بعبد السلام عارف، الأخير كان موجوداً في المغرب أثناء مؤتمر القمة العربية، فشلت المحاولة في اليوم التالي، وهرب عارف عبدالرزاق إلى القاهرة بطائرته. ثم شكل المشير عبدالسلام عارف وزارة جديدة في 16/9/1965 برئاسة الدكتور عبدالرحمن البزاز، والأخير من الجناح المدني للسلطة. كما عين عبدالعزيز العقيلي وزيراً للدفاع وهو من أنصار القضاء على الحركة الكوردية بالقوة. وكان

215 سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 192

يصف الحركة الكوردية بأنها تنوى إنشاء إسرائيل ثانية. فالجناح المدني بقيادة البزاز يميل إلى إيجاد حل سياسي للقضية الكوردية بينما الجناح العسكري كان من أنصار استخدام القوة. وقبول العقيلي لوزارة الدفاع كانت مشروطة بتكثيف الحملة العسكرية في كردستان.²¹⁶

وبموجب الخطط التي وضعها واحد من غلاة القوميين، اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي، هاجم الجيش العراقي في شتاء 1965-1966 معاقل الحركة الكوردية للحيلولة دون استغلال القوات الكوردية فترة الشتاء للراحة. ففي بداية شهر كانون الأول / ديسمبر 1965 وصل ملا مصطفى إلى منطقة پنجونين ومعه قوات كبيرة للهجوم على معسكرات الجيش العراقي، دامت المعارك لعدة أسابيع مع إسناد مدفعية الجيش الإيراني لقوات الحركة الكوردية، الا انهم فشلوا في احتلال المعسكر²¹⁷. وحصل نقد إعلامي شديد متبادل بين طهران وبغداد في نهاية عام 1965 وبداية عام 1966. اضطرت القوات الكوردية إلى الانسحاب من عدد من المواقع الهامة..

كان المهندس شوكت عقراوي ممثلاً عن الحركة الكوردية في القاهرة، وأقام علاقات جيدة مع الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل، وعن طريقه مع جمال عبدالناصر. أصبح نشاطه في القاهرة مبعث سخط لدى أقطاب نظام عارف، فأرسل الأخير وفد رفيع المستوى لإقناع جمال عبدالناصر بقطع العلاقة مع القيادة الكوردية. وهكذا طلبت السلطات المصرية من شوكت عقراوي مغادرة الأراضي المصرية.²¹⁸

كان شوكت شخصية وطنية مخلصه ويميل إلى الطبقات الفقيرة من أبناء الشعب الكوردي، ومتعلق ببارزان، كما كان شديد النفور من المرتزقة بشكل عام وبالأخص من أخوال مسعود من أغوات الزبيبار الذين أذاقوا مواطني عقرة صنوفاً من الذل والظلم. ففي إحدى المرات حكى على مسمع عدد من الأصدقاء قصة ابنه (بيرس) الذي كان لا يزال صغير السن. روى شوكت: "قلت لابني، هل تعلم أن مسعود ابن ملا مصطفى هو حفيد محمود آغا الزبيباري؟ إندهش (بيرس) من هذا الخبر وقال، كلا لا أصدقك!"

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. 216 P:180

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 199

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 197

أنت تمازح، وعندما أكدت له ذلك وإني جاد فيما أقول، ظل يردد، كيف يمكن ان يكون هذا صحيحاً، هذا مستحيل...! حكى هذه القصة ومسعود موجود يسمع. إن مجرد حكاية مثل هذه كانت كفيلاً بسحب كل الدعم عنه لكن بحجج أخرى لاتمت بصلة إلى الواقع. فرغم الجانب العفوي والنيات الحسنة من جانب شوكت، تولدت حساسية لدى ملا مصطفى ولم يستسغه، رغم مواهب شوكت النضالية المعروفة، وفي النهاية اغتاله عملاء صدام حسين وهو في المستشفى في بغداد.

وعندما غادر شوكت عقراوي الأراضي المصرية وأراد العودة إلى كردستان عن طريق طهران، عاملته السلطات الإيرانية معاملة غير لائقة، بسبب وجوده في القاهرة وسعيه لكسب التأييد من العالم العربي للقضية الكردية، ولكراهية الشاه لنظام ناصر.²¹⁹

كانت الحملة الشتائية التي نادى بها عبدالعزيز العقيلي، بمثابة تمهيد للحملة الأخيرة ضد مقرّ ملا مصطفى والمقرر البدء بها في شهر نيسان من عام 1966. لكن قبل تنفيذ الجيش العراقي لهذه الخطة، لقي عبدالسلام عارف مصرعه أثناء سقوط المروحية التي كانت تقله إلى البصرة. وعلى أثر الحادث اجتمع قادة الجيش في بغداد وتقرر في 16/4/1966 تعيين عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية خلفاً لشقيقه الراحل. في بداية تعيينه، لم يكن الرئيس الجديد راغباً في استمرار القتال في كردستان، لكن حسب مايقوله القيادي شكيب عقراوي: " لم يكن بإمكانه فرض رأيه على قادة الجيش العراقي المتطرفين الذين كانوا قد صمموا على مواصلة الحرب بهدف سحق الثورة الكردية."²²⁰

كان الوقت قد حان لواحدة من أهم العمليات العسكرية العراقية "حملة الربيع" وهي من خطط العقيلي، سميت بـ "توكلنا على الله" والخطة كانت تهدف السيطرة على طريق هاملتن والتي تبدأ من راوندوز إلى الحدود العراقية الإيرانية، وعليها بطول ثلاثين ميلاً، كانت تتواجد مقرات ومواقع الحركة الكردية وبالأخص مقرّ ملا مصطفى. وكان قادة الجيش العراقي يعتقدون ان هذه الحملة ستستغرق شهراً

219 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 197

220 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 203

كاملاً، خاصة ان الاستعدادات الأولية نفذت في الشتاء المنصرم.²²¹

وبالنسبة للجانب الكوردي مثلت هذه المعركة واحدة من أهم المعارك التي خاضتها الحركة الكوردية في كل تاريخها، فإن كانت بعض المعارك الأخرى تتسم بالمقاومة على طريقة البطولات القبلية ووفق الأسلوب القبلي، حيث يقاوم رؤساء القبائل مع أفراد عشائرتهم المسلحين هجمات الجيش العراقي ويحرزون النصر، اتسمت هذه المعركة بالتخطيط العسكري الحديث وبالمقدرة على مواجهة جيش عصري بكامل تجهيزاته الحديثة، نحن هنا امام مقاومة ارتقت من حيث التخطيط والتنفيذ إلى مستوى حركة عصرية في حرب تحرير قومية كسائر حركات التحرر الناجحة في العالم. وحسب ما يذكره ضباط اسرائيليون فإنهم كانوا وراء تصميم هذه الخطط الناجحة.

يذكر (شكيب عقراوي) وهو واحد من أهم الشخصيات في جهاز الباراستن (الأمن) "لقد احتشدت في منطقة (رواندوز) في ذلك الوقت فرقة من الجيش العراقي مع بضعة الاف من الفرسان الاكرد وقاد الفرسان الزيباريون (من عشيرة زيبار) الهجوم على جبل هندرين"²²².

كان الهجوم العسكري يستهدف الوصول إلى حاج عمران وفصل كوردستان المحررة إلى منطقتين يسهل فيما بعد السيطرة عليها، ويؤدي ذلك إلى قطع المساعدات اللوجستية الايرانية عن قيادة الحركة الكوردية.

وتمكن لواء المشاة الرابع من الفرقة الثانية بمساعدة الفرسان الأكراد من عشيرة الزيبار، احتلال جبل (هندرين) في 2 مايو/ ايار 1966، إعتبر ذلك نصراً عسكرياً هاماً للجيش العراقي.

كانت قوات الحزب الشيوعي العراقي في كوردستان أكثر تنظيمياً من قوات

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. 221
P: 197

سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 202 .

الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكانت لديهم مسؤولية الدفاع عن هذا الجبل الاستراتيجي. فاخر محمد آغا ميركه سوري كان يقود هذه القوة من الأنصار. وهو من أقرباء ملا مصطفى، وكان فاخر "قد اشتهر في ذلك الوقت بالبطولة والإقدام وبرز اسمه في المعارك الشديدة التي حدثت مع قوات الجيش العراقي في الأعوام 1963 و1965 و1966".²²³

"كان الملازم نعمان علوان قد برز اسمه في ذلك الوقت ضمن قادة الحزب الشيوعي العراقي العسكريين وقد سبق وان كان ضابطاً في الجيش العراقي وكان جسوراً ومقدماً وخبيراً في أمور المدفعية".²²⁴

"باشرف رجال المدفعية باشرف الملازم نعمان علوان بقصف مقرّ اللواء الرابع للجيش العراقي في جبل (هندرين) لعدة ساعات. وكان القصف مركزاً ودقيقاً ومؤثراً. وكان منتسبوا اللواء الرابع للجيش العراقي يقيمون في خيم مؤقتة ويحاولون بناء رباياهم ويضعون استحكاماتهم ويحاولون تثبيت مواقعهم بعد احتلالهم للجبل.

وكان الفرسان الزيباريين قد انسحبوا من الجبل بعد احتلاله في يوم 2 مايو/ايار 1966.

بدأ هجوم الثوار الاكراد على الجبل في 12مايو/ايار 1966 وقد ارتبك اللواء الرابع من الجيش العراقي ووقع في مأزق بعد قصفه من قبل المدافع الكوردية لعدة ساعات. وقاد فاخر ابن محمد آغا ميركه سوري الهجوم على الجبل على رأس قوة لاتزيد عددها عن مائة مسلح من الثوار الاكراد كان معظمهم من اعضاء ومؤيدي الحزب الشيوعي العراقي".²²⁵

«كان موجود اللواء الرابع قبل المعركة يقل عن ألفي مسلح. وقد تكبد اللواء مايقارب الالف اصابة بين قتيل وجريح لذلك قرر قائد الفرقة الثانية للجيش العراقي

223 سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 203 .

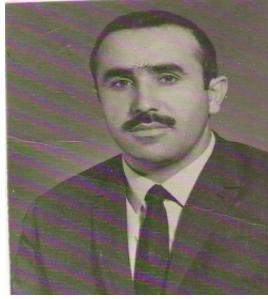
224 ن م س . ص : 203

225 سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 203 . ص : 203 - 204

سحب بقايا اللواء إلى كركوك لاعادة تنظيمه وتدريبه.²²⁶ ففي هذه المعركة دُمرّ اللواء الرابع من الفرقة الثانية للجيش العراقي. وكعادة الحكومات العراقية، فقد لجأت القوة الجوية العراقية إلى قصف عشوائي لقرى كوردستان محدثة دماراً كبيراً وقتل الأبرياء من شيوخ ونساء وأطفال. إن تاريخ السلاح الجوي العراقي في قصف قرى ومدن كوردستان المحرومة من جميع وسائل الدفاع ولعقود من الزمن، هو في واقع الأمر مشين للغاية. وكانت وسائل الإعلام العراقية تمجد هؤلاء الطيارين وتصفهم بـ «نور العراق».

التقى الصحفي الفرنسي René Mauriès بفاخر ميركه سوري وحاوره، وبعد عودته إلى فرنسا، ألف كتابه المعنون «كوردستان أو الموت» نشر بالفرنسية وترجمه المحامي جرجيس فتح الله إلى العربية فيما بعد، يقول عن فاخر ميركه سوري:

«كان فاخر الوسيم الوجه الطويل القامة المتين الالواح قد اطلق في تلك الفترة من الزمن لحية تشبه لحية (فيدل كاسترو) تماماً وحلف بالأ يزيلها حتى يأتيه النصر. وكان قد هياً نصف دزينة من مدافع الهاون لاسناد قوته الصغيرة حرصاً منه على إجتباب الهزيمة باي ثمن ولثلا يقع جبل (هندرين) كله بأيدي العدو وهي الكارثة العظمى التي ستكون في الوقت نفسه بداية النهاية لأن هذه القمة وهي الأكثر ارتفاعاً من أخواتها تسيطر على ذرى (زوزك) وتؤلف محور الدفاع الرئيسي ومفتاحه.»²²⁷



فاخر ميركه سوري

226 ن م س . ص : 205

227 كردستان أو الموت. رينيه موريسس. مطبعة كوردولوجيا رقم 3- 1986. ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. ص: 113

لأنريد الدخول في تفاصيل معركة (هندرين) الظافرة فقد تناولها آخرون أخص بالذكر عصمت شريف فانلي، المحامي شكيب عقراوي والصحفي الفرنسي ريني موريس بالتفصيل، والأخير كان موجوداً أثناء المعركة. وقد عبّر ملا مصطفى عن غبطته مشدداً على معركة هندرين بقوله: «إنها أجمل واروع ما في خمسة وثلاثين عاماً من الكفاح».²²⁸

جرحى	قتلى	كانت خسائر القوات الحكومية
83	151	اللواء الأول:
37	327	اللواء الرابع
148	164	اللواء الخامس
139	279	اللواء الخامس
79	135	اللواء الرابع عشر

بلغت خسائر قوات المرتزقة الكوردية 600 بين قتيل وجريح. وفي صفوف الحركة الكوردية بلغ عدد القتلى 38 و85 جريحاً. كما قتل أثناء المعركة والقصف الجوي حوالي 400 حصان وبغل.²²⁹

وكانت الغنائم من الأسلحة العراقية: «ستة مدافع عيار(75) ملمترا، وأربع مدافع من طراز غير المرتد، وأربع مدافع هاون ثقيلة امريكية الصنع عيار (4 عقدة) وثمان مدافع هاون انكليزية الصنع عيار (3 عقدة) وأربع مدافع هاون عيار (81 ملمترا) وخمس رشاشات ثقيلة من نوع فيكرز، وأربعاً وأربعون رشاش برين، وأكثر من ألف بندقية مازور وثلاثمائة رشاش سترلنكك، ومقداراً كبيراً من مختلف الاسلحة الخفيفة، وستة وأربعون جهاز لاسلكي للاستقبال وللارسال، وراديو إتصال هوائي - أرضي ومائة خيمة عسكرية، وستتة آلاف بطانية.....الخ»²³⁰

228 ن م س . ص: 134

229 Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:266

230 كردستان أو الموت. رينيه موريس. مطبعة كوردولوجيا رقم 3- 1986. ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. ص: 117

بعد شعور بغداد بالهزيمة الساحقة لجيشها، لجأت إلى لغة الأكاذيب على الشعب العراقي، ففي بيان صادر من الحكومة العراقية بثته أجهزة الاعلام الحكومية الرسمية: «نطلب منكم القاء السلاح والاستسلام فوراً إلى جيشنا المقدم. نهايتكم قريبة. لا أمل لكم. (...).» ليس هناك أية قوة بإمكانها مقاومة جيشنا العرمرم وتقدمه المقدس. ومن الآن كل مقاومة هي دون فائدة. أنتم الأقسام المتمردون البائسون، ليس أمامكم غير التوبة قبل ان تسحقكم قواتنا وتسحق جميع اولئك الذين يتجرؤون التعرض لمسيرته البطولية»²³¹ كما أذاع راديو بغداد خبر مقتل ادريس البارزاني في هذه المعركة الظاهرة! وكان إدريس جالساً مع الصحفي الفرنسي ريني موريس يستمعان إلى أخبار راديو بغداد، ويذكر الأخير بعد ان مرّت لحظة الدهشة: «هنأته لعودته حياً من عالم الأموات» ويعبر الصحفي الفرنسي عن دهشته في استخدام الحكومة العراقية لهذا الأسلوب المفضوح لتضليل الرأي العام!

معركة هندرين هي موضع إعجاب وتقدير، وبفضلها كما يقول الدكتور سعد جواد: «هذه المعركة، حيث قتل فيها عدة مئات من جنود القوات الحكومية، مثلت نقطة إنعطاف في العلاقات الكوردية مع الحكومة، كذلك في الصراع بين الجناح العسكري والمدنى في بغداد. والآن وقد تقوى موقفه أكثر من أي وقت مضى، سارع البزاز إلى إبداء رغبته في السلام. فهو ما ان سمع بالهزيمة، تجاهل الجيش كلية وأعاد الاتصالات بملا مصطفى خلال وفد شعبي آخر»²³².

بعد هذه المعركة افتتعت الحكومة العراقية باستحالة القضاء على الحركة الكوردية باستخدام القوة في الظرف الراهن. ومن جانبها حاولت القوات الكوردية بعد معركة هندرين الشهيرة بأيام، أي في 17مايو/ايار 1966 شن الهجوم لاستعادة المواقع في جبل (زوزك) والتي سيطرت عليها قوات اللواء الثالث من الفرقة الثانية العراقية، لكنها فشلت، هنا مال ملا مصطفى أيضاً نحو الحوار مع حكومة بغداد.²³³

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P :267 231

Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. 197:P 232

سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 209 233

وهكذا حاول الجانبان وضع حد لقتال إستمر لفترة تزيد عن خمسة عشر شهراً سبب الكثير من الدمار في كوردستان. وتمكن الجانبان من التوصل إلى حل مؤقت، إذ أعلنت الحكومة العراقية في 29 حزيران 1966 اعترافها بالحقوق القومية للشعب الكوردي.

ويذكر عصمت شريف: «لم تتمكن كما شاهدنا ان تقطف الثورة الكوردية على الصعيد السياسي ثمار انتصاراتها العسكرية. فلم تضع الإطار الضروري للمفاوضات الرسمية. فبدل طلب إجراء المفاوضات برعاية جهات خارجية، وفي بلد محايد أو ضمانات من القوى العظمى، او من قبل البلدان العربية، قبلوا بمفاوضات غامضة، أولاً مع مبعوثين غير رسميين من بغداد، وبعد مع العسكريين في السلطة أو في بعض الأحيان حتى مع ممثليهم. ومحتوى الاتفاقيات لا تتطابق إلا نادراً. وعلاوة على ذلك هذه الاتفاقيات لا تطبق ابداً. بغداد كانت تصيغ بشكل جيد هذه الاتفاقيات كـ «برنامج حكومي»، وهو في الواقع اتفاق لوقف إطلاق النار وليست اتفاقية «سلام»، الجميع يجدون مصلحتهم، بغداد تحصل على الوقت للشفاء من صدمة الهزيمة والاستعداد لحملة جديدة. وبالنسبة للثورة الكوردية لأجل ان ينال السكان قسطاً من الراحة بعد الحرمان والفواجع أو التفرغ لعلاج أزمة داخلية. وقف إطلاق النار الجديد يبقى ضمن هذا الإطار. في خريف 1966، شرح لنا من اللجنة المركزية، ان البارزاني بدل استغلال النصر العسكري لمعركة هندرين، وافق على وقف إطلاق النار، لازالة الآثار المحبطة للتواطئ بين مجموعة الطالباني وحكومة بغداد.²³⁴ ويؤيده في هذا القيادي شكيب عقراوي.²³⁵

كان اليزاز منذ توليه لمنصبه يولي اهتماماً فائقاً لما سماه بالتهديد الإيراني لحدود العراق ومياهه. وكان قد زار مصر، تركيا والمملكة العربية السعودية بهدف حثهم لإيجاد حل سلمي. وحسب ماكتبه الدكتور سعد جواد فقد كان لزيارته إلى القاهرة ان

Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly. Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:268 234

235 «...قرر البارزاني وقف القتال مع الحكومة العراقية لتدارك الوضع وتخصيص الجهود لمحاربة القيادة القديمة للحزب الديمقراطي الكوردستاني (جماعة الأستاذ جلال الطالباني). سنوات المحنة في كردستان. اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص: 213 .

أقنع الرئيس المصري بطرد شوكت عقراوي من مصر وحصل على تأييد عبدالناصر للحكومة العراقية في مسعاها الهادف إلى الاحتفاظ بوحدة الأراضي العراقية. كما نجح البزاز في الحصول على الدعم التركي، وربما كانت زيارته إلى الرياض لغرض توسيط الملك فيصل لاقتناع الشاه بوقف دعم قوات ملا مصطفى.²³⁶

كان من نتائج إعلان 29 حزيران أن تقوى نفوذ ملا مصطفى كذلك شخصية البزاز المدنية، وهذا ما زاد من شعور الجناح العسكري بالاهانة مرتين: في معركة هندرين وعلى يد الجناح المدني في بغداد. فالجناح العسكري إعتبر ما حصل في معركة هندرين ماساً بشرفهم العسكري، ولم يعي البزاز هذه الحقيقة. إذ زادت ثقته ببرنامجه وأخذ ينتقد الضباط علناً دون إدراك منه في كونه مدين بمنصبه، لعسكري الا وهو عبدالسلام عارف الذي مات في حادث المروحية كما ذكرنا. ثم انه لم يكن مسنداً من قبل حزب عدا رجال وزارته. وفي اليوم الثاني لإعلان بيان حزيران، حصلت محاولة ثانية في 30 حزيران 1966 لقلب عبدالرحمن عارف، قاده عارف عبدالرزاق، حيث استغل الامتعاض داخل الجيش بسبب سياسات البزاز الهادفة إلى تقوية مركزه الشخصي، لكن المحاولة فشلت في نفس اليوم، ليس من شك ان نواياه في القيام بانقلاب سبقت بيان حزيران. وبفشل المحاولة، اعتقد البزاز ان هذه كانت آخر محاولة يقوم بها الجيش لتسلم السلطة من جديد، وهنا صعد من انتقاداته للضباط وحصل لديه انطباع من ان الرأي العام الشعبي تعب من الانقلابات العسكرية وهذا مؤشر لنجاح سياساته. ويقول الدكتور سعد جواد: "فشل البزاز تقييم الرأي الشعبي وقلة تأثيره على نتائج العملية العسكرية، فلو نجح عارف عبدالرزاق في محاولته، لكان سيحل محل عبدالرحمن عارف سواء بتأييد أو عدم تأييد الرأي الشعبي، وعلاوة على ذلك فان القضاء السريع للقوات الموالية له على عارف عبدالرزاق، أعادت المعنويات للضباط والثقة بالنفس وهذا يتضمن الرئيس عارف. وكانت الخطوة العسكرية القادمة تتمثل في استغلال الخلفية العسكرية للرئيس للانتقام من البزاز".²³⁷

: Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981 236
P: 216
: Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981 237
204 P:

وفي شهر تموز من عام 1966 كان البزاز في زيارة رسمية للاتحاد السوفيتي، أثناءها صعد الجناح العسكري من ضغوطاته على الرئيس عارف طالبين منه اقالة البزاز. إضطر الأخير لتقديم استقالته من رئاسة الوزارة بعد عودته من موسكو وحل محله عسكري هو (ناجي طالب) والذي لم يعط أهمية فعلية لبيان حزيان.²³⁸ إلتقى السفير الأمريكي بناجي بمبادرة من الأخير في 18 أغسطس 1966 ذكر للسفير ضمن مواضيع مختلفة: "نريد ان ننفذ المشروع الكوردي كاملاً ، لكنه تناول بشكل واسع المصاعب على الطريق دون اعطاء لمحة عن ماهية الحل الحكومي. وقال ان المشكلة الاساسية تتمثل في الانشقاق الثلاثي بين الكورد، وأن البارزاني يصرّ على التعامل معه فقط، وان الحكومة العراقية لاتستطيع تجاهل الأكراد الآخرين الذين أيدوا الحكومة العراقية أو تجاهل قدماء الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وذكر طالب أن البارزاني يريد ان يصبح "ملك كوردستان" وبمعزل عن هذا لا أحد يعرف ماذا يريد في الحقيقة."²³⁹

لكن في جميع الأحوال فإن بيان البزاز لم يطبق ووقف الجناح العسكري ضده، حيث كان يبحث عن انتقام لهزيمته في معركة هندرين. وفي الواقع كان الرئيس عبدالرحمن عارف متردداً بين الجناح المدني والعسكري، ولم يتمكن تبني سياسة واضحة المعالم لحلّ المسألة الكوردية ولم يتخذ خطوات ديمقراطية تحظى بتأييد الجماهير لها، وتجييز نشاط الأحزاب والحريات العامة، فدب الضعف في حكمه وأستغل حزب البعث النقمة والفوضى في البلاد فأطيح بنظام عارف عام 1968، وبرز نجم أحمد حسن البكر وصادام حسين، مستفيدين من الأخطاء التي ارتكبوها عام 1963. ورغم أنهم اختاروا الحلّ العسكري الا ان صمود الشعب الكوردي أرغمهم على تغيير قناعاتهم، فأختاروا ظاهراً الحلول السلمية المؤقتة لكي يكسبوا الوقت للقضاء على المقاومة الكوردية في ظروف أخرى مؤاتية لهم.

: Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981 238
205 P:

Telegram from the Embassy in Iraq to the Departement of the State. 239
August, 19. 1966

المحتويات

9	1- المقدمة
25	2- أعوام الركود 1947 - 1958
43	3- ما بعد انقلاب 14 تموز 1958
69	4- الانعطاف 1960/10/23. (عصمت شريف فانلي)
91	5- ركوب الموج الإقطاعي (نحو المواجهة المسلحة)
119	6- احتلال أراضي بارزان 1961
143	7- تكتيكان في الصراع المسلح
175	8- 1962 عام التوسع والمبادرات
211	9- التطور الطبيعي للحركة الكوردية (مرحلة أولوية الكفاءات)
245	10- الحرب البعثية الأولى على كوردستان 1963
269	11- الولاء المزدوج لرئيس (حدك)
283	12- أحمد (شيخ بارزان)
317	13- العلاقات مع العارفين 1963 - 1968

